عُيُونُ التَّوارِيخ

لِلمؤرّخ الأديب الصُّوفي

محمّد بْن شاكِرْ بن أَحمد الكُتُبي

المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ

رحمه الله

السِّفْر الأوّل

(السيرة النبوية - خلافة الصديق)

أنفق على طبعه، ونسق، مقدمة الطبع

الشيخ أبو منصور الحافظ

المتخرج في كلية الشريعة والقانون
بجامعة الأزهر

عُنِيَ بتحقيق النص وتحرير الحواشي

حسام الدين القدسي

مُجاز [*Licencié*]

من جامعة دمشق سنة ١٩٢٧ م

مكتبة النهضة المصرية

لأصحابها حسن محمد وأولاده

٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

دار الأنصار
مكتبة - طباعة - نشر - توزيع
٨١ شارع البستان ناصية علي المهدي بعابدين
ت ٩٣١٥٨١

دار الشباب للطباعة
١٥ شارع العباسية بالقاهرة
تليفون ٨٣٩٧٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي [illegible] بالاحسان وخص [illegible] والنطق [illegible]
وشرفه على سائر المخلوقات بما اتاه من العقل المبين الواضح البرهان وجعل
له الى الحقيقة [illegible] اظهر اسرارها [illegible] البيان وجعل
لكل عصر محاسن [illegible] مفاخره [illegible] الاقران
وحكم على العباد بالموت اظهارا للحكمة البديعة بالاتقان [illegible]
[illegible] وشكره والتوفيق للشكر من [illegible] على
نعم [illegible] ومننه التي لا [illegible]
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له [illegible]
[illegible] النفوس [illegible]
[illegible] النعم [illegible]
[illegible]
[illegible] الاصفياء [illegible]
المصطفى من [illegible] الرسل [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وعلى اله وصحبه [illegible]
ومنهم من جعل [illegible] الاسلام [illegible]
[illegible] ومنهم من [illegible]
[illegible]
[illegible] على الكواكب [illegible]
[illegible] الى يوم [illegible] وبعد
فلما كان علم التاريخ من [illegible] علوم [illegible]

[illegible]

حزنها التجدد

وهل عدلت يوما رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطاهرين [illegible] وسلم تسليما

تم الجزء الأول من [illegible] النوادر [illegible]

يتلوه الجزء الثاني [illegible]

[illegible]

[illegible]

على يد العبد الفقير [illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واختم بخير

[illegible]

[illegible] توفي رسول الله صلى الله عليه [illegible] أبو بكر [illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible] أبي بكر [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]

[illegible] إلى ذلك الأنصار [illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

الجزء الثاني من عيون التواريخ

جمع الفقير إلى الله تعالى

محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي

عفا الله عنه [illegible] ولوالديه

[illegible]

[illegible] وخمسين

[illegible]

[illegible]

[illegible] رضي الله عنهم أجمعين

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة الطبع)

الحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وصفوة رسله سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

قال شيخنا الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود (١) عليه رحمة الله :

قص القرآن الكريم علينا أحداثاً تاريخية ، أبرز فيها مواطن العبرة ومعالم العظات (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ...) .

ولم يقتصر القرآن في إيراد هذه الأحداث التاريخية على أمة دون أمة ولا على طائفة دون طائفة ولا على زمن دون سائر الأزمان .

فقد تناول تاريخ الأنبياء والمرسلين ، وأبان أن العاقبة للمتقين .

وقد عني المسلمون بتدوين حوادث التاريخ ، ورأوا أن ذلك نوع من العبادة لا تجوز فيها السرعة والتلفيق ، وخصوصاً ما اتصل منها بالعصر النبوي وبالقرآن وعلوم السنة ورجالها .

---

(١) من (تصدير تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي) . وقد توفي الامام الأكبر في ذي القعدة الحرام المبارك سنة ١٣٩٨ ودفن ببلدته (دار السلام) وترك ثروة علمية رائعة ، دونها بقلم العالم الأديب العجيب والمبدع المسرع المتعبد المتلىء بالاسلام . وكان أمة في دعوة الناس الى عبادة الحق تعالى شأنه ، مشهوراً بتشجيعه كل من يتوسم الخير فيه ، كافأه الله بروضة من رياض الجنة بفضله .

وقد شرع العرب فى تدوين الحوادث التاريخية فى القرن الأول : فقد دون أبو مخنف الأزدى — من أصحاب الإمام على رضى الله عنه — فصولا من أحداث التاريخ. كما أن عَبيد بن شَرْيَة الجرهمى(1) كان يحدث معاوية بأحداث الأمم السابقة ، فأمره أن يدونها فدونها فى (كتاب الملوك وأخبار الماضين) . وقد أنبأنا ابن النديم عن المتقدمين من المؤرخين وما دوّنوه كما أنبأنا عنهم غيره . . . . .

والأحداث التاريخية فى القرآن الكريم منار يهتدى به السالكون ، ومعالم يسترشد بها المسترشدون .

والمؤرخون من العرب لم يكتفوا بتدوين الأحداث العامة ، بل عرفوا التخصص فى عهد مبكر : فمن المسلمين الأوائل من تخصص فى دراسة (المغازى النبوية) ، ومنهم من اقتصر على تدوين (ترجمة النبى ﷺ الخاصة) ومنهم من كتب تاريخ الأمم السابقة .

ثم ظهرت كتب الطبقات ، وتخصص بعض المؤرخين فى بعض الطبقات ، فظهرت طبقات ابن سعد ، ثم ظهرت طبقات القراء والمحدثين والشعراء والنحويين وطبقات الأطباء . . .

ومن المؤرخين من قصر جهده على نوع معين من الطبقات فظهرت مؤلفات كثيرة فى طبقات الحنفية وطبقات المالكية وطبقات الشافعية وطبقات الحنابلة .

---

(1) أدرك الإسلام فأسلم . ووفد على معاوية بن أبى سفيان بالشام ، فسأله عن أخبار القدماء وملوك العرب والعجم وتبلبل الألسنة ، فأجابه عن كل ذلك . فأمر معاوية أن يدون ذلك وينسب إلى عبيد . فكان هذا أول كتاب ألف فى التاريخ . وعاش عبيد إلى أيام عبد الملك ، وألف كتباً أخرى ، منها كتاب الأمثال .

* *

وبعضهم ألف فى تاريخ الوزراء أو الكتاب أو القضاة ...

وبعضهم عنى بتاريخ بلده معين مثل تاريخ مكة أو المدينة أو بغداد أو دمشق أو غيرها . بل إن بعضهم إقصر تاريخه على شخص واحد من العظماء .

وبرزت مؤلفات لتراجم الأتقياء والصالحين و ...

ونلاحظ أن رجال الحديث كانوا فى طليعة المؤرخين : فان عنايتهم التامة بتدوين الحديث وتنقيته مما أقحم فيه من الأكاذيب جعلتهم يبذلون جهوداً كبيرة فى دراسة رواة الحديث : فوضعوا لهذه الدراسة اسساً منطقية وضوابط عقلية لا نجد لها نظيراً فى أمة من الأمم ولا فى شريعة سابقة .

وهذا يحفزنا إلى الجد فى نشر تراثنا الخالد المجيد ، فاننا ان نستطيع أن نعرف تاريخ الإسلام السياسى والحضارى والاجتماعى معرفة حقيقية إلا إذا جمعنا مصادره ونشرناها نشراً علمياً محققاً .

والتراث العربى موزع فى مكتبات العالم ، وهو أكثر من مليون فى مؤلف .

وقد بذل (معهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية) جهوداً مشكورة فى تصوير كثير من هذا التراث المجيد .

والعالم الإسلامى مسئول اليوم عن هذا التراث الخالد ، ثم بحثه وتحقيقه ونشره فى العالمين .

وقال المؤرخ الشيخ محمد بن شاكر الكتبى

فى مقدمة (فوات الوفيات)

علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر ...

* * *

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثرى :[1]

(إنما يكتب التاريخ بالتراجم ، والمترجمون هم حياة التاريخ ، وهم الذين صاغوه بعملهم وخلقهم وصوابهم وخطئهم ..)

والأمة الناهضة تقدر رجالها أحياءً وأمواتاً ، عرفاناً بجميلهم وأسداءاً اليهم ما يستحقونه من حسن الأحدوثة على أعمالهم ، وحضاً للأحياء على اتخاذ هؤلاء قدوة حسنة فى خدمة الأمة فى شتى النواحى .

وفى (تراجم الرجال) تتمثل حضارة الأمة وتقدمها وتأخرها . فهى إذاً معيار صادق ، فيرجو المخلصون فى خدمة الأمة إنصافها لهم ، ويخاف المقصرون حكمها عليهم .

فاذا لم يترجم لهؤلاء وهؤلاء ضاعت مواضع الأسوة الحسنة وسوء الأحدوثة من التاريخ . فيصبح من يخدم ومن يهدم سواءً .

ولا بد من جمع التراجم فى صعيد واحد ليسهل الإلمام بحالات الأمة السياسية والإجتماعية والأدبية والمدنية ، ليصيب الباحث فى حكمه على كل شعب من الشعوب بالنهوض أو الهبوط عن علم بمراتب رجاله فى الثقافة والمروءة والقيام بالواجب .

* * *

---

(١) فى مقدمة (الأعلام الشرقيه للاستاذ زكى مجاهد) .

وقال الدكتور عبد الصبور مرزوق[1] :

حين اضطرب اللواء تقدم العلماء فصانوا للعروبة ماضيها وجمعوا الرصيد الحافل لإثراء حاضرها ومستقبلها .

تلقى المد العربى الزاحف الضربات من المغول (التتار) فى القرن السابع الهجرى ، ثم تلقى الضربات حين أكره على الرحيل من الأندلس فى القرن التاسع .

وبدافع طبيعى للخلاص تحركت الجموع باحثة عن الأمان والإستقرار فى مصر وغيرها .

وفى القاهرة أخذ المد العربى المنحسر يجمع بقاياه ويلم أشتاتة ويتساند لمواجهة الطوفان .

فأسرعت أيدى العلماء فى لهفة مخلصه تلم كل ما بعثره التتار وغيرهم من رصيدنا الفكرى والثقافى ، وتضم بعضه إلى بعض لتصنع منه البديل والعوض العلمى ، ولتصنع منه سياجاً روحياً يحمى وجدان الأمة ويصون نفسيتها .

فى هذه الفترة برزت فى العالم العربى عشرات الأسماء من كبار الأعلام الذين فجرت المحنة فى وجدانهم الوعى بحركة التاريخ ، فشرعوا يجمعون ويوثقون كل ما بعثرته الأحداث من أمجاد أمتنا وتاريخ فكرها وسير رجالها ، ثم ارتقى إحساسهم بالتاريخ فبحثوا فى فلسفته وفى أسرار حركته .

وفى الاتجاه الأول ظهرت المجاميع الضخمة والموسوعات الشاملة التى كان أبرز من رجالها :

---

(١) فى مقدمه طبع (التعريف بأداب التأليف للحافظ السيوطى) . نقلنا منها بتصرف يسير . فنرجو من الدكتور عبد الصبور العذر .

صلاح الدين الصفدى ، ابن خلكان ، الذهبى ، المقريزى ، ابن شاكر الكتبى ، ، الملك المؤيد صاحب حماة ، ابن حجر العسقلانى ، ابن أبى أصيبعة.

وفى الاتجاه الثانى كانت المدرسة التى من روادها ابن خلدون .

ووراء هذين كان اتجاه الجمع الموسوعى الذى برز من أعلامه :

ابن منظور ، ابن فضل الله العمرى ، النويرى ، . . .

كان هذا الجهد العلمى سبيل المقاومة ، فتحرك الروح العربى الناجى من المغول وغيرهم ، مدفوعا بالحرص على إنقاذه ، وحريصاً أيضاً على استبقاء الوجود العربى حتى لا يجرفه الطوفان .

وحركة أولئك العلماء فى مختلف اتجاهاتهم لم تكن صدى الانعزال والرهبنة الفكرية أو الهروب من الواقع ، بل كانت فى صميمها محاولة رائعة للمقاومة بالكلمة وكل عالم من هؤلاء إنما هو فى الحقيقة بطل من أبطال المقاومة ، وكل وثيقة علمية من ثمرات هذه المحنة الكبرى هى إلى جانب قيمتها العلمية العظيمة وثيقة من وثائق النضال .

ولعل فى هذه النظرة ما يعطينا التفسير الطبيعى لصبر هؤلاء وتبتلهم النادر للاستقصاء والبحث وإعطائهم بسخاء من أعمارهم ومن ذوات أنفسهم ما تنقطع دونه أعناق الكثيرين من المعاصرين . .

والعمل العلمى عند علمائنا لم يكن لتزكية الفراغ أو لإشباع الرغبة فى الاطلاع .

ولكنه كان ضرباً من العبادة وسبيلا إلى الصلة بالله وكسب مرضاته ، لأن كلمة العالم محسوبة عليه بمقدار ما تترك فى الناس من أثر ، وهو شديد الحساسية لأثر كلمته فى الناس لأنه يخشى أن يسن سنة سيئة يكون عليه وزرها.

ومن سيطرة هذا الإحساس كانت ضمائرهم يقظة فى محاسبتهم إلى أقصى حدود اليقظة ، تحاسبهم على الكلمة يرددونها قبل التثبت منها ؛ مهما تكن مشاق هذا التثبت . وكانت ضمائرهم تحاسبهم على (الدعوى) تصدر من أحدهم لا يقصد بها وجه الله ، بل إنها لتحاسبهم على لحظات الإعجاب

والخيلاء التي قد تبرق في مخيلة أحدهم ؛ إلى الحد الذي نرى فيه إماماً جليلا كالشافعي يتمنى أن لا ينسب اليه شيء مما ألف ، ويقول : (وددت أن الناس يعلمون ما في هذه الكتب ولا ينسب إليّ منها شيء) .

ولقد يستوقف نظر الباحث المعاصر في تاريخ هؤلاء العلماء ولا سيما في ظلال المحنة الكبرى وما شابهها من محن ... أنهم كانوا من القوة والصلابة بحيث لم يجرفهم الطوفان ، ولم تستطع المحنة — مع اشتداد وطأتها — أن تطحنهم ، بل لقد زادتهم إصراراً على استنقاذ تراث الإسلام والعروبة من كل ما كان يحيط به .

وسر شموخ علمائنا جميعاً هو ارتفاعهم عن الدنيا وسموهم إلى مستوى المتعة الروحية الخالدة .

وتراثنا رصيد ضخم في شتى فروع المعرفة : في الطب وفي الرياضيات وفي التشريع والفلك وفي الاجتماع والتاريخ وفي اللغة والأدب وفي الفنون ومناهج البحث و ...

وهذا الرصيد الضخم قد أحسن غيرنا تقديره واعترفوا بما له من خطر وبما له من أثر في إغناء الإنسانية عامة .

وحسب الذين يتجنون على (التراث) أن يعرفوا أن لعلمائنا دراسات في السياسة وفي الاقتصاد تعتبر رائدة . وحسبي أن أشير إلى أنهم عالجوا السياسة العامة للدولة وسياسة الرعية وسياسة الجند والخراج والإدارة .

وأزمة هذا الرصيد من (التراث) تأتي من الجهل به لا منه نفسه ....

* * *

أما بعد[1] : فإن كتاب (عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي) من أهم الكتب المصنفة في التاريخ الإسلامي . وقد جمع بين الحوادث التاريخية والأخبار الأدبية ، حيث اشتمل على كثير من الأشعار في غضون الأخبار الأدبية .

وقد رتب المصنف كتابه على السنين : فذكر حوادث كل سنة ، ثم ذكر تراجم أعيان من توفي فيها . وهذا هو الترتيب العلمي ، وأما الترتيب على الحروف فهو من وظيفة الفهارس .

وقد بدأ كتابه بالسيرة النبوية الشريفة .

ومنذ عرف الناس (عيون التواريخ) أخذ الوراقون في نسخه ، وتنافس القادرون في اقتنائه ، وزخرت به دور الكتب والعلم وهو اليوم مورد الباحثين المعاصرين ، ينقلون منه ويرجعون إليه كالشيخ محمد زاهد الكوثري[2] والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم[3] والأستاذ فؤاد سيد[4] وغيرهم .

وقد كانت فكرة إخراج هذا المخطوط إلى عالم المطبوعات من الشيخ محقق الكتاب ، حيث شجعني على الإنفاق على نشره ، وبين لي مزاياه وقيمته العلمية .

---

(١) اقتبسنا من تصدير (فوات الوفيات لابن شاكر) صنعة استاذنا العميم (الدكتور) إحسان بن عباس . وقد أذن لي شفاهياً بهذا ، ومن غيره من المراجع المقبلة

(٢) في الانصاف للباقلاني وهو امش (السيف الصقيل) وغيرهما .

(٣) في (تاريخ الطبري) و (إنباه الرواة للقفطي) .

(٤) في (طبقات المعتزلة) طبع تونس .

ولا سيما ما قاله الباحثون المتخصصون من وجود نصوص فى (عيون التواريخ) لا توجد فى المصادر المطبوعة.[1]

من ذلك ماوردمن شعر(أمية بن أبى الصلت فى الصفحة ٢٢١ / ٢٢٣ من هذا السفر مما لم يعثر عليه من جمعوا شعره من العرب والمستشرقين لهذا العهد.

وقد كلفته بتصحيح (السفر الأول) بتجزئتنا .

وهو يشتمل على (سيرة المصطفى رسول الله ﷺ من مولده إلى وفاته ، ثم خلافة سيدنا أبى بكر عبد الله الصديق) .

كما كلفته بتحقيق (السفر الثانى) ويبدأ من (سيرة الفاروق) .

وسيصدر الثانى إن شاء الله عقب هذا السفر.

* * *

(١) ومما يؤيدنا فى هذا إيماء الشيخ الكوثرى فى هوامش (السيف الصقيل للتقى السبكى) إلى نصوص نادرة من (عيون التواريخ) ولو كان عثر عليها فى غيره ما تجشم عناء البحث فيه ، وهو العالم بالمخطوطات ومظان النصوص.

(ترجمة ابن شاكر الكتبي)

مؤلف عيون التواريخ(١)

الشيخ(٢) صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الداراني(٣) المولد،الدمشقي الدار ،الكتبي،المؤرخ الخازن(٤) الباحث الأديب الصوفي .

سمع من ابن الشحنة(٥) .

---

(١) مراجع ترجمته : الدرر الكامنة ٤ /٧١ من طبعة القاهرة ، وكشف الظنون ٢ / ١١٨٥ من مصورة طبعة اصطنبول ، وهدية العارفين للبغـــدادي ١٦٢/٢ ، وذيل الحافظ الحسيني على (العبر للحافظ الذهبي) ٣٦٩ من طبعة الكويت ، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٣٠٣/١٤ من طبعة القـــاهرة والأعلام للأستاذ الزركلي ٢٦/٧ من الطبعة الثانية ، والاعـــلان بالتوبيخ للسخاوي ص ١٥٠ من طبعة دمشق .

(٢) هكذا لقبه بعض من ترجم له .

(٣) نسبة إلى داريا بقرب دمشق . وقد زرتها عام ١٣٨٥ هـ . راجع نسبة (الداراني) في (الأنساب للسمعاني ٥ /٣٧١ من طبعة حيدر آباد الدكن

(٤) قال التاج السبكي في (معيد النعم) ص ١١١ من طبعة دار الكتاب العربي : خازن الكتب حق عليه الاحتفاظ بها وترميم شعثها ، وحبكها عنـــد احتياجها للحبك ، والضنة بها على من ليس من أهلها ، وبذلها للمحتاج اليها ، وأن يقدم في العارية الفقراء على الأغنياء وكثيراً مايشترط الواقف أن لايخرج الكتاب إلا برهن ، وهو شرط صحيح معتبر ، فليس للخازن أن يعير إلا برهن

(٥) هو أبو العباس الحجار . قال الشيخ محمد زاهد الكوثري عليه رضوان الله : يتكرر ذكره كثيراً باسم أبي العباس بن أبي طالب أو بأبي العباس بن الشحنة أو بالحجار . وهو مسند الدنيا ورحلة الآفاق أبو العباس شهاب =

(٣)

والمزى[1] وغيرهما من العلماء الذين قرأ عليهم والتقى بكثير منهم[2] .

=الدين أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم ، نعمة بن الحسن بن على بن بيان الدير مقرنى ثم الصالحى الحنفى الشهير بابن الشحنة الحجار . ترجمه الحافظ الشمس بن طولون فى (الغرف العلية فى ذيل الجواهر المضية) ترجمة وافية . سمع الصحيح من الحسين بن المبارك الزبيدى وابن اللتى . واجاز له من بغداد القطيعى وابن روزبة والكاشغرى وآخرون . وفى شيوخه ومروياته كثرة . ولد فى حدود سنة اثنتين وعشرين وستمائة . قال ابن حجر : وعمر حتى ألحق الأحفاد بالأجداد : فحدث بالصحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق وغيرها ، ورأى من العز والاكرام مالا مزيد عليه . وانتخب عليه الحفاظ ، ورحل إليه من البلاد وتواحموا عليه وأثنى عليه الذهبي وقال: إنه صام وهو ابن مائة سنة رمضان وأتبعه بست من شوال مات سنة ثلاثين وسبعمائة . رحمه الله . وله ترجمة واسعة فى الدرر لابن حجر اه . وترجمه الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية ١٤ / ١٥٠)فقال : سمعنا عليه نحواً من خمسمائة جزء . وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالى المسندين . وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر وخلع عليه وألبسه الخلعة بيده . عاش مائة سنة — محققا — وزاد عليها : لأنه سمع البخارى من الزبيدى فى سنة ثلاثين وستمائة ، وأسمعه هو فى سنة ثلاثين وسبعمائة بجامع دمشق . وسمعنا عليه يومئذ ولله الحمد . توفى بدمشق ودفن بجوار جامع الأفرم . وكانت جنازته حافلة .

(١) هو الامام الحافظ الأوحد محدث الشام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعى الشافعى . ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة ونشأ بالمزة وسمع بالحرمين وحلب وحماة وبعلبك وغيرها . ونظر فى اللغة ومهر فيها وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها ، لم تر العيون مثله . عمل (تهذيب الكمال) فى مائتى جزء ، والأطراف . وأوضح مشكلات ومعضلات ماسبق إليها ، وكان ثقة حجة حسن الأخلاق ترجمه الحافظ الذهبي ببسط فى (التذكرة ٤/١٤٩٨) والمزة بكسر الميم . وهى فى غربى دمشق . وتبعد عنها بخمسة كيلو مترات وأسمها الآن (دمشق الجديدة)

(٢) أنظر عيون التواريخ (١٢ / د — ه) من طبعة بغداد .

وأكثر ثقافته فيما يبدو كانت من الوراقة وتجارة الكتب التي كان يستفيد منها علماً وثقافة ومالا. وقد كان شديد الفقر قبل أن يجد الحرفة الملائمة، فلما غدا كتبياً توفر له من عمله مال طائل.

ولعل جودة خطه ووضوحه مما كفل له إقبال الناس على ما ينسخه من كتب.

ووصف بأنه كان ذا مروءة في معاملته، غير أنه لم يشتهر بين معاصريه بثقافة ممتازة، ولم ينل من عمق الثقافة ما ناله مشهور والوراقين من أمثال أبي حيان التوحيدي وابن النديم وياقوت الحموي.

ولكنه أطلع على مصادر لعل الباحثين لم يروها، لأنه وراق ولم يشغله الولد فعوضه الله عنه بالتأليف الذي توفر عليه وكان مصروف الهمة اليه.

ويبدو لمن يطلع على كتابه (فوات الوفيات) أنه لا يكترث كثيراً بمراعاة القواعد النحوية واللغوية، ولعل معرفته بالنحو واللغة كانت قليلة

وإن كان له في هذا سلف وخلف من المؤرخين، تتجه أقلامهم بكليتها إلى المعنى دون اللفظ.

ولعل ابن شاكر كان يصنع مؤلفاته بالاتكاء على مؤلفات معاصريه وغيرهم، كما هي العادة في كتب التاريخ: فقد ذكر الحاج خليفة في (كشف الظنون)[1] أنه في (عيون التواريخ) يتتبع في الغالب الحافظ ابن كثير، لا سيما في الحوادث.

ولكن التشابه في بعض العبارات لا يدل على هذا، فان ابن كثير توفي بعد ابن شاكر بعشر سنوات، بل قد يكون العكس هو الصواب، وهو أن ابن كثير هو الذي نقل من ابن شاكر[2].

---

(١) كشف الظنون ٢ / ١١٠٥.

(٢) أنظر مقدمة (عيون التواريخ ١٢ / ط) من طبعة بغداد.

ولعل مؤلف (كشف الظنون) وهم فكتب (ابن كثير) بدل (ابن الأثير) : فإن ابن شاكر ينقل عن (ابن الأثير فى الكامل) نصوصاً كثيرة، على ما هو ظاهر بين فى (السفر الأول) هذا . فقد أشير فى الهوامش إلى زهاء خمسين نصاً منها .

وقد قال الحافظ السخاوى فى (الإعلان بالتوبيخ) : التاريخ المسمى بالكامل هو كإسمه ، بحيث قال — الحافظ ابن حجر — إنه أحسن التواريخ بالنسبة إلى إيراده الوقائع موضحة مبينة، حتى كأن السامع فى الغالب حاضرها .

واعتماد ابن شاكر على (الكامل) يدل على دقة علمية فى الاختيار :

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

وهو أهل لهذا ، لأنه وراق يحترف بأجود الصنائع ، وهى الوراقة ، لما فيها من بركة الإعانة على كتب المصاحف وكتب العلم . . . أنظر (معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكى) ص ١٣٢ من طبعة دار الكتاب العربى .

(مؤلفات ابن شاكر الكتبي)

١ — (روضة الأزهار في حديقة الأشعار) ولا نعلم له نسخة موجودة . وقد ذكره مؤلف (كشف الظنون)(١) .

٢ — (فوات الوفيات) وهو استدراك وذيل لوفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان . ونسخه المخطوطة ليست قليلة ، وطبع مرات ، وأضبط طبعة متقنة تحقيقاً وجمال طبع هي التي حققها أستاذنا العلم (الدكتور) إحسان بن عباس ، وطبعتها دار صادر في بيروت سنة ١٣٩٣ — ١٣٩٤ هـ . في أربعة أجزاء .

٣ — (عيون التواريخ) وهو الذي نقدم (السفر الأول) منه للقراء .

وقد يكون له مؤلفات أخرى لم تذكرها المصادر والمراجع والفهارس .

* * *

---

(١) ١ / ٩٢٣ .

(مظان مخطوطات عيون التواريخ)

أجزاؤه متفرقة فى خزائن العالم : فى اصطنبول والظاهرية العمومية[1] بدمشق ودار الكتب المصرية وكمبردج وباريس . وإليك ما علمناه عنها :

(المجموعة الكبيرة)

هى فى (مكتبة الخليفة أحمد الثالث العثمانى) وهى فى ثلاثة عشر جزءاً . تنتهى بالجزء الرابع والعشرين . وهذه النسخة كانت :

محجوبة عن كل مقلة عارف وهى التى سفرت ولم تتبرقع [2]

إذ لم يذكرها (وكلمان) ومن نقل عنه من المؤلفين . ولم تذكر فى الفهارس المطبوعة التى أطلعنا عليها . وقد أرشدنا اليها وعرفنا بتفاصيل أجزائها الأستاذ العليم (الدكتور) المحقق محمد حميد الله الحيدرى [3] حيث كان فى اصطنبول أستاذاً فى الجامعة[4] ، فذهب بنفسه حفظه الله إلى المكتبة المذكورة واتحفنا بجدول (كشف) عن هذه المجموعة[5] :

---

(١) آثرنا تسميتها بالعمومية لأنه أسمها الرسمى عند تاسيسها وجمع مخطوطاتها ومطبوعاتها فى سنة ١٢٩٨ ﻫ . أنظر (تاريخ المجمع العلمى العربى لاحمد الفتيح) ص ١٢٨ .

(٢) من قصيدة (النفس الانسانية للشيخ الرئيس ابن سينا) .

(٣) نسبة إلى حيدر آباد الدكن من الهند . ولا يجوز قياساً عند النسب إلى المركب إبقاء كل التركيب ، بل يحذف أحد الجزأين : الصدر أو العجز ، ففى (حيدر آباد) : حيدرى ، وفى (عشق آباد) : عشقى . أما فى ابن الزبير فيقال: (زبيرى) بحذف الصدر . أنظر الألفية لابن مالك ، وغيرها من كتب النحو .

(٤) كانت رسالته إلينا فى صفر الخير سنة ١٣٩٤ ﻫ .

(٥) وكتب لنا الأستاذ المذكور أن متحفة (طوبقبو) طبعت أربعة أجزاء من فهرس جميع مكتباتها ، ومنها (مكتبة أحمد الثالث) وقد ذكروا (أجزاء عيون التواريخ) فى الجزء الثالث ، تحت الأرقام ٥٨٥٣ - ٥٨٦٥ والفهرس باللغة التركية بحروف لا تينية .

(أ) (الجزء الأول) فيه من أول التاريخ إلى سنة ١١ هـ . فى ١٧٧ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ .

(ب) الجزء الثانى) فى ١٧١ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ ، يبدأ بحوادث سنة ١١ إلى سنة ٥٣ .

(ج) (الجزء الثالث) فى ١٧٤ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٣ ، يبدأ بحوادث سنة ٥٤ إلى سنة ٩٥ .

(د) (الجزء الرابع) فى ١٦٨ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٤ ، يبدأ بحوادث سنة ٩٦ إلى سنة ١٢٠.

— ثم خرم يشمل تاريخ سنة ١٢١ إلى سنة ١٤٣ .

هـ — (الجزء السادس) فى ١٧٦ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٦ ، يبدأ بحوادث سنة ١٤٤ إلى سنة ١٨٥ .

(و) (الجزء السابع (فى ١٧٥ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٧ ، يبدأ بحوادث سنة ١٨٦ إلى سنة ٢١٧ .

— خرم يشمل تاريخ السنين ٢١٨ إلى ٢٩٦ .

(ز) (الجزء العاشر) فى ١٧١ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ١٠ ، يبدأ بحوادث سنة ٢٩٧ إلى سنة ٣٢٧ .

(ح) (الجزء الحادى عشر) فى ١٧٤ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ١١ ، يبدأ بحوادث سنة ٣٢٨ إلى سنة ٣٧٢ .

— خرم يشمل تاريخ السنين ٣٧٣ إلى ٥٠٤ .

(ط) الجزء السادس عشر) فى ١٧٩ ورقة رقمه ٢٩٢٢ / ١٦ ، يبدأ بحوادث سنة ٥٠٥ إلى سنة ٥٤٠ .

(ى) (الجزء السابع عشر) فى ١٦٧ ورقة . رقمه ٢٩٢٢/١٧ ، يبدأ بحوادث سنة ٥٤١ إلى سنة ٥٦٩ .

— خرم يشمل تاريخ السنين ٥٧٠ إلى ٦٧٠ .

(ك) (الجزء الحادى والعشرون) فى ١٦٥ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٢١ ، يبدأ بحوادث سنة ٦٧١ إلى سنة ٦٨٧ .

(ل) (الجزء الثانى والعشرون) فى ١٧٣ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ، يبدأ بحوادث سنة ٦٨٨ إلى سنة ٧٢٠ .

(م) (الجزء الرابع والعشرون (فى ١٥٠ ورقة . رقمه ٢٩٢٢ / ٢٤ ، يبدأ بحوادث سنة ٧٣١ إلى سنة ٧٥٩ .

* * *

(المجموعة التى تلى « الأحمدية » فى الضخامة)

هى (الفيضية) المحفوظة فى مكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندى فى اصطنبول . وهى عشرة أجزاء ، أرقامها (١٤٨٥ – ١٤٩٤) ، نذكر منها بعضها :

(جزء) من أول الكتاب إلى قوله : (وكانت وفاة كثير ووفاة عكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد)(١) فى ٤١٦ ورقة – رقمه ١٤٨٥ .

(الجزء الثالث) فى ٢٦٣ ورقة ، يبدأ بحوادث سنة ٦٩ إلى سنة ١٠٥ .

(الجزء الرابع) فى ٢٤٥ ورقة . يبدأ بحوادث سنة ١٠٦ إلى سنة ١٤٣ .

---

(١) توفيا سنة ١٠٥ .

(الجزء التاسع) فى ٢٩١ ورقة . فى أوله نقص . يبدأ بآخر سنة ٦٥١ إلى سنة ٦٩٩ .

(الجزء العاشر) فى ١٧٢ ورقة . يبدأ بحوادث سنة ٣٦٥ إلى سنة ٤٠٢ .

(خرم) بين سنتى ٤٠٣ إلى ٤١٠ .

(الجزء الرابع عشر) وهو آخر الأجزاء الفيضية. يبدأ من سنة ٤١١-٤٤٩

(المجموعة التى تلى تينك المجموعتين فى الضخامة)

مجموعة المكتبة الظاهرية العمومية(١)

وهى فى سبعة أجزاء :

(الجزء الأول) يبدأ من أول الكتاب إلى سنة ١١ هـ . فى ١٥٨ ورقة . رقمه ٤٣ تاريخ .

(الجزء الخامس) فيه من سنة ٧١ إلى سنة ١٠٨ ، فى ١٧١ ورقه . رقمه ٤٦ تاريخ .

(الجزء الخامس من تجزئة المؤلف فيه من سنة ١٢١ إلى سنة ١٤٣ ، فى ١٠٠ ورقة . رقمه ٤٥ تاريخ .

(الجزء الثالث) فيه من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢١٧ ، فى ٢٧٦ ورقة . رقمه ٤٤ تاريخ .

(الجزء السادس) من تجزئة أخرى . فيه من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢٥٠ ، لكن فيه خرم من سنة ٢١٧ إلى سنة ٢٢١ ، فى ١٨٧ ورقة رقمه ٤٧ تاريخ.

(الجزء الخامس) من تجزئة النسخة التى رقمها (٤٤ تاريخ) وهو مخروم

---

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية — التاريخ وملحقاته ص ٤ - ٧ وضعه الدكتور يوسف العش رحمه الله .

من أوله ، فيه شيء من سنة ٣١٠ إلى سنة ٢٩٠،فى ٢٦٤ ورقة؛رقمه ٤٨ تاريخ.

(الجزء الثالث عشر) من تجزئة أخرى .فيه من سنة ٤٠٤ إلى سنة ٤٣٧، فى ٢١٧ ورقة . رقمه ٤٩ تاريخ .

(أجزاء متفرقة)

فى المكتبة الأهلية بباريس[1] : جزآن وقطعة من جزء :

(جزء) فيه من حوادث سنة ٨٠ إلى سنة ١٢٣ ، فى ١٨٥ ورقة . رقمه ١٥٨٧ عربى .

(جزء) فيه من أحوال المأمون إلى سنة ٢٥٠ ، فى ١٦٠ ورقة ، رقمه ١٥٨٨ عربى .

(قطعة) فى ثمان ورقات ، فيها حوادث سنة ٢١ إلى سنة ٢٢ ، رقمها ١٥٨٦ عربى .

* * *

(فى دار الكتب المصرية)

(جزء) فيه من حوادث ٦٨٨ إلى سنة ٧١٠ ورقة فى ١٧٠ ورقة تنقص من آخرها ، رقمه ١٤٩٧ تاريخ[2] .

---

(١) كتب لنا عنها العليم (الدكتور) محمد حميد الله أيضا سنه ١٣٩٤ هـ . وبسط القول فى وصف الأجزاء . وسنذكر هذا عند طبع هذه الأجزاء إن شاء الله تعالى والدكتور المذكور أستاذ فى جامعة السوربون جمل الله به العلم والخلق

(٢) (فهرس معهد المخطوطات العربية) ج ٢ التاريخ — قسم ١٩٠/١

(الجزء الثانى) أوله فى أثناء سنة ١١ ، وآخره سنة ٥٣ ، فى ١١٦ ورقة رقمه ١٤٩٧ تاريخ [١].

(فى الخزانة التيمورية)

التى أنشأها أحمد باشا تيمور عليه رحمة الله
وضمت إلى دار الكتب المصرية .

(الجزء الثانى عشر) فيه من حوادث سنة ٣٧٣ إلى سنة ٤٠٣ .

(الجزء العشرون) فيه من حوادث سنة ٦٤٥ إلى سنة ٦٧٠ وكلاهما بخط المؤلف وعليهما خطوط كثير من مشاهير العلماء [٢] .

* * *

(فى مكتبة جامعة كمبردج)

فى بريطانيا

(جزء) فيه حوادث سنة ١١ إلى سنة ٥٥ [٣] .

(جزء) فيه حوادث سنتى ٧٢٥/٧٢٦ .

(جزء) فيه من حوادث ٥٠٥ إلى ٥٥٥ .

(جزء) فيه حوادث السنين ٧٢٥ إلى ٧٦٠ [٤] .

. . . .

(١) (فهرس معهد المخطوطات) ج٢ — قسم ٤ /٢٩٧

(٢) فهرس معهد المخطوطات) الجزء الثانى — القسم الثانى ص ١١١

(٣) هو (المختصر الذى كان من جملة النسخ التى أعتمدت عليها فى طبع (السفر الأول) هذا .

(٤) عيون التواريخ ١٢/ ز

(فى مكتبة الفاتح فى اصطنبول)

(جزء) مكتوب على غلافه : (الجزء الرابع) . ويبدأ بحوادث سنة ٦٠٠ إلى سنة ٦٥٥ ؛ وفى آخره مايشير إلى أنه كتب سنة ٧٥٥ فى حياة المؤلف . رقمه ٤٤٣٩ (١) .

(الجزء الخامس) رقمه ٤٤٤٠ (٢)

° ° °

(فى مكتبة كوبريللى فى اصطنبول)

قطعة من الكتاب فى ٢٩ ورقة ، تنتهى بوفيات سنة ٧٣٧ ، تنقص من أولها وآخرها . رقمها ١١٢١ (٣) .

° ° °

---

(١) دفتر (فاتح كتبخانه سى) الصحيفة ٢٥٤

(٢) نفس المرجع . والصفحة نفسها .

(٣)(كوبريللى زاده محمد باشا كتبخانة سنده محفوظ) الصحيفة ٧٣

(المطبوع من عيون التواريخ)

لم نتأكد من طبع شيء منه [1] ، سوى (الجزء الثانى عشر) الذى طبع فى بغداد سنة ١٣٩٧ هـ . وهو يحتوى على حوادث ووفيات السنين (٥٠٥ — ٥٥٥) .

ولم يذكر المحققان (فى ثبت مخطوطات عيون التواريخ) شيئاً عن أجزاء (مكتبة الخليفة أحمد الثالث) ولا أجزاء مكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندى ؛ مع أنها تبلغ ثلاثة وعشرين جزءاً . ولم يذكر أيضاً جزأى (مكتبه الفاتح)[2] .

لكنهما أشارا إلى وجود أجزاء أخرى فى غوطا والمتحفة البريطانية ومكتبة الفاتيكان وباريس [3] .

وبعد فالى القراء والنقاد (السفر الأول من عيون التواريخ) راجين أن ينال التقدير . ولا نزعم أننا وفيناه حقه ، فقد تكون هناك أوهام نستدركها فى السفر الثانى إن شاء الله .

---

(١) كتب لى الأستاذ محمد عباس القباج حافظ (خزانة رباط الفتح) بالمغرب أنه طبع فى المغرب أجزاء من عيون التواريخ ، لكنى لم أجد مصدرا يؤيد هذا الخبر .

(٢) أنظر (و) من مقدمة (الجزء ١٢) حيث قال المحققان : إن أوفر الأجزاء هى ماتحويه المكتبة الظاهرية بدمشق .

(٣) المصدر السابق (ز) . وقد حصلنا على صورة من (جزء غوطا) ولعله نفس (الجزء العاشر) من أجزاء (مكتبة أحمد الثالث) .

وفى الختام أخص بالشكر كل من يعين على إخراج هذه الموسوعة :

أولهم العليم (الدكتور) محمد حميد الله الأستاذ فى جامعة السوربون ، فانه بذل جهده لوصف (أجزاء المكتبة الأحمدية) وما فى المكتبة الوطنية بباريس .

والأستاذ أنيس بن عبد الرزاق بن عمار ، الذى صور لنا جميع أجزاء (المكتبة الظاهرية العمومية[1]) بدمشق .

والأستاذ كمال كج الذى سهل لنا تصوير كل أجزاء (الأحمدية) . وهو مدير متحفه قصر (طوبقبو) فى اصطنبول .

والشيخ حسام الدين محقق هذا السفر والسفر الثانى ، وهو الذى ظل أكثر من خمسين سنة المجلى فى ميدان تصحيح وضبط نصوص التراث الإسلامى .

وأشكر السادة أصحاب (مكتبة النهضة المصرية) الغيورين على نشر التراث .

كما أشكر أيضاً صاحب مكتبة المؤيد السيد / محمد بن دسوق ، وكذلك نجله السيد / دسوق ، فقد بذلا جهداً متواصلا لسرعة الطبع .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

قادسية الكويت	وكتب
فى ٩ من رجب الفرد الأصم ١٣٩٩ هـ .	أبو منصور الحافظ
٤ من حزيران (جون) ١٩٧٩ م .	ابن محمد سعيد الحافظ

---

(١) هكذا يريد المتفق على طبع عيون التواريخ) أن تسمى : (الظاهريه البيبرسية العمومية) نسبة إلى منشئها الملك الظاهر بيبرس العلائى البندقدارى ، صاحب الفتوحات والوقائع المشهورة مع التتار . توفى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ . ومدفنه فى المدرسة الظاهرية المذكورة مع ابنه الملك السعيد (كتبه القدسى)

(كلمة التحقيق الموجزة)

مذهبي فى التحقيق هو صحة المتن،مع مراعاة النسخ والإشارة إلى مافيها، وهو مذهب كثير من المحققين اليوم وفى هذا رضا الله تعالى ورضا المؤلف ورضا العلم ولله الحمد والشكر .

ويرى القارىء بعض الهوامش السوابغ ، وذلك لضرورة أراها ،مبتغياً وجه الله فى خاتمة حياتى ورضا المؤلف ، وأما رضا الخلق فغاية لا تدرك.

وأثبت فى بعض الهوامش فروق النسخ ولم أصرح بالخطأ فيهـا ، وذلك لوضوحه .

(النسخ التى طبع هذا السفر عنها)

١ — صورة الجزء الأول من مكتبة الخليفة أحمد الثـالث باصطنبول وهى (الأحمدية) .

٢ — صورة الجزء الأول من دار الكتب الظـاهرية بدمشق وسميتهـا (الظاهرية) .

٣ - صورة الجزء الثانى من مكتبة الخليفة أحمد الثالث (الأحمدية).

٤ — صورة الجزء الثانى من معهد المخطوطات ، وسميتها (نسخة المعهد)

٥ — صورة الجزء الثـانى من جامعة كمبردج وسميته (المختصر)[1] لأنه مختصر .

وفى الرواسم والمقدمة ما يغنى عن وصف هذه الأجزاء .

---

(١) فيه أوهام جمة ، لعلها من اختصره أو من النساخ أو منهم جميعاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نثق

الحمد لله الذى منحنا مزيد الإحسان، وخص بالهـــداية والنطق نوع الإنسان، وشرفه على سائر المخلوقات بما آتاه من الفضل المبين الواضح البرهان، وجعل له إلى حقيقة المعانى مجازاً فأظهر أسرارها الخفية ببديع البيان . وجمل كل عصر بمحاسن أهله فأضحت حدائق مفاخره محدقة الأفنان. وحكم على العباد بالموت إظهاراً لحكمه البديعة بالإتقان .

نحمده بجميع محامده، ونشكره - والتوفيق للشكر من موارد فضله وفوائده - على نعمه التى لايزال فضلها مجددا ومننه التى لايبرح عهد بركاتها مؤكدا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تشرق الآفاق بنورها ويدوم بإدامتها للنفوس بهجة سرورها وتنجلى بتكرارها ليالى الشك وما ادلهم من ديجورها، ونستتم[1] بها النعم فلا نخشى زوالهـا ولانخاف من نفورها.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، المخصوص بمحكم الآيات المنزلة المقصوص عليه أحسن القصص من أنباء الرسل المفصلة، المنصوص على شرف مناقبه الشريفة وخلاله المكملة . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أنفق المال فى محبته[2]،

(١) فى الأحمدية : (ولنستديم) .
(٢) يعنى سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

ومنهم من جعل تاريخ الإسلام من هجرته[١] ، ومنهم من جهز الجيش عند عدم المال وعسرته[٢] ، ومنهم من أفل الشرك بيأسه وسطوته ونصرته[٣] صلاة دائمة طيبة مباركة لايزال لواؤها على الخافقين خفاقا ، وفضاؤها يضرب على الكواكب الزهر رواقا ، ما أرخ بليغ ذكر من مضى ، ولاح للبرق وميض على ذات الأضا ، وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين .

وبعد فلما كان علم التاريخ من أعذب علوم الأدب منبعا وأهنأها مشرعا ، وأنورها مطلعا ، وأحلاها من القلوب موقعا ، لم تزل محاسنه تروق ،وفوائده تفوق ، وفرائده تشوق .

به تعرف أخبار من سلف من الأمم ، وأحاديث ذوى المراتب والهمم ، وتستفاد منه محاسن الأعيان وتفهم مواقف الشجعان ، ومقاتل الفرسان ، وأوقات مواليدهم ، ومدد أعمارهم ومواضع منازلهم ، ومعاهد ديارهم ، وسيرة الكرماء فى كل وقت ، ومن اختص بفيض هباته بالمقة وغيره بالمقت ، وكل عالم وعمن أخذ فنون علمه ، وكل أديب ومحاسن نثره وبدائع نظمه ، والنظر فى السنة الشريفة وأسماء رجالها ، ومراتب رواتها وطبقات فرسان مجالها ، حتى كأن الواقف عليه قد أدرك كلا منهم فى عصره ، ونظره فى ساحة ميدانه أو مشيد قصره ، ورأى الأئمة وأصبح للعلوم من أفواههم متلقيا ، وعلم من كان بجده واجتهاده إلى ذروة العلياء مترقيا ، أو كأنه قد شاهد كسرى فى إيوانه ، وهو يقص رؤياه على موبذانه ، وعاصر سيف بن ذى يزن فى أوانه ،

---

(١) يعنى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جعل سنة الهجرة مبدأ التاريخ الإسلامى لأن مهاجره فرق بين الحق والباطل. وذلك يوافق سنة ٦٢٢ الميلادية .

(٢) هو سيدنا عثمان ذو النورين رضى الله عنه .

(٣) هو سيدنا الإمام على كرم الله وجهه .

وجالسه وابن أبي الصلت ينشده على قصر عمرانه ، واطلع على ما كان عنده من السر الخفى الذى رفع الله تعالى على الكواكب شرفه ، لما بشر شيبة الحمد بظهور النور المحمدى وأدناه وأتحفه .

وكنت ممن تعلق من الفضل بأهدابه ، وقصد الدخول إليه من بابه ليعد من أربابه ، واستوضح بدائع[1] لمعه ، واستحلى العذب الصافى من جرعه . وأكثرت مطالعة التاريخ على اختلاف أوضاعه ، واستجلاء الحسن المحقق من رقاعه[2] وظفر بدرر عقوده الحسنة الاتساق ، وفاز من نقوده بما هو أبهى وأبهر من قلائد العقيان فى الأعناق ، حتى حصل لى منه نصيب وقسم ، وصار لى فيه ذكر واسم .

ولما عدمت الصدقة الجارية والولد ، أخذت فى التصنيف خشية أن يكمل لى فى انقطاع العمل العدد .

فقصدت أن أجمع تاريخا أدون فيه ما استفدت من (عوارف معارفه) وأنفق فيه ما اكتنزت من تحفه ولطائفه ، وأصف فيه من (حلية الأولياء) والأحباء ما يصبح (قوت القلوب) (ونزهة الألباء) ؛ ليكون إن شاء الله تعالى مجموعا يستوقف الخواطر وتصنيفاً يبهج النواظر .

وافتتحته من افتتاح الزمان بالنور الباهر والشرف الظاهر[3] والفخر الذى ملأ الفلا بالفلاح ، وعمت بركاته أهل الربى والبطاح ، وأعلنت الأيام بالتهانى ، وقارن من المولد الشريف بنهاية الأمل وغاية الأمانى من مولد سيدنا وسيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين نبى الرحمة

---

(١) فى الظاهرية (بديع) .
(٢) فى الظاهرية (رقاقه) وهو وهم ظاهر .
(٣) فى الأحمدية (الطاهر) .

وكاشف الغمة محمد صلى الله عليه وسلم. ثم سيرته الغراء التى تزيد المؤمن إيمانا؛ وترفع له فى الدارين قدراً وشانا. ثم سيرة صحابته الخلفاء الراشدين وتابعيهم الغر الميامين، وعلم ماجرى ومايجرى إلى أن يدركنى الموت؛ وينادى بى منادى الفناء فأسمع ذلك الصوت.

والله تعالى المسئول أن يهدينا نير[1] السبيل ويعصمنا من كيد الشيطان الوبى الوبيل. وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبى ونعم الوكيل.

﴿ ذكر نسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم ﴾

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر — وهو قريش — ابن مالك بن النضر — واسمه قيس — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان:

وكم أب قد علا بابن ذرى[2] شرف　　كما علا برسول الله عدنان

هذا هو المتفق على صحته. وقال الحافظ عبد الغنى وغيره: عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نابت بن حمد بن قيدار بن الذبيح إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ابن تارح — وهو آزر — ابن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر — وهو هود النبى صلى الله عليه وسلم — بن أرنخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ — وهو إدريس النبى عليه السلام — بن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش

(١) فى الأحمدية (سواء السبيل).
(٢) فى الظاهرية (ذوى) وهو تصحيف.

ابن شيث — وهو هبة(١) الله — بن آدم أبي محمد عليهما الصلاة والسلام .

هكذا ساقه أبو علي محمد بن أسعد(٢) بن علي النسابة الجواني وقال : هذه أصح الطرق وأحسنها وأوضحها وهي رواية شيوخنا في النسب(٣) . ولما كثر الاختلاف فيما بين عدنان وآدم عليه السلام من الآباء وأسمائهم اقتصر على ذكر مادونهما لاجتماعهم على صحته . فمن كان من ولد قحطان قيل يمني ، ومن كان من ولد عدنان قيل قيسي . هذا هو المعروف عند العرب . وقحطان أخو خامس عشر جد لعدنان وهو فالغ بن عابر(٤) .

وكنى آدم بأبي محمد لأن العرب تكنى الإنسان بأجل ولده . وأجل ولد آدم سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم .

باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب

واسمه شيبة الحمد — بن هاشم — واسمه عمرو العلا(٥) بن عبد مناف —

(١) في الظاهرية (عبد الله) والتصحيح من الأحمدية و (تاريخ الطبري ٢٧٦/٢ من الطبعة التي حققها الأديب العليم الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم) .

(٢) في الظاهرية (سعد) والصويب من الأحمدية و (الأعلام للأستاذ الزركلي رحمه الله) .

(٣) قال الحافظ الذهبي في (تاريخ الإسلام ٤/٢ من الطبعة المختلفة الحديثة): سائر هذه الأسماء أعجمية ، وبعضها لا يمكن ضبطه بالخط الا تقريباً . وفي طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري : لعل خلاف مابينهم من قبل اللغة ، لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

(٤) في النسختين (غابر) والتصحيح من (القصد والأمم لابن عبد البر) وغيره . وفي تاج العروس للزبيدي : عابر كهاجر ، ويقال فيه (عيبر) أيضاً .
وفي (المجلة العربية ٦/٢) مقالة لرئيس تحريرها الدكتور منير العجلاني عنوانها (أكذوبة تقسيم العرب الى عاربة ومستعربة) فيها تحقيقات مهمة في هذا الشأن .

(٥) في النسختين (ابن العلا) والتصحيح من (الاشتقاق لابن دريد) .

واسمه المغيرة — بن قصى — واسمه زيد ؛ ويدعى مجمعاً [١].

وآمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى . وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى . وأمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . وأم وهب بن عبد مناف قيلة بنت أبى كبشة وجز [٢] بن غالب بن الحارث ابن عمرو بن ملكان بن أفصى [٣] بن حارثة بن خزاعة . وأبو كبشة هذا هو الذى قال فيه أبو سفيان صخر بن حرب حين خرج من عند هرقل : لقد عظم أمر ابن أبى كبشة إنه ليخافه ملك بنى الأصفر .

قال علماء السير والمؤرخون : كانت آمنة بنت وهب بن عبد مناف فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف فمشى إليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبدالله؛ فخطب عليه آمنة بنت وهب فزوجها عبد الله. وخطب إليه عبد المطلب فى مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهيب [٤] على نفسه ؛ فزوجه إياها ، فتزوج عبد المطلب وابنه عبد الله فى مجلس واحد ؛ فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة والمقوم وحجلا وصفية أم الزبير .

قال ابن السائب الكلبى: لما تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب أقام عندها ثلاثا . وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته فى أهلها .

---

(١) سمته العرب مجمعاً لما جمع من أمرها . وتيمنت بأمره فما يتشاورون فى أمر ينزل بهم إلا فى داره ولا يعقدون لواء للحرب إلا فى داره ، وهى دار الندوة ، ولم يكن يدخلها إلا ابن أربعين أو مازاد .

(٢) فى الظاهرية (جرير) وفى الأحمدية (وجر) والصواب فى (الاشتقاق لابن دريد ص ٤٨٠) وهو الذى أثبتناه فى النص .

(٣) فى الظاهرية (قصى) والتصويب من الأحمدية والقصد والامم لابن عبد البر.

(٤) هكذا فى النسختين (وهيب) كما فى كثير من المراجع . وفى تاريخ الطبرى ٢٤٦/٢ (أهيب) ومثله فى (نسب قريش ص ١٧) .

باب حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن عمر عن علي بن يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول ماشعرت أنى حملت به ولا وجدت له ثقلة كما تجد النساء[1]، وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان[2] فقال : هل شعرت أنك قد حملت؟ فكأنى أقول : ما أدرى ، فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الاثنين ، ثم أمهلنى حتى إذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال قولى :

أعيذه بالواحد　　　من شر كل حاسد

فكنت أقول ذلك .

باب وفاة عبد الله بن عبد المطلب

عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالا : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام فى عير من عيرات قريش يحملون تجارات ،ففرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال : أنا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن عبد الله ، فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفى ، ودفن فى دار النابغة رجل من بنى عدى بن النجار ، فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد[3] عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل على الصحيح، وقيل ابن شهرين ، وقيل غير ذلك ؛ ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة . قال محمد بن

---

(١) أنظر كتاب (محمد من نبعته إلى بعثته تأليف الاستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون) .　　(٢) كذا

(٣) فى الظاهرية (فوجل) وهو وهم .

عمر[١] هذا أثبت الأقاويل .

وترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن واسمها بركة ، وخمسة أجمال أوارك — يعنى تأكل الأراك — وقطعة غنم . فورث ذلك رسول الله ﷺ ؛ وكانت أم أيمن تحضنه .

وقالت آمنة بنت وهب ترثى زوجها عبد الله :

عفا جانب البطحاء من إبن هاشم وجاور لحداً خارجاً فى الغماغم
دعته المنايا دعوة[٢] فأجابها وماتركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره تعاوره أصحابه فى التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها فقد كان معطاء كثير التراحم

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبى جعفر محمد بن على قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول ، وقيل لاثنتى عشرة .

وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك للنصف[٣] من المحرم ، فبين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة . وقال أبو معشر المدنى : ولد رسول الله ﷺ وسلم لليلتين خلتا من ربيع الأول[٤] ، وقيل لاثنتى عشرة

(١) فى الظاهرية (عمرو) وهو وهم . ومحمد بن عمر هو الواقدى المشهور ، على ما فى (تاريخ الاسلام للذهبى ٢٢/٢) وغيره .

(٢) فى سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للحافظ الصالحى الشامى ٣٩٩/١ (بغتة) بدل (دعوة) الواردة فى النص وفى طبقات ابن سعد .

(٣) فى النسختين (النصف) وهو خطأ بين ، صوابه فى (الأزمنة والأمكنة المرزوقى) وغيره .

(٤) تحقيق مولده فى تاريخ الاسلام للذهبى .

ليلة خلت منه حين طلع الفجر ، وقيل : ولد فى شهر برج الحمل — وهو نيسان — لعشرين منه ، وكان مولده عند طلوع الغفر ، والغفر يطلع فى ذلك الشهر أول الليل لأن رقيبه النطح وهو السرطان[1] قال بعض العلماء : ولد ليلة الثامن والعشرين من نيسان سنة ثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين ، وقد زعم أن الطالع كان عشرين درجة من برج الجدى ، وأن المشترى وزحل كانا فى ثلاث درج من العقرب مقترنين ، وهى درجة وسط السماء .

وكان إبليس اللعين يخترق السموات السبع ، فلما ولد عيسى حجب من ثلاث سموات وكان يصل إلى أربع ، فلما ولد النبى ﷺ حجب من السبع . ورميت الشياطين بالنجوم . فقالت قريش : هذا قيام الساعة ، فقال عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : أنظـــروا إلى العيوق[2] فإن كان قد رمى به فهو قيام الساعة ، فى حديث طويل ذكره الزبير بن بكار .

وروى أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل منى خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء . فبلغ ذلك رجلا من لهب[3] ، ولهب قبيلة تعرف بالعيافة[4]

(١) تحققت من صحة هذه الأسماء من (كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١/١٨٦ — ١٩٣ ، ٣١١) والعرب تقول : خير منزلة فى الأبد بين الزبانى والأسد ، يعنون (الغفر) ويعدون ليلة نزول القمر به سعداً .

(٢) هو كوكب عظيم نير فى حاشية المجرة التى تلى الشمال ، يقال له : عيوق الثريا ، وذلك كأنهما يطلعان معاً ، واذا توسطا السماء تدانيا فى رأى العين . (الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢/٧/٣) .

(٣) بكسر اللام وسكون الهاء : قبيلة من الأزد . وهم أهل العيافة والزجر ، على ما فى (الإيناس للوزير ابن المغربى) .

(٤) فى الظاهرية (العيافة) وهو تصحيف . وفى الأحمدية (القيافة) ولها معنى لا يتفق مع النص . والصواب هنا (العيافة) على ما فى القاموس المحيط وبلوغ الأرب الآلوسى وغيرهما .

وزجر الطير ـــ فقال لصاحب له : لئن صدق الفأل ليغلبن هذا المولود أهل الأرض . وقال بعضهم : وقع جاثياً على ركبتيه ، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى ، رافعاً رأسه إلى السماء .

يوم أضاء به الزمان وفتحت فيه الهداية زهـــرة الآمال

وارتج إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفة[١] وفاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام . ورأى الموبذان ـــ وهو عالم الفرس وقاضيهم[٢] ـــ فى منامه أن إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها .

ولما رأى كسرى ارتجاس الايوان[٣] وسقوط الشرف منه وورد عليه كتاب بخمود النيران فى جميع بلاده ازداد غما فقال له الموبذان : وأنا أصلح الله الملك قد رأيت فى منامى فى هذه الليلة، وقص عليه الرؤيا فقال : أى شىء يكون هذا ؟ قال حادث يحدث عند العرب ، فكتب إلى النعمان بن المنذر : أما بعد فوجه إلى رجلا عالماً بما أسأله عنه ، فوجه إليه بعبد المسيح بن بقيلة الغسانى ، فلما قدم عليه قال : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال أخبرنى فإن كان عندى علم وإلا أخبرتك بمن يعلم ، فقال له : فقال علم ذلك عند رجل اسمه سطيح ، فأتى إليه وقد أشرف على الموت ، فسلم عليه وحياه فلم يجب جوابا ، فأنشأ عبد المسيح يقول :

---

(١) فى الظاهرية (شرافة) .

(٢) فى الأحمدية : (قاضى قضاتهم) .

(٣) إيوان كسرى هو بقية من بنية عظيمة بناها سابور الأول ، وعمرها كسرى أنوشروان ، وتدل الخرائب حول هذا الطاق أن البناء كان ٤٠٠ متر فى عرض ٣٠٠ ، وارتفاعه نحو ٢٥ متراً ، وأن القصر كان ذا ثلاث طبقات . (مجلة الرسالة ـــ ٢٦) .

أصم أم تسمع غطريف اليمن ... يافاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحى من آل سنن ... وأمه من آل ذئب بن حجن
أبيض فضفاض الرداء والبدن ... رسول قيل العجم يسرى للوسن(١)

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح أتى سطيح وقد أشفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان(٢)، أن إبلا صعابا تقود خيلا عرابا(٣) قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها. ياعبد المسيح إذا كثرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة (٤) وفاض وادى السماوه(٥) وغاضت بحيرة ساوه (٦) وخمدت نار فارس. فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك على عدد

---

(١) القيل: الملك. وأصل هذه القطعة سبعة أبيات، وردت فى تاريخ الاسلام للذهبى، وتاريخ الطبرى، ولسان العرب (سطح) وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى، وغيرها. وهى تختلف عما هنا فى بعض الألفاظ.

(٢) الموبذان: بضم الميم وفتح الباء: فقيه الفرس.

(٣) أى عربية، أضيفت الخيل إلى العرب بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان وزمان وقالوا: (فرس عربى) ولم يقولوا رومى ولا هندى ولا فارسى، وحصنوها تحصين الحرم وصانوها صون المهج ليبتذلوها يوم الروع ويأمنوا بها أوان الخوف، وليجعلوها دريئة يوم اللقاء ووصلة إلى درك الثأر، حتى قالوا: « إن الحصون الخيل لا مدر القرى » وقد قال بعض الرواة: لم يكن قوم أشد عجبا بالخيول ولا أعلم بها ولا أصنع لها ولا أطول لها ارتباطا ولا أهجى لمن لم يتخذها أو اتخذها وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها منهم.

وكانوا يصبرون على مؤونتها فى الجدب ويؤثرونها على العيال بالصنيعة لتكافىء عند الطلب أو الهرب (من كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢/٣٣٩).

(٤) هو سيدنا ونبينا محمد عليه صلوات الله وسلامه.

(٥) السماوة: مفازة بين الكوفة والشام، كما فى معجم ما استعجم ومعجم البلدان.

(٦) ساوة: مدينة بين الرى وهمذان. قال ياقوت فى (معجم البلدان): كان بها دار كتب لم يكن فى الدنيا أعظم منها، بلغنى أن التتر أحرقوها.

الشرفات وكل ما هو آت آت .(١).

ثم قضى سطيح مكانه . فقدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا تكون أمور . فملك منهم عشرة فى أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

---

(١) بعض ظواهر الأخبار من السنة تقتضى أن صنفاً من الجن والشياطين له اتصال بنفوس ذات استعداد خاص لاستفادة معرفة الواقعات قبل وقوعها أو الواقعات التى يبعد فى مجارى العادات بلوغ وقوعها ، فتسبق بعض النفوس لمعرفتها قبل بلوغها المعتاد . وهذه النفوس هى نفوس الكهان وأهل الشعوذة . وهذا الصنف من المخلوقات من الجن أو الشياطين هو المسمى بمسترق السمع . وهو المستثنى بقوله تعالى (إلا من استرق السمع) فهذا الصنف إذا اتصل بتلك النفوس المستعدة للاختلاط به حجز بعض قواها العقلية عن بعض ، فأكسب البعض المحجوز عنه ازدياد تأثير فى وظائفه بما يرد عليه من جراء تفرغ القوة الذهنية من الاشتغال بمزاحمه إلى التوجه إليه وحده ، فتكسبه قدرة على تجاوز الحد المعتاد لأمثاله ، فيخترق الحدود المتعارفة لأمثاله اختراقا ما ، فربما خلصت إليه تموجات هى أوساط بين تموجات كرة الهواء وتموجات الطبقات العليا المجاورة لها ، مما وراء الكرة الهوائية .

ولنفرض أن هذه الطبقة هى المسماة بالسماء الدنيا وأن هذه التموجات هى تموجات الأثير ، فإنها تحفظ الأصوات مثلا .

ثم هذه التموجات التى تخلص إلى عقول أهل هذه النفوس المستعدة لها تخلص إليها متقطعة مجملة ، فيستعين أصحاب تلك النفوس على تأليفها وتأويلها بما فى طباعهم من ذكاء ه وذكانة ، ويخبرون بحاصل ما استخلصوه من بين ما تلقفوه وما ألفوه وما أولوه ، وهم فى مصادفة بعض الصدق متفاوتون على مقدار تفاوتهم فى حدة الذكاء وصفاء الفهم والمقارنة بين الأشياء ، وعلى مقدار دربتهم ورسوخهم فى معالجة مهنتهم وتقادم عهدهم فيها . فهؤلاء هم الكهان ، وكانوا كثيرين بين قبائل العرب . وتختلف سمعتهم بين أقوامهم بمقدار مصادفتهم لما فى عقول أقوامهم . ولاشك أن لسذاجة عقول القوم أثراً ما وكان أقوامهم يعدون المعمرين منهم=

قال ابن سعد : أخبرنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن عكرمة قال : لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعته تحت برمة فانفلقت عنه ، قالت فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء .

= أقرب إلى الإصابة فيما ينبئون به ، وهم بفرط فطنتهم واستغفالهم البله من مريديهم لا يصدرون إلا كلاماً مجملا موجهاً قابلا للتأويل بعدة احتمالات ، بحيث لا يؤخذون بالتكذيب الصريح ، فيكون تأويل كلماتهم إلى ما يحدث للناس في مثل الأغراض الصادرة فيها تلك الكلمات . وكلامهم خلو من الإرشاد والحقائق الصالحة.

وهم بحيلتهم واطلاعهم على ميادين النفوس ومؤثراتها التزموا أن يصوغوا كلامهم الذى يخبرون به فى صيغة خاصة ملتزماً فيها فقرات قصيرة مختتمة بأسجاع لأن الناس يحسبون مزاوجة الفقرة لأختها دليلا على مصادفتها الحق والواقع ، وأنها أمارة صدق .

وكانوا فى الغالب يلوذون بالعزلة ، ويكثرون النظر فى النجوم ليلا لتتفرغ أذهانهم . فهذا حال الكهان ، وهو قائم على أساس الدجل والحيلة والشعوذة مع الاستعانة باستعداد خاص فى النفس وقوة تخترق الحواجز المألوفة .

وهذا يفسره ما فى كتاب الأدب من صحيح البخارى عن عائشة : أن ناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال : (ليسوا بشىء) أى لا وجود لما يزعمونه ، فقيل : يارسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشىء يكون حقاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة) .
وما فى تفسير سورة الحجر من صحيح البخارى من حديث سفيان عن أبى هريرة قال نبى الله صلى الله عليه وسلم: « إذا قضى الله الأمر فى السماء ،أى أمر أو أوحى وضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ـ فإنهم المأمورون كل فى وظيفته ـ كالسلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ـ أى يحصل العلم لهم . وتقريبها حركات آلة تلقى الرسائل البرقية ـ فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ـ أى هى طبقات متفاوتة فى العلو ـ ووصف سفيان بيده فحرفها وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض ـ فيسمع المسترق الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان =

وقال ابن سعد : أخبرنا يونس بن عطاء المكى قال حدثنا الحكم ابن أبان العبدلى — وهو صالح ثقة روى له الأئمة الأربعة - قال حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس عن عبد المطلب قال : ولد النبي ﷺ مختونا مسروراً ، ففرح به عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكونن لابنى هذا شأن ، فكان له شأن .

وروى الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبى حمزة عن عطاء الخراسانى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه ، وجعل له مأدبة ، وسماه محمداً . قال بعض العلماء : هذا الحديث على مافيه أشبه بالصواب .

باب ذكر من أرضع رسول الله ﷺ وتسمية إخوته وأخواته من الرضاعة

أول من أرضع النبي ﷺ ثويبة — بلبن ابن لها يقال له مسروح — أياما قبل أن تقدم حليمة . وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى . وكان حمزة مسترضعا

الكاهن أو الساحر — فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة . فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التى سمعت من السماء » .

أما أخبار الكهان وقصصهم فأكثرها موضوعات وتكاذيب . وأصحها حديث سواد بن قارب فى قصة إسلام عمر رضى الله عنه من صحيح البخارى .

وهذه الظواهر كلها لا تقتضى الا إدراك المسموعات من كلام الملائكة . ولا محالة أنها مقربة بالمسموعات ، لأنها دلالة على عزائم النفوس الملكية وتوجهاتها نحو مسخراتها . وعبر عنه بالسمع لأنه يؤول إلى الخبر . فالذى يحصل لمسترق السمع شعور ما تتوجه الملائكة لتسخيره ، والذى يحصل للكاهن كذلك . والمآل أن الكاهن يخبر به فيؤول إلى مسموع . (من تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤/٣٢) .

فى بنى سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله ﷺ يوما وهو عند أمه حليمة. فكان حمزة رضيع النبى ﷺ من وجهين: من جهة السعدية ومن جهة ثويبة.

وروى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كانت ثويبة مولاة أبى لهب قد أرضعت رسول الله ﷺ أياما قبل أن تقدم حليمة، وأرضعت أباسلمة بن عبد الأسد معه، فكان أخاه من الرضاعة، وكان رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة، وكانت خديجة تكرمها وهى يومئذ مملوكة، وطلبت أن تبتاعها من أبى لهب لتعتقها، فأبى أبو لهب. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو لهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع من مرجعه من خيبر فقال (مافعل ابنها مسروح)؟ فقيل: مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد.

وقال محمد بن عمر عن زكريا بن يحيى بن يزيد السعدى عن أبيه قال: قدم مكة عشر نسوة من بنى سعد بن بكر يطلبن الرضاع، فأصبن الرضاع كلهن إلا حليمة بنت الحارث بن عبدالله بن شجنة — بكسر الشين المعجمة والجيم — ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية[1] بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن، وكان معها زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة وولده منها عبد الله بن الحارث والشيماء، وهى التى كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها، وهى التى قدمت عليه فى وفد هوازن. فعرض رسول الله ﷺ على حليمة، فجعلت تقول: يتيم ولا مال له وما عست أمه أن تفعل، فخرج النسوة وخلفنها، فقالت حليمة لزوجها: أما ترى قد خرج صواحبى وليس بمكة مسترضع إلا هذا

---

(١) فى رواية (قصية) بالقاف. وتحقيق ذلك فى (الروض الأنف). وفى شرح السيرة النبوية للحافظ أبى ذر الخشنى (ص ٥٤): يروى بالفاء والقاف وصوابه بالفاء.

الغلام اليتيم فلو أخذناه فإني[١] أكره أن نرجع إلى بلادنا ولم نأخذ شيئاً، فقال لها زوجها خذيه عسى الله أن يجعل لنا فيه خيراً. فجاءت إلى أمه فأخذته منها فوضعته في حجرها فأقبل عليه ثدياها حتى تقطرا لبنا، فشرب رسول الله ﷺ حتى روى، وشرب أخوه ولقد كان أخوه لا ينام من الغرث[٢] وقالت أمه: يا ظئر سلي عن ابنك فإنه سيكون له شأن، وأخبرتها بما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته. فقالت قيل لي ثلاث ليال « استرضعي ابنك في بني سعد بن بكر ثم في آل أبي ذؤيب» قالت حليمة: فإن أبا هذا الغلام الذي في حجري أبو ذؤيب وهو زوجي. كذا في هذه الرواية. قال ابن الكلبي وغيره: أبو ذؤيب هذا أبو حليمة لا زوجها. فطابت نفس حليمة وسرت بكل ما سمعت، ثم خرجت به إلى منزلها فحدجوا أتانهم — والحدج[٣] من مراكب النساء — فركبت حليمة وحملت رسول الله ﷺ بين يديهـــا، وركب الحارث شارفهم[٤] فطلعا على صواحبهما بوادي السرو، وهن مرتعات، وهما يتواهقان – من مواهقة[٥] الإبل مد أعناقها في السير – فقلن يا حليمة ما صنعت؟ فقالت: أخذت والله خير مولود رأيته قط وأعظمهم بركة. قالت النسوة:

(١) في النسختين (فانه) والتصحيح من (الروض الأنف) وغيره. وهو ظاهر.

(٢) الغرث: الجوع.

(٣) في النسختين (لجدحوا أتانهم، والجدح ...) والتصويب من شرح القاموس للزبيدي. وروى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: (حجة هاهنا، ثم أحدج ها هنا حتى تفنى) أي شد الحداجة، وهي القتب بأداته على البعير للغزو. والمعنى: حج حجة واحدة ثم أقبل على الجهاد إلى أن تهرم أو تموت. نقلت هذا من شرح القاموس لمناسبة ما نحن فيه اليوم.

(٤) الشارف من النوق: المسنة الهرمة. (القاموس المحيط).

(٥) في الظاهرية (شواهتان وشواهق) وهو خطأ، على ما في الأحدية والنهاية لابن الأثير.

أهو ابن عبد المطلب ؟ قالت : نعم ، قالت فما رحلنا من منزلنا ذلك حتى رأيت الحسد من بعض نسائنا .

وذكر بعض الناس أن حليمة لما خرجت به إلى بلادها قالت آمنة بنت وهب بن عبد مناف :

أعيـــذه بالله ذى الجلال من شر ما مر على الجبال
حتى أراه حامـــل الـكلال ويفعل العرف إلى الموالى
وغـــيرهم من حشوة الرجال

يقال فلان من حشوة بنى فلان — بكسر الحاء — أى من رذالتهم. قالت : ثم خرجنا فوالله لخرجت أتانى أمام الركب قد قطعتهم حتى مايتعلق بها منهم أحد[1] حتى إنهم ليقولون : ويحك يابنت الحارث كفى علينا ، أليست هذه أتانتك[2] التى خرجت عليها ؟ فأقول: بلى والله ، فيقولون : إن لها لشأنا .

حتى قدمنا منازلنا قالت : فقدمنا على أجدب أرض الله تعالى ، فوالذى نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم وأسرح أغنامى ، فتروح غنمى

(١) ان الأبحاث الحديثة نفسها وتجارب الإنسانية منذ أن وجدت الإنسانية تزيد أن هناك إشعاعات عند بعض الناس تضفى على المرافقين لهم بهجة ونشاطاً ، فلا غرابة إذن أن تنشط حليمة وينشط زوجها وتنشط دوابهما وأن تسير الرحلة فى رخاء وأن يكون محمد فى براءته وطهارته وفى طفولته الباسمة ونضرته المتألقة هو سبب ذلك كله . على ما فى كتاب (الرسول صلى الله عليه وسلم — لمحات من حياته ونفحات من هديه — لمولانا الأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود) وقال الامام البوصيرى فى الهمزية :

« وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فانهم سعداء »

(٢) الأتان : الحارة ، والأتانة قليلة ، على ما فى (القاموس المحيط) .

حفلا بطانا وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما بها من لبن، فنشرب ما شئنا من اللبن، وما من الحاضرين أحد يحلب قطرة ولا يجدها. قالت فيقولون لرعاتهم ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعى حليمة، فيسرحون فى الشعب الذى تسرح فيه، وتروح أغنامهم جياعاً ما بها من لبن وتروح غنمى حفلا لبنا.

قالت: وكان يشب فى اليوم شباب الصبى فى الشهر.

فمكث عندها سنتين حتى فطم وكأنه ابن أربع سنين، فقدموا به على أمه زائرين لها، وأخبرتها حليمة بخبره وما رأوا من بركته، فقالت أمه لحليمة: ارجعى با بنى فإنى أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شأن، فرجعت به حليمة إلى ديارها.

وفى السنة الثالثة من مولده ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته فى البهم قريباً من الحى فأتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج فى طست من ذهب. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده: حدثنا حيوة ويزيد بن عبد ربه[1] قالا حدثنا بقية قال حدثنى بحير[2] ابن سعد عن خالد بن معدان عن أبى عمرو السلمى عن عتبة بن عبد السلمى أنه حدثهم أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا فانطلق أخى ومكثت عند البهم [ولم نأخذ معنا زادا، فقلت: يا أخى إذهب فأتنا بزاد من عند أمنا][3].

(١) فى الأحمدية (عبدويه) وهو تصحيف صححته من الظاهرية وتهذيب التهذيب.

(٢) فى الظاهرية (خير) بدل (بحير) وهو وهم صححته من الأحمدية وخلاصة الخزرجى. وفيها (بحير بن سعيد) والصواب (بحير بن سعد).

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية. فاستدركته من الأحمدية ومسند أحمد الذى صححت منه السند.

فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه أهو هو ؟ قال نعم. فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه وأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال : ائتني بماء برد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال : ائتني بالسكينة ، فذرأها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه ، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة . وقال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخر على بعضهم ، ثم قال ؛ لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركاني وقد فرقت فرقا شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيته فأشفقت على أن يكون ألبس بي ، فقالت أعيذك بالله ، وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغت إلى أمي فقالت : أديت أمانتي وذمتي ،وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت : إني رأيت حين خرج مني نوراً أضاءت منه قصور الشام .(١)

ثم رجعت به أيضاً فكان عندها سنة أو نحوها لاتدعه يذهب مكانا بعيداً . ثم رأت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت وإذا سار تسير فأفزعها ذلك من أمره فذهبت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين ،فأضلها في الناس فالتمسته فلم تجده فقام عبد المطلب(٢) عند الكعبة وقال :

رد إلى ولدي محمـــدا أردده ربي واصطنع عندي يدا

فلم يلبث أن جاء ، فلما رآه ضمه إلى صدره وقال : يابني حزنت عليك حزنا لايفارقني أبداً .

قال وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ وقد تزوج خديجة بنت خويلد فشكت جدب البلاد وهلاك الماشية ، فكلم رسول الله ﷺ خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقرا ، وانصرفت إلى أهلها .

---

(١) تحقيق قصة شق الصدر جاءت في ٢٦ صفحة في كتاب (محمد من نبعته إلى بعثته للاستاذ المحقق محمد الصادق عرجون)

(٢) في الأحمدية : (فأتت عبد المطلب فأخبرته فالتمسه عبد المطلب فلم يجده).

ولا يعرف لهـا صحبة ولا إسلام . وقد وهل فيها غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء[١] . وعن عمر بن سعد قال : جاءت ظئر النبي ﷺ إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ، ثم جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ، ثم جاءت إلى عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك . وهذه أخته الشيماء لا أمها حليمة[٢] .

﴿ ذكر الحوادث التي كانت في سنة خمس من مولده ﴾

منها أنه قدم كاهن مكة ورسول الله ﷺ ابن خمس سنين ، وقد قدمت به حليمة إلى عبد المطلب ، فنظر إليه الكاهن مع عبد المطلب فقال : يامعشر قريش اقتلوا هذا الصبي فإنه يفرقكم ويقتلكم ، فهرب به عبد المطلب ، فلم تزل قريش تخشى من أمره ما كان الكاهن حذرهم .

﴿ ذكر الحوادث في سنة ست ﴾

فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : الظاهر أن حليمة لم تدرك البعثة. قال الحافظ: (وهو غير مسلم) وأورد الأدلة على ذلك، كما في (سبل الهدى والرشاد ٤٦٥/١). وفيها عن المنذري في مختصر سنن أبي داود : حليمة أسلمت وروت عنه . وقال ابن الجوزي : قدمت عليه بعدما تزوج خديجة ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وأسلم زوجها . وفي (السيرة الحلبية): للحافظ مغلطاي مؤلف في إسلام حليمة، سماه (التحفة الجسيمة في إسلام حليمة) .

(٢) بعض المصادر يؤيد ما نقله المؤلف من أن حليمة هي التي قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضها يؤيد أن الشيماء هي التي قدمت عليه . أنظر (الإصابة ٢٧٤/٤) و(البداية والنهاية ٣٦٤/٤) و(الاستيعاب ١٨١٣/٤ — ١٨٧١) و (الروض الأنف) و (سبل الهدى والرشاد ٤٦٦/١) . والتحقيق أن الشيماء هي التي قدمت عليه في غزوة هوازن بحنين .

دار النابغة ، فأقامت به عندهم شهراً ، فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك .

وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه ، قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول (هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته) فوعيت ذلك من كلامه .

ثم رجعت به أمه إلى مكة ، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمه آمنة بنت وهب فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن إلى مكة .

ولما مر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء قال (إن الله تعالى قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه) فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ ، فقيل لرسول الله ﷺ ، فقال (أدركتني رحمتها فبكيت) وعن القاسم قال : استأذن النبي ﷺ في زيارة قبر أمه فأذن له وسأل المغفرة لها فأبى عليه .

﴿ باب ضم عبد المطلب رسول الله ﷺ إليه بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب ﴾

[روى عن جماعة قالوا كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب[1]]،

فلما توفيت قبضه جده عبد المطلب وضمه إليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤنس ملكا . وقال قوم من بني مدلج[2] لعبد المطلب : احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذى في المقام منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع مايقول هؤلاء . فكان أبو طالب يحتفظ به .

---

(١) مابين المعقفين مستدرك من الأحمدية .

(٢) وهم القافة . والقيافة : خص بها قوم من العرب ، وإنما هي في الانساب خاصة . وقد ثبتها النبي صلى الله عليه وسلم . وحكم بها الإمام الشافعي وأصحابه ويلحقون بها الولد . وهذه فضيلة خصت بها العرب ومضى وسيأتي كلام عن الكهانة والقيافة في الهوامش .

وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ : لاتغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وإن أهل الكتاب ليزعمون أن ابني نبي هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما إلا قال :علي بابني ، فيؤتى به إليه .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته .

ومن ذلك خروج عبد المطلب برسول الله ﷺ يستسقون ؛ قالت رقيقة ابنة صيفي بن هاشم[1] تتابعت على قريش سنون أقحلت الضرع [2] وأرقت العظم ، فبينما أنا نائمة اللهم - أو مهومة[3] - إذا هاتف يصرخ بصوت جهوري يقول يامعشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم ،قد أظلتكم أيامه وهذا إبان نجومه فحي هلا بالحيا [4] والخصب .

ألا فانظروا رجلا منكم : وسيطاً عظاما جساماً أبيض بضاً أو طف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة يهدى إليها ، فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن[5] ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل

---

(١) هي أسن من عبد المطلب ، على ما في (طبقات ابن سعد) .

(٢) تعني أيبسته .

(٣) في الظاهرية (مهمومة)والتصحيح من الأحدية ودلائل النبوة للبيهقي. والتهويم : أول النوم وهو دون النوم الشديد ، على ما في (النهاية لابن الأثير) ولسان العرب .

(٤) في الأحدية : (بالحباء) وفي دلائل النبوة للبيهقي (بالخير) .

(٥) في دلائل النبوة للبيهقي زيادة : (وليطوفوا بالبيت سبعاً) .

وليؤمن القوم فغثم ما شئتم . فأصبحت علم الله مذعورة وقد اقشعر جلدى ووله عقلى ، فاقتصصت رؤياى فو الحرمة والحرم مابقى أبطحى إلا قال : هذا شيبة الحمد ، وتتامت إليه رجالات قريش ، وهبط إليه من كل بطن رجل فسنوا ومسوا واستلموا ، ثم ارتقوا أبا قبيس وطفقوا جنابيه ، فما بلغ سعيهم مهله حتى إذا استووا بذورة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ ـ غلام قد أيفع ـ فقال : اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة ، أنت معلم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداؤك [1] وإماؤك بعذرات [2] حرمك يشكون إليك سنتهم ، اللهم فأمطرنا غيثا مغدقاً مريعاً ، فوا الكعبة ماراموا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادى بثجيجه فسمعت شيخان قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية [وهشام بن المغيرة] [3] يقولان لعبد المطلب هنيئاً لك أبا البطحاء عاشت بك البطحاء [4] وفى ذلك تقول رقيقة :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر [5]
فجاد بالماء جونى له سبل [6] ... سحاً فعاشت به الأنعام والشجر [7]
مبارك الأمر يستسقى الغمام به ... مافى الأنام له عدل ولا خطر

ومن الحوادث فى هذه (السنة السابعة) خروج عبد المطلب لتهنئة سيف ابن ذى يزن [بالظفر ، وبشارة سيف لعبد المطلب بأنه سيظهر رسول الله ﷺ

---

(١) جمع (عبد) على نحو عشرين جمعاً ، على مافى (تاج العروس للزبيدى) .
(٢) العذرة : فناء البيت .
(٣) ما بين المعقفين مستدرك من (دلائل النبوة للبيهقى) .
(٤) فى الأحمدية (أهل البطحاء) . وفى دلائل النبوة : (هنيئاً لك أبا البطحاء هنيئاً أى بك عاش أهل البطحاء) .
(٥) هكذا فى النسختين . وفى دلائل النبوة : (واجلوذ المطر) .
(٦) الجونى : السحاب الأسود . والسبل : المطر .
(٧) زاد فى (دلائل النبوة) :
منا من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوماً به مضر .

من نسله . قال ابن الكلبي: لما ملك سيف بن ذي يزن] [١] أرض اليمن وقتل الحبش وأبادهم وفدت إليه أشراف العرب ورؤساؤهم ليهنئوه بما ساق الله تعالى إليه من الظفر ، ووفد وفد قريش ، وكانوا خمسة من عظمائهم : عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد ابن أسد وهشام بن المغيرة ، فساروا حتى قدموا [٢] مدينة صنعاء ، وسيف ابن ذي يزن نازل بقصر غمدان، وكان أحد القصور التي بنتها الجن لبلقيس بأمر سليمان ، فأناخ عبد المطلب وأصحابه ، واستأذنوا على سيف فأذن لهم فدخلوا عليه وهو جالس على سرير من ذهب ، وحوله أشراف اليمن على كراس من ذهب ، وهو مضمخ بالعنبر ووبيص المسك يلوح في مفارق رأسه ، فحيوه بتحية الملوك ووضعت لهم كراسي الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام ماثلا بين يديه واستأذنه في الكلام . فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم . فقال : أيها الملك إن الله تعالى قد أحلك محلا رفيعاً شامخاً منيعا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه ، أطيب مغرس وأعذب منبت ، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي إليه الملاذ ووردها الذي إليه المعاد سلفك لنا خير سلف وأنت لنا خير خلف نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، ونحن وفود التهنئة لا وفود المرزأة .

فقال سيف : أنتم قريش الأباطح ؟ قالوا : نعم ، قال مرحباً وأهلا وناقة ورحلا ومناخاً سهلا وملكا سبحلا [٣] يعطي عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقالتكم وعرف فضلكم فأنتم أهل الشرف والحمد والسناء والمجد فلكم

---

(١) ما بين المعقفين مستدرك من الأحمدية .

(٢) في الأحمدية (وافوا)

(٣) السبحل : الضخم . وفي الظاهرية (سجلا) وهو تحريف . وفي دلائل النبوة للبيهقي (ربحلا) وهو الكثير العطاء . ولعل ما ورد في الأحمدية هو الأوجه .

الكرامة ما أقمتم والحباء الواسع إذا انصرفتم ، ثم قال لعبد المطلب : أيهم أنت ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم ، قال إياك أردت ولك حدثت فأنت ربيع الأنام وسيد [1] الأقوام ، انطلقوا فانزلوا حتى أدعوكم . ثم أمر بإنزالهم وإكرامهم ، فأقاموا شهراً لايدعوهم حتى انتبه ذات يوم فأرسل إلى عبد المطلب ائتنى وحدك من بين أصحابك ، فأتاه فوجده مستخليا لا أحد عنده ، فقربه حتى أجلسه معه على سريره ثم إنه قال : ياعبد المطلب إنى أريد أن ألقى إليك من علمى سراً لو غيرك يكون لم أبح به غير انى رأيتك معدنه فليكن عندك مصوناً حتى يأذن الله تعالى فيه بأمره فإن الله منجز وعده وبالغ أمره .

قال عبد المطلب [2] : أرشدك الله أيها الملك . قال سيف : إنى أجد فى الكتب الصادقة والعلوم السابقة التى اخترناها لأنفسنا وسبرناها عن غيرنا خبراً عظيما وخطراً جسيما فيه شرف الحياة وفخر الممات للعرب عامة ولرهطك كافة ولك خاصة .

قال عبد المطلب : أيها الملك لقد أبت بخير ما آب به وافد ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته أن يزيدنى سروره إياى سروراً . قال سيف : نبى يبعث من عقبك ورسول من فرعك اسمه محمد وأحمد ، وهذا زمانه الذى يولد فيه ولعله قد ولد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، والله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ، تخمد عند مولده النيران ويعبد الواحد الديان وتكسر اللات والأوثان، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله .

(١) فى الظاهرية (وسيف الأقوام) .

(٢) فى (كتاب المعارف لابن قتيبة) : سمى عبد المطلب لأنه كان بالمدينة عند أخواله ، فقدم به المطلب بن عبد مناف عمه ، فدخل مكة وهو خلفه ، فقالوا هذا عبد (المطلب) فلزمه الاسم وغلب عليه ، واسمه عامر .

قال عبد المطلب : علا كعبك ودام فضلك وطال عمرك فهل الملك سارى بإفصاح وتفسير وإيضاح. قال سيف: والبيت ذى الحجب والآيات والكتب إنك ياعبد المطلب جده غير ذى كذب، فخر عبد المطلب ساجداً [1] فقال: سيف ارفع رأسك ثلج صدرك وطال عمرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت [لك] [2] فقال عبد المطلب : نعم أيها الملك كان لى ابن كنت به معجباً فزوجته كريمة من كرائم [3] قومى فجاءت بغلام سميته محمداً ، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه . قال: هو هو ، لله أبوك فاحذر عليه أعداءه وان كان الله لم يجعل لهم عليه سبيلا. ولولا علمى بأن الموت مجتاحى قبل ظهوره لسرت بخيلى ورجلى وجعلت مدينة يثرب دار ملكى [4] ، فإنها دار هجرته وأهلها أهل دعوته ونصرته ، قسم فانصرف بمن معك من أصحابك .

ثم أمر لكل واحد منهم بمائتى بعير وعشرة أعبد من حبش وعشرة أرطال من الذهب وحليتين من البرود . وأمر لعبد المطلب بمثل جميع ما أمر لهم ، وقال : ياعبد المطلب اذا شب محمد وترعرع فاقدم على بخبره .

وودعوا وانصرفوا إلى مكة . وكان عبد المطلب يقول : لاتغبطونى بكرامة الملك إياى دونكم وإن كان فضلا جزيلا ، بل اغبطونى بما ألقاه إلى. فكانوا يقولون له ما هو ؟ فيقول لهم ستعرفونه بعد حين .

ولم يلبث سيف بن ذى يزن إلا مدة قصيرة [5] وقتله السودان غيلة [6]

(١) فى دلائل النبوة (ساجداً له) و (له) دخيلة مقحمة ، على مافى النسختين وبلوغ الأرب ٢٦٨/٢

(٢) (لك) مستدركة من بلوغ الأرب للآلوسى .

(٣) فى الظاهرية (كرام) والتصحيح من الأحمدية وبلوغ الأرب .

(٤) فى بلوغ الأرب (٢٦٩/٢) : لسرت بخيلى ورجلى . حتى أصير بيثرب دار ملكه .

(٥) فى الأحمدية (يسيرة) .

(٦) فى المعارف (لابن قتيبة) : كان سبب قتله أنه كان اتخذ من أولئك الحبشة خدماً ، فخلوا به يوماً وهو فى متصيد له فزرقوه بحرابهم فقتلوه ، وهربوا فى رءوس الجبال ، وطلبهم أصحابه فقتلوهم جميعاً .

﴿ الحوادث التى كانت فى سنة ثمان من مولده ﴾

منها موت عبد المطلب . قال الواقدى : لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ ، وقال لبناته: ابكينني وأنا أسمع ، فبكته كل واحدة منهن بشعر ، فلما سمع قول أميمة وقد أمسك لسانه حرك رأسه أى قد صدقت . وهو قولها :

أعينىّ جودا بدمع درر ... على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد ... جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات ... وذى المجد والعز والمفتخر
وذى العلم والفضل فى النائبا ... ت كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه ... منير يلوح كضوء القمر

ومات عبد المطلب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل أمائة وعشر سنين وقيل مائة وعشرون سنة. وسئل رسول الله ﷺ أتذكر موت عبد المطلب؟ قال : نعم كنت ابن ثمان سنين. ، قالت أم أيمن : رأيت رسول الله ﷺ يبكى خلف سرير عبد المطلب. ولما توفى عبد المطلب ضم أبو طالب رسول الله ﷺ إليه ، وكان أبو طالب فقيراً لا مال له ، وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا (١) فكان إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابنى ، فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم فيقول أبو طالب : إنك لمبارك وأحبه حباً شديداً .

ومن الحوادث فى هذه السنة الثامنة هلاك حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس ، وأمه ماوية وقيل

---

(١) وقوع حوادث تخفى على العقول أسبابها أمر قامت على جوازه الدلائل من النصوص القطعية فى الكتب السماوية وغيرها . (من كتاب محمد بن نبعته إلى بعثته للاستاذ محمد الصادق عرجون)

غنية[1] بنت عفيف من طيء ، ويكنى أبا سفانة[2] - وهي أبنته - وأبا عدى . وسفانة هي التي وفدت على رسول الله ﷺ .

وكان حاتم شاعراً جواداً ، مر يوما على بني عنزة وفيهم أسير فاستغاث به ولم يحضره فكاكه ، فاشتراه منهم وأطلقه ، وأقام مكانه في القيد حتى أتى بفدائه .

وكان له قدور عظام لاتنزل عن الأثافي . وكان أبوه قد جعله على غنم له يرعاها وهو غلام فمر به عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي[3] حازم والنابغة الذبياني يريدون النعمان بن المنذر ، فقالوا له : هل من قرى؟ فقال لهم تسألونني عن القرى وأنتم ترون الإبل والغنم ، فنحر لكل واحد منهم بعيراً ولم يعرفهم ثم سألهم عن أسمائهم فتسموا له ففرق فيهم الإبل والغنم . وبلغ ذلك أباه فأتاه وقال له مافعلت الابل ؟ قال يا أباه[4] طوقتك مجداً كطوق الحمامة ، وحدثه ما صنع ، قال إذاً لا أساكنك ، قال إذاً لا أبالي ، ثم اعتزله وقال :

وإني لعف الفقر مشترك الغنى ... تروك لشكل لا يوافقه شكلي
ولي نيقة[5] في البذل والجود لم يكن ... يأنقها ممن مضى أحد قبلي
وما ضرني أن سار سعد بأهله ... وخلفني في الدار ليس معي أهلي
فما من كريم عاله الدهر مرة ... فيذكرها إلا تردد في البذل
وما من بخيل عاله الدهر مرة ... فيذكرها إلا تردد في البخل

(١) في النسختين (عنبة) والنص صحيح من (الأعلام للأستاذ الزركلي رحمه الله) و (مجمع الأمثال الميداني) .

(٢) بفتح السين وتشديد الفاء .

(٣) (أبي) ساقطة من النسختين فاستدركتها من (بلوغ الأرب لمحمود شكري الآلوسي) .

(٤) في القاموس المحيط: فالواقي النداء : يا أبت، ويا أبه ، ويا أبتاه، ويا أباه.

(٥) تنيق الرجل في لبسته ومطعمه ومنطقه وأموره : بالغ . والإسم : النيقة . على ما في (لسان العرب) وغيره.

وقيل للنوار (١) امرأة حاتم حدثينا عن حاتم ، قالت : كل أمره كان عجبا ، أصابتنا سنة حصت كل شيء فاقشعرت لها الأرض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أفلاذها وراحت الإبل ما تبض بقطرة ، وانا لفى ليلة صنبرة (٢) بعيدة ما بين الطرفين ، والصبية تتضاغى من الجوع وهم عبد الله وعدى وسفانة ، فوالله ما وجدنا شيئا نعللهم به ، فقام إلى أحد الصبيين فحمله ، وقمت إلى الصبية فعللتها ، فو الله إن سكتا إلا بعد هدأة من الليل ، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعللناه حتى سكت وما كاد ، ثم افترشنا قطيفة لنا فأضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا على طرفها وهو على الطرف الآخر والصبيان بيننا ، ثم أقبل على يعللنى لأنام ، فعرفت ما يريد فتناومت ، فقال : مالك أنمت ؟ فسكت . فقال ما أراها إلا قد نامت . فلما ادلهم الليل وتهورت النجوم وهدأت الاصوات وسكنت الرجل إذا جانب البيت قد رفع فقال : من هذا؟ قالت جارتك فلانة يا أبا عدى ما وجدت معولا غيرك أتيتك من عند صبية يعوون عواء الذئب من الجوع ، فقال اعجلى بهم ، قالت النوار : فوثبت وقلت ماصنعت ! ؟ فو الله لقد تضاغى صبيتك فما وجدت ما نعللهم به فكيف بهذه وولدها ؟ ! فقال اسكتى فو الله لأشبعك وإياهم إن شاء الله تعالى ، قال فأقبلت تحمل اثنين ويمشى بجنبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها (٣) قال فقام إلى فرسه فوجأه بحربته فى لبته ، ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية وكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة وقال : دونك ، ثم قال : أيقظى صبيانك . فأيقظتهم ، ثم قال سوءة لكم أتأكلون دون أهل الصرم . فجعل يطيف عليهم حتى هبوا فقال : عليكم بالنار ، ثم التفع بكسائه فاضطجع ناحية ينظر إلينا ، فلا والله ماذاق منه مزعة وانه لأحوجهم إليه ، وأصبحنا وما على الأرض منها عظم ولا حافر . الصرم : الأبيات العشرة ينزلون فى جانب .

(١) فى بلوغ الأرب وغيره (لماوية) عوض (النوار) .
(٢) شـــديدة .
(٣) فراخها ، أولادها .

وكانت أم حاتم لاتدخر شيئا سخاء وكرما وكان إخوتها يمنعونها من ذلك وتأبى فحبسوها فى بيت سنة يرزقونها فيشيئا معلوما . فلما ذاقت طعم البؤس أخرجوها وأعطوها صرمة [1] من مالها ، فأتتها امرأة تسألها فقالت: دونك الصرمة فقد والله مسنى من الجوع ما آليت معه ألا أمنع سائلا .

ومن شعر حاتم الطائى قوله :

أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوى إن يصبح صداى بقفرة من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى وأن يدى مما بخلت به صفر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر [2]

ومن شعره أيضاً ماذكره صاحب الحماسة البصرية فى باب الأضياف :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويابنت ذى البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له أكيلا فإنى لست آكله وحدى
كريماً قصياً أو قريباً فإننى أخاف مذمات الأحاديث من بعدى
وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره خفيف المعى بادى الخصاصة والجهد
وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد
وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما من خلالى غيرها شيم العبد

ومن الحوادث فى (السنة التاسعة) موت كسرى أنو شروان ، وتملك ابنه هرمز ، وخرج أبو طالب برسول الله ﷺ إلى بصرى وهو ابن تسع .

---

(١) أى قطعة من الإبل .
(٢) فى النسختين (وطر) عوض (وفر) والتصحيح من (بلوغ الأرب) وغيره.

وفى سنة عشر من مولد النبى ﷺ كان (الفجار الأول) وإنما سمى الفجار لما استحلوا فيه من المحارم من حملهم السلاح فى الأشهر الحرم ، وكانت الحرب فية ثلاثة أيام .

وكان أول الفجار أن بدر بن معشر الغفارى كان منيعا مستطيلا بمنعته على من يرد سوق عكاظ ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ وجلس فيه وجعل[1] يبذخ على الناس ويقول :

نحن بنو مدركة بن خندف   من نطعنه فى عينه لا يطرف

وهو باسط رجله ويقول أنا أعز العرب ومن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف . فقام رجل من بنى نصر[2] بن معاوية يقال له الأحمر بن مازن فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ثم قال خذها إليك أيها المخندف. ثم قام رجل من هوازن فقال :

نحن ضربنا ركبة المخندف   إذ مدها فى أشهر المعرف

ثم كان اليوم التالى من الفجار الأول وكان سبب ذلك أن شباباً من قريش من بنى كنانة رأوا امرأة وسيمة من بنى عامر جالسة بسوق عكاظ فى درع[3] فأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت فقام أحدهم فجلس خلفها وحل طرف درعها وشده إلى مافوق عجزها بشوكة ، فلما قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعتينا النظر إلى وجهك وجدت لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادت (ياللعامر) فثاروا بالسلاح وحملت كنانة واقتتلوا قتالا شديداً ، ووقعت بينهم دماء فتوسطها حرب بن أمية وأرضى بنى عامر عن مثلة صاحبتهم .

(١) (وجعل) مستدركة من الأحمدية .
(٢) فى الظاهرية (نضر) وهو تصحيف .
(٣) أى قميص ، على ما فى القاموس المحيط .

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار الأول . وكان سببه أنه كان لرجل من بنى جشم بن بكر على رجل من بنى كنانة دين فلواه به فجرت بينهم خصومة . واجتمع الحيان فاقتتلوا وحمل ابن جدعان ذلك فى ماله .

ومن الحوادث فى (هذه السنة العاشرة) الشرح التالى : قال أبى بن كعب إن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ قال (يا أبا هريرة إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسى وإذا برجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخلق قط ، وأرواح [1] لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط ، فأقبلا يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مسا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأضجعانى بلا قصر ولا هصر . فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ، فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال : أخرج الغل والحسد ، فأخرج شيئا كرمة العلقة ، ثم نبذها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مثل الذى أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلى اليمنى فقال : اغد واسلم ، فرجعت أغدو بهما رقة على الصغير ورحمة للكبير .

ولما صار له اثنتا عشرة سنة وشهران ارتحل به أبو طالب إلى الشام فروى ابن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر قال : لما تهيأ أبو طالب للخروج إلى الشام قال : والله ما يطيب على قلبى أترك ابنى محمداً ، فحمله معه . فلما نزل الركب ببصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له — وكان ذا علم فى النصرانية — وكان كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم ، حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلا قريباً من صومعته كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم وكان قد رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر

---

(١) يعنى الرائحة .

إلى تلك الغمامة قد أظلت تلك الشجرة واخضلت أغصان الشجرة حين استظل تحتها . فنزل بحيرا من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتى به وأرسل إليهم وقال : إنى قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش وأنا أحب أن تحضروا كلكم ، ولا يتخلف منكم صغير ولا كبير ، حر ولا عبد ، فإن هذا شيء تكرمونني به .

فقال رجل : إن لك لشأنا يابحيرا ، ثم اجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه .

فلما نظر بحيرا إلى القوم لم ير الصفة التى يجدها عنده ورأى الغمامة متخلفة على رأس رسول الله ﷺ فقال بحيرا : يامعشر قريش ألم أقل لكم لا يتخلف أحد عن طعامى ، قالوا ما تخلف إلا غلام حدث فى رحالنا ، قال ادعوه فليحضر طعامى مع أنى أراه من أنفسكم . قالوا هو والله من أوسطنا نسباً (١) هو ابن أخى هذا الرجل — يعنون أبا طالب — فقام إليه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه فجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن الطعام قام إليه الراهب وقال : ياغلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك ، فقال رسول الله ﷺ (لاتسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما) قال فبالله إلا أخبرتنى عما أسألك عنه ، قال سلنى عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله ورسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فقبل موضع الخاتم وقال لأبى طالب : ماهذا الغلام منك ، قال ابنى ، قال ماهو بابنك وما ينبغى أن يكون

---

(١) الوسط من كل شيء أعدله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أى عدلا خيارا ، يقال : هو وسيط فيهم : أى أوسطهم نسباً وأرفعهم محلا . (القاموس المحيط) .

أبوه حياً .قال فابن أخى ، قال فما فعل أبوه ؟ قال هلك وأمه حبلى ، قال فما فعلت أمه ؟ قال توفيت قريباً . قال صدقت ،ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفته ليبغينه بغيا فإن لابن أخيك شأناً عظيما (١) واعلم أنى قد أديت إليك النصيحة . فرجع به أبو طالب بعد ما فرغوا من تجارتهم . وما خرج به سفرا بعد ذلك خوفاً عليه .

(ذكر الحوادث فى سنة أربع عشرة من مولده ﷺ)

منها الفجار الثانى وكان بين هوازن وقريش ، وحضر رسول الله ﷺ وقال (كنت أنبل على أعمامى) يعنى يناولهم النبل . وقد روى أن هذا الحرب (٢) كان ولرسول الله ﷺ عشرون سنة . وإنما سمى الفجار لأن بنى كنانة وهوازن استحلوا الحرم ففجروا . وكان سببه أن النعمان بن المنذر بعث بلطيمة (٣) له إلى سوق عكاظ للتجارة وأجارها له الرجال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب . فنزلوا على ماء يقال له أوارة ، فوثب البراض بن قيس أحد بنى بكر بن مناة بن كنانة وكان حليفاً . فاتكأ على عروة فقتله وهرب إلى خيبر بعد ما استاق العير ، ولقى بشر بن أبى حازم الشاعر المشهور فأخبره الخبر وأمره أن يعلم عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة وحرب بن أمية بالخبر ، فأتى إليهم وأخبرهم فتشاوروا فيما بينهم وقالوا نخشى من قيس أن

---

(١) فى الظاهرية (شأن عظيم) ووقع مثل هذا كثيراً فيها . وفى لغة ربيعة إذا وقعت كلمة منصوبة لا يرسمونها بالالف بل يكتبونها بدون ألف ويضعون فتحتين عليها علامة على أنها منصوبة ويهمل النساخ الفتحتين لظنهم أن الكلمة مرفوعة . وجرى على ذلك بعض المحدثين فكتبوا (سمعت أنس) بغير ألف ويقرءونه بالنصب . ومثل هذا كثير لديهم .

(٢) فى (تاج العروس للزبيدى) : الحرب أنثى ، وقد تذكر ، والأعرف تأنيثها .

(٣) اللطيمة : هى حر الطيب والمتاع مما لا يؤكل . والميرة : لما يؤكل .

يطلبوا ثأر صاحبهم منا فإنهم لايرضون أن يقتلوا به حليفاً من بنى ضمرة ، وكان البراض حليفاً لقريش ، فاتفق رأيهم أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك ابن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنة وهو يومئذ سيد قريش وشريفها فيقولون له إنه كان حدث بين أرض نجد وتهامة وأنه لم يأتنا علمه ، فأتوه وقالوا له ذلك فأجار بين الناس ، وأعلم قومه ماقيل له . ثم قام نفر من قريش فقالوا ياأهل عكاظ إنه قد حدث من قومنا بمكة حادث أتانا خبره ونخشى إن تخلفنا عنه أن يتفاقم الأمر فلا يروعنكم تحملنا . ثم ركبوا على الصعب والذلول إلى مكة . فلما كان آخر اليوم أتى أبا براء الخبر فقال : غدرت قريش وخدعنى حرب بن أمية ، ثم ركب فى طلبهم حتى أدركهم بنخلة فاقتتل القوم وكانت الدائرة لقريش وكنانة على قيس فقتلوهم قتلا ذريعاً ونادى عتبة بن ربيعة يومئذ وهو شاب إلى الصلح فاصطلحوا ، وانصرفت قريش . وقد قال رسول الله ﷺ وذكر الفجار فقال (حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب أنى لم أكن فعلت) .

ومن الحوادث فى (سنة خمس عشرة) من مولده ﷺ قيام قس بن ساعدة الإيادى بسوق عكاظ[1] ، وهى سوق كانوا يبيعون فيها ويشترون ،[2] وكان قس خطيباً بليغاً حكيما . قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما وفد وفد إياد على رسول الله ﷺ قال لهم (مافعل قس بن ساعدة) قالوا مات . قال(كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أورق [3] يتكلم بكلام له حلاوة وما أجدنى أحفظه) فقال رجل من القوم : أنا أحفظه ، سمعته يقول :

أيها الناس احفظوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو

---

(١) مكان بين نخلة والطائف .

(٢) ويعرضون فيها الشعر وينقدونه ، ويبحثون شؤونهم الحربية والعائلية. وهى من أعظم أسواق العرب .

(٣) فى النسختين (أزرق) وهو تصحيف .

آت آت ، ليل داج وسماء ذات أبراج وبحار تزخر ونجوم تزهر ، وضوء وظلام وبر وآثام ، ومطعم ومشرب وملبس ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ، وإله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه وأدرككم أوانه فطوبى لمن أدركه فاتبعه وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر

فقال النبي ﷺ (يرحم الله قساً إنى لأرجو أن يبعثه الله يوم القيامة أمة وحده) فقال رجل : يارسول الله لقد رأيت من قس عجباً ، قال : (ومارأيت) قال بينما أنا بجبل يقال له سمعان فى يوم شديد الحر إذا أنا بقس تحت ظل شجرة عنده عين من ماء وحوله سباع، كلما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال له كف حتى يشرب الذى ورد قبلك ، وإذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ماهذان القبران ؟ قال قبرا أخوين كانا لى ماتا فبنيت بينهما مسجداً أعبد الله تعالى فيه حتى ألحق بهما . ثم بكى وأنشأ يقول :

خليلى هبا طالما قد رقدتما أجدكما ما تقضيان كراكما
ألم تعلما أنى بسمعان مفردا ومالى فيه من أنيس سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالى أو يجيب صداكما
وأبكيكما مادمت حياً وما الذى يرد على ذى لوعة إن بكاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسى أن تكون فداكما
كأنكما والموت أقرب غاية بجسمى فى قبريكما قد أتاكما

وفى (سنة تسع عشرة) من مولده ﷺ كان (حلف الفضول) وحضره رسول الله ﷺ . قال ابن قتيبة : سببه أن قريشاً كانت تتظالم فى الحرم ، فقام عبدالله بن جدعان والزبير بن عبدالمطلب فدعوا إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، فأجابوا وتحالفوا فى دار ابن جدعان . وقال بعض العلماء : سببه أن قيس بن نشبة السلمى باع متاعاً من أبى بن خلف الجمحى فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجل من بنى جمح ، فلم يقم بجواره فقال قيس :

يال قصى كيف هذا فى الحرم   وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم ولا يمنع (١) منى من ظلم

فقام إليه العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه . فاجتمعت قريش فى دار عبد الله بن جدعان ، وتحالفوا على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا منعوه . قال رسول الله ﷺ (لقد شهدت حلفاً فى دار ابن جدعان ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت به لأجبت) فقال قوم من قريش : هذا والله فضل من الحلف ، فسمى (حلف الفضول) .

(ذكر الحوادث التى كانت فى سنة خمس وعشرين من مولد رسول الله ﷺ)

منها خروجه فى تجارة خديجة وتزويجه بها. وذلك أنه لما بلغ من عمره خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عير لهـــا ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك .

وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إليه وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك. فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير ،

(١) زاد فى الظاهرية هنا (اليوم) وهى مقحمة دخيلة . والتصويب من الأحمدية، وبذلك يستقيم الوزن.

وساروا حتى وصلوا بصرى من أرض الشام ، فنزلا فى ظل شجرة فرآه راهب يقال له نسطورا فعرفه بالعلائم وقال لميسرة : هذا والله الذى تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم ، وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر رأى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس فوعى ذلك كله ، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون ورجعوا ، فكان دخولهم إلى مكة ساعة الظهيرة ، وخديجة فى علية لها فرأت رسول الله ﷺ على بعيره وملكان يظلان عليه . ودخل عليها رسول الله ﷺ فخبرها بما ربحوا فسرت بذلك ، ودخل عليها ميسرة فأخبرها بما رأى منه وبما قال له الراهب نسطورا .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة النفس من أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالا . وكل قومها كان حريصاً على نكاحها وطلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلت دسيساً إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يامحمد مامنعك ألا تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما أتزوج به ، قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال : فمن هى ؟ قالت خديجة ، قال وكيف لى بذلك ؟ قالت أنا أفعل ورجعت إليها فأخبرتها فأرسلت إليه أن ائتنى ساعة كذا وكذا . وأرسلت إلى أبيها — وقيل إلى عمها — وأخبرته بالخبر ، وقدم رسول الله ﷺ ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهم من عمومته حتى دخلوا على خويلد بن أسد — وقيل على عمها عمرو بن أسد وأن أباها مات قبل الفجار — فخطبها إليه ، فزوجها منه وهو ابن خمس وعشرين سنة . وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة فولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم ، وهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء والقاسم — وبه كان يكنى — وعبد الله والطاهر والطيب . فأما القاسم والطاهر فهلكوا قبل الإسلام ، وقيل إن عبد الله ولد فى الإسلام هو والطيب . وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه .

وكان الرسول بين خديجة والنبى ﷺ نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية أسلمت يوم الفتح فبرها رسول الله ﷺ وأكرمها . ومنية بالنون الساكنة والياء المثناة من تحتها وهى أمها والله أعلم .

(ذكر هدم قريش الكعبة)

وفى سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة . وكان سبب هدمهم إياها أنها كانت رضمة[1] فوق القامة ، فأرادوا رفعها وسقفها ، وذلك أن نفراً من قريش وغيرها سرقوا كنزها وفيه غزالان من ذهب ، وكانا فى بئر فى جوف الكعبة .

وكان أمر غزالى مكة[2] أن الله تعالى لما أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة ففعلا ذلك ، فأقام إسماعيل بمكة وكان يلى البيت مدة حياته ، وبعده وليه ابنه نابت[3] فلما مات نابت غلبت جرهم[4] على ولاية البيت ، فكان أول من وليه منهم مضاض ثم ولده من بعده ، وبغت جرهم واستحلت حرمة البيت ، وظلموا من دخل مكة حتى قيل إن إساف ونائلة زنيا فى جوف الكعبة فمسخا حجرين ، وكانت خزاعة قد أقامت بتهامة بعد تفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن فأرسل الله تعالى على جرهم الرعاف فأفناهم ، فاجتمعت خزاعة على إجلاء من بقى منهم ، ورئيس

---

(١) الرضمة واحدة الرضم والرضام ، وهى دون الهضاب . وقيل صخور بعضها على بعض ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها فوق بعض بدون ملاط .

(٢) فى الكامل لابن الأثير (غزالى الكعبة) وهو الصواب .

(٣) فى الظاهرية فى الموضعين هنا (ثابت) وهو تصحيف ، على ما فى المراجع والمصادر المشهورة .

(٤) كانت جرهم من حول مكة يومئذ ، على ما فى تاريخ الطبرى وغيره .

خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة فاقتتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث الجرهمى بالهزيمة خرج بغزالى الكعبة والحجر الأسود ، يلتمس التوبة ويقول :

لاهم إن جرهما عبـــادك والناس طرف وهم تلادك
وهم قديمـــاً عمروا بلادك (١)

فلم تقبل توبته ، فدفن غزالى الكعبة ببئر زمزم وطمها ، وخرج بمن بقى من جرهم إلى أرض جهينة(٢) فجاءهم سيل فذهب بهم ، فقال عامر بن الحارث الجرهمى :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلهـــا فأبادنا(٣) صروف الليالى والجدود العواثر

وولى البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة وقومه خزاعة ، ثم ولى البيت بعد خزاعة قريش ، ثم حفر عبد المطلب زمزم وأخرج الغزالين . قال ابن إسحاق : وكان الذى سرق كنز الكعبة دويك مولى لبنى مليح بن خزاعة فقطعت قريش يده .

وكان البحر قد رمى سفينة الى ساحل جدة فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقف الكعبة . وكان بمكة رجل قبطى نجار ، وكانت حية عظيمة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيه مايهدى الى الكعبة ، وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لايدنو منها أحد الا نفخت وكشت وفتحت فاها . فبينما هى

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٢٨٥/٢ . بهم قديماً عمرت بلادك .

(٢) فى النسختين (جنينة) والتصويب من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى سيرة ابن هشام (فأزالنا) وفى تاريخ الطبرى وغيره (فأبادنا) كما فى النسختين من (عيون التواريخ) .

يوما تشرف على جدار الكعبة اذ بعث الله تعالى عليها طائرا فاختطفها فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، وكان ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة ، فلما أرادوا هدمها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجراً من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى موضعه ، فقال : يامعشر قريش لاتدخلوا فى بنائها إلا طيبا ، وقيل إن الوليد بن المغيرة قال هذا (١) . ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأ كم به ، فأخذ المعول فهدم ، وتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا. فأصبح الوليد سالما وغدا الى عمله ، فهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الأساس ثم أفضت (٢) الى حجارة خضر آخذ بعضها ببعض ، فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما ، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها فتركه ثم جمعوا الحجارة لبنائها وبنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه حتى تحالفوا (٣) وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا (لعقة الدم) بذلك فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا فقال أبو أمية ابن المغيرة - وكان أسن قريش - اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب الحرم يقضى بينكم ، فكان أول من دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا به وأخبروه الخبر فقال هلموا الى ثوبا ، فأتى به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا) ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه .

---

(١) رجح ابن جرير الطبرى نسبة هذا القول إلى (أبى وهب) .

(٢) فى الكامل لابن الأثير (ثم أفضوا) وفى تاريخ الطبرى (فأفضوا) .

(٣) فى الأحدية (تخالفوا) وهو تصحيف .

(ذكر الوقت الذى أرسل فيه رسول الله ﷺ)

بعث الله نبيه محمداً ﷺ لعشرين سنة مضت من ملك كسرى ابرويز بن هرمز بن أنو شروان ، وكان على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى عامل للفرس على العرب .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث النبى ﷺ وأنزل عليه الوحى وهو ابن أربعين سنــــة ، وقيل ابن ثلاث وأربعين ، وكان يوم الاثنين بلا خلاف لثمانى عشرة ليلة خلت من رمضان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يظهر له جبريل عليه السلام يرى ويعاين آثار من يريد الله عز وجل إكرامه بفضله ، من ذلك أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه ، فكان يلتفت يميناً وشمالا فلا يرى أحدا . وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بزمانه . قال عامر بن ربيعة سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : إنا لننتظر نبيا من ولد اسماعيل ثم من ولد عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه . وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى ، فان طالت بك حياة ورأيته فأقرئه منى السلام ، وسأخبرك بنعته حتى لا يخفى عليك . قلت له هلم ، قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله ولا تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ؛ واسمه أحمد ؛ وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه ويهاجر الى يثرب فيظهر بها أمره ، فاياك أن تخدع (١) عنه فانى طفت البلاد كلها لطلب دين ابراهيم فكل من أسأل عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقول : هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك.

قال عامر : فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد وأقرأته منه السلام ، فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه وقال (لقد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا) .

---

(١) فى النسختين (تخرج) بدل (تخدع) والصحيح من تاريخ الرسل والملوك للطبرى والكامل لابن الأثير .

وقال جبير بن مطعم : كنا جلوسا عند صنم قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر ، فنحرنا جزورا فاذا بصائح يصيح من جوف الصنم « اسمعوا الى العجب ذهب استراق الوحى ويرمى بالشهب لنبى بمكة اسمه أحمد ؛ مهاجره الى يثرب » قال فأمسكنا وعجبنا وخرج رسول ﷺ .

والأخبار عن دلائل نبوته كثيرة ، وقد صنف العلماء فى ذلك كتبا كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة وليس هذا موضع ذكرها[1] .

(ذكر ابتداء الوحى إلى النبى ﷺ)

قالت عائشة رضى الله عنها : كان أول ما ابتدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ، فكانت تجيء كفلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يجاور بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فجئه[2] الوحى فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يامحمد أنت رسول الله ، قال رسول الله فجثوت لركبتى ، ثم رجعت فدخلت على خديجة فقلت : زملونى زملونى ، ثم ذهب عنى الروع ، فأتانى فقال يا محمد أنت رسول الله ، قال فلقد هممت أن أطرح نفسى من شاهق فتبدى لى حين هممت بذلك فقال : يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله ، ثم قال اقرأ ، قلت : (وما أقرأ) قال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق)[3] فقرأت فأتيت خديجة فقلت (لقد أشفقت على نفسى) وأخبرتها خبرى ، فقالت لى : أبشر فو الله لايخزيك الله تعالى أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت

---

(١) هذا من قول ابن الأثير فى (الكامل) .

(٢) فجىء كسمع ومنع ، والأول أفصح . على ما فى (تاج العروس للزبيدى) .

(٣) سورة العلق ، الآية ١ .

بى إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران ، ليتنى كنت حياً حين يخرجك قومك ، قلت أمخرجى هم ؟ قال : نعم إنه لم يجىء أحد بمثل ماجئت به إلا عودى : ولئن أدركنى يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً .

ثم كان أول ما أنزل عليه من القرآن بعد (اقرأ)[1] (ن والقلم وما يسطرون)[2] و(يا أيها المدثر[3]) و (والضحى)[4] .

وقالت خديجة لرسول الله ﷺ فيما تثبته مما أكرمه الله به من نبوته يابن عم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاء ؟ قال نعم ، فجاءه جبريل فأعلمها فقالت : قم فاجلس على فخذى اليسرى ، فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها فقالت : هل تراه ؟ قال نعم ، فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ فى حجرها ثم قالت هل تراه ؟ قال لا ، قالت يابن عم أثبت وأبشر فوالله إنه الملك وما هو بشيطان .

وقال يحي بن أبى كثير سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن ؟ قال نزلت (يا أيها المدثر) قلت إنهم يقولون (اقرأ باسم ربك) فقال : سألت جابر بن عبد الله فقال ما أحدثك إلا ماحدثنا رسول الله ﷺ : قال (جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فسمعت صوتاً ، فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا، ونظرت عن يسارى فلم أر شيئا ، ونظرت أمامى وخلفى فلم أر شيئا ، فرفعت رأسى فإذا هو ـ يعنى الملك ـ جالس على عرش بين السماء والأرض) هذا حديث صحيح . قال هشام الكلبى : أتى جبريل النبى ﷺ أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ، وكان لرسول الله ﷺ أربعون

(١) سورة العلق ، الآية ١ . (٢) سورة القلم ، الآية ١ .
(٣) سورة المدثر ، الآية ١ . (٤) سورة الضحى، الآية ١ .

سنة : قال الزهرى : فتر الوحى عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً شديداً فجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليتردى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول له : إنك رسول الله حقا ؛ فيسكن لذلك جأشه وترجع نفسه .

فلما أمر الله نبيه عليه السلام أن ينذر قومه عذاب الله على ماهم فيه من عبادة الأصنام دون الله تعالى الذى خلقهم ورزقهم ، وأن يحدث بنعمة ربه عليه وهى النبوة .

فكان أول من آمن به وصدقه خديجة بنت خويلد زوجته ، قال الواقدى : أجمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة صدقه خديجة .

ثم أول شىء فرض الله عليه من شرائع الإسلام بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان الصلاة : أتاه جبريل عليه السلام وهو بأعلى مكة فهمز [١] بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت فيه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ﷺ ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ؛ ثم توضأ رسول الله ﷺ ، ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبى بصلاته ، فانصرف جبريل ، وجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة فعلمها الوضوء ثم صلى بها فصلت بصلاته .

(ذكر المعراج)

اختلف الناس فى وقت المعراج فقيل كان قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بسنة واحدة ، واختلفوا فى الموضع الذى أسرى برسول الله ﷺ منه ، فقيل كان نائما فى المسجد فى الحجر فأسرى به منه ، وقيل كان نائماً [٢] فى بيت ام هانىء بنت أبى طالب . وقد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة قالوا : قال رسول الله ﷺ أتانى جبريل عليه السلام ومعه البراق وهى دابة فوق الحمار ودون البغل ، ثم مثل البرق خطوه عند منتهى

(١) الهمز : النخس والغمز . وهذه الكلمة محرفة فى الأحمدية .
(٢) (نائماً) مستدركة من تاريخ الكامل لابن الأثير .

طرفه فقال اركب، فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب [١] فقال جبريل عليه السلام : يابراق ما ركبك نبى أكرم على الله من محمد ، فانصب عرقا وأنخفض لى حتى ركبته ، وسار بى جبريل نحو المسجد الأقصى فأتيت باناءين أحدهما لبن والآخر خمر ، فقيل لى اختر أحدهما فأخذت اللبن فشربته فقيل لى أصبت الفطرة أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك ، ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال لى : هذه طيبة وإليها المهاجرة ، ثم سرنا فقال لى انزل فصل ، فنزلت فصليت فقال : [هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى عليه السلام ، ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا [٢]] بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم سرنا حتى أتينا البيت المقدس ، فلما انتهينا إلى باب المسجد أنزلنى جبريل وربط البراق بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء عليهم السلام ، فلما دخلت المسجد إذا انا بالأنبياء — احيوا له وقيل بأرواح الأنبياء — الذين بعثهم الله قبلى فسلموا على فقلت : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال :إخوانك من الأنبياء زعمت قريش ان لله شريكا ، وزعمت النصارى أن لله ولداً سل هؤلاء النبيين [٣] هل كان لله عز وجل شريك أو ولد فذلك قوله تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) [٤] فأقروا بالوحدانية لله تعالى ،ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين ، ثم انطلق بى جبريل إلى الصخرة فصعد [٥] بى عليها فإذا معراج إلى السماء لا ينظر الناظرون إلى شىء أحسن منه ، ومنه تعرج الملائكة ، أصله فى صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء .

---

(١) فى النسختين (واستضعف) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى النسختين (مثل هؤلاء البنين) والتصحيح من تاريخ ابن الأثير .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٤٥ .

(٥) كسمع . (القاموس المحيط) .

فاحتملني جبريل ووضعني على جناحه وصعد بي الى سماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ؛ قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل أقد بعث ؟ قال نعم ، قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء . ففتح فدخلنا فاذا أنا برجل تام الخلق ؛ عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر الى الباب الذى عن يمينه ضحك واذا نظر الى الباب الذى عن شماله بكى ، فقلت من هذا وما هذان البابان ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، والباب الذى عن يمينه باب الجنة ؛ اذا نظر الى من يدخلها من ذريته ضحك ، والباب الذى عن يساره باب جهنم ، اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن .

ثم صعد بي الى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد بعث ؟ قال : نعم ، قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا بشابين ، قلت يا جبريل من هذان ؟ قال : هذا عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا .

ثم صعد إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء ، فدخلنا فاذا برجل قد فضل الناس بالحسن . قلت : من هذا يا جبريل ؟ : قال هذا أخوك يوسف .

ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد بعث ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به ونعم المجيء جاء ، فدخلنا فإذا أنا برجل ، قلت من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك إدريس رفعه الله مكانا عليا .

ثم صعد بي إلى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل من هـــذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ قيل وقد بعث ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به ونعم المجيء جاء ، فدخلنا فإذا رجل جالس وحوله قوم يقص عليهم ، قلت من هذا ؟ قال هذا هارون والذين حوله بنو اسرائيل .

قال: ثم صعد بى إلى السماء السادسة فاستفتح ؛ قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء ، فدخلنا فاذا برجل جالس ، فلما جاوزناه بكى ، قلت من هذا ؟ قال : موسى ، قلت فمابالك يبكى ؟ قال تزعم بنو اسرائيل أنى أكرم على الله من آدم ، وهـذا رجل من بنى آدم قد خلفنى وراءه .

قال ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح ، قيل من هـذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث ؟ قال نعم : قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء ، فدخلنا فإذا برجل أشمط جالس على كرسى على باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شىء ، فقام الذين فى ألوانهم شىء فاغتسلوا فى نهر وخرجوا وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم . فقلت من هذا ؟ قال أبوك إبراهيم ، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما الذين فى ألوانهم شىء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وتابوا فتاب الله عليهم . وإذا إبراهيم مستند إلى بيت ، فقال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لايعودون إليه .

وأخذنى جبريل فانتهينا إلى سدرة المنتهى وإذا نبقها مثل قلال هجر (١) يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران ، فأما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (٢) قال : وغشيها من نور الله تعالى ماغشيها فقال جبريل : تقدم يامحمد فتقدمت وجبريل معى إلى حجاب ، فأخذنى الملك وتخلف عنى جبريل ، فقلت إلى أين ؟ فقال (ومامنا إلا له مقام معلوم) وهذا منتهى الخلائق. فلم أزل كذلك حتى وصلت إلى العرش ، فاتضع كل شىء

(١) بفتح الهاء والجيم : قرية قريبة من المدينة ، وكانت تعمل بها القلال ، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ، سميت قلة لأنها تقل أى ترفع وتحمل ، على مافى النهاية فى غريب الحديث .

(٢) هذا مجاز مشهور وتشبيه .

عند العرش ، وكل لسانى من هيبة الرحمن ، ثم أطلق [1] الله تعالى لسانى فقلت : (التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله) .

وفرض الله تعالى على وعلى أمتى فى كل يوم وليلة خمسين صلاة ، ورجعت إلى جبريل فأخذنى وأدخلنى الجنة فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يجرى [2] على رضراض من الدر والياقوت والمسك ، فقال : هـذا هو الكوثر الذى أعطاك ربك .

ثم عرض على النار فنظرت فى أغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربهـا ومافيها من العذاب . ثم أخرجنى حتى أتينا على موسى عليه السلام فقال : ماذا فرض عليك وعلى أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، فقال إنى قد بلوت بنى إسرائيل وعالجتهم أشد معالجة على أقل من هـــذا فلم يفعلوا ، إرجع إلى ربك فسله التخفيف ، فرجعت إلى ربى وسألته ، فخفف عنى عشرا فرجعت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع وسل التخفيف ، فرجعت فخفف عنى عشرا . فلم أزل بين ربى وموسى حتى جعلها خمسا . فقال ارجع ، فقلت إنى قد استحييت من ربى وما أنا براجع ، فنوديت : (إنى فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة والخمس بخمسين وقد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) [3] .

ثم انحدرت أنا وجبريل إلى مضجعى وكان كل ذلك فى بعض ليلة . فلمـا أصبح علم أن الناس لايصدقونه ، فقعد فى الحرم مغموما ، فمر به أبو جهل فقال له كالمستهزىء : هل استفدت الليلة شيئا ؟ قال نعم ، أسرى بى الليلة إلى البيت المقدس ، قال ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قال نعم ؛ فقال أبو جهل : يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا ؛ فأقبلوا فحدثهم النبى ﷺ ؛ فمن بين مصدق

(١) هذا مافى النسختين ، وفى تاريخ ابن الأثير : (أنطق) .
(٢) (يجرى) استدركتها من تاريخ الكامل لابن الأثير .
(٣) أخرجاه فى الصحيحين ،

ومكذب واضع يده على رأسه ، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: ان صاحبك يزعم كذا وكذا ، قال ان كان قال ذلك فقد صدق ، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك[١] ، فسمى أبا بكر الصديق من يومئذ رضى الله عنه . قالوا: فانعت لنا المسجد الأقصى ، قال فذهبت أنعت حتى التبس على ، قال فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه فجعلت أنعته . قالوا فأخبرنا عن عيرنا ، قال نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء[٢] وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه . وأخذت قدحا فيه ماء فشربته . فسلوهم عن ذلك ، ومررت بعير بنى فلان ، وفلان وفلان راكبان قعوداً فنفر قعودهما منى فسقط فلان فانكسرت يده ، فسلوهما . ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق[٣] عليه غرارتان تطلع عليكم مع طلوع الشمس . فخرجوا إلى الثنية وجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه إذ قال قائل : هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر : هذه العير قد أقبلت يقدمها بعير أورق كما قال . قال فقالوا إن هذا إلا سحر مبين .

﴿ ذكر الاختلاف فى أول من أسلم ﴾

اختلف العلماء فى أول من أسلم مع الاتفاق أن خديجة أول خلق الله إسلاما . وقال قوم : أول ذكراً من على ، روى عن على رضى الله عنه أنه قال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله ﷺ قبل الناس .

وقال ابن عباس : أول من صلى على . وقال عفيف الكندى كنت امرأ تاجراً فقدمت مكة أيام الحج فأتيت العباس ، فبينا نحن عنده ، إذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة فصلى ثم خرجت امرأة فقامت تصلى معه ، ثم خرج غلام

(١) فى تاريخ ابن الأثير زيادة (أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة) .
(٢) بين الحرمين مكة والمدينة .
(٣) أى أسمر .

فقام يصلى معهما . فقلت ياعباس ماهذا الدين ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ابن أخى زعم أن الله تعالى أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة آمنت به ، وهذا الغلام على بن أبى طالب آمن به .

وقال الكلبي: أول من أسلم على وكان عمره تسع سنين .

وقال ابن اسحاق أول من أسلم على وكان عمره إحدى عشرة سنة وكان من نعمة الله عليه أن قريشاً أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس : هلم بنا نخفف من عيال أبى طالب، فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا ، فقال اتركا لى عقيلا واصنعا ماشئتما . فأخذ رسول الله ﷺ عليا وأخذ العباس جعفرا ، فلم يزل على عند النبي ﷺ حتى أرسله الله تعالى فاتبعه ، فكان النبي ﷺ إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلى إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان ، فعثر عليهما أبو طالب فقال : يابن أخى ماهذا الدين ؟ قال دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم عليه السلام ، بعثنى الله تعالى به إلى العباد ، وأنت أحق من دعوته إلى الهدى . قال: لا أستطيع أن أفارق دينى ودين آبائى ولكن والله لا تخلص قريش إليك بشىء تكرهه ماحييت ، فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

وقال أبو طالب لعلى يابنى ماهذا الدين الذى أنت عليه ؟ قال يا أبت آمنت بالله ورسوله . قال أما إنه لا يدعو إلا إلى خير فالزمه .

وقيل أول من أسلم أبو بكر رضى الله عنه . قال الشعبي سألت ابن عباس عن أول من أسلم قال أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
الثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

وقال عمرو بن عبسة[1] : أتيت رسول الله ﷺ بعكاظ فقلت يا محمد من تبعك على هذا الأمر ؟ قال حر وعبد : أبو بكر وبلال [فأسلمت عند ذلك] .

وكان أبو ذر يقول لقد رأيتني ربع الإسلام لم يسلم قبلي إلا النبي وأبو بكر وبلال . وقال ابراهيم النخعي : أبو بكر أول من أسلم .

وقيل أول من أسلم زيد بن حارثة [وقال ابن إسحاق أول ذكر أسلم بعد علي زيد بن حارثة][2] ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ،وكان مألفاً لقومه محبباً فيهم . وكان أعلمهم بأنساب قريش . وكان تاجراً يجتمع إليه قومه فجعل يدعو من يثق به من قومه : فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصلوا ، وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام .

قال الواقدي : وأسلم أبو ذر قالوا رابعاً أو خامساً ، وأسلم عمرو بن عبسة[3] السلمي وأسلم خالد بن سعيد بن العاص وزوجته أمينة[4] بنت خلف بن أسعد ابن عامر بن بياضة .

﴿ ذكر أمر الله تعالى نبيه بإظهار دعوته ﴾

ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر . وكان قبل ذلك في السنين الثلاثة[5] مستتراً بدعوته

---

(١) في الظاهرية (عنبسة)والتصحيح من الأحمدية وخلاصة الخزرجي وغيرهما . و(عبسة) بفتح أوله والموحدة .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية فاستدركته من الأحمدية .

(٣) في الظاهرية (عنيسة) وفي الأحمدية (عنسة) وكلاهما تصحيف .

(٤) في النسختين (هنبة)والتصحيح من الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر والاصابة لابن حجر . وقد صحف اسمها في بعض المصادر .

(٥) عند تقدم المعدود على العدد يجوز التذكير والتأنيث .

لا يظهرها إلا إلى من يشق به ، وكان[1] أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا . فبينما سعد بن أبى وقاص وعمار ابن ياسر وابن مسعود وخباب وسعيد بن زيد يصلون فى شعب ، اطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما فسبوهم وعابوهم فقاتلوهم ، فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جمل فشجه فكان أول دم أريق فى الإسلام فى قول . قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين[2]) خرج رسول الله ﷺ وصعد على الصفا وهتف ياصباحاه ! فاجتمعوا إليه فقال يابنى فلان يابنى فلان يابنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف . فاجتمعوا إليه فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى؟ قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا . قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت (تبت يدا أبى لهب وتب) الى آخر السورة .

قال ثم إن رسول الله ﷺ صدع بأمر الله وبادى قومه بالاسلام ، فلم يبعدوا منه ولم يردوا عليه إلا بعض الرد ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما ذكر ذلك أجمعوا على خلافه الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون ، وحدب عليه عمه أبو طالب ، ومنعه[3] وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله تعالى لايرده شىء ، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ

---

(١) فى النسختين (وكانوا) ويقع مثله كثيراً فى النسختين ، على لغة (أكلوه البراغيث) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .

(٣) فى (أساس البلاغة للزمخشرى) : فلان يمنع الجار : يحميه من أن يضام .

لايعتبهم من شيء يكرهونه وأن أبا طالب قد قام دونه ولم يسلمه لهم مشى رجال من أشرافهم إلى أبي طالب : عتبة وشيبة ابنـا ربيعة وأبو البختري ابن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص ابن وائل السهمي ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وغيرهم فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا[١] فاما أن تكفه عنا واما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب قولا جميلا وردهم ردا رفيقا ، فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ماهو عليه ثم شرى[٢] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا . وأكثرت قريش من ذكر رسول الله ﷺ . وتآمروا فيه فمشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا . وإنا قد اشتهينا أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل . وانا والله لانصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا ، فكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له . ولم يطب نفسا باسلام رسول الله ﷺ وخذلانه . فبعث الى رسول الله ﷺ وأعلمه بما قالوا وقال له : أبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق . فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه وأنه خاذله وقد ضعف عن نصرته . فقال رسول الله ﷺ (ياعماه والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته) ثم بكى رسول الله ﷺ وقام . فلما ولى ناداه أبو طالب فأقبل عليه فقال له : اذهب يابن أخي فقل ما أحببت

---

(١) فى الظاهرية (آراءنا) والتصويب من الأحمدية وتاريخ الكامل لابن الأثير .

(٢) فى الظاهرية (سرى) وهو تصحيف ، على ما فى القاموس المحيط والنسخة الأحمدية .

فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ، فلما علمت قريش أن أبا طالب لايخذله ولا يسلمه وأنه مجمع لعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد فقالوا : يا أبا طالب هذا عمارة ابن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم ، فخذه فاتخذه ولداً وأسلم الينا ابن أخيك الذى سفه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك ، فنقتله فانما رجل برجل ، فقال : والله لبئس ماتسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ، هذا والله لايكون أبدا فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله لقد أنصفك قومك ، فقال ابو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدالك .

فاشتد الأمر عند ذلك وتنابذ القوم ، واشتدت قريش على أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه . ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم . ومنع الله عز وجل رسوله ﷺ بعمه ابى طالب . وقام أبو طالب فى بنى هاشم فدعاهم الى منع رسول الله ﷺ فأجابوا الى ذلك واجتمعوا اليه الا ما كان من أبى لهب .

فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ ومكانه فيهم ليشتد له رأيهم وليحدبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر — فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت[1] أشراف عبد منافها — ففى هاشم أشرافها وقديمها[2]
وإن فخرت يوما فان محمداً — هو المصطفى من سرها وكريمها

---

(١) فى (أساس البلاغة للزمخشرى) : حصل تراب المعدن : ميز الذهب منه وخلصه ، وحصلوا الناس فى الديوان : ميزوا بين شاهدهم وغائبهم وحيهم وميتهم . قال ذو الرمة :

ندى وتكرماً ولباب لب — إذا الأشياء حصلت الرجالا

أى ميزت خيارها من شرارها.

(٢) أنظر الصفحه المقبلة .

(٢) يقول الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون في مؤلفه (محمد صلى الله عليه وسلم من نبعته إلى بعثته):

نظرنا إلى محمد الإنسان يدفع بنا إلى الوراء قليلا لنعرف النبعة التي انشقت عنه ونعرف ماذا كان لمافي شخصيته من أثر وراثي أو أثر اجتماعي. ولسنا نعني دوحته الكبرى (قريشاً) فهذه قد استوفت حظها من البحث، وإنما نعني فرعيها (عبد مناف وزهرة) فعبد مناف غصن من الدوحة القرشية زكا وأينع فأثمر لسيدها عبد المطلب ابنه (عبد الله) وزهرة غصنها الذي زهى ونما فأثمر لوهب سيدها ابنته (آمنة) وهاتان الثمرتان ضمهما القدر المغلف بأسرار الغيب على وساد... فكان منهما (محمد) رسول الرحمة للعالمين. ووقوفنا عند عبد مناف وزهرة لأنهما نقطتان تجمع فيهما كثير من خصائص الأصل، فعبد مناف ورث مجد أبيه (قصي) الذي يعتبر في تاريخ قريش عرق الثرى في إمداد أغصانها بأمجاد المناقب وأصول المكارم، كان قصي أخا زهرة شريف أهل مكة لا ينازع فيها فابتنى (دار الندوة) ولما هلك قصي خلفه على أمر مكة ابنه (عبد مناف). وقد اجتمعت قريش على عبد مناف فاختط لها الرباع بمكة ووطد سلطانها عليها... والتاريخ يذكر لبني عبد مناف خلائق القوة والصلابة والتمجد بالمكارم وحب الشرف والسيادة والبذل ودقة الشعور وسرعة البداهة... ويذكر لبني زهرة الأناة والهدوء ورقة الحاشية وحب الثراء، وهي خصائص كانت طبعاً لأبيهم زهرة بن كلاب. فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انتهت إليه خلاصة ما انطوى عليه بيتا عبد مناف وزهرة من خلائق وطبائع. وأما زهرة الجد الأعلى للسيدة (آمنة) فهو الأخ الأكبر لقصي وقد أقام زهرة بمكة حياته كلها. ولما رجع قصي من بلاد قضاعة تعرف إليه فعرفه، وأدناه، ولم يزل ولده مع ولده لا يفارقونهم، يدخلون معهم في كل حلف ويشاركونهم فيما يقومون به من عمل. فأول حلف عقده بنو عبد مناف (حلف المطيبين) فكان بنو زهرة معهم على بني عبد الدار، حيث أجمع بنو عبد مناف على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم وفضلهم في قومهم. وكان بنو زهرة شركاء بني عبد مناف في نصيبهم عند تجزئة الكعبة لبنائها...

تداعت قريش غثها وسمينها … علينا ولم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة … إذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة … ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما … بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وكان ذا سن فيهم — وقد حضر الموسم فقال لهم : يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال : والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا فنقول مجنون ، قال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، وما هو بالشعر ، قالوا فنقول ساحر ، قال : ماهو بساحر ؛ لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولاعقده ، قالوا فما تقول يا أبا عبد شمس؟ فقال : والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لعذق [1] وإن فرعه لجنى ؛ وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ؛ وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لايمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة

(١) أى طيب . وفى رواية (لغدق) وهى أصح (عيون الاثر) .

(ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا) [١] إلى قوله تعالى (انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) [٢] قال وجعل [٣] أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره فى بلاد العرب ، قال ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم وأغروا به سفاهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لايستخفى به ، يبادلهم مايكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم .

قال ابن هشام حدثنى بعض أهل العلم قال : أشد مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ؛ فرجع إلى منزله مغموما ؛ فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر قم فأنذر) [٤] فخرج عليهم ؛ فلما رأوه وثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول (كذا وكذا) لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله ﷺ (نعم أنا الذى أقول ذلك) فتقدم رجل منهم فأخذ بمجمع ردائه ؛ فقام أبو بكر دونه وهو يقول ويبكى (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) ثم انصرفوا عنه ؛ ورجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوا بلحيته ؛ وكان رجلا كثير الشعر .

---

(١) سورة المدثر ، الآية ١١ .

(٢) فى النسختين نقص فى الآيات ، إستدركته من المصحف .

(٣) فى النسختين (وجعلوا) .

(٤) سورة المدثر ، الآية ١ :

﴿ إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ﴾

قال ابن اسحاق : حدثنى رجل من أسلم أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فـآذاه ، وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، ومولاة لعبـد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش عنـد الـكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبـل متوشحاً بقوسه راجعاً من قنص[١] له ، وكان صاحب قنص ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالـكعبة ، وكان لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى فى قريش وأشـده شـكيمة فلمـا مر بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام ، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منـه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

فاحتمل حمزة الغضب لمـا أراد الله تعالى من كرامتـه . فخرج يسعى فلم يقف على أحد ، معداً لأبى جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل الحرم نظر إليه جالساً فى القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ويلك وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت ، فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيـه سـباً قبيحا . وتم حمزة على إسلامه .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع ، فـكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ، وكان عتبة بن ربيعة سيداً من سادات قريش ،

---

(١) القنص : للصيد . وضبطة فى لسان العرب وغيره بفتح النون وسكونها .

فقال يوما وهو جالس فى نادى قريش والنبى ﷺ جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يابن أخى انك منا حيث علمت من المكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، فاسمع منى ما أعرض عليك ، فقال له رسول الله ﷺ :(قل يا أبا الوليد أسمع) قال يابن أخى ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا[1] تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك[2] الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال (أفرغت يا أبا الوليد) قال نعم، قال (فاسمع منى) قال أفعل ، قال (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)[3] ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد وقال : (أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانك وذاك) .

فقام عتبة إلى أصحابه فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائى انى سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ماهو بالسحر ولا

---

(١) فى الظاهرية (له) .
(٢) يقال للتابع من الجن رئى .
(٣) سورة فصلت . الآيات ١ — ٣ .

بالشعر ولا الكهانة ، يامعشر قريش أطيعونى وخلوا بين هـذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منـه نبأ عظيم ؛ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ؛ وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هـذا رأيى فيـه فاصنعوا مابدا لـكم . فقال أبو جهل : يامعشر قريش انى عاهدت الله لأجلسن له عند الحجر ، فاذا سجد فى صلاته فضخت رأسه بحجر ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، وليصنع بى بنو عبد مناف مابدالهم ، قالوا : والله مانسلمك لشىء أبدا ، فامض لما تريد ، فلما أصبح أخـــذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغـدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكـة وقبلته إلى الشام ، فـكان إذا صلى صلى بين الركنين الركن اليمانى والركن الأسود ، وجعل القبلة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلى ، وقد غـدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قـد يبست يداه على الحجر[1] حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليـه رجال قريش فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ماقلت لـكم البارحة ؛ فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى .

(ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين)

وهم قوم سبقوا إلى الإسلام ، لا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمتنعون بها ، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم تصل الكفار منه إلى مايريدون .

---

(١) فى الأحمدية (حجره) .

فمنهم بلال بن رباح الحبشي رضى الله عنه مولى أمية بن خلف ، وكان أبوه من سبى الحبش ، وأمه حمامة أيضا سبية ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقونه فى الرمضاء على ظهره ثم يأمرون بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول له أمية : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب ويقول (أحد أحد) فيقول ورقة بن نوفل لأمية : والله لئن قتلتموه على هذا لأتخذته حنانا[1] فرآه أبو بكر رضى الله عنه يعذب فقال لأمية بن خلف [ألا تتق الله تعالى فى هذا المسكين؟ فقال أنت أفسدته فأنقذه فقال][2] عندى غلام على دينك أجلد من هذا أعطيكه به . قال قد قبلت فأعطاه غلامه وأخذ بلالا فأعتقه فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله .

ومنهم عمار بن ياسر ابو اليقظان العنسى ـ بالنون ـ أسلم عمار هو وأبوه ياسر وأمه سمية ، وكان ياسر حليفاً لبنى مخزوم ، فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الشمس يعذبونهم بحر الرمضاء ، فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : (صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة) فمات ياسر فى العذاب وأغلظت سمية القول لأبى جهل ، فطعنها فى فرجها بحربة فماتت ، فهى أول شهيدة فى الاسلام ، وشددوا العذاب على عمار بالحرتارة وبوضع الصخر على صدره أخرى ، وقالوا لانتركك حتى تسب محمدا وتقول فى اللات والعزى خيرا ، ففعل فتركوه فأتى النبى ﷺ يبكى ، فقال : ماوراءك ؟ قال شر يارسول الله ، كان من الأمر كذا وكذا ، قال (فكيف تجد قلبك) ؟ قال أجده مطمئنا بالايمان فقال (ياعمار إن عادوا فعد) فأنزل الله تعالى (إلا من أكره وقلبه

---

(١) الحنان : الرحمة والعطف . والحنان الرزق والبركة ، أراد لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة من رحمة الله ، على ما فى النهاية لابن الأثير .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

مطمئن بالايمان[1]) شهد عمار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل بصفين مع على رضى الله عنه وعمره نيف وتسعون سنة [2] .

ومنهم خباب بن الأرت ، وكان أبوه سواديا من كسكسر فسباه قوم من ربيعة وحملوه الى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعى حليف بنى زهرة وخباب تميمى وكان إسلامه قديماً قيل سادس ستة ، فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديداً فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء بالرضف وهى الحجارة المحماة بالنار ثم كووا رأسه فلم يجبهم الى شيء مما أرادوا .

ومنهم صهيب بن سنان الرومى ، ولم يكن روميا وانما نسب اليهم لأنهم سبوه وباعوه ، وقيل لأنه كان أحمر اللون ، وهو من النمر بن قاسط ، كان ممن يعذب فى الله تعالى فعذب فى الله عذابا شديدا ، ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله أجمع .

وكان الطفيل أخا عائشة لأمها من المستضعفين يعذب فى الله فلم يرجع عن دينه .

ومنهم أبو فكيهة[3] واسمه أفلح وقيل يسار ، وكان عبداً لصفوان بن أمية الجمحى ، أسلم حين أسلم بلال فأخذه أمية بن خلف وربط فى رجله حبلا وأمر به فجر وألقاه فى الرمضاء ، وقال له سب محمدا ، فأبى فخنقه خنقا شديدا ومعه أخوه أبى بن خلف يقول : زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه مات ثم أفاق فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه.

---

(١) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .

(٢) فى الظاهرية (وسبعون) والتصحيح من (الأعلام الأستاذ الزركلى رحمه الله) والنسخة الأحمدية .

(٣) هنا تقديم وتأخير فى الأحمدية .

ومنهم عامر بن فهيرة ، كان مولداً من الأزد أسود ، وكان مملوكا للطفيل ابن سخبرة[1] وكان قد أسلم فمر به أبو بكر وهو يعذب فاشتراه وأعتقه ، وكان يرعى غنما له .

ومنهم لبيبة[2] جارية بنى مؤمل بن حبيب بن عدى ، أسلمت فكان عمر ابن الخطاب يعذبها حتى يفتر فيدعها ويقول : إنى لم أدعك إلا سآمة ، فتقول كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم زنيرة — بزاى مكسورة ثم نون مشددة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم راء ثم هاء — وكانت لبنى عدى ، وكان عمر يعذبها وقيل كانت لبنى مخزوم ، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت[3] فقال إن اللات والعزى فعلا بك هذا فقالت وما يدرى اللات والعزى ، ولكن هذا فعل رب السماء وهو قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد ، فاشتراها أبو بكر فأعتقها .

ومنهم النهدية مولدة لبنى نهد فصارت لامرأة من بنى عبد الدار فأسلمت فكانت تعذبها وتقول والله لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض أصحاب محمد فابتاعها ابو بكر فأعتقها[4] .

---

(١) فى الأحمدية (شجيرة) وهو تصحيف ، على ما فى تاريخ الطبرى والظاهرية .

(٢) فى بعض المصادر صحف اسمها . والصواب ما فى النص على ما فى الإصابة.

(٣) فى الظاهرية (حتى ماتت) وهو خطأ صححته من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٤) فى الإصابة للحافظ ابن حجر : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة : وهم بلال وعامر بن فهيرة ، وزنيرة وجارية ابنتا المؤمل والنهدية وابنتها ، وأم عبيس .

﴿ ذكر المستهزئين ومن كان شديد الأذى للنبي ﷺ ﴾

وهم جماعة من قريش: فمنهم أبو لهب [١] عبد العزى بن عبد المطلب، كان شديدا على النبي ﷺ عظيم التكذيب له دائم الاذى وكان يطرح العذرة والنتن على باب النبي ﷺ وكان جاره، فكان رسول الله ﷺ يقول: (أي جوار هذا يابني عبد المطلب) فرآه يوما حمزة رضي الله عنه فأخذ العذرة وطرحها على رأس أبي لهب، فجعل ينفضها عن رأسه ويقول: صابىء [٢] أحمق وأقصر عما كان يفعله، مات أبو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة [٣].

ومنهم الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ، وكان من المستهزئين، وكان اذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي ﷺ: أما كلمت اليوم من السماء يامحمد، وما أشبه هذا من القول، فخرج من عند أهله وأصابه السموم فاسود وجهه، فلما عاد اليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيراً حتى مات عطشاً، وقيل إن جبريل عليه السلام أومأ الى رأسه فأصابته الأكلة [فامتلأ قيحا فمات [٤]].

ومنهم الحارث بن قيس بن عدى بن سعد السهمي من بني سهم، كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله ﷺ، وهو ابن العيطلة [٥] وكانت أمه، وكان يأخذ حجرا يعبده، فاذا رأى أحسن منه ترك الأول،

---

(١) وهو عمه ولم يذكر ذلك المؤلف لملاحظة دقيقة.

(٢) في الظاهرية (صاحبي) بدل (صابىء) وهو وهم.

(٣) بثرة تخرج بالبدن فتقتل، على مافي (القاموس المحيط).

(٤) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية، فاستدركته من الأحمدية وتاريخ الكامل لابن الأثير.

(٥) في الظاهرية (الغيطلة) وهو تصحيف.

وعبد الثانى ، وكان يقول : لقد غر محمد أصحابه ، وعدهم أن يحيوا بعدالموت والله مايهلكنا الا الدهر . وفيه نزلت (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)[١] أكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب الماء حتى مات .

ومنهم الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم ، مربرجل من خزاعة يريش نبلا فوطىء على سهم منها فخدشه ثم أومأ جبريل عليه السلام الى ذلك الخدش فانتفض ومات منه وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وأوصى إلى بنيه أن يأخذوا ديته من خزاعة .

ومنهم أمية وأبي ابنا خلف ، وكانا من أشد الناس على النبي ﷺ: جاء أبي الى النبي ﷺ بعظم نخر ففته فى يده وقال: زعمت أن ربك يحيي هذا العظم فنزلت (قال من يحيي العظام وهى رميم)[٢] قتل أبي يوم بدر كافرا . وأما أخوه أمية فقتله النبي ﷺ يوم أحد .

ومنهم عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط أبان بن أبى عمرو بن امية ابن عبد شمس ، كان من أشد الناس اذى لرسول الله ﷺ وعداوة له وللمسلمين عمد الى مكتل فجعل فيه عذرة وألقاه على باب النبى ﷺ ، فبصر به طليب ابن عمير بن وهب بن عبد[٣] بن قصى وأمه أروى بنت عبد المطلب فأخذ المكتل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه ، فشكاه عقبة الى أمه وقال قدصار ابنك ينصر محمدا ، فقالت : ومن اولى به منه ؟ اموالنا وأنفسنا دون محمد ،

---

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٣
(٢) سورة يس ، الآية ٧٨
(٣) فى الظاهرية (عبد الله) وهو وهم صححته من الاحمدية و (جوامع السيرة لا بن حزم) .

أسر عقبة ببدر وقتل صبرا[١] ، قتله عاصم بن ثابت بن ابى الاقلح الأنصارى[٢] فلما اراد قتله قال : يا محمد من للصبية ؟ قال النار ، قتل بالصفراء[٣] وصلب ، وهو اول مصلوب صلب فى الاسلام .

ومنهم أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويعين ابا جهل على اذاه ، قتله حمزة رضى الله عنه يوم بدر .

ومنهم العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات عبدالله ابن رسول الله ﷺ ان محمدا ابتر لا يعيش له ولد ذكر ، فأنزل الله تعالى (ان شانئك هو الابتر)[٤] ركب حمارا له ، فلما صار فى شعب من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ فى رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ، فمات منها بعد هجرة النبى ﷺ وهو ابن خمس وثمانين سنة .

ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ، كان أشد قريش فى تكذيب النبى ﷺ والاذى له ولأصحابه ، وكان ينظر فى كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى ، وكان يقول : انما يأتيكم محمد بأساطير الأولين ، فنزلت فيه عدة آيات ، أسره المقداد يوم بدر فأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه بالاثيل[٥] .

---

(١) فى (الافصاح) : قتل فلان صبرا ، أى حبس حتى قتل . وفى النهاية لابن الأثير : هو أن يمسك شيء من ذوات الروح حيا ثم يرمى بشيء حتى يموت .

(٢) وقيل : قتله على رضى الله عنه على ما فى (جوامع السيرة لابن حزم ١٤٧)

(٣) قرية فوق ينبع مما يلى المدينة ، وهى لجهينة والأنصار ولبنى فهر وتهد . من (كتاب أسماء جبال تهامة لعرام بن الأصبغ السلمى) .

(٤) سورة الكوثر ، الآية ٣

(٥) موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . (معجم البلدان) .

ومنهم أبو جهل بن هشام المخزومى ، وكان أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه ، واسمه عمرو وكنيته أبو الحكم ، وأما أبو جهل فالمسلمون كنوه به ، قتل ببدر ، قتله ابنا عفراء ، وأجهز عليه عبد الله ابن مسعود .

ومنهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله ﷺ ، وكانا يلقيان رسول الله ﷺ فيقولان له : ما وجد الله من يبعثه غيرك ان هاهنا من هو أسن منك وأيسر ؛ فقتل منبه يوم بدر ، قتله على بن أبى طالب ، وأما نبيه فقتله على أيضاً .

ومنهم الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ؛ كان من المستهزئين ، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبى ﷺ وأصحابه ويصفرون بهم ويصفقون ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمى ويثكل ولده ، فجلس فى ظل شجرة فضربه جبريل على وجهه فعمى ، وقتل ابنه زمعة ببدر كافرا ، قتله أبو دجانة ومات والناس يتجهزون إلى أحد وهو يحرض الناس على النبى ﷺ .

ومنهم طعيمة[1] بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويكذبه ؛ أسر ببدر وقتل صبرا .

ومنهم مالك بن الطلالة بن عمرو بن غبشان[2] وكان سفيهاً ؛ فدعا عليه رسول الله ﷺ فأشار جبريل إلى رأسه فامتلأ قيحا فمات .

---

(١) فى النسختين (طعمة) والتصويب من (سيرة ابن هشام) و (جوامع السيرة لا بن حزم) و (طبقات ابن سعد) .

(٢) فى الظاهرية (عنشان) وهو تصحيف ، على ما فى (الاشتقاق لا بن دريد) وغيره .

ومنهم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ؛ وكان شديد العداوة ؛ لقى النبى ﷺ فقال : يا بن أخى بلغنى عنك أمر ولم تكن بكذاب فان صرعتنى علمت أنك صادق — ولم يكن يصرعه احد — فصرعه النبى ﷺ ثلاث مرات ؛ ودعاه إلى الإسلام فقال : لا اسلم حتى تدعو هذه الشجرة فتأتيك ، فقال رسول الله ﷺ للشجرة اقبلى ؛ فأقبلت تخد[1] الأرض ؛ فقال ركانة : ما رأيت سحراً اعظم من هذا مرها فلترجع ؛ فأمرها فعادت . فقال : هذا سحر عظيم .

فهؤلاء أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ؛ ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهما ؛ وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فأسلموا ؛ تركنا ذكرهم لذلك ؛ منهم ابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن ابى امية المخزومى اخو ام سلمة ؛ وابو سفيان صخر بن حرب ؛ والحكم بن ابى العاص وغيرهم ؛ اسلموا يوم فتح مكة[2] .

(ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة)

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله عز وجل وعمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم قال لهم (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجا مما أنتم فيه) فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم ، فكانت أول هجرة فى الإسلام ، فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبى ﷺ معه[3] وأبو حذيفة بن

(١) أى تشق الأرض ، على ما فى (تاج العروس للزبيدى) .
(٢) فى حاشية الأحمدية هنا (بلغ قراءة)
(٣) (معه) ساقطة من الظاهرية .

عتبة بن ربيعة وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو معه ، والزبير بن العوام وتمـام الأحد عشر رجلا ، وأربع نسوة .

وكان مسيرهم فى رجب سنة خمس من النبوة ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا فى شوال ، وكان سبب قدومهم ان النبى ﷺ لمـا رأى مباعدة قومه له[1] شق عليه وتمنى أن يأتيه الله تعـالى بشىء يقاربهم به ، وحدث نفسه بذلك فأنزل الله تعـالى (والنجم إذا هوى)[2] فلما وصل إلى قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومنـاة الثالثة الأخرى)[3] ألقى الشيطان على لسانه لمـا كان يحدث به نفسه فقال : تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهم لترتجى . فلما سمعت ذلك قريش سرهم ، والمسلمون مصدقون رسول الله ﷺ ، لا يتهمونه ولا يظنون به سهواً ولا خطأ ، فلمـا انتهى إلى السجدة سجد ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، إلا الوليـد بن المغيرة فإنه لم يطق السجود[4] لكبره فأخذ كفا من البطحاء[5] فسجد عليها ، ثم تفرق الناس ، وبلغ الخبر من بالحبشة من المسلمين أن قريشاً أسلمت ، فعاد منهم قوم ، وتخلف قوم .

وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره بما قرأ ، فحزن رسول الله ﷺ وخاف ، فأنزل الله تعـالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته)[6] فذهب عنه الحزن والخوف[7] .

---

(١) (له) ساقطة من الظاهرية .
(٢) سورة النجم ، الآية ١
(٣) سورة النجم ، الآية ٢٠
(٤) (السجود) ساقطة من الظاهرية .
(٥) الحصى .
(٦) سورة الحج ، الآية ٥٢
(٧) قصة الغرانيق باطلة موضوعة ، والأحاديث الواردة فيها آحاد ظنية . وهى لا تكفى فى المسائل التى هى من أصول العقائد ، كما جاء فى (مقالات الشيخ يوسف الدجوى) التى أمر بطبعها مولانا الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

واشتدت قريش على المسلمين ، فلما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم أن إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً ، فدخل عثمان فى جوار أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، ودخل أبو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه ، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد ابن المغيرة ، ثم قال: أكون فى ذمة مشرك وذمة الله أعز وأمنع،فأتاه فردعليه جواره ، وكان لبيد بن ربيعة ينشد قوله :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال له عثمان بن مظعون : صدقت .

فقال لبيد :*وكل نعيم لا محالة زائل* فقال : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : يامعشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ، ولا كان السفه من شأنكم ، فأخبروه خبره وخبر دينه ، فقام بعض بنى المغيرة فلطم عين عثمان ، فضحك الوليد شماتة به حيث رد جواره ، وقال لعثمان : ما كان أغناك عن هذا ، فقال: إن عينى الأخرى لمحتاجة إلى مثل ما نال هذه ، فقال : فهل لك أن تعود إلى جوارى ؟ قال : لا أعود إلى جوار غير الله تعالى ، فقام سعد بن أبى وقاص إلى الذى لطم عين عثمان فكسر أنفه ، فكان أول دم أريق فى الإسلام على ما قيل .

وأقام المسلمون بمكة يؤذون ، فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة الثانية[1] ، فخرج جعفر بن أبى طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة ، فكمل بها اثنان وثمانون رجلا ، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو الى الله سراً وجهراً ، فلما رأت قريش أن لاسبيل لها إليـــه رموه بالسحر والكهانة والجنون وأنه شاعر ، ويصدون عنه من خافوا أن يستمع قوله .

(١) يعنى الهجرة الثانية ، وفى تاريخ ابن الأثير (ثانيا) .

(ذكر إرسال قريش إلى النجاشي فى طلب المهاجرين)

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن إليهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة(١) ومعهما هدية إليه وإلى أعيان أصحابه ، فسارا حتى وصلا الحبشة فحملوا إلى النجاشي هديته وإلى أصحابه هداياهم وقالا لهم : إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك ، وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد أرسلنا أشراف قومنا إلى الملك ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فأشيروا عليه أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم ، وخافا إن سمع النجاشي كلام المسلمين ، أن لايسلمهم ، فوعدهما أصحاب النجاشي بالمساعدة على مايريدانه .

ثم حضرا عند النجاشي وأعلماه ماقد قالاه ، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما ، فغضب من ذلك وقال : لا والله لا أسلم قوماً جاءونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان(٢) ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وأن كانا على غير ما يذكران منعتهم وأحسنت جوارهم. ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبى ﷺ فحضروا ، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا فى جاهلية نعبد الأصنام

(١) فى النسختين (عبد الله بن أبى أمية) والتصحيح من جوامع السيرة لابن حزم ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الاسلام للذهبى (الجزء الأول الخاص بالمغازى) .

(٢) وكان النجاشي قد أسلم ولم يقدر على اظهار ذلك خوف الحبشة ، على مافى (جوامع السيرة لابن حزم ٦٣) .

ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله تعالى فينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله تعالى ولانشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام — وعدد عليه أمور الاسلام — فآمنا به وصدقناه وحرمنا ماحرم علينا وحللنا ما حلل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ،واخترناك على من سواك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال : نعم ، فقرأ عليه آيات من (كهيعص)[1] فبكى النجاشى وأساقفته وقال : إن هـذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا والله لا أسلمهم أبدا إليكما ، فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا بما يبيد خضراءهم . فقال عبد الله بن أبى ربيعة — وكان أتقى الرجلين — لاتفعل فإن لهم أرحاما. فلما كان الغد قال عمرو للنجاشى إن هؤلاء يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم النجاشى فسألهم عن قولهم فى المسيح فقال جعفر : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول مريم ، فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال : ماعدا عيسى ما قال هذا[2] فتناخرت بطارقته فقال : وإن نخرتم ، وقال للمسلمين : اذهبوا فأنتم آمنون ، ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم ، وورد هدية

---

(١) أول سورة مريم .
(٢) فى الأحمدية (ماعدا عيسى ماقلت هذا العود) .

قريش وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم ولا أطاع الناس فى حتى أطيعهم فيه . وأقام المسلمون بخير دار عند النجاشى .

فظهر ملك الحبشة ونازع النجاشى فى ملكه، فعظم ذلك عند[١] المسلمين ، وسار النجاشى إليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون الزبير بن العوام ليأتيهم بخبره وهم يدعون له فانطلق ، فاقتتلوا[٢] وظفر النجاشى، فما سر المسلمون بشىء سرورهم بظفره .

ومعنى قول النجاشى « إن الله لم يأخذ منى الرشوة » أن أبا النجاشى لم يكن له ولد غيره ، وكان له عم قد أولد اثنى عشر ولداً ، فقالت الحبشة : لو قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام.وكان أخوه وأولاده يتوارثون الملك دهراً[٣] فقتلوا أباه وملكوا عمه ، ومكثوا على ذلك حينا . وبقى النجاشى عند عمه — وكان عاقلا — فغلب على أمر عمه فخافته[٤] الحبشة أن يقتلهم جزاء لقتل أبيه فقالوا لعمه : إما أن تقتل النجاشى أو تخرجه من بين أظهرنا فقد خفناه ، فأجابهم إلى إخراجه من بلادهم على كره منه ، فخرجوا إلى السوق فباعوه من تاجر بستمائة درهم ، فسار به التاجر فى سفينة ، فلما جاء العشاء هاجت سحابة فأصابت عمه بصاعقة ففزعت الحبشة إلى أولاده فإذا هم لاخير فيهم ، فمرج على الحبشة أمرهم ، فقال بعضهم : والله لايقيم أمركم إلا النجاشى فإن كان لكم بالحبشة رأى فأدركوه ، فخرجوا فى طلبه حتى أدركوه فأخذوه منه وملكوه عليهم ، فجاء التاجر وقال لهم : إما أن تعطونى مالى وإما

(١) فى الأحمدية (على المسلمين) .

(٢) (فاقتتلوا) ساقطة من الظاهرية .

(٣) فى الظاهرية (قهراً) وهو تحريف أو من تصحيف السمع عند الاملاء على الناسخ .

(٤) فى تاريخ ابن الأثير (فخافت الحبشة) .

أن أكلمه ، فقالوا : كلمه ، فقال : أيها الملك ابتعت غلاما بستمائة درهم ثم أخذ الغلام والمال ، فقال النجاشي إما أن تعطوه دراهمه وإما أن يضع غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء ، فأعطوه دراهمه . فهذا معنى قوله ، فكان ذلك أول ما علم من عدله ودينه . ولما مات النجاشي كانوا لايزالون ينظرون (١) على قبره نورا .

(ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه)

ثم أسلم عمر ، وكان رجلا جلدا منيعاً ، أسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكان أصحاب النبي ﷺ لا يقدرون يصلون عند الكعبة حتى أسلم عمر وكان قد أسلم حمزة رضى الله عنهما ، فقوى المسلمون بهما وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ . قالت أم عبد الله بن أبي خيثمة وكانت زوج عامر بن ربيعة (٢) ، قالت إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر إلى بعض حاجته إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف علي ، وكنا نلقى منه البلاء أذى وشدة فقال : أتنطلقون يا أم عبد الله؟ قالت قلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ،قالت فقال :صحبكم الله . ورأيت له رقة وحزنا . قالت فلما عاد عامر أخبرته وقلت : لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا قال : أطمعت في إسلامه ؟ قلت نعم ، قال لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ، لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين ، فهداه الله تعالى فأسلم فصار على الكفار أشد منه على المسلمين .

وكان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانا مسلمين يخفيان إسلامهما من عمر ، وكان نعيم

(١) فى الأحمدية وتاريخ الكامل (يرون) فى موضع (ينظرون) .
(٢) فى الظاهرية (عامر بن أبى ربيعة) وهو وهم .

ابن عبد الله النحام العدوى قد أسلم أيضاً هو ويخفى إسلامه فزعا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يقرئها القرآن. فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد رسول الله ﷺ والمسلمين وهم مجتمعون فى دار الأرقم عند الصفا وعنده من لم يهاجر من المسلمين فى نحو أربعين رجلا، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال إلى أين ياعمر؟ قال: أريد محمداً الذى فرق أمر قريش وعاب دينها فأقتله، فقال نعيم: والله لقد غرتك نفسك! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً، أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم؟ قال: وأى أهلى؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما. فرجع عمر إليهما وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما القرآن، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذها وقد سمع عمر قراءة خباب، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى أسمعها؟ قالا: ما سمعت شيئاً فقال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا، وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت أخته لتفكه منه فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت أخته: نعم والله قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ماشئت. ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم وأنتم تقرءونها حتى أنظر إلى ماجاء به محمد، قالت: إنا نخشاك عليها، فحلف أن[1] يعيدها، قالت — وقد طمعت فى إسلامه — إنك نجس على شركك فلا تمسها، قال عمر: فما عرفت ذل الشرك[2] إلا ذلك اليوم، فقام واغتسل، فأعطته الصحيفة فقرأها وفيها (طه) وكان كاتباً، فلما قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع خباب خرج إليه وقال: ياعمر والله إنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول (اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى الحكم بن هشام) فالله الله ياعمر، فقال عمر عند ذلك:

---

(١) فى الأحمدية (أنه).

(٢) فى الظاهرية (ذلك الشرك) وهو وهم.

فدلني ياخباب على محمد حتى آتيه فأسلم له ، فدله خباب فأخذ سيفه وجاء إلى النبي ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فقام رجل منهم فنظر من بالباب[١] فرآه متوشحا بسيفه فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال حمزة : ائذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن أراد شرآ قتلناه بسيفه ، فنهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه وأخذ بمجمع ردائه ثم جذبه إليه جذبة شديدة وقال : (ما جاء بك ما أراك تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة) فقال عمر : يارسول الله جئت لاؤمن بالله ورسوله ، فكبر رســـول الله ﷺ تكبيرة عرف من فى البيت أن عمر أسلم .

فلما أسلم قال: أى قريش أنقل للحديث ؟ قيل جميل بن معمر الجمحى، فجاءه فأخبره باسلامه ، فمشى إلى الحرم وعمر وراءه وصرخ (يامعشر قريش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ) فيقول عمر من خلفه : كذب ولكنى أسلمت ، فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيا فقعد وهم على رأسه فقال: افعلوا مابدا لكم ، فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلة فقال : ما شأنكم ؟ قالوا صبأ عمر ، قال : رجل اختار لنفسه أمرآ فما تريدون ؟ أترى بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم[٢] هذا ؟ خلوا عن الرجل ، وكان الشيخ العاص بن وائل السهمى .

قال عمر : لما أسلمت أتيت باب أبى جهل بن هشام فضربت عليه بابه فخرج إلى وقال : مرحباً يابن أخى ما جاء بك ؟ قلت . جئت لأخبرك أنى قد أسلمت وآمنت بمحمد وصدقت ماجاء به ، قال فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله وقبح ماجئت به . وقيل فى إسلامه غير هذا والله أعلم .

(١) فى الأحمدية وتاريخ ابن الاثير (من الباب) .

(٢) فى الظاهرية « صاحبكم » وفى الاحمدية والكامل لابن الاثير « صاحبهم » .

﴿ ذكر أمر الصحيفة ﴾

فلما رأت قريش أن الإسلام يفشو ويزيد وأن المسلمين قووا باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة(١) من النجاشى بما يكرهون من أمر المسلمين وأمنهم عنده ائتمروا فى أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لاينكحوا بنى هاشم وبنى المطلب(٢) ولا ينكحوا إليهم ولايبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم ، ولما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب(٣) إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا إليه ، وانعزل أبو لهب ابن عبد المطلب إلى قريش .

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لايصل إلى أحد منهم شىء إلا سرا ، وذكروا أن أبا جهل لقى حكيم بن حزام بن خويلد ومعه قمح يريد به عمته خديجة وهى عند رسول الله ﷺ فى الشعب فتعلق به وقال : والله لاتبرح حتى أفضحك ، فجاء أبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد وقال : مالك وله ؟ عنده طعام لعمته أفتمنعه أن يحمله إليها، خل سبيله ، فأبى أبو جهل ونال منه ، فضربه أبو البخترى بلحى جمل فشجه ووطئه وطأ شديداً ، وحمزة ينظر إليه ، هذا ورسول الله ﷺ يدعو الناس سراً وجهرا ، والوحى متتابع إليه .

---

(١) فى النسختين « أمية » بدل « ربيعة » والتصحيح من « جوامع السيرة لابن حزم » .

(٢) فى النسختين « عبد المطلب » .

(٣) فى الظاهرية « عبد المطلب » والتصحيح من الأحمدية و « جوامع السيرة لابن حزم ٦٤ » .

فبقوا كذلك ثلاث سنين ، وقام فى نقض الصحيفة نفر من قريش ، وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عامر بن لؤى وهو ابن أخى نضلة بن[1] هاشم[2] بن عبد مناف لأمه ، وكان يأتى بالبعير وقد أوقره طعاما ، ليلا ويستقبل به الشعب ويترك خطامه فيدخل الشعب ، ولما رأى ماهم فيه وطول المدة عليهم مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى أخى أم سلمة وكان شديد الغيرة[3] على رسول الله ﷺ وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت ؟ أما إنى أحلف بالله لو كان أخوال أبى الحكم — يعنى أبا جهل — ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه ما أجابك أبداً ، قال : فماذا أصنع ؟ فإنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر لنقضتها ، قال قد وجدت رجلا ، قال من هو ؟ قال أنا ، قال زهير ابغنا ثالثاً ، فذهب إلى مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وقال له : أرأيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سريعاً[4] ، قال فما أصنع ؟ وإنما أنا رجل واحد ، قال قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال أنا ، قال ابغنا ثالثاً ، قال قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال ابغنا رابعاً . فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدى ، قال ابغنا خامساً . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم ، قال وهل على هذا الأمر معين ؟ قال : نعم وسمى له القوم .

---

(١) سقط من النسختين « بن » فاستدركتها من « تاريخ الطبرى (٢/١/٣٤)
(٢) فى النسختين « هشام » والتصحيح من تاريخ الطبرى .
(٣) « الغيرة » ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن الأثير .
(٤) فى سيرة ابن هشام « سراعاً » .

فقصدوا خطم[١] الحجون التي بأعلى مكة ، واجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة ، فقال زهير : أنا أبدؤكم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت ، ثم أقبل على الناس وقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لايبايعون ولايبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى أشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، فقال أبو جهل : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا بها حين كتبت . قال أبو البخترى : صدق زمعة لانرضى ما كتب فيها ، قال المطعم بن عدى : صدقتما وكذب من قال غير ذلك . وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل : هذا أمر قد قضى فيه بليل ، وأبو طالب فى ناحية المسجد ، فقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة أكلتها إلا ما كان من (باسمك اللهم) كانت قريش تستفتح بها كتابها ، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة من بنى عبد الدار فشلت يده .

وقيل فى سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كتبت وعلقت فى الكعبة واعتزل الناس بنى هاشم وبنى[٢] المطلب ، وأقام رسول الله ﷺ وأبو طالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين ، أرسل الله تعالى الأرضة فأكلت ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى ، فجاء جبريل إلى النبى ﷺ وأعلمه بذلك ، فقال النبى ﷺ لعمه أبى طالب ، وكان أبو طالب لايشك فى قوله ، فخرج من الشعب إلى الحرم ، واجتمع الملأ من قريش فقال إن ابن أخى أخبرنى أن الله تعالى أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت مافيها من قطيعة وظلم وتركت اسم الله تعالى ، فأحضروها فإن كان صادقاً علمتم أنكم

---

(١) فى النسختين (حطم) والتصحيح من تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن جرير ومعجم البلدان .

(٢) في النسختين « عبد المطلب » والتصحيح مما سبق آنفا .

ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على الباطل ؛ فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله ﷺ ؛ وقويت نفس أبي طالب واشتدصوته وقال : قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة . فنكسوا رءوسهم ثم قالوا : إنما تأتونا بالسحر والبهتان ، وقام أولئك النفر في نقضها ، كما ذكرنا .

قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة مافيها من الظلم أبياتاً ، منها :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة … متى مايخبر غائب القوم تعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم … وما نقموا من ناطق الخط[1] معرب
فأصبح ماقالوا من الأمر باطلا … ومن يختلق ماليس بالحق يكذب

قال ابن هشام : وخرج أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله ﷺ :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا … وبت كما بات السليم مسهدا
وماذاك من عشق النساء وإنما … تناسيت قبل اليوم خلة مهددا[2]
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن … إذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة … فلله[3] هذا الدهر كيف ترددا
ومازلت أبغى المال مذ أنا يافع … وليداً وكهلا حين شبت وأمردا

(١) في الظاهرية وتاريخ الكامل (الحق) .
(٢) في النسختين (مهتدا) والصحيح من سيرة ابن هشام، ولعل مافي النسختين من تصحيف سمع الناسخ الذي يملي عليه ، و (مهدد) اسم امرأة . وفي سيرة ابن هشام (صحبة مهددا) .
(٣) في النسختين (فبالله) والتصحيح من سيرة ابن هشام .

وأبتذل العيس المراقيل تغتلي مسافة ما بين النجير فصرخدا (١)
ألا أيهذا السائلي أين يممت فإن لها في أهل مكة موعدا
فإن تسألي عني فيارب سائل حفي عن الأعشى به حيث أصعدا (٢)
أجدت برجليها النجاء وراجعت يداها خنافا لينا غير أحردا (٣)
وأما إذا ما أدلجت فترى لها رقيبين جديا ما يغيب فقرقدا (٤)
وفيها إذا ما هجرت عجرفية إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا (٥)
وآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي (محمدا)
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراخي (٦) وتلقى من فواضله ندى
نبيا يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة (محمد) نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

---

(١) العيس : الإبل ، المراقيل : المسرعة ، تغتلي : تتسابق ، النجير : موضع في اليمن ، صرخد : موضع في الجزيرة .

(٢) في الأحمدية (أسعدا) .

(٣) النجاء : السرعة ، الخناف أن تميل بأيديها من النشاط ، من غير حرد ، أي تفعل ذلك من غير اعوجاج في يديها .

(٤) هذا البيت زيادة لم تقع لابن هشام .

(٥) يعني إذا مشت في الهاجرة كان فيها كبر كالحرباء في وقت الزوال يميل بعنقه نحو الشمس ، يصف الناقة بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت ، على ما في الروض الأنف وغيره .

(٦) في الظاهرية وسيرة ابن هشام (ترامى) .

نعمت على أن لا تكون كمثله ... فترصد للموت (١) الذى كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهماً حديداً لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة (٢) كان سرها (٣) ... عليك حراما فانكحن أو تأبدا (٤)
وذو الرحم القربى فلا تقطعنه ... لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذا ضرورة (٥) ... ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنى ، فقال الأعشى : والله مالى فيه من أرب ، قال له يا أبا بصير فإنه يحرم (٦) الخمر ، قال الأعشى : أما هذه فوالله فى النفس منها غلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتية فأسلم (٧) فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله ﷺ .

(١) فى الأحمدية وسيرة ابن هشام (للأمر) بدل (للموت) .

(٢) فى الأحمدية ونسخة من سيره ابن هشام (جارة) .

(٣) فى النسختين (سترها) والتصويب من سيرة ابن هشام .

(٤) أى ابتعد عن النساء وكن عزبا ، اشتق من لفظ الأبد ، على ما فى الروض الأنف وغيره .

(٥) فى الأحمدية ونسخة من سيرة ابن هشام (ذا ضرارة) أى اضطرار .

(٦) هنا نقص سطر فى الأحمدية .

(٧) ينقض السهيلى فى (الروض الأنف) قول ابن هشام هذا ، لأن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة . . .

﴿ ذكر وفاة أبي طالب وخديجة ﴾

(وعرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب)

توفى أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين، بعد خروجهم من الشعب توفى أبوطالب فى شوال ، وعمره بضع وثمانون سنة ، وماتت خديجة قبله بخمسة وثلاثين[1] يوماً ، وقيل كان بينهما خمسة وعشرون يوما ؛ وقيل ثلاثة أيام [2] ، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما ، وقال رسول الله ﷺ (مانالت قريش منى شيئاً أكرهه) [حتى مات أبو طالب ، وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبى طالب][3] إلى مالم يكونوا يصلون إليه فى حياته، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه ، وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلى . وكان رسول الله ﷺ يخرج ذلك ويقول (أى جوار هذا يابنى عبد مناف) ثم يلقيه فى الطريق .

ولما اشتد عليه الأمر خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف يلتمس منهم النصر فلما انتهى إليهم عمد إلى ثلاثة نفر منهم ، وهم يومئذ سادة ثقيف وهم إخوة : عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير ، فدعاهم إلى الله تعالى وكلمهم

---

(١) فى النسختين (ثمانين) بدل (ثلاثين) والتصحيح من تاريخ ابن الاثير وتاريخ الإسلام للذهبى (١٥٢/٢ من الطبعة المحققة الحديثة) ومن إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون للمؤرخ الأديب نور الدين الحلبى ، ومن البداية والنهاية للحافظ ابن كثير . ولعل ماورد فى النسختين هو من تصحيف السمع .

(٢) فى تاريخ الاسلام للذهبى : ذكر أبو عبدالله الحاكم أن موتها كان بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام ، ومثله فى (إنسان العيون) وذهب الإمام البوصيرى فى الهمزية النبوية إلى ذلك وأيده الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية ١٢٢/٣) .

(٣) مابين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركه من الأحمدية وغيرها .

فى نصرته والقيام معه على من خالفه ؛ فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : ما وجد الله من يرسله غيرك، وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبدا ، لئن كنت رسولا كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك . فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خير ثقيف وقال (إذا أبيتم فاكتموا على) وكره أن يبلغ قومه . فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم ، فاجتمعوا عليه وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة — وهو البستان — وهما فيه ورجع السفهاء عنه .

وجلس فى ظل حبلة(١) وقال : (اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك) .

فلما رأى ابنا ربيعة ما لحقه تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً إسمه عداس ، فقالا : خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى ذلك الرجل ، ففعل عداس ، فلما وضعه بين يدى رسول الله ﷺ وضع يده فيه وقال (بسم الله) ثم أكل فقال عداس : والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلدة ، فقال له رسول الله ﷺ (من أى البلاد أنت ومادينك) قال أنا نصرانى من أهل نينوى (٢) فقال رسول الله ﷺ (أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟) قال : ومايدريك مايونس؟ قال رسول الله ﷺ (ذاك أخى كان نبياً وانى نبى)

---

(١) أى كرمة عنب .
(٢) فى الموصل .

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل يديه ورجليه . فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قالا له : ويحك مالك تقبل يديه ورجليه ؟ قال : ما في الأرض خير من هذا الرجل ، قالا له ويحك إن دينك خير من دين هذا الرجل .

فانصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى مكة ، حتى إذا كان في جوف الليل وهو قائم يصلي فمر به نفر من الجن ، وهم سبعة نفر من جن نصيبيين اليمن[1] ، فاستمعوا[2] [إليه ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا] وأجابوا .

وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ لما عاد من ثقيف أرسل إلى المطعم ابن عدي ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه، فأجاره ، وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد فقال أبو جهل :أمجير أم متابع ؟ قال : بل[3] مجير ، قال : قد أجرنا من أجرت ؛ فدخل النبي ﷺ مكة .

ومن الحوادث في هذه السنة :

﴿ تزوج النبي ﷺ بعائشة ﴾

وذلك أنه لما توفيت خديجة جاءته خولة بنت حكيم[4] امرأة عثمان بن مظعون وقالت : يارسول الله ألا تتزوج؟قال :من؟قالت:إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا، قال: من البكر؟قالت :ابنة أحب خلق الله إليك بنت أبي بكر،قال:ومن الثيب؟

(١) هكذا في النسختين وتاريخ الطبري (٣٤٧/٢) وفي تاريخ ابن الأثير (جن نصيبين رائحين إلى اليمن) .

(٢) مابين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية .

(٣) (بل) ساقطة من الظاهرية فقط .

(٤) في الظاهرية (حكم) وهو تحريف .

قالت : سودة بنت زمعة قد آمنت بك قال (فاذهبي فاذكريهما على) فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ، قالت : بماذا ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة ، فلما جاء أبو بكر أعلمته فقال : وهل تصلح له ؟ هي ابنة أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك ، فقال (ارجعي إليه فقولي له أنت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي) فلما قالت له ذلك قال : ادعي لي رسول الله ﷺ ، فدعته فزوجه اياها ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين [١] ثم خرجت خولة فدخلت على سودة فقالت : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ، قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه ، فقالت : وددت ذلك أدخلي على أبي فاذكري له ذلك ـ وكان شيخاً كبيرا [[٢] قد أدركته السن ـ فدخلت عليه] فحييته بتحية الجاهلية فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبدالله أن أخطب عليه سودة ، قال : كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحب ذلك ، قال ادعيها إلى فدعتها فقال : أي بنية هذه تزعم أن محمد بن عبدالله قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم ، أتحبين أن أزوجك هو ؟ قالت نعم ، قال : ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها اياها .

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب فأتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح ، فدعاهم الى الله تعالى وعرض نفسه عليهم .[[٣] فأبوا عليه وأتى كابا إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبدالله فدعاهم الى الله تعالى وعرض نفسه عليهم [٣] فلم يقبلوا ما عرض عليهم] .

---

(١) لا تعجب من هذا ، فان الانس يحصل بها لاسيما في ذلك العصر ، وهو غير عصرنا ، والعرف يختلف باختلاف العصور ، وفي بعض الروايات أنها كانت أكبر من ذلك .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية فقط .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

ثم أتى بنى حنيفة وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم .

ثم أتى بنى عامر فدعاهم إلى الله تعالى وعرض نفسه عليهم ، فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن تابعناك وأظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : (الأمر إلى الله تعالى يضعه حيث شاء) فقال له أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا ظهرت كان الأمر لغيرنا ! ؟ لاحاجة لنا بأمرك .

فلما رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم كبير فأخبروه خبر النبى ﷺ ونسبه ، فوضع الشيخ يده على رأسه وقال : يابنى عامر والله ان قوله لحق ، فأين كان رأيكم عنه .

ولم يزل رسول الله ﷺ يعرض نفسه على كل قادم له اسم وشرف ويدعوه إلى الله تعالى .

وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم إلى الاسلام تبعه عمه أبو لهب فاذا فرغ رسول الله ﷺ من كلامه يقول لهم أبو لهب : يابنى فلان انما يدعوكم هذا إلى أن تسحلوا [1] اللات والعزى من أعناقكم إلى ماجاء به من الضلالة والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

ذكر أول عرض رسول الله ﷺ نفسه على الأنصار واسلامهم

فقدم سويد بن الصامت أخو عمرو بن عوف — بطن من الأوس — مكة حاجا أو معتمرا ، وكان يسمى الكامل لجلده وشعره ونسبه ، وهو القائل :

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى مقالته بالغيب ساءك مايفرى [2]

---

(١) السحل : فى الأصل : القشر والكشط . والمعنى واضح . وفى الأحمدية (تستحلوا) .

(٢) أى ما يقطع فى عرضك .

مقالته كالسحر ماكان شاهداً وبالغيب مأثور(١) على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه نميمة غش تبتري(٢) عقب الظهر
تبين لك العينان ماهو كاتم وما جن ،البغضاء والنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني فخير الموالي من يريش ولا يبري

فتصدى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الاسلام وقرأ عليه القرآن ، فلم يبعد منه وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج يوم بعاث(٣) ، فكان قومه يقولون : قتل وهو مسلم .

وقدم أنس بن رافع مكة مع فتية من بني بعض الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، فأتاهم رسول الله ﷺ وقال (هل لكم في خير مما جئتم له) فدعاهم إلى الله تعالى وللاسلام وقرأ عليهم القرآن ، فقال إياس وكان غلاما حدثا : هذا خير والله مما جئنا له ، فضرب وجهه أنس بن رافع بحفنة من التراب وقال : دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا ، فسكت اياس وقام رسول الله ﷺ ، ولم يلبث إياس أن هلك ، فسمعه قومه يهلل الله ويكبره ويسبحه ويحمده حتى مات، فما يشكون أنه مات مسلما.

ذكر بيعة العقبة الأولى

فلما أراد الله تعالى اظهار دينه وانجاز وعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه نفرا من الأنصار ، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل

---

(١) المأثور : السيف

(٢) تبتري : تقطع . وفي النسختين (تفتري) والتصويب من (شرح سيرة ابن هشام لأبي ذر الخشني) وغيره . وعقب الظهر أي عصبه .

(٣) بعاث بضم الباء : موضع بقرب المدينة ويومه من أيام الأوس والخزرج بين المبعث والهجرة وكان الظفر للأوس . على كما في (تاج العروس للزبيدي)

فبيناهو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج ، فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام .

وكان مما صنع الله تعالى له فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكان أهل يثرب أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم فى بلادهم ، فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه[1] قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله ﷺ ذلك النفر ودعاهم إلى الله تعالى ، قال بعضهم لبعض : تعلموا[2] والله ياقوم إنه النبي الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقكم إليه ، فأجابوه الى مادعاهم بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر مابينهم وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك ، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فان يجمعهم الله تعالى عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدقوا .

وكانوا سبعة نفر من الخزرج : أسعد بن زرارة بن عدس أبو أمامة ، وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ، كلاهما من بنى النجار ، ورافع ابن مالك بن العجلان ، وعامر بن عبد حارثة[3] بن ثعلبة ، كلاهما من بنى زريق وقطبة بن عامر بن حديدة بن سواد[4] من بنى سلمة[5] وعقبة بن عامر بن نابى من بنى غنم ، وجابر بن عبدالله بن رئاب من بنى عبيد . رئاب بكسر الراء وبالياء المعجمة .

فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشافيهم .

---

(١) فى الظاهرية (نقتلكم بـه) والمثبت من الأحمدية وتاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير . (٢) أى اعلموا .

(٣) فى النسختين (عبد بن حارثة) والتصويب من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٤) فى تاريخ الطبرى (بن حديدة بن عمرو بن سواد) . (٥) بكسر اللام .

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلاقوه بالعقبة وهى (العقبة الأولى) وبايعوه بيعة النساء. وهم أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وذكوان بن عبد قيس من بنى زريق، وعبادة بن الصامت من بنى عوف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خزمة [1] وعباس بن عبادة بن نضلة [2] وعقبة ابن عامر [3] وقطبة بن عامر بن حديدة. هؤلاء من الخزرج.

وشهدها من الأوس: أبو الهيثم بن التيهان حليف لبنى عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة حليف لهم.

فلما انصرفوا عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة، فخرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك، فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما فانه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتى كفيتك ذلك، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل اليهما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا عنا، فقال مصعب أو تجلس فتسمع؟ فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم جلس اليهما فكلمه

---

(١) فى النسختين (خرقة) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الاثير وجوامع السيرة لابن حزم.

(٢) فى الظاهرية (فضله) وهو تصحيف صححته من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الاثير وجوامع السيرة لابن حزم.

(٣) فى الظاهرية (هو عتبة) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير.

مصعب بالإسلام وتلا عليه آيات من القرآن ، فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الدين ؟ قال مصعب تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق وتصلى ركعتين ، ففعل ذلك وأسلم . ثم قال لهما : إن ورائى رجلا أن اتبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما ، ثم انصرف إلى سعد وقومه ، فلما نظر اليه سعد قال : أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، وقال له ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا ، وقد سمعت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا لخوفه مما ذكر له ثم خرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد فوقف عليهما وقال لاسعد بن زرارة : لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى ، فقال مصعب : أو تقعد فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته اعتزلناك ؟ فجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن ، وقال لهما : كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الدين ؟ فقالا ما قالا لأسيد ، فأسلم وتطهر ثم عاد إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ، فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا ، قال : فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة .

ورجع مصعب إلى منزل أسعد ولم يزل يدعو إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من بنى أمية ابن زيد ووائل وواقف فانهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت فوقف بهم عن الإسلام ، وكان شاعراً لهم وقائدا يستمعون منه ويطيعونه ؛ فلم يزل على ذلك حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ومضت بدر وأحد والخندق وعاد مصعب إلى مكة .

﴿ ذكر بيعة العقبة الثانية ﴾

ولما فشا الإسلام فى الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين لا يشعر بهم أحد ، فساروا إلى مكة فى الموسم فى ذى الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا اليه[١] وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة ؛ فلما كان الليل خرجوا بعد مضى ثلثه مستخفين يتسللون ؛ حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا ؛ معهم امرأتان : نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت[٢] عمرو بن عدى من بنى سلمة .

وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ؛ وهو كافر أحب أن يتوثق لابن أخيه ، فكان العباس أول من تكلم فقال : يا معشر الخزرج ، وكانت العرب تسمى الاوس والخزرج (الخزرج) إن محمداً منا حيث قد علمتم فى عز ومنعة وقد أبى الا الإنقطاع اليكم ، فان كنتم ترون أنكم تفون له بما وعدتموه ومانعوه فأنتم وذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة، فقالت الأنصار : قد سمعنا ما قلت فتكلم يارسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت .

فتكلم النبى ﷺ وتلا القرآن ورغب فى الإسلام ثم قال (أتمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[٣] فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل

---

(١) فى الأحمدية (به) بدل (اليه) .

(٢) فى النسختين (أم) فى موضع (بنت) والتصحيح من (جوامع السيرة لابن حزم ٨٥) وتاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير .

(٣) أى نساءنا وأهلنا ، كنى عنهن بالأزر ، وقيل : أراد أنفسنا ، وقد يكنى عن النفس بالازار . على ما فى (النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير) .

الحرب . فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها ـ يعنى اليهود ـ فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال (بل الدم الدم الهدم الهدم [1] أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) قال ابن هشام : معنى الهدم: الحرمة أى حرمتى حرمتكم ودمى دمكم.

وقال [رسول الله ﷺ][2] : (أخرجوا لى اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم) فأخرجوهم ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . فأما الخزرج فأبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، وسعد بن الربيع بن عمرو ، وعبد الله ابن رواحة بن امرىء القيس، ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور ابن صخر وعبدالله بن عمرو[3] بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس، وسعد ابن عبادة بن دليم والمنذر بن عمرو بن خنيس .

ومن الأوس: أسيد بن حضير ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وبعضهم يعد أبا الهيثم ابن التيهان ولا يعد رفاعة وسعد بن معاذ .

وقال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم

---

(١) يروى بسكون الدال وفتحها ، فالهدم بفتح الدال : القبر يعنى أنى أقبر حيث تقبرون ؛ وقيل : هو المنزل ، أى منزلكم منزلى كحديثه الآخر (المحيا محياكم والممات مماتكم) أى لا أفارقكم. والهدم بالسكون وبالفتح أيضاً هو إهدار دم القتيل ، والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمى وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمى لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف للعرب يقولون : دمى دمك وهدمى هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . كما فى (النهاية لابن الأثير) ،

(٢) مابين المعقفين استدركته من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى النسختين (عمر) بدل (عمرو) والتصويب من جوامع السيرة لابن حزم .

ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا اسلمتموه ، فمن الآن فهو والله خزى [١] الدنيا والآخرة . وإن كنتم ترون أنكم وافون له نخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا تأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فمالنا بذلك يارسول الله ؟ قال (الجنة) قالوا : أبسط يدك ، فبايعوه . وما قال العباس بن عبادة ذلك إلاليشد عليهم العقد ، وقيل بل قاله ليؤخر الأمر ليحضر عبد الله بن أبي ابن سلول [٢] فيكون أقوى لأمر القوم.

فكان أول من بايعه أبو أمامة أسعدبن زرارة ، وقيل أبو الهيثم بن التيهان ، وقيل البراء بن معرور ، ثم تتابع القوم فبايعوا .

فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة : يا أهل الجباجب[٣] هل لكم فى مذمم والصباة [٤] معه قد اجتمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ (أما والله لأفرغن لك أى عدو الله) ثم قال للقوم (ارفضوا إلى رحالكم) فقال العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنميلن على أهل منى بأسيافنا ، فقال (لم نؤمر بذلك) [٥] فرجعوا .

---

(١) فى الأحمدية (عار) فى مكان (خزى) وفى الهامش (خزى) إشارة إلى نسخة فيها ذلك .

(٢) هو عبدالله بن أبى بن مالك بن الحارث، واشتهر بالنسبة إلى جدته (سلول) فلعل الأصوب أن يقال (عبد الله بن أبى ابن سلول) باثبات ألف (ابن) .

(٣) فى النسختين (الحباحب) وهو تصحيف . والجباجب : أسماء منازل بمنى .

(٤) (الصباة) غير مهموز ، على مافى تاج العروس للزبيدى ، وغيره .

(٥) فى الأحمدية (لم يؤمر لى بذلك) وما ورد فى الظاهرية موافق لما فى (تاريخ الطبرى ٢/٣٦٥) .

فلما أصبحوا جاءهم جلة قريش فقالوا : قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على قتالنا ؛ وإنه والله مامن حي من أحياء العرب أبغض إلينا أن تنشب بيننا وبينهم الحرب منكم ، فحلف من هناك من مشركي الأنصار ما كان من هذا شيء ؛ فلما بايعوه رجعوا إلى المدينة .

وكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول . وقد كانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد جهيد . وهي العقبة الآخرة ، وأما الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة .

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى ، فإن الأولى كانت على بيعة النساء ، وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود .

ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالمهاجرة إلى المدينة ؛ فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم هاجر من بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة [1] ثم عبد الله بن جحش وأخوه وجميع أهله فأغلقت دارهم . وتتابع الصحابة ، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو بن عوف ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لأمهما فقالا له : إن أمك قد نذرت أنها لا تستظل ولا تمتشط ، فرق لها فعاد .

وتتابع الصحابة بالهجرة إلى أن هاجر رسول الله ﷺ .

---

(١) في النسختين (خيثمة) والصحيح من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

﴿ ذكر هجرة النبي ﷺ ﴾

لما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة(١) وهو بمكة ينتظر ما يؤمر به، وتخلف معه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما فلما رأت قريش ذلك حزروا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وتشاوروا فيها، فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد سمعت بخبركم فحضرت وعسى أن لا تعدموا مني رأيا، وكانوا: عتبة وشيبة وأبا سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث ابن عامر والنضر بن الحارث وأبا البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم ابن حزام(٢) وأبا جهل ونبيها ومنبها ابني الحجاج وأمية بن خلف وغيرهم، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا، فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله، فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلا يوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، فقال آخر: نخرجه وننفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنا، فقال الشيخ النجدي: أما ترون حسن حديثه وحلاوة منطقه، لو فعلتم ذلك لنزل على حي من العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم إليكم فيطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم، فقال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى نسيبا، ويعطى كل فتى منهم سيفا

---

(١) (بالهجرة) مضافة من تاريخ (الكامل لابن الاثير)

(٢) هذا قبل إسلامه، ثم أسلم، وكان عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة، وكان ولد في الكعبة، ولم يكن يدخل دار الندوة أحد من قريش لمشورة حتى يبلغ الأربعين إلا حكيم بن حزام فانه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة، من «ثمار القلوب للثعالبي»

ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ، فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل كلها فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ورضوا منا بالعقل[١] .
فقال الشيخ النجدى : الرأى ما قال الرجل ، فتفرقوا على ذلك. فأتى جبريل النبى ﷺ وقال له : لا تبت الليلة على فراشك ؛ فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبوا عليه ، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال لعلى بن أبى طالب (نم على فراشى واتشح ببردى الأخضر ونم فيه فإنه لايخلص[٢] إليك شىء تكرهه ، وأمره أن يؤدى عنه ماعنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات(يس والقرآن الحكيم) إلى قوله (فهم لايبصرون)[٣] ثم انصرف ولم يروه ، فأتاهم آت فقال: ماتنتظرون؟ قالوا محمداً، قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم ولم يترك منكم أحداً إلا جعل على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، فوضعوا أيديهم على رءوسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون علياً نائما عليه برد النبى ﷺ فيقولون إن محمداً لنائم ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على عن الفراش فعرفوه وأنزل الله تعالى فى ذلك (وإذ يمكر بك الذين كفروا)[٤] الآية .

وسأل أولئك الرهط علياً عن رسول الله ﷺ فقال لا أدرى أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه ، ونجى الله تعالى رسوله من مكرهم وأمره بالهجرة ، وأقام علـى رضى الله عنه بمكة يؤدى أمانة رسول الله ﷺ ويفعل ما أمره به .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ لايخطئه أحد طرفى

---

(١) يعنى الدية ، كما هو واضح .

(٢) فى الظاهرية « لايحضر » بدل « لايخلص » التى فى الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) سورة يس، الآية ٩

(٤) سورة الأنفال . الآية ٣٠

النهار أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة وإما عشية ، حتى كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة أتانا بالهاجرة ، فلما رآه أبو بكر قال : ماجاء هذه الساعة إلا لأمر قد حدث ، فلما دخل جلس على السرير فقال (أخرج من عندك) قال : يارسول الله إنما هما ابنتاى ، وما ذاك ؟ قال (إن الله تعالى قد أذن لى فى الخروج) قال أبو بكر : الصحبة يارسول الله ، قال « الصحبة » فبكى أبو بكر من الفرح ، فاستأجرا عبد الله بن أريقط من بنى الدئل بن بكر – وكان مشركا – يدلهما على الطريق. ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ غير أبى بكر وعلى رضى الله عنهما [وآل أبى بكر(١)] فأما على فأمره رسول الله ﷺ أن يتخلف عنه حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده ثم يلحقه .

وخرجا من خوخة فى بيت أبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور فدخلاه(٢) ، وأمر أبو بكر ابنه عبدالله أن يسمع لهما بمكة نهاره ، ثم يأتيهما ليلا

---

(١) مابين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٢) قال الأستاذ محمد جمال الدين (فى مجلة الأزهر ٤٦/١ – المحرم سنة ١٣٩٤):
التخطيط هو المدخل العلمى الصحيح إلى إنجاز الأعمال على أفضل وجه .
والنبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه هو خير أسوة للمسلمين فى التخطيط العلمى ، فقد أخضع لنهجه كل أعماله : موعد الهجرة أخفاه ، وهذا درس فى أهمية السرية ، خرج فى ثلث الليل الأخير إلى منزل سيدنا أبى بكر ، ومنه خرج من فتحة فى ظهره ، ترك فى منزله سيدنا علياً نائماً فى فراشه ، لم يتجه فى سيره شمالا ، وهو الاتجاه الطبيعى من مكة إلى المدينة ، ولم يتجه غرباً سالكاً طريق الساحل ، بل اتجه إلى الجنوب الشرقى ، وهو اتجاه لا يتصور إنسان أن يلجأ إليه مهاجر يستهدف الشمال ، ولا يمكن أن يفكر فيه المشركون ، ولم يستمر فى السير طويلا بل لجأ إلى غار ثور ليحقق مزيداً من تضليل قريش إذا بحثوا عنه فى كل اتجاه . ولقد كان

وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء ، فأقاما في الغار ثلاثا ، وجعلت قريش مائة ناقة لمن يرده عليهم ، وكان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي أثره . فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاهما دليلهما ببعيريهما ، فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما بالثمن فركبه ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فحلت نطاقها فجعلته عصاما[1] وعلقت السفرة به ، وكان يقال لأسماء « ذات النطاقين » لذلك . ثم ركبا وسارا ، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق ، فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر ، فرأوا صخرة طويلة فسوى

= اختياره لمكان الاختباء غاية في التفكير الفذ، فقد اختاره مكاناً وعراً فإنه حتى الآن إذا أراد شاب قوى أن يصعد إلى الغار وجد صعوبة كبيرة ، هذا بينما كان الرسول في الثالثة والخمسين. وكلف عبدالله بن أبي بكر بأن يقوم بدور المخابرات فيتسمع ما تقوله قريش ثم يذهب ليلا ليبلغ الرسول ليتخذ الاجراءات اللازمة، ولم يفته أن عبد الله بن أبي بكر عند عودته إلى مكة سوف يترك آثار أقدامه على الأرض ، لذلك كان عامر بن فهيرة يسير خلفه بغنمه حتى تزيل آثار أقدامه ، واختباء الرسول في الغار ثلاثة أيام يضاعف من الضغط النفسي على قريش حتى يدب اليأس في قلوبهم وتفتر عزائمهم في البحث عنه ، وكان عبد الله بن أريقط غير مسلم وكان دليل الرسول وهو الذي أعد الرواحل ، وهذا غاية في التمويه ، فالذي يتصور أن يتجه النظر إلى صحابي يكون محل ثقة النبي عليه الصلاة والسلام، بل إن أمر الاتصال بعبد الله بن أريقط في شأن الرواحل خضع لتفكير دقيق ، فإنه إذا اتصل به عبد الله بن أبي بكر فقد تستريب في ذلك قريش ، ولكن إذا اتصل به عامر بن فهيرة وهو راع مثله ، ومن طبيعة الراعي أن يتحرك ليقابل راعياً فليس في الأمر أية ريبة ، وطوال الرحلة كان الرسول وصاحبه يسيران الليل كله وينيخان بالنهار. كل ذلك يدل على التخطيط المحكم لتتحقق المهمة بنجاح تام.

(١) العصام : الرباط .

أبو بكر عندها مكانا ليقيل فيه رسول الله ﷺ ويستظل بظلها ، فنام رسول الله ﷺ وحرسه أبو بكر ، حتى رحلوا بعد مازالت الشمس .

وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ الدية ، فتبعهم سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجي ، فلحقهم وهم في أرض صلبة ، فقال أبو بكر : يارسول الله أدركنا الطلب ، قال « لاتحزن إن الله معنا » ودعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان ، فقال : ادع لي يامحمد ليخلصني الله ولك على أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فتخلص ، فتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى ، فقال يامحمد علمت أن هذا من دعائك على فادع لي ولك عهد الله تعالى أن أرد عنك الطلب فدعا له فخلص ، وقرب من النبي ﷺ وقال: يامحمد خذ سهماً من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت ، فقال «لاحاجة لي في إبلك » فلما أراد أن يعود عنه قال « كيف بك ياسراقة إذا سورت بسواري كسرى » فعاد سراقة ، فكان لايلقاه أحد يريد الطلب إلا قال : قد كفيتم ماهاهنا ، ولا يلقى أحداً إلا رده .

قالت أسماء بنت أبي بكر : لما هاجر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا : أين أبوك ؟ قلت: لا أدرى ، فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمة طرح قرطي ، وكان فاحشاً خبيثاً .

ومكثنا ثلاثا لاندرى أين توجه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة[١] والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه ، وهو يقول :

جزى الله رب العرش خير جزائه ﷺ رفيقين حلا[٢] خيمتي أم معبد

---

(١) «مكة» مستدركة من تاريخ «الكامل» والأحمدية .

(٢) في الأحمدية « قالا » من القيلولة .

هما نزلاها بالهدى واغتدوا به(١) فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قال : فلما سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة .

وقدم بهما دليلهما قباء ، فنزل على سعد بن خيثمة وكان عزبا ، وكان ينزل عنده العزاب من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان يقال لبيته : بيت العزاب ، ونزل أبو بكر على خبيب(٢) بن اساف بالسنح ، وقيل نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحارث بن الخزرج .

وأما على رضى الله عنه فإنه لما فرغ من الذى أمره رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى قدم المدينة ، وقد تفطرت قدماه فقال النبى ﷺ « ادعو لى علياً » فقيل : لايقدر أن يمشى ، فأتاه النبى ﷺ فاعتنقه وبكى رحمة له لما بقدميه من الورم ، وتفل على يديه وأمر بهما على قدمى على ، فلم يشتكهما بعد حتى قتل ، ونزل بالمدينة على امرأة لازوج لها فرأى إنساناً يأتيها كل ليلة يعطيها شيئاً ، فاستراب بها فسألها عنه فقالت : هو سهل بن حنيف قد علم أنى(٣) امرأة لازوج لها فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلى ويقول احتطبى بهذه ، فكان على يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته .

وقيل ان علياً نزل مع النبى ﷺ ، وهو الصحيح .

---

(٢) فى الظاهرية « هما نولا بالبر واغتدوا به »

(٣) فى الظاهرية « حبيب » وهو تصحيف صححته من الأحدية وجوامع السيرة لابن حزم ٩٣ .

(٤) فى النسختين « قال عال كل امرأة لازوج لها) وهو خطأ صححته من تاريخ ابن الأثير .

وأقام رسول ﷺ بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس(١) وأسس مسجدهم ، ثم خرج يوم الجمعة ، وقيل أقام عندهم أكثر من ذلك ، والله أعلم.

وأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى ببطن الوادى ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ولد النبى ﷺ يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين .

واختلف العلماء فى مقامه بمكة بعد أن أوحى إليه فقال أنس وابن عباس فى رواية : إنه أقام بمكة عشر سنين ، وقيل أقام ثلاث عشرة سنة ، ولعل الذى قال « عشر سنين » أراد بعد إظهار الدعوة ، فانه بقى ثلاث سنين يسرها ومما يؤيد هذ القول قول أبى قيس بن الأسلت :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

فهذا يدل على أن مقامه ثلاث عشرة سنة .

﴿ ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة ﴾

وذلك أنه (ﷺ) رحل من قباء يريد المدينة ، فركب ناقته وأرخى زمامها فكان لا يمر بدار من دور الأنصار الا قالوا : هلم يارسول الله إلى العدد والعدة ، فيقول « خلوا سبيلها فانها مأمورة » حتى انتهى إلى موضع مسجده

---

(١) «الاثنين» ساقطة من الظاهرية و «الخميس» غير موجودة فى النسختين فاستدركت ذلك من تاريخ ابن الأثير. و « بقباء » مستدركة من تاريخ ابن الأثير وجوامع السيرة لابن حزم ، حيث قال : « وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء أياما . . . »

اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد [١] لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء ، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بنى النجار ، فلما بركت لم ينزل عنها ثم [٢] وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لايثنيها به ، فالتفتت خلفه [٣] ثم رجعت إلى مبركها الأول وبركت فيه ووضعت جرانها ، فنزل عنها رسول الله ﷺ ، واحتمل أبو أيوب الأنصارى رحله ، وسأله رسول الله ﷺ عن المربد فقال معاذ بن عفراء : هو ليتيمين لى وسأرضيهما عن ثمنه ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا وأقام عند أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه .

وقيل إن موضع المسجد كان لبنى النجار فيه نخل وحرث [٤] وقبور المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثامنونى به » فقالوا لانبغى به ثمنا الا ماعند الله ، فأمر فبنى مسجده ، وكان قبله يصلى حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والأنصار .

وفيها بنى مسجد قباء ، وفيها بنى رسول الله ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر ، وقيل بسبعة أشهر ، فى ذى القعدة ، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى ابنة ست سنين [٥] بعد وفاة خديجة .

وفيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج النبى ﷺ ، وبناته ماعدا زينب وهاجرت أيضا عيال أبى بكر ومعهم ابنه عبدالله وطلحة بن عبيدالله .

---

(١) « مربد » مستدركة من تاريخ ابن الأثير . والمربد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٢) « ثم » ساقطة من الظاهرية فاستدركناها من الأحمدية ، وهى موافقة لما فى تاريخ ابن الأثير .

(٣) فى جوامع السيرة لابن حزم ٩٥ « خلفها »

(٤) فى الظاهرية « وخرب » وفى الأحمدية وتاريخ ابن الأثير « وحرث »

(٥) فى تاريخ ابن الأثير : « وقيل ابنة سبع سنين » وقيل أكثر من ذلك .

وفيها ولد عبدالله بن الزبير ، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وكان النعمان بن بشير أول مولود للانصار بعد الهجرة ؛ وقيل ان المختار بن أبى[١] عبيد وزياد ابن أبيه ولدا فيها .

وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض لعمه حمزة فى ثلاثين رجلا من المهاجرين[٢] ليعترضوا عير قريش ؛ فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدى[٣] بن عمرو الجهنى ، وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده[٤] .

وفيها أيضا عقد لواء لعبيدة بن الحارث بن المطلب[٥] وكان أبيض يحمله مسطح بن أثاثة ، فالتقى هو والمشركون ، فكان بينهم الرمى دون المسايفة ؛ وكان معه سعد بن أبى وقاص وكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله[٦] ؛ وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة ، فخرجا مع المشركين يتوصلان[٧] بذلك ، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم ، وكان

---

(١) فى النسختين « المختار بن عبيد » وهو وهم ظاهر .

(٢) «من المهاجرين» مستدركة من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى النسختين «مجرى» والتصحيح من « جوامع السيرة لابن حزم ١٠١ » وتاريخ الطبرى ٢/٤٠٥

(٤) فى « تاريخ الطبرى » راية عبيدة بن الحارث كانت أول راية عقدت فى الاسلام.وسبب الشبهة أن بعثه وبعث حمزة كانا معا.

(٥) فى النسختين « عبد المطلب » والتصحيح من تاريخ الطبرى .

(٦) فى « تاريخ الطبرى ٢/٤٠٤ » أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله .

(٧) أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

على المشركين أبو سفيان بن حرب ؛ وقيل مكرز بن حفص بن الأخيف[1] وقيل عكرمة بن أبى جهل .

وفيها عقد لواء لسعد بن أبى وقاص وسيره الى الحرار(٢)، وكان اللواء يحمله المقداد بن عمرو فلم يلق حربا .

وفيها كانت غزوة بواط : خرج رسول الله ﷺ فى مائتين من أصحابه يريد عير قريش – وقيل كانت فى سنة أثنتين – حتى بلغ بواط من ناحية رضوى وكان فى عير قريش أمية بن خلف الجمحى فى مائة رجل ؛ ومعه ألفان وخمسمائة بعير ؛ فرجع ولم يلق كيدا ؛ وكان يحمل لواء رسول الله ﷺ سعد ابن أبى وقاص ؛ واستخلف على المدينة سعد بن معاذ .

وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله ﷺ ؛ فعرض عليه الاسلام فقال : ما أحسن ماتدعو إليه سأنظر فى أمرى ، فلقيه عبدالله بن أبى ابن سلول المنافق ، فقال كرهت قتال الخزرج ، فقال ؛ لا أسلم إلى سنة ؛ فمات فى ذى القعدة .

﴿ ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ﴾

فيها توفى كلثوم بن هدم بن امرىء القيس الأنصارى ، كان شيخاً كبيراً أسلم قبل نزول رسول الله ﷺ المدينة ، قيل إنه أول من مات من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم يدرك شيئاً من مشاهده .

---

(١) فى النسختين « الأحنف » والتصحيح من تاريخ ابن الأثير حيث قال الأخيف بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها .

(٢) هو قرب الجحفة ، وقيل واد من أودية المدينة ، وقيل غير ذلك

وفيها توفى أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس ، كان عقبيا [١] نقيباً ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وبايع فيهما ، وهو أول من بايع ، أخذته الذبحة [٢] والمسجد يبنى فكواه النبي ﷺ ، ومات فى تلك الأيام ودفن بالبقيع ، وجاءت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ فقالوا : قد مات نقيبنا فنقب لنا ، فقال (أنتم أخوالى وأنا نقيبكم) فكان فضيلة لهم .

وفيها هلك الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمى شيخا قريش مشركين ، قال الشعبي لما حضر الوليد الوفاة جزع فقال له أبو جهل : أتجزع ياعم ، مايجزعك ؟ فقال : والله مابى جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبى كبشة بمكة ، فقال أبو سفيان : ياعم لا تخف ، أنا [٣] ضامن لك أن لا يظهر ، وأبو أحيحة [٤] بن العباس بن أمية بالطائف .

﴿ السنة الثانية من الهجرة ﴾

فى هذه السنة غزا رسول الله ﷺ — فى قول بعض أهل السير — « غزاة الأبواء » ويقال « ودان » واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سعد بن عبادة ، وكان لواؤه أبيض يحمله حمزة بن عبد المطلب ، فوادعه فيها بنو ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وفيها غزا رسول الله ﷺ « غزوة العشيرة » من ينبع فى جمادى الآخرة [٥] يريد قريشا حين ساروا إلى الشام ، فلما وصل العشيرة وادع بنى

---

(١) فى الظاهرية « عقيفا » وهو تحريف
(٢) داء يأخذ فى الحلق ، وربما قتل « تاج العروس »
(٣) فى الأحمدية « أنى » بدل « أنا »
(٤) فى الظاهرية « أبو جيحة » وهو وهم
(٥) هكذا فى النسختين ، وهو موافق لما فى طبقات ابن سعد . وفى تاريخ =

مدلج ورجع ولم يلق كيداً . واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .
وفى هذه الغزاة[١] كنى النبى ﷺ عليا أبا تراب[٢] .

وفيها أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح[٣] المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر[٤] ، وفاته كرز . وكان لواؤه مع على رضى الله عنه ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة .

وفيها بعث النبى ﷺ سعد بن أبى وقاص فى سرية ثمانية رهط ، فرجع ولم يلق كيداً .

﴿ ذكر سرية[٥] عبد الله بن جحش ﴾

أمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز ليغزو ، فتجهز ،

=ابن الأثير وغيره أنها كانت فى جمادى الأولى وفى «الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ١٠٦» أقام هنالك بقية جمادى الاولى وليالى من جمادى الآخرة . ومثله فى «جوامع السيرة ١٠٣» والغزوة إذا أطلقت حملت على ابتدائها دون دوامها على ما فى «مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى ١/١٠»

(١) فى الظاهرية «السنة» بدل «الغـــزاة» وهو سهو صححته من الاحمدية وتاريخ ابن الاثير .

(٢) أنظر طبقات ابن سعد وصحيح الامام البخارى والبداية والنهاية لتحرير سبب هذه الكنية .

(٣) السرح : الماشية

(٤) لذلك يسميها بعضهم «غزوة بدر الأولى»

(٥) اختلفوا فى سبب تسمية «السرية» والذى اصطلح عليه الجمهور : أن كل عسكر حضره النبى عليه الصلاة والسلام سمى «غزوة» ومالم يحضره سمى سرية أوبعثا . وفى هذه السرية سمى عبدالله بن جحش أمير المؤمنين ، على مافى «طبقات ابن سعد ٢/١١»

فلما أراد المسير بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش فى رجب معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وقيل اثنا عشر رجلا ، وكتب له كتاباً وأمره أن لاينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره أحداً من أصحابه ، ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة - بين مكة والطائف - فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم ، فأعلم أصحابه ، فساروا معه حتى أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة[١] بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش بمن معه فنزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وغيره فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان ، فلما رآهم القوم هابوهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا.وقالوا عمار[٢] لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعن منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، وترددوا ثم أجمعوا على قتلهم وأخذ تجارتهم ، فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمى[٣] فقتـــله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين حتى قدموا المدينة ، وعزلوا خمس ما غنموا للنبى ﷺ قبل أن يفرض الخمس ، فقال لهم رسول الله ﷺ « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » فسقط فى أيديهم ، وعنفهم المسلمون ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه[٤]) الآية فلما نزل القرآن[٥] وفرج الله

---

(١) فى الظاهرية وعقبة ، وهو تصحيف صححته من « الدرر لابن عبد البر » وغيره

(٢) أى معتمرون .

(٣) فى تاريخ الطبرى والبداية والنهاية لابن كثير وغيرهما زيادة « بسهم »

(٤) « قل قتال فيه كبير » سورة البقرة . الآية ٢١٧

(٥) يعنى « بهذا الامر » كما فى البداية والنهاية وغيره . وهو واضح

تعالى عن المسلمين قبض رسول الله ﷺ العير ، وكانت أول غنيمة أصابوها وقبل رسول الله ﷺ الفداء فى الاسيرين ، فأما عثمان فمات بمكة كافراً[1] وأما الحكم فأسلم واستشهد يوم بئر معونة .

وفيها صرفت القبلة من الشام إلى الكعبة ، وكان أول مافرضت القبلة إلى البيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة ، وكان يحب استقبال الكعبة ، وكان يصلى بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين البيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك ، وكان يؤثر أن يصرف إلى الكعبة ، فأمره الله تعالى أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة .

وفيها أيضاً فى شعبان فرض صوم شهر رمضان ، وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم .

وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين[2] .

وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وحملت بين يديه العنزة[3] ، وكانت للزبير وهبها له النجاشى[4] .

(١) « كافرا » ساقطة من الظاهرية ، وهو سهو من الناسخ أو المؤلف .

(٢) نص ابن جرير الطبرى فى تاريخه (٢/٤١) وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل يوم الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك . وهو أوضح من نص ابن شاكر المذكور أعلاه . وفى البداية والنهاية لابن كثير مثل نص ابن جرير .

(٣) العنزة بفتح العين والنون : مثل نصف الرمح ، وفيها سنان مثل سنان الرمح ، والعكازة قريب منها « النهاية لابن الاثير » وفى تاريخ الطبرى : (وهى اليوم عند المؤذنين فى المدينة)

(٤) هنا فى حاشية الاحمدية « بلغ قراءة »

﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾

وفيها كانت وقعة بدر الكبرى فى شهر رمضان فى سابع عشره وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمى واقبال أبى سفيان بن حرب فى عير لقريش عظيمة[١] من الشام وفيها أموال كثيرة ، ومعها ثلاثون[٢] رجلا من قريش ، منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمرو بن العاص ، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين اليهم وقال « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليهم لعل الله تعالى أن ينفلكوها » ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً[٣] .

---

(١) «عظيمة» ساقطة من الظاهرية .

(٢) فى النسختين « ثمانون » ، والتصحيح من تاريخ الاسلام للذهبى حيث قال « ثلاثون أو أربعون » ولعل سبب غلط النسختين هو تصحيف السمع من الاملاء .

(٣) هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة ، وفى هذه القاعدة الاولى للاسلام التقى المهاجرون باخوان لهم من الانصار فآووهم ونصروهم .

وقرر الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، أن يفرض الحصار الاقتصادى على قريش الذين أخرجوا المسلمين من مكة المكرمة بغير حق إلا أن يقولوا : « ربنا الله » وكانت الطرق التى تسلكها تجارة قريش شمالا إلى أرض الشام ؛ هى طريق مكة — ساحل البحر الاحمر — تبوك — دمشق ؛ وكانت قريش تعتمد على التجارة ، وكان اعتمادها على هذه الطريق عظيما .

لذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم تهديد هذه الطريق الحيوية وضرب تجارة قريش فى أخطر اتجاهاتها .

وعلم الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بأن قافلة تجارية لقريش بقيادة أبى سفيان بن حرب عائدة من أرض الشام إلى مكة المكرمة ، فخرج بأصحابه

وكان أبو سفيان قد سمع أن النبي ﷺ يريده فحذر واستأجر ضمضم بن

لأسر هذه القافلة ، فاذا أفلتت القافلة من المسلمين ، بقوا في (بدر) حتى يتسامع المشركون بخروج المسلمين وقواتهم ، فيهابوهم ويتركوا لهم حرية لنشر الدعوة لدينهم ، وبذلك ترتفع معنويات المسلمين وتنهار معنويات قريش والمشركين واليهود .

وعلم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته ، فأسرع في مسيره حتى بعدت المسافة بين القافلة وقوات المسلمين ، وبذلك أنقذت القافلة عما كان يحيق بها من أخطار . وحين علمت قريش بتهديد قافلتها قررت الخروج لقتال المسلمين فلم يتخلف من أشرافها غير أبي لهب الذي بعث مكانه رجلا آخر ، كما حشدت قريش القادرين على حمل السلاح كافة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أشد درجات اليقظة والحذر ، لاتغيب عنه حركات قريش ، فأيقن من إفلات القافلة التجارية ، وتأكد من خروج قريش وحلفائها لحربه .

ومع ذلك قرر الاستمرار بحركته حتى يصل إلى موقع «بدر» فلم يكن هدفه الاستيلاء على القافلة التجارية لغرض مادي ، بل كان هدفه غرضا أبعد من ذلك هو فرض الحصار الاقتصادي على قريش ، ولو كان هدفه الاستيلاء على القافلة التجارية فحسب — كما يزعم فريق من المستشرقين — لعاد ادراجه إلى المدينة المنورة سالما دون أن يعرض المسلمين لقتال غير معروف النتائج .

وفي يوم الجمعة المصادف ١٧ رمضان من السنة الثانية الهجرية ، دارت معركة حاسمة بين المسلمين من جهة وبين المشركين من قريش وحلفائها من جهة أخرى فانتصر الحق على الباطل والنور على الظلام .

وتعد هذه المعركة من معارك التاريخ الحاسمة ، لأنها كانت الاختبار العملي للاسلام عقيدة ومنهجا للحياة ، فكان انتصار المسلمين دليلا عمليا على صلاحية هذه العقيدة وحقها في البقاء .

عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة يستنفر قريشا ويخبرهم الخبر ، فخرج ضمضم إلى مكة .

وقد قدر الرسول القائدعليه أفضل الصلاة والسلام خطورة نتائج هذه الغزوة فكان يدعو الله بعد أن أكمل تدابير متطلبات القتال كافة : تدريبا وتسليحا وتعبئة واعدادا ، فقال فى دعائه : (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد فى الأرض) .

بلغ تعداد المسلمين الذين شهدوا غزوة « بدر » خمسة رجال وثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ، وكان معهم فرسان فقط وسبعون بعيرا ، يتعاقب الرجلان والثلاثة والأربعة على البعير الواحد .

وبلغ تعداد المشركين خمسين وتسعمائة رجل ، أكثرهم من قريش ، معهم مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل أمتعتهم، وكانت هذه القوة بقيادة عدد من رجالات قريش .

ولا تقاس أهمية المعارك بعدد الرجال الذين يشهدونها ويباشرون القتال فيها بل تقاس أهمية المعارك بنتائجها .

وقد خرج المسلمون من غزوة « بدر » وهم أقوى مكانة وأعز مكانا وأكثر هيبة مما كانوا عليه قبلها ، إذهابتهم القبائل المعادية وخافهم اليهود وأصبحوا قوة ذات شأن فى المنطقة كلها .

فما هى أسباب انتصار المسلمين ، وما هى الدروس من تلك الأسباب ؟ لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مؤيدا بنصر الله الذى بعثه للناس كافة وأرسله رحمة للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمؤمنين فى كل زمان ومكان ، فما هى الدروس التى يمكن أن يتعلمها المسلمون والعرب فى حاضرهم ومستقبلهم من الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ =

• • • • • • • • • • •

= إن مجمل أسباب النصر خمسة : بناء الرجال أولا ، وقيادة موحدة ثانياً ، وتعبئة جديدة ثالثاً ، وعقيدة راسخة رابعاً ، ومعنويات عالية خامسا وأخيرا .

أما بناء الرجال فقد أصبح العربي المسلم ، يختلف اختلافا جذريا ، عن المشرك في عقيدته وسلوكه ومنهجه ، المسلم يعبد ربا واحدا ، والمشرك يعبد أربابا متفرقين .

والمسلم له عقيدة واضحة محددة ، والمشرك له عقيدة غير واضحة ولا محددة ، أو لا عقيدة له على الاطلاق .

ومنهج المسلم فى الحياة واضح سليم ، وليس للمشرك منهج غير اشباع بطنه واملاء جيبه وتحقيق رغباته .

وكانت مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ، تخرج القادة والولاة والقضاة والدعاة وقادة الفكر وقادة الحرب .

وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم طريقة فذة رائدة فى بناء الرجال : تنمية الخصال الحميدة والمزايا الرفيعة ، واصلاح العادات الفاسدة والقضاء على الاتجاهات الخبيثة .

وفى طريقته هذه ، يشيد بالمزايا ويتغاضى عن العيوب فى محاولة إصلاحها .

وكانت له قابلية فذة فى اختيار العمل المناسب للرجل المناسب ، خضوعا للمصلحة العامة للمسلمين وحدها .

أما القيادة الموحدة ، فهى القادرة على حشد الطاقات المادية والمعنوية للأمة واستعمالها فى المكان والزمان المناسبين .

وبدون القيادة الموحدة ، تصبح تلك الطاقات هباء .

وأما التعبئة الجديدة ، فهى من نتائج التدريب الجيد ، واتقان العلوم العسكرية نظريا وعمليا ، وبذلك تكون الكفايات العسكرية عالية متميزة ، تستطيع ابتكار تعبئة جديدة وأساليب قتالية جديدة . =

. . . .

= والتاريخ العسكرى يحدثنا بأن القادة العظام المنتصرين ، قادوا جيوشهم إلى النصر المبين ، بثلاثة أساليب :

أولا : ابتكار تعبئة جديدة ، لا يعرفها العدو ، ولا يستطيع معالجتها .

ثانيا : استعمال سلاح جديد ، لا يعرف العدو مبلغ تأثيره ، ولا سلاح لديه لمقاومته .

ثالثاً : ابتكار تعبئة جديدة ، واستعمال سلاح جديد ، فى آن واحد .

وهذه الأساليب الثلاثة تجعل مبدأ : « المباغتة » إلى جانب القائد ، وهذا المبدأ هو أهم مبادىء الحرب .

أما العقيدة الراسخة : فهى ضرورية لكل قائد ولكل جندى .

إن الأسلحة الفتاكة المتطورة الحديثة ما استعمل منها وما لم سيستعمل فى المدى القريب أو البعيد ، ليست إلا كتلا صماء من الحديد أو غيره من المعادن ، والذى يستعمل الأسلحة بكفاية ومقدرة هو الإنسان .

إن الإنسان كان ولا يزال وسيبقى هو العنصر الرئيسى الفعال الذى يستخدم الأسلحة المختلفة وهذا الإنسان لا يمكن أن يستعمل تلك الأسلحة كما ينبغى ، ولا يمكن أن يضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، إلا إذا كانت لديه عقيدة يؤمن بها ويضحى من أجلها .

وتعاليم الإسلام فى الحرب تأمر بالشجاعة والاقدام ، وتنهى عن الفرار والتولى ، وتبشر الشهداء بالحياة الخالدة .

فلا بد أن يتمسك المسلمون بدينهم . ليقاتلوا قتال الأبطال ، كما قاتل أسلافهم من قاده الفتح وجنوده .

وأخيرا المعنويات العالية : إنها من سمات الجيش المنتصر ، ولا نصر بغير هذه المعنويات .

إن كل جيش فى كل أمة ، يرتكز على عنصرين أساسيين : العنصر المادى والعنصر =

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب[1] قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث رؤيا أفزعتها، فقصتها على أخيها العباس واستكتمته خبرها، قالت رأيت راكباً على بعير له وقف بالابطح[2] ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر[3] لمصارعكم[4] في ثلاث، قالت: فأرى الناس اجتمعوا إليه فدخل المسجد فمثل بعيره[5] على الكعبة فصرخ مثلها ثم مثل بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخله فلقة منها، فخرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة — وكان صديقه — فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الخبر، فلقي أبو جهل العباس فقال: يا أبا الفضل أقبل علينا، قال العباس: فلما فرغت من طوافي أقبلت إليه فقال لي: متى حدثت فيكم هذه النبية؟ وذكر رؤيا عاتكة، ثم قال: أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم!؟ فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقا وإلا كتبنا عليكم أنكم

المعنوي، العنصر المعنوي هو ٧٥ بالمائة، والعنصر المادي ٢٥ بالمائة، كما يقول نابليون.

وبعد تطور الأسلحة وظهور السلاح الذري والهيدروجيني، أصبح العنصر المادي ٥٠ في المائة والعنصر المعنوي ٥٠ بالمائة أيضا.

فلا بد من المعنويات العالية لاحراز النصر، والدين هو الذي يؤجج تلك المعنويات. (هذا مقال نشر في صحيفة الأهرام بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب)

(١) عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) بين المحصب ومكة، على ما في السيرة الحلبية

(٣) أي يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء

(٤) في النسختين «مضاجعكم»

(٥) في بعض المصادر «مثل به بعيره» و «على الكعبة» ساقطة من الظاهرية.

أكذب[1] أهل بيت فى العرب ، قال العباس : فما كان منى إليه إلا أنى جحدت ذلك وأنكرته ، فلما أمسيت أتانى نساء بنى عبد المطلب وقلن : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك ! قال فقلت : والله كان ذلك فلا تعرضن له فإن عاد كفيتكموه ، قال فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحب أن أدركه ، فرأيته فى المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به ، فخرج نحو باب المسجد يشتد ، قال قلت : ماله قاتله الله أكل هذا فرقا من أن أشاتمه ، وإذا هو قد سمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه[2] وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة[3] أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فشغلنى عنه وشغله عنى[4] .

فتجهز الناس سراعا ، ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبو لهب ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وعزم أمية بن خلف الجمحى على القعود لأنه كان شيخاً ثقيلا بطيئاً ، فأتاه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به وقال : يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء ، فقال : قبحك الله وقبح ماجئت به . وتجهز وخرج معهم ، وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود فقال لأخيه شيبة إن ابن الحنظلية رجل مشؤوم - يعنى أباجهل - وليس له من قرابة محمد مالنا فقال شيبة : أن فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك ، فمشى معهم ، فلما أجمعوا المسير ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة

(١) فى الظاهرية « أكذب بيت » والذى أثبتناه من الأحمدية موافق لما فى المصادر .

(٢) أى قطع أنفه وأذنيه .

(٣) أى أدركوا اللطيمة ، وهى العير التى تحمل الطيب والبز .

(٤) فى السيرة الحلبية: قال العباس: (فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر).

من الحرب ، فخافوا أن يؤتوا من خلفهم ، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة ابن جعشم المدلجى — وكان من أشراف كنانة — وقال أنا جار لكم ، فخرجوا سراعا .

وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقيل كانوا ألف رجل ، وكان خيلهم مائة فرس ، وكان مع المشركين سبعمائة بعير .

وكان مسير رسول الله ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، قيل كانوا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ، وقيل ثمانية وثمانون ، والباقون من الأنصار ، ولم يكن فيهم غير فارسين : أحدهما المقداد بن عمرو الكندى لا خلاف فيه ، والثانى الزبير بن العوام ، وقيل كان مرثد بن أبى مرثد .

وكانت الإبل سبعين بعيرا ، وكانوا يتعاقبون عليها ، البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة ، فكان بين رسول الله ﷺ وعلى وزيد بن حارثة بعير ، وبين أبى بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير ، وعلى مثل هذا ، وكان فرس المقداد اسمه سبحة ، وفرس الزبير اسمه السيل ، وكان لواؤه مع مصعب بن عمير ابن عبد الدار ، ورايته مع على بن أبى طالب ، وعلى الساقة قيس بن أبى صعصعة الأنصارى ، فلما كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء[1] الجهنيين يتجسسان الأخبار عن أبى سفيان ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وترك الصفراء[2] يسارا وعاد إليه بسبس وعدى وأخبراه

---

(١) فى النسختين (الزعباء) وهو تصحيف صححته من تاريخ الطبرى وغيره.

(٢) فى الظاهرية (ونزل الصفراء) وهو تصحيف صوابه فى (البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٦٢) والأحمدية ، وهو المثبت فى النص .

أن العير قد قاربت بدرا ، ولم يكن عند رسول الله ﷺ علم بمسير قريش لمنع عيرهم ، وكان قد بعث عليا والزبير وسعدا يلتمسون له الخبر ببدر ، فأصابوا راوية[١] لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وأبا يسار[٢] غلام بنى العاص ، فأتوا بهما رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى ، فسألوهما فقالوا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فضربوهما ليخبروهما عن أبى سفيان ، فقالا : نحن لأبى سفيان . فتركوهما . وفرغ رسول الله ﷺ من صلاته وقال : (إذا صدقاكم ضربتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا أنهما لقريش أخبرانى أين قريش ؟) قالا وراء هذا الكثيب الذى ترون بالعدوة القصوى[٣] ، فقال رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا كثير ، قال : كم عدتهم ؟ : قالا : لاندرى قال : كم ينحرون كل يوم ؟ : قالا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، قال : القوم بين التسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ : قالا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارس ، وزمعة بن الأسود وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو ابن عبد ود ، فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه وقال : (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) .

---

(١) الابل الحوامل للماء ، يراد بها القوم يستقون الماء .

(٢) فى الظاهرية (ياسر) وهو سهو صححته من (جوامع السيرة لابن حزم ١١٠) و (تاريخ الطبرى ٤٣٦/٢) .

(٣) العدوة : جانب الوادى . والقصوى تأنيث (الاقصى) . والعدوة الدنيا كانت مما يلى المدينة . والقصوى مما يلى مكة . كما فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢١/٨) وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : العدوة : صفة الوادى وشاطئه ، والمراد شاطىء وادى بدر . والعـــدوة القصوى كثيب ، وهى قصوى بالنسبة لموقع بدر للسلمين .

ثم استشار أصحابه ، فقال أبو بكر فأحسن ، ثم قام عمر وقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو وقال : بارسول الله امض لما أمرك الله تعالى فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[١] - يعنى مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فدعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ (أشيروا على أيها الناس) وإنما يريد الأنصار لأنهم كانوا عدد الناس ، وخاف أن لا تكون الأنصار ترى عليه نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة ، وليس عليهم أن يسير بهم ، فقال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال (أجل) قال : قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا ، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق إن استعرضت هذا البحر لخضته لنخوضنه معك ، فسر بنا على بركة الله وعونه ، فسر[٢] رسول الله ﷺ وقال : (أبشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير[٣] والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم) .

ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها . وكان أبو سفيان قدساحل وترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجا ، فلما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش وهم بالجحفة : إن الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، وكان ببدر موسما من مواسم العرب يجتمع بها

---

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٦٤ : (حتى نبلغ البرك من غمدان) وغمدان فى صنعاء .

(٢) فى النسختين (فساد) وفى تاريخ الطبرى ٢/٤٣٥ (فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد) .

(٣) الحــــرب .

سوق كل عام، فقال الأخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة: يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا. فرجعوا ولم يشهد بدرا زهري ولا عدوي وشهدها سائر بطون قريش.

ولما كانت قريش بالجحفة رأى جهيم[1] بن الصلت بن مخرمة بن المطلب ابن عبدمناف رؤيا، فقال إني رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على فرس ومعه بعير له فقال: قتل[2] عتبة وشيبة وأبو جهل، ورأيته ضرب لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء إلا أصابه من دمه، فقال أبو جهل: وهذا أيضاً نبي[3] من بني المطلب[4] سنعلم غدا من المقتول. ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى، وسبق النبي ﷺ إلى ماء بدر، ومنع قريشا من السبق إلى الماء مطر عظيم لم يصب المسلمين منه إلا ما لبد لهم الأرض[5].

فنزل النبي ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فقال الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح: يارسول الله: أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

(١) في الظاهرية (جهم) وهو وهم، على ما في الأحمدية وتاريخ الطبري.

(٢) هنا سقط سطر من الظاهرية، وفي الأحمدية (فأقبل) في موضع (فقال قتل) والتصحيح من (تاريخ الطبري ٤٣٨/٢).

(٣) (نبي) ساقطة من النسختين، فاستدركتها من تاريخ الطبري وغيره

(٤) في النسختين (عبد المطلب) وهو سهو.

(٥) إن المسلمين كانوا حريصين أن يسبقوا المشركين إلى العدوة القصوى لأنها أصلب أرضا، فلما سبق جيش المشركين إليها اغتم المسلمون فلما نزل المسلمون بالعدوة الدنيا أرسل الله المطر، فلبد المطر الأرض ولم يعقهم عن المسير. وأصاب الأرض التي بها قريش فعطلهم عن الرحيل، فلم يبلغوا بدرا إلا بعد أن وصل المسلمون وتخيروا أحسن موقع، وسبقوا إلى الماء واتخذوا حوضا..

(التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ٢٧٩/٩و١٦/١٠)

فقال : (بل هو الرأى والحرب والمكيدة) فقال : يا رسول الله ان هذا ليس لك بمنزل فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماءً فنشرب ولا يشربون ، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من رأيه وفعل ما أشار به ، وأمر بالقلب فغورت وبنى حوضا وملأه ماءً ، وبنى لرسول الله ﷺ عريش يكون فيه ومشى النبي ﷺ على موضع الوقعة فأرى أصحابه مصارع قريش يقول : (هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان) قال فما عدا واحد منهم مصرعه ذلك .

وراود عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام قريشا على الرجوع فأبوا ، وكان الذى صمم على القتال أبا جهل فارتحلوا من الغد قاصدين نحو الماء ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلين قال : (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها[1] وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى) فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ (دعوهم) فما شرب رجل يومئذ إلا قتل إلا حكيم بن حزام ثم إنه أسلم بعد ، وكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجانى يوم بدر .

ثم بعثت قريش عمير بن وهب الجمحى ليحزر المسلمين ، فجال بفرسه حول العسكر ثم رجع فقال : هم ثلاثمائة يزيدون قليلا ، ولكن أمهلونى حتى انظر أللقوم كمين أو مدد ، وضرب فى الوادى فلم ير شيئاً فرجع إليهم وقال : مارأيت شيئا ، ولكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم ، والله ما يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك .

---

(١) فى الظاهرية (بخيلها) والتصحيح من الأحمدية والمراجع المشهورة .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى القوم فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها هل لك أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمى ، قال : قد فعلت ، على ديتـــه وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية — يعنى أبا جهل — فلا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره ، وقام عتبة فى الناس وقال : إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، قتل ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته . قال حكيم : فانطلقت إلى أبى جهل فوجدته قد شد درعا وهو يهيئها ، فأعلمته ما قال عتبة فقال انتفخ والله سحره[1] حين رأى محمدا وأصحابه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى وقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقام عامر وصرخ « واعمراه واعمراه» فحميت الحرب واستوسق الناس[2] على الشر ، ولما بلغ عتبة قول أبى جهل « انتفخ سحره » قال : سيعلم المصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو ، ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته فاعتجر[3] ببرد له ، وخرج الأسود بن عبد الأسد[4] المخزومى وكان سيء الخلق شرسا فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه ، فخرج إليه حمزة رضى الله عنه فضربه فقطع ساقه فوقع إلى الأرض ثم حبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، فتبعه حمزة وضربه حتى قتله .

---

(١) أى رئته ، يقال للجبان (انتفخ سحرك) . كما فى النهاية .
(٢) أى اجتمعوا .
(٣) فى الظاهرية (فاعتجن) وهو تصحيف .
(٤) فى الظاهرية (عبد الأسود) وهو سهو .

فخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة ، كلهم من الأنصار ، فقالوا من أنتم ؟ قالوا : من الأنصار ، فقالوا : أكفاء كرام ما لنا بكم من حاجة ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا ، فقال النبي ﷺ : (قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا على) فقاموا ودنا بعضهم من بعض ، فبارز عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب — وكان أسن القوم — عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما قد أثبت[١] صاحبه. فكر على وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله ، فلما أتوا به رسول الله ﷺ قال : ألست شهيدا يا رسول الله ؟ قال (بلى) قال لو رآنى أبو طالب لعلم أنى أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رحمه الله تعالى .

ثم تزاحف الجمعان ، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال (انضحوهم عنكم بالنبل) وهو صلى الله عليه وسلم فى العريش[٢] معه أبو بكر[٣] وذلك يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر

---

(١) أى جرحه جرحا منعه من الحركة .

(٢) (فى العريش) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) فى (البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٢٧١/٣) : روى البزار فى مسنده من حديث محمد بن عقيل عن على أنه خطبهم فقال : يا أيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين ، فقال: أما انى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، انا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ؟ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا

من رمضان ، ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف بنفسه ورجع إلى العريش وجعل يناشد ربه ويقول : (يارب ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد فى الأرض) وأبو بكر يقول : يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك . ثم خفق ﷺ فانتبه وقال : (أبشر يا أبا بكر أتاك النصر هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع[1] وخرج رسول الله ﷺ وهو يقول :(سيهزم الجمع ويولون الدبر) وحرض المسلمين وقال : (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة) فقال عمير بن الحمام الأنصارى وبيده تمرات يأكلهن : بخ بخ ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل رحمه الله . ورمى مهجع مولى عمر ابن الخطاب بسهم فقتل ثم رمى حارثة بن سراقة[2] الأنصارى فقتل ، وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل ، واقتتل الناس قتالا شديدا ، وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء[3] ورمى بها قريشا وقال : (شاهت الوجوه) وقال لأصحابه (شدوا عليهم) فكانت الهزيمة .

= منا أحد إلا أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس ، قال : ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، فهذا يجاهده وهذا يتلتله ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلها واحدا . فوالله مادنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجاهد هذا ويتلتل هذا وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فسكت القوم فقال على : فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه .

(١) الغبار . (٢) أم حارثة هذا هى (الربيع بنت النضر) كما فى الترمذى ووقع فى البخارى وجامع الأصول (أم الربيع بنت البراء) وهو خطأ . أنظر فتح البارى و (جامع الأصول طبعة دمشق ٩/١٠٠) .

(٣) الحصى الصغار . وفى بعض المراجع (التراب) فى موضع الحصباء : .

فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر .

وكان رسول الله ﷺ فى العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحا بالسيف فى نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرة(١) العدو ، وكان أول من لقى أبا جهل معاذ ابن عمرو بن الجموح وقريش محيطة به ، قال معاذ : فجعلته من شأنى ، فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه(٢) بنصف ساقه ، وضربنى ابنه عكرمة فطرح يدى من عاتقى فتعلقت بجلدة من جنبى ثم تمطيت حتى طرحتها وعاش معاذ إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم مر بأبى جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته(٣) ، وتركه وبه رمق ، ثم مر به ابن مسعود — وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس بين القتلى — فوجده بآخر رمق ، قال : فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت : هل أخزاك الله أى عدو الله ؟ ! قال وبماذا أخزانى أخبرنى لمن الدائرة ؟ قلت : لله ولرسوله ، فقال أبو جهل : لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا ، قال فقلت : فإنى قاتلك ، قال : ما أنت بأول عبد قتل سيده أما ان أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياى، فضربه عبدالله فوقع رأسه بين يديه(٤) فحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً لله تعالى .

وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أدراعا ، فمر بأمية بن خلف وابنه

---

(١) فى النسختين (كثرة) وهو خطأ صححته من (الكامل لابن الأثير) وغيره .

(٢) أى جعلها تطن من صوت التقطع ، وأصله من الطنين ؛ وهو صوت الشيء الصلب ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٣) يعنى جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) وفى رواية « بين رجليه »

على فقالا : نحن خير لك من هـذه الأدراع . فطرح الأدراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بهما ، فقال له أمية : من الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : حمزة بن عبد المطلب . فقال أمية : هو الذى فعل بنا الأفاعيل .

ورأى بلال أمية وكان أمية يعذبه بمكة فيخرج به إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد . فيقول بلال «أحد أحد» فلما رآه بلال قال : أمية رأس الكفر ، لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، فأحاط به المسلمون وقتلوا أمية وولده عليا وكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى .

وقتل حنظلة بن أبى سفيان بن حرب ، قتله على بن أبى طالب .

ولما انهزم المشركون أمر رسول الله ﷺ أن لا يقتل أبو البخترى بن هشام لأنه كان أخف القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان ممن قام فى نقض الصحيفة فلقيه المجذر(١) بن ذياد البلوى حليف الأنصار ، ومعـه زميل له فقال : إن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك فقال وزميلى ؟ فقال المجذر لا والله ، قال إذاً لأموتن أنا وهو ولا تتحدث نساء قريش أنى تركت زميلى حرصا على الحياة ، فقتله ثم أخبر رسول الله ﷺ خبره معه .

وأسر العباس بن عبد المطلب ، اسره ابو اليسر ، وكان أبو اليسر مجموعا وكان العباس جسيما ، فقيل لأبى اليسر : كيف اسرته ؟ قال اعانى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ، هيئته كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ

(١) فى النسختين «المجدر» وهو تصحيف صححته من «تبصير المنتبه» وغيره

(لقد اعانك عليه ملك كريم)(١) ولما أمسى العباس مأسوراً بات رسول الله ﷺ ساهراً ، فقال أصحابه يارسول الله مالك لا تنام ؟ فقال (سمعت تضور العباس فى وثاقه فمنع منى النوم) فقاموا إليه فأطلقوه فنام رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدقال لأصحابه (قد عرفت رجالا من بنى هاشم وغيرهم أخرجوا كرها فمن لقى منكم احداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلايقتله فإنه اخرج كرها(٢) فقال ابو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة : انقتل آباءنا وابناءنا وإخواننا ونترك العباس ؟ ! والله لئن لقيته لألجمنه(٣) بالسيف فبلغت النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمر : (يا ابا حفص اماتسمع قول ابى حذيفة اضرب وجه عم رسول الله بالسيف)

---

(١) الملائكة مخلوقات نورانية سماوية مجبولة على الخير ، قادرة على التشكل فى خرق العادة ، لأن النور قابل للتشكل فى كيفيات ولأن أجزاءه لا تتزاحم ، ونورها لا شعاع له ، فلذلك لا تضىء إذا اتصلت بالعالم الأرضى . وإنما تتشكل إذا أراد الله أن يظهر بعضهم لبعض رسله وأنبيائه على وجه خرق العادة . وقد جعل الله تعالى لها قوة التوجه إلى الأشياء التى يريد الله تكوينها فتتولى التدبير لها . ولهذه التوجهات الملكية حيثيات ومراتب كثيرة تتعذر الإحاطة بها . من (تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله ، التحرير والتنوير ٣٩٨/١) .

(٢) عذب الله بالقتل والأسر والإهانة نفرا عرفوا بالغلو فى كفرهم وأذاهم وعذب بالخوف والجوع من كانوا دون هؤلاء كفرا، واستبقاهم وأمهلهم ، فكان عاقبة أمرهم أن أسلموا بقرب أو بعد ، فكان جزاؤه على حسب علمه ، وحقق بذلك رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : (لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده) . (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٣٣٧/٩) .

(٣) كذا بالجيم فى النسختين ، وهى رواية . وفى (تاريخ الطبرى ٢ / ٤٥٠) لألحمنه أى لأطعمن لحمه بالسيف . قال الزمخشرى فى الأساس : رجل لحيم : قتيل ، وقد لحم ، ومعناه قطع لحمه .

قال أبو حذيفة : لا أزال خائفا من تلك الكلمة ، ولا يكفرها عنى إلا الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيدا .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه (قد رأيت جبريل وعلى ثناياه النقع) فقال رجل من بنى غفار : أقبلت أنا وابن عم لى فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ، ننظر لمن تكون الدائرة فننهب ، فدنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم(١) ، قال فأما ابن عمى فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك فتماسكت .

وقال أبو داود المازنى إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفى إليه فعرفت أنه قتله غيرى . وقال سهل ابن حنيف : كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

فلما هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطرح القتلى فى القليب فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه فتقطع فتركوه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه .

فلما ألقوا فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس) ثم قال : (ياعتبة ياشيبة يا أمية بن خلف يا أبا جهل) وعدد من كان فى القليب (هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا)فقال له أصحابه : أتكلم قوماً موتى ؟ ! قال : (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايستطيعون

---

(١)اسم فرس جبريل عليه السلام ، وقيل اسم فرس من خيل الملائكة .

أن يجيبوني(١)) ولما قال رسول الله ﷺ لأهل القليب ما قال رأى وجه أبي حذيفة وقد ظهر فيه الكراهية وقد تغير ، فقال : (لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء) ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ، ولكنه كان له عقل وحلم وفضل ، فكنت أرجو له الإسلام ، فلما رأيت ما مات(٢) عليه من الكفر أحزنني ذلك ، فدعا له رسول الله ﷺ .

---

(١) تبين من بعض الأحاديث أن الكافر المسئول يعذب ، ومخاطبة أهل القليب وقعت وقت مسألة عذاب القبر، حيث تعود الروح إلى الجسد . وحديث أهل القليب رواه البخاري عن ابن عمر، ورواه الإمام مسلم عن أنس بن مالك . قال ابن حجر في الفتح : لم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك، بل وافقهما أبو طلحة. وللطبراني من حديث ابن مسعود مثـــله بإسناد صحيح ، ومن حديث عبد الله ابن سيدان نحوه . قال الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله : (في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وأخرجه أحمد بإسناد حسن ، فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونهالم تشهدالقصة . وعائشة لم تحضر ، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه صلى الله عليه وسلم ، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعاد إلى الجسد عند المسألة ، وهو قول جمهور أهل السنة، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع الروح إلى الجسد أو بعضه . وحديث الإمام أحمد على شرط الشيخين . وما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها وأرضاها مخالف لقول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ، وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث) أنظر (البداية والنهاية لابن كثير) و (فتح الباري) والإجابة للزركشي والروض الأنف و (مجلة الرسالة ٨٧١) لمراجعة ما لخصته هنا . وبهذا تدرك جهالة محمود أبورية في مقاله في (العدد ٨٦٥ من الرسالة) .

(٢) في الظاهرية (ما كان) وفي الأحمدية وغيرها من المراجع (ما مات) وهو الصواب .

ثم أمر بجمع ما فى العسكر فاختلف المسلمون فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين يقاتلون العدو : لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا القوم عنكم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ وهو فى العريش : والله ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ، ولكنا خفنا كرة(١) العدو على رسول الله ﷺ فقمنا دونه ، فنزع الله تعالى الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ فقسمها بين المسلمين على سواء(٢) .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، وزيد ابن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة ، فوصل زيد وقد سووا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت زوج عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله ﷺ عليها لمرضها (٣) وقسم له .

وكان فى الأسرى النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط فأمر على بن أبى طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء صبرا ، وأمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح(٤) بقتل عقبة بن أبى معيط ، فلما أراد قتله جزع من القتل وقال :

---

(١) فى النسختين (كثرة) وفى تاريخ ابن الأثير (كرة) وهو الصواب .

(٢) أسماء الأموال المأخوذة من العدو فى القتال ثلاثة : المغنم، والفىء، والنفل وهو صورة من صور القسمة كانت متداخلة . فلما استقر أمر الغزو فى المسلمين خص كل اسم بصنف خاص ، وعرف الشرع قيد اللفظ بهذا النوع ، فسمى الواصل من الكفار إلينا بالغنيمة والفىء ، وأما النفل فهو اسم لنوع من مقسوم الغنيمة لا لنوع من المغنم . والنفل هو ما يعطيه الإمام من الخمس لمن يرى إعطاءه إياه ممن لم يغنم ذلك بقتال . على ما فى (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور) .

(٣) فى الأحمدية (بمرضها) .

(٤) فى الظاهرية (الأفلح) وهو تصحيف صححته من الأحمدية =

أما لى أسوة بهؤلاء الأسرى ، ثم قال : يا محمد من للصبية ؟ قال : النار ، وقتله بعرق الظبية(١) .

وكان فى الأسرى سهيل بن عمرو، فلما أتى به قال عمر بن الخطاب : أنزع ثنيتيه يارسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبدا ، وكان سهيل أعلم (٢) الشفة السفلى ، فقال رسول الله ﷺ : (دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه) فكان مقامه ذلك عند موت النبي ﷺ ، وسيذكر عند خبر الردة إن شاء الله تعالى .

وقال رسول الله ﷺ (استوصوا بالأسارى خيرا) فكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه(٣) .

= وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر حيث قال (الأفلح) كثير و (الأقلح) فرد . وانظر القاموس المحيط لتحقيق ما فى (تبصير المنتبه) .

(١) موضع بالصفراء بين مكة والمدينة قرب الروحاء . (معجم البلدان) و (ومعجم ما استعجم) .

(٢) الأصح أن يقول : أفلح . فإن كان الشق فى الشفة العليا فهو أعلم ، كما فى (لسان العرب) .

(٣) بمثل هذه الرحمة كان إسلام الكثيرين :

وقد حصل ما رجاه رسول الله ، فلم يلبث من بقى من المشركين أن آمنوا بالله ورسوله بعد فتح مكة ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، وأيد الله بهم بعد ذلك دينه ورسوله ، ونشروا كلمة الإسلام فى آفاق الأرض . وإذ قد قدر الله تعالى أن يكون هذا الدين خاتمة الأديان كان من الحكمة إمهال المعاندين له والجاحدين لأن الله لو استأصلهم فى أول ظهور الدين لأتى على من حوته مكة من مشرك ومسلم فلو كان ذلك فى وقت ظهور الإسلام لارتفع بذلك هذا الدين فلم يحصل المقصود من جعله خاتمة الأديان . وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ومن تحت أرجلكم) فقال

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان(١) بن عبد الله الخزاعى فقالوا : ما وراءك ؟ قال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعدد(٢) أشراف قريش ، فقال صفوان بن أمية : والله إن يعقل فسلوه عنى فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس فى الحجر، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ، فناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيشمت محمد وأصحابه ، وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث ، وكان يحب أن يبكيهم ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة(٣) فقال لغلامه — وقد ذهب بصره — أنظر هل أحل البكاء، لعلى أبكى على زمعة فان جوفى قد احترق ؟ فرجع إليه وقال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها قد أضلته ، فقال :

أتبكى أن يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
ولا تبكى على بدر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود(٤)
على بدر سراة بنى هصيص	ومخزوم ورهط أبى الوليد
فبكى(٥) إن بكيت على عقيل	وبكى حارثاً أسد الأسود

« أعوذ بسبحات وجهك الكريم » من (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ١٥٢/٧).

(١) فى الظاهرية (الحيسان) والتصحيح من الأحمدية و (تاريخ الطبرى ٢ / ٤٦١).

(٢) فى النسختين (وعـــد) والمثبت من (البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٢٩٢) وغيره .

(٣) فى النسختين (ناعية) وفى تاريخ الطبرى وابن كثير (نائحة) .

(٤) فى النسختين (الجلود) والتصحيح من (تاريخ الطبرى ٢ / ٤٦٤) . والجدود : الحظوظ .

(٥) فى النسختين (وابكى) والتصحيح من تاريخ الطبرى والبداية والنهاية .

ويبكيهم ولا تسمى جميعاً فما لأبي حكيمة(١) من نديد
ألا قد ساد بعدهم أناس(٢) ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعنى أبا سفيان .

ثم إن قريشاً أرسلت فى فداء الأسرى، فأول من فدى أبو وداعة السهمى فداه ابنه المطلب ، وفدى العباس نفسه وعقيل بن أبى طالب و نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم(٣) أمره رسول الله ﷺ بذلك ، فقال : لا مال لى ، فقال (أين المال الذى وضعته عند أم الفضل وقلت لها إن أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا) فقال : والذى بعثك بالحق ماعلم به أحد غيرى وغيرها وإنى لأعلم انك رسول الله . وفدى نفسه وابنى اخويه وحليفه .

وكان قد اخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب فقال احسبها من فدائى فقال النبى ﷺ (لا ، ذاك شىء أعطاناه الله عز وجل)(٤) .

وكان فى الأسرى عمرو بن أبى سفيان ، أسره على ، فقيل لأبيه افد عمرا ،

---

(١) فى النسختين (أبى حليمة) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وابن كثير .

(٢) كذا فى النسختين وتاريخ ابن الأثير . وفى تاريخ ابن جرير وابن كثير (رجال) فى موضع (أناس) .

(٣) فى الظاهرية (حجرم) وفى الأحمدية (جحرم) وكلاهما خطأ ، والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير .

(٤) كان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين ، فأخذت منه فى الحرب ، فكلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى ، كما فى (إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى) عليه رحمة الله .

قال : لا أجمع على دمى ومالى ، يقتل ابنى حنظلة وأفدى عمرا ، فتركه ولم يفكه ثم إن سعد بن النعمان بن أكال الأنصارى خرج إلى مكة معتمراً فأخذه أبو سفيان — وكانت قريش لاتعرض لحاج ولا معتمر — فحبسه أبو سفيان ليفدى به عمراً وقال :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا(١)
فان بنى عمرو لئام أذلة إذا(٢) لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبى ﷺ فطلبوا منه عمرو بن أبى سفيان ففادوا به سعدا .

وكان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وكان من أكثر(٣) رجال مكة مالا وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة ؛ فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب ، ففعل قبل أن يوحى إليه ، فلما أوحى إليه آمنت زينب ، وكان رسول الله ﷺ مغلوبا بمكة فلم يقدر أن يفرق بينهما ، فلما خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأسر ، فلما بعثت قريش فى فداء الأسرى بعثت زينب فى فداء أبى العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فعلتم) فأطلقوه وردوا القلادة .

وأخذ رسول الله ﷺ عليه العهد أن يرسل إليه زينب بالمدينة ، وسار

(١) الكهل : إلى أن يستوفى الستين ، ثم هو شيخ ، على ما فى (فقه اللغة للثعالبى) وغيره .

(٢) فى الأحمدية وتاريخ ابن الأثير (لئن) فى موضع (إذا) .

(٣) (أكثر) سقطت من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن الأثير .

إلى مكة . وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه ورجلا من الأنصار ليصحبا زينب من مكة ، فلما قدم أبو العاص أمرها باللحاق برسول الله ﷺ ، فتجهزت سراً وأركبها كنانة بن الربيع اخو أبي العاص بعيرا ، وأخذ قوسه(١) وخرج بها نهارا ، فسمعت قريش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذي طوى ، وكانت حاملا فطرحت حملها لما ريعت(٢) لخوفها ، ونثر كنانة أسهمه ثم قال : والله لا يدنو مني أحد إلا وضعت سهماً فيه ، فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال : خرجت نهاراً بها فيظن الناس أن ذلك عن ذل وضعف منا ، ولعمري مالنا في حبسها(٣) حاجة ، فارجع بالمرأة فيتحدث الناس أنا رددناها ، وأخرجها سرا ، ففعل وأخرجها ليلا وسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله ﷺ فأقامت عنده .

فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بماله وأموال رجال من قريش ، فلما عاد لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأخذوا ما معه وهرب منهم فلما كان الليل أتى المدينة فدخل على زينب ، فلما كان الصبح خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فكبر وكبر الناس(٤) ، فنادت زينب من صفة النساء : « أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع » فقال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من ذلك وإنه يجير على المسلمين أدناهم) وقال لزينب :

---

(١) في النسختين (فرسه) في موضع (قوسه) والتصحيح من (الروض الأنف) وتاريخ ابن الأثير .

(٢) في النسختين (رمعت) والتصحيح من (الروض الأنف) ويحتمل أن تكون (وقعت) على ما في الروض الأنف أيضا .

(٣) في الروض الأنف (حبسها عن أبيها) .

(٤) في النسختين (النســاء) ، والتصحيح من تاريخ ابن الأثير والروض الأنف .

(لا يخلص إليك فلا يحل لك) وقال للسرية الذين أصابوه : (إن رأيتم أن تردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فىء الله تعالى الذى أفاءه لكم(١) وأنتم أحق به) قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوا عليه ماله كله حتى الشظاظ(٢) .

فعاد إلى مكة فرد على الناس مالهم وقال لهم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم » ، ثم خرج فقدم على النبى ﷺ فرد إليه أهله بالنكاح الأول.

وجلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد بدر ، وكان من شياطين قريش ممن يؤذى النبى ﷺ وأصحابه ، وكان ابنه وهب فى الأسارى فقال صفوان : لا خير فى العيش بعد من اصيب ببدر ، فقال عمير : صدقت ، والله لولا دين على وعيال أخشى ضيعتهم لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فقال صفوان : دينك على وعيالك مع عيالى أسوتهم .

فسار إلى المدينة فقدمها فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بإدخاله عليه ، فأخذ عمر بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الأنصار : أدخلوا على رسول الله ﷺ واحذروا هذا الخبيث ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لعمر : (اتركه) ثم قال (ادن يا عمير ما جاء بك ؟) قال : جئت لهذا الأسير قال : (اصدقنى) ، قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : (بل قعدت أنت وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا) فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، فقال رسول الله

(١) فى الروض الأنف (أفاء عليكم) .

(٢) خشبة محددة الطرف تدخل فى عروتى الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير ، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث) .

ﷺ (فقهوا أخاكم فى دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره) ففعلوا، فقال: يارسول الله كنت شديد الأذى للمسلمين وأحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعو إلى الله تعالى وأوذى الكفار من قريش كما كنت أوذى اصحابك، فأذن له، فكان صفوان يقول: ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله تعالى، فأسلم معه ناس كثير.

وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف(١) فى فداء سهيل بن عمرو، وكان رسول الله ﷺ شاور أبا بكر وعمر وعلياً فى الأسرى، فأشار أبو بكر بالفداء، وأشار عمر بالقتل، فمال رسول الله ﷺ إلى الفداء(٢) فأنزل الله تعالى (ماكان لنبى أن يكون له أسرى(٣)) إلى قوله (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم).

---

(١) فى الظاهرية (الأحنف) وهو تصحيف صححته من الأحمدية وتاريخ الطبرى ٢ / ٤٠٢.

(٢) رأى الرسول صلى الله عليه وسلم كان معروفاً، يعرفه كل من عرف رسول الله وعرف طابعه، وعرف صلة هذا الطابع بطابع الرسالة الإسلامية، انه أخذ الفدية. وهذا الاتجاه لرفيق الغار أيده الله سبحانه، بل زاد عليه حينما خير رسوله فيما بعد بأنه إذا وضعت الحرب أوزارها: له أن يمن وله أن يأخذ الفداء (فإما منّاً بعد وإما فداء) وقبل بدر أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الفداء، وذلك فى سرية عبد الله بن جحش.. (من كتاب القرآن والنبى لمولانا الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود).

(٣) ليس المراد أنه لا يصلح أن تقع فى يد النبى أسرى، لأن أخذ الأسرى من شؤون الحرب، فلا يعقل أحد نفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم، فتعين أن المراد نفى أثره. والرسول عليه الصلاة والسلام غير معاتب لأنه إنما أخذ برأى الجمهور حيث قال للمسلمين: (ما ترون فى هؤلاء الأسارى) والخطاب موجه

وكان الأسرى سبعين ، فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أحد سبعون[1] ، وكسرت رباعية النبي ﷺ وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ، وانهزم أصحابه .

وكان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

ورد رسول الله ﷺ جماعة استصغرهم : منهم عبدالله بن عمر[2] ورافع ابن خديج ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسيد بن ظهير[3] .

= للمسلمين الذين أشاروا بالفداء . وأبو بكر لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الاستشارة « قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك » نظر إلى مصلحة دينية لحاجتهم إلى المال . ورجح النبي أخذ الفداء باجتهاد ، وقد أصاب الاجتهاد ، فإنه قد أسلم منهم حينئذ سهيل بن بيضاء وأسلم من بعد العباس وغيره . (من تفسير التحرير والتنوير ١٠/٧٤) .

(١) قال ابن العربي في العارضة : روى عَبِيدة السلماني عن علي أن جبريل أتى رسول الله يوم بدر يخيره بين أن يقرب الأسارى فيضرب أعناقهم أو يقبلوا منهم الفداء ويقتل منكم في العام المقبل بعدتهم ، فقال رسول الله : (هذا جبريل يخيركم أن تقدموا الأسارى وتضربوا أعناقهم أو تقبلوا منهم الفداء ويستشهد منكم في العام المقبل بعدتهم) فقالوا : يا رسول الله نأخذ الفداء فنتقوى على عدونا ويقتل منا في العام المقبل بعدتهم ، ففعلوا .

(من تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ١٠/٧٣) .

(٢) في بعض المراجع (عمرو) والصواب ما في نصنا وهو موافق لما ورد في (مجمع الزوائد ٦/١٠٨)

(٣) في بعض المراجع (حضير) والصواب ما في نصنا .

وضرب رسول الله ﷺ لثمانية نفر بسهم فى الأنفال لم يشهدوا الوقعة : منهم عثمان بن عفان ، كان قد تخلف على زوجته رقية لمرضها ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد ، كان قد أرسلهما رسول الله ﷺ يتجسسان خبر العير ، وأبو لبابة خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى خلفه على العالية ، والحارث ابن حاطب رده إلى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم ، والحارث بن الصمة(١) كسر بالروحاء ، وخوات بن جبير كسر أيضا ، وفى بدر انتفل سيفه ذا الفقار وكان لمنبه بن الحجاج ، فوهبه لعلى .

غزوة بنى قينقاع

ولما عاد رسول الله ﷺ من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه ، ونقضوا العهد ، وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا ، فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بنى قينقاع فقال لهم : (احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل) فقالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب وأصبت منهم فرصة .

وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه ، فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلى لها ، فجاء رجل منهم فحل ذيل درعها(٢) إلى ظهرها وهى لا تشعر ، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها ، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله ، فنبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ ، وتحصنوا فى حصونهم ، فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم ، وكانوا

---

(١) فى الظاهرية (الصمد) فى موضع (الصمة) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)

(٢) يعنى قميصها .

حلفاء الخزرج ، فقام إليه عبد الله بن أبى ابن سلول(١) فكلمه فيهم ، فلم يجبه فأدخل يده فى جيب رسول الله ﷺ فرأى الغضب فى وجه رسول الله ﷺ فقال : (ويحك أرسلنى) قال: لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع(٢) قد منعونى من الأحمر والأسود، وإنى والله أخشى الدوائر فقال النبى ﷺ (خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم) وأجلاهم ، وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من أموال، ولم يكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة ، وكان الذى تولى إخراجهم عبادة بن الصامت الأنصارى ، فبلغ بهم ذباب(٣) ثم ساروا إلى أذرعات(٤) من أرض الشام فلم يلبثوا أن هلكوا .

وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة .

وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة ، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها وكان أول خمس أخذه رسول الله ﷺ فى قول .

وحضر الأضحى فخرج إلى المصلى وصلى بالمسلمين .

وكانت الغزوة فى شوال بعد بدر ، وقيل كانت فى صفر سنة ثلاث ، وجعلها ابن إسحاق بعد غزوة الكدر .

* * *

(١) (ابن) هنا تكتب بألف لأن (سلول) هى أم (عبد الله) .

(٢) الدارع : هو لابس الدرع . والحاسر : هو من لادرع له .

(٣) ذباب بكسر الذال المعجمة وباءين موحدتين . هكذا قيده ابن الأثير فى تاريخه (الكامل) وفى الظاهرية (دياب) وهو تصحيف .

(٤) بالفتح ثم السكون وكسر الراء : بلد فى حوران من سورية جنوب دمشق .

غزوة الكدر

قال ابن إسحاق : كانت فى شوال سنة اثنتين ، وقال الواقدى : كانت فى المحرم سنة ثلاث ، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ اجتماع بنى سُليم على ماء لهم يقال له (الكدر) فسار رسول الله ﷺ إلى الكدر فلم يلق كيدا ، وكان لواؤه مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وعاد ومعه النعم والرعاء(١) .

وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثى فى سرية إلى بنى سليم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم ، واستشهد من المسلمين ثلاثة .

(الكدر) بضم الكاف وسكون الدال المهملة .

غزوة السويق

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ ، فخرج فى مائتى راكب من قريش حتى جاء المدينة ليلا ، واجتمع بسلام بن مشكم سيد بنى النضير ، فعلم منه خبر الناس ، ورجع فى ليلته فبعث رجالا من قريش إلى المدينة فأتوا العريض(٢) فحرقوا فى نخلها وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفا(٣) ، واسم الأنصارى معبد بن عمرو ، وعاد ورأى أنه قد بر فى يمينه ، وجاء الصريخ فركب رسول الله ﷺ وأصحابه فأعجزهم .

---

(١) فى الأحمدية (الرغاء) وهو تصحيف .

(٢) فى النسختين (الغريض) وهو تصحيف . والعريض : واد بالمدينة .

(٣) فى الظاهرية (حليفا) وهو سهو ، والتصحيح من الأحمدية والروض الأنف ، لأنهم قتلوا رجلين . وفى (طبقات ابن سعد ٢ / ٣٠) أن الحليف هو أجير للأنصارى .

وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرُب السويق(١) يتخففون(٢) بها ، وكان ذلك عامة زادهم ، فسميت (غزوة السويق) ، ولما رجع رسول الله ﷺ والمسلمون قالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال (نعم) . وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز :

كروا على يثرب وجَمْعهمُ فإن ما جمَّعوا لكم نفلُ
إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا(٣) قبائل الأوس والخز رج إن الفؤاد يشتعل(٤)

فأجابه كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه :

يا لهف أم المسبحين(٥) على جيش ابن حرب بالحرة الفشل
يطرحون الرجال من سنم الطير ترقى(٦) لقنة الجبل
جاءوا بجمع لو قيس مبركه ما كان إلا كمفحص الدئل
عار من النصر(٧) والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وقيل إن علي بن أبي طالب دخل بفاطمة رضي الله عنهما في شوال من هذه السنة .

---

(١) السويق : قمح أو شعير أو غيرهما من الحبوب يقلى ثم يطحن ليسف ، على ما في (تذكرة الشيخ داود الأنطاكي) والسيرة الحلبية .
(٢) للنجاء ، على ما في (تاريخ الإسلام للذهبي) .
(٣) في (تاريخ الطبري ٤٨٤/٢) تبيروا .
(٤) في المصدر نفسه (مشتعل) .
(٥) في النسختين (المسحين) والتصحيح من المصدر نفسه .
(٦) في النسختين (ويرقى) والتصحيح من تاريخ الطبري .
(٧) في النسختين (النضر) والتصحيح من المصدر نفسه .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

فيها استشهد ببدر مع رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب(١) وعمير بن أبى وقاص ، وسعد بن خيثمة من الأوس ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى حليف بنى زهرة، ومبشر بن عبد المنذر من بنى عمرو ابن عوف ، وعاقل بن البكير الليثى ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء الفهرى ، ويزيد بن الحارث من الخزرج ، ورافع بن المعلى ، وحارثة (٢) بن سراقة ، وعوف ، ومعوذ ابنا عفراء رضى الله عنهم .

ومن مشاهير قتلى المشركين

حنظلة بن أبى سفيان قتله زيد بن حارثة ، وعُبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير ، وأخوه العاص بن سعيد قتله على بن أبى طالب . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . والوليد بن عتبة . وعقبة بن أبى معيط، قتله عاصم بن ثابت صبراً وقيل قتله على بن أبى طالب . والحارث بن عامر بن نوفل قتله على ، وطعيمة ابن عدى، قتله حمزة ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وابنه الحارث ابن زمعة، وأخوه عقيل بن الأسود، وأبو البخترى العاص بن هشام، ونوفل ابن خويلد ، قتله على وقيل الزبير ، والنضر بن الحارث قتل صبراً بالصفراء . وعمير بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله ، وأبو جهل بن هشام ، ومسعود بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد ،

(١) فى النسختين (عبد المطلب) والتصحيح من جوامع السيرة وتاريخ الطبرى وتاريخ خليفة بن خياط .

(٢) فى النسختين (والحارث) والتصحيح من (الثمرة البهية فى الصحابة البدرية للعارف بالله الشيخ محمد الحفنى شيخ الأزهر) وتاريخ خليفة بن خياط .

وأبو قيس بن الفاكه(١) بن المغيرة ، والسائب بن أبى السائب المخزومى ، وقد قيل لم يقتل يومئذ وأسلم بعد ذلك ، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر السهمى والعاص و الحارث ابنا منبه بن الحجاج ، وأمية بن خلف الجمحى ، وابنه على ، وأسر مالك بن عبيد الله أخو طلحة فمات أسيرا ، وحذيفة بن أبى حذيفة ابن المغيرة ، وأخوه هشام وغيرهم .

وفيها هلك أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم . وكان سبب هلاكه أنه لما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال ، فلما جاء الخبر بكسرة قريش ببدر كنت رجلا ضعيفا أعمل الأقداح أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى وعندى أم الفضل جالسة ، وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينا هو جالس إذ قدم أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب فقال له أبو لهب : هلم إلى يابن أخى فعندك الخبر(٢) ، قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا .

وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شىء ، قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى

---

(١) فى النسختين (قيس بن الفاكهة) والتصحيح من سيرة ابن هشام وجوامع السيرة لابن حزم .

(٢) لم يشهد أبو لهب بدراً ، لأن رؤيا أخته عاتكة فى مهلك أهل بدر ثبطته عن ذلك ، على ما فى (سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٥/٢) .

ثم قلت : تلك والله الملائكة(١) قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة فثاورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به ضربة فلقت فى رأسه فتحة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلا ، فلم يلبث إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

قال محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه : إن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ، ويرون أنها تعدى أشد العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه ، وبقى بعد موته ثلاثاً لا يقربه أحد ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

وفيها توفى عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة(٢) بن جمح الجمحى ، أسلم قديماً بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا ، وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد ما رجع من بدر ، ولما دفن قال رسول الله ﷺ (نعم السلف لنا عثمان بن مظعون) وعلم قبره بحجر(٣)،

---

(١) قال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) . — سورة الأنفال ، ٩ — قال الشيخ زاهد الكوثرى عليه رحمة الله: وأما العدد المذكور فى سورة آل عمران من الثلاثة الآلاف والخمسة الآلاف فلا دليل على إنزاله فى نص الكتاب يوم بدر ، ولا على عدم إنزاله كما يقول ابن جرير ، فصار مثار خلاف من غير حجة ظاهرة . فالعدد الأول مقرون بالاستفهام الاستنكارى فلا يدل على الوقوع ، والعدد الثانى مشروط بشرطين لم يتحقق أحدهما جزما ، فتعين أن الإمداد يوم بدر كان بألف من الملائكة . من مقدمة (الثمرة البهية فى الصحابة البدرية لشيخ الأزهر العارف بالله الشيخ محمد الحفنى رضى الله عنه) .

(٢) فى الأحمدية (خذافة) وهو تصحيف .

(٣) لما دفن النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون قال لرجل : (هلم تلك

وكان يزوره . وكان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة، وكان هو وعلى ابن أبى طالب وأبو ذر رضى الله عنهم قد هموا بأن يختصوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ونزلت فيهم (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا(١)) الآية . وهو أحد من حرم الخمر فى الجاهلية وقال : لا اشرب شراباً يذهب عقلى ويضحك بى من هو أدنى منى .

وقالت امرأته ترثيه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون … على رزية عثمان بن مظعون
على امرىء بات فى رضوان خالقه … طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع به سكنى وغرقده … وأشرقت أرضه من بعد تفنين
وأورث القلب حزناً لا انقطاع له … حتى الممات ولا يرقى له شون

وفيها ولد المِسْوَرَ بن مخرمة ، وعبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم، والنعمان بن بشير الأنصارى .

السنة الثالثة من الهجرة

فى المحرم سمع رسول الله ﷺ أن جمعاً من بنى ثعلبة بن سعد(٢) بن ذبيان

= الصخرة فاجعلها عند قبر أخى أعرفه بها ، أدفن إليه من دفنت من أهلى). فقام الرجل فلم يطقها ، فقال — يعنى الذى حدثه — فلكأنى أنظر إلى ساعدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتملها حتى وضعها عند قبره . هذا حديث مرسل أورده الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء ١/١١١) .

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٣ .

(٢) سقط من الظاهرية (بن سعد) والاستدراك من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

وبنى محارب(١) تجمعوا ليصيبوا من أطراف المدينة، فسار إليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا، فلما صار بذى القصة لقى رجلاً من ثعلبة فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وأخبره أن المشركين أتاهم خبره فهربوا الى رؤوس الجبال، فعاد ولم يلق كيدا. وكان مقامه اثنتى عشرة ليلة.

وفيها فى جمادى الاولى غزا بنى سليم ببحران(٢). وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بنى سليم تجمعوا ببحران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فسار إليهم فى ثلاثمائة، فلما صار إلى بحران وجدهم قد تفرقوا، فانصرف ولم يلق كيدا، فكانت غيبته عشر ليال. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

بحران بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة.

مقتل كعب بن الأشرف

وفى هذه السنة قتل كعب بن الأشرف اليهودى، وهو أحد بنى نبهان من طىء، وكانت امه من بنى النضير، وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش، فسار إلى مكة وحرض على رسول الله ﷺ وبكى أصحاب بدر وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ (من لى بابن(٣) الأشرف)؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصارى: انا لك به، أنا أقتله، قال: (فافعل إن قدرت على ذلك). قال يا رسول الله: لا بد لنا،

(١) سقط من الظاهرية (وبنى محارب) والاستدراك من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير.

(٢) بحران: قيده ابن الفرات بفتح الباء كالعمرانى والزمخشرى. وبالضم رواية عن بعضهم، على ما فى تاج العروس للزبيدى، ومعجم البلدان.

(٣) فى الأحمدية وتاريخ الطبرى (من لى من ابن).

ما تقول ، قال : (قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك) فاجتمع محمد ابن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة ، والحارث بن أوس ابن معاذ وكان أخا كعب من الرضاعة ، وعباد بن بشر ، وأبو عبس بن جبر(١) ثم قدموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ، ثم قال له : يا بن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة فاكتمها على ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً ، عادتنا العرب وانقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس ، فقال كعب : كنت قد اخبرتك بهذا . قال أبو نائلة : وأريد أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك ونحسن فى ذلك ، قال : ترهنونى أبناءكم ، قال : أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحاباً على مثل رأيى تبيعهم وتحسن ، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد ابو نائلة بذكر الحلقة — وهى السلاح — ان لا ينكر السلاح إذا جاء مع أصحابه ، فقال كعب : إن فى الحلقة لوفاء .

فرجع أبو نائلة إلى اصحابه وأخبرهم ، فأخذوا السلاح وساروا إليه ، وشيعهم النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد(٢) ودعا لهم ، فلما انتهوا إلى حصن كعب ابن الأشرف هتف به أبو نائلة — وكان كعب قريب عهد بعرس — فوثب إليهم وتحدث معهم ساعة ، وساروا معه إلى شعب العجوز(٣) .

ثم إن أبا نائلة أخذ برأس كعب وشم يده وقال : ما رأيت كالليلة طيب عطر قط ، ثم مشى ساعة ، وعاد لمثلها حتى اطمأن كعب ، ثم مشى ساعة وأخذ بفود(٤) رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن

---

(١) هـذا العلم مصحف فى النسختين ، فصححته من (جوامع السيرة لابن حزم) .

(٢) هو مقبرة المدينة المنورة .

(٣) بظاهر المدينة ، على ما فى (معجم البلدان) .

(٤) : الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . وفى (تاريخ الطبرى

شيئا . قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا[١] فى سيفى فأخذته ، وقد صاح عدو الله فلم يبق حولنا حصن حتى أوقدت عليه نار ، فوضعت مغولى فى ثندوته[٢] ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته ، فوقع عدو الله .

وقد اصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، أصابه بعض أسيافنا .

قال : فخرجنا على بعاث ، وقد أبطأ علينا صاحبنا ، فوقفنا له ساعة وقد نزف الدم ثم أتانا فاحتملناه وجئنا به رسول الله ﷺ وأخبرناه بقتل عدو الله فتفل على جرح صاحبنا ، وعدنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

وقال رسول الله ﷺ : (من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه) فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودى وهو من تجار يهود فقتله وكان يبايعهم ، فقال له أخوه حويصة وهو مشرك : يا عدو الله قتلته ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ، ثم ضربه ، فقال له محيصة : أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فقال : إن ديناً بلغ بك ما أرى لعجب . ثم أسلم .

وفى ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ودخل بها فى جمادى الآخرة .

٤٩٠/٢) : (بفودى رأسه) قال فى تاج العروس : إذا كان للرجل ضفيرتان يقال : للرجل فودان .

(١) المغول : شبه سيف قصير ، وقيل هو حديدة دقيقة لها حد ماض وقفا ، وقيل هو سوط فى جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه . كما فى (النهاية فى غريب الحديث) .

(٢) محرفة فى النسختين ، والتصحيح من هامش الأحمدية ومن تاريخ الطبرى والثندوتان للرجل كالثديين للمرأة ، فمن ضم الثاء همز ومن فتحها لم يهمز . وفى بعض المصادر (ثنته) والثنة : ما بين السرة والعانة .

وفيها ولد السائب بن يزيد .

وقال الواقدى : فيها غزا رسول الله ﷺ غزوة أنمار .

وفيها كانت (غزوة القردة) وكان أميرها زيد بن حارثة، وهى أول سرية خرج فيها زيد أميرا .

وكان من حديثها أن قريشاً خافت طريقها التى كانت تسلك إلى الشام بعد بدر ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم جماعة فيهم صفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب ، وكان معظم تجارتهم الفضة ، وكان دليلهم فرات ابن حيان من بكر بن وائل ، فبعث رسول الله ﷺ زيداً فلقيهم على ماء يقال له القردة[1] فأصاب العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بهـا على رسول الله ﷺ .

وكان الخمس عشرين ألفا، وقسم الأربعة أخماس على السوبة، وأتى بفرات ابن حيان أسيراً فأسلم ، فأطلقه رسول الله ﷺ .

القردة ماء بنجد . وقد اختلف العلماء فى ضبطه : فقيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة . وبه مات زيد الخيل ويرد ذكره . وضبطوا قردة بالقاف فى غير موضع .

ذكر قتل أبى رافع

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى ، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل كعب بن الاشرف وكانت قتلته من الأوس قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها علينا عنـد رسول الله ﷺ وكانا يتصاولان تصاول الفحلين ، فتذاكر الخزرج من يعادى رسول الله ﷺ كابن الأشرف

(١) فى الأحمدية هنا وفى المواضع الأخرى (الفردة) بالفاء .

فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله ابن أنيس وأبو قتادة وخزاعي بن الأسود حليف لهم.

وأمر عليهم عبد الله بن عتيك[1]، فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار أبي رافع ليلا، فلم يدعوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهله، وكان في علية، فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة[2]، قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلوا أغلقوا باب العلية وابتدروه على فراشه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبي ﷺ إياهم عن قتل النساء والصبيان فيكفون عنها، وضربوه بأسيافهم، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، ثم خرجوا من عنده.

وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثأ[3] شديدا، فاحتملوه واختفوا.

وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم، فرجعوا إلى صاحبهم، فقال المسلمون: كيف نعلم أن عدو الله قد مات، فعاد بعضهم ودخل في الناس فرآه والناس حوله وهو يقول لهم: قد عرفت صوت ابن عتيك، ثم صاحت امرأته وقالت: مات والله، قال: فما سمعت كلمة ألذ في أذني منها، ثم عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، وسمع صوت الناعي يقول:

أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز

---

(١) ونهاهم عن قتل النساء والصبيان. كما في (جوامع السيرة لابن حزم ١٩٩).

(٢) الميرة بالكسر: الطعام.

(٣) الوثء: وصم يصيب اللحم لا يبلغ العظم أو توجع في العظم. على ما في (القاموس المحيط).

وساروا حتى قدموا على النبي ﷺ ، واختلفوا فى قتله فقال النبي ﷺ : (هاتوا أسيافكم) فجاءوا بها ، فنظر فيها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : (هذا قتله أرى فيه أثر الطعام) .

وقيل إن قتل أبى رافع كان فى سنة أربع ، والله أعلم .

سلام بتشديد اللام ، وحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى تصغير حق .

وفيها تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله تحت خنيس — بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين من تحتها وبالسين المهملة — وهو ابن حذافة السهمى ، فتوفى عنها .

وقعة أحـــد

وفيها فى شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أحد[1] وقيل للنصف منه وكان الذى هاجها وقعة بدر ، فانه لما أصيب من المشركين من أصيب مشى عبدالله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم بها ، فكلموا أبا سفيان ومن كان له فى تلك العير تجارة وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله ﷺ ليدركوا ثأرهم منه ففعلوا ، وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر ، وهم : عمرو بن العاص وهبيرة ابن أبى وهب وابن الزبعرى وأبو عزة الجمحى، فساروا فى العرب يستنفرونهم[2] فجمعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وأهل تهامة، ودعا جبير بن مطعم غلامه وحشى

---

(١) سمى بهذا الإسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك ، كما فى (الروض الأنف) .

(٢) محرفة فى النسختين ، والتصحيح من (عيون الأثر لابن سيد الناس ٢/١) .

ابن حرب — وكان حبشياً يقذف بالحربة قلما يخطىء — وقال له : أخرج مع الناس ، فإن قتلت عم محمد بعمى طعيمة بن عدى[١] فأنت عتيق ، وخرجوا معهم بالظعن[٢] لئلا يفروا .

وكان أبو سفيان قائد الناس فخرج بزوجته هند بنت عتبة بن ربيعة، وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم ، خرج عكرمة بن أبي جهل بزوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد ، وخرج صفوان بن أمية ببرة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود وهى أم ابنه عبدالله بن صفوان ، وخرج عمرو ابن العاص بريطة[٣] بنت منبه بن الحجاج وهى أم ولده عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلافة بنت سعد .

وكان مع النساء الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ، يحرضن بذلك المشركين ، وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصارى وكان قد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، وقيل كانوا خمسة عشر ، وكان يعد قريشاً أنه لو لقى محمداً لم يتخلف عنه من الأوس رجلان .

فلما التقى الناس بأحد كان أبو عامر أول من لقى فى الأحابيش[٤] ، فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، فقال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً حتى راضخهم بالحجارة .

---

(١) سقط من الظاهرية (بن عدى) .

(٢) جمع ظعينة ، كناية عن المرأة .

(٣) فى النسختين (رائطة) . والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير والقاموس المحيط .

(٤) فى الظاهرية (الأحابيس) وهو تصحيف . والأحابيش : جماعات من قبائل شتى . أنظر الروض الأنف والمعارف لابن قتيبة .

وكانت هند كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت له : أبادسمة اشف واشتف. وكان يكنى أبا دسمة .

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل بأحد[١] ببطن السبخة من قناة[٢] على شفير الوادي مما يلي المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال رسول الله ﷺ : (إني رأيت بقراً فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر وإن دخلوا علينا قاتلناهم بها) . وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي[٣] النبي ﷺ يكره الخروج ، وأشار بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ .

وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وخرج رسول الله ﷺ حين صلى الجمعة ، فالتقوا يوم السبت نصف شوال .

فلما لبس رسول الله ﷺ سلاحه ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج وقالوا استكرهنا[٤] رسول الله ﷺ وأشرنا عليه والوحي يأتيه ، فاعتذروا إليه وقالوا : اصنع ما شئت ، فقال : (لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته[٥] فيضعها حتى يقاتل) فخرج في ألف رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس، وكان

---

(١) لذلك يسمى يوم أحد (يوم عينين) . كما في معجم البلدان .

(٢) في النسختين (قبا) وهو تحريف ، على ما في تاريخ ابن جرير وابن الأثير ومعجم البلدان .

(٣) (رأي) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية وتاريخ الكامل لابن الأثير .

(٤) في الظاهرية (استكرمنا) وهو تحريف .

(٥) اللأمة الدرع ، وقيل السلاح . كما في (النهاية لابن الأثير) وغيرها .

من تبعه من أهل النفاق والريب، فاتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يذكرهم الله تعالى أن يخذلوا نبيهم، فقالوا[1]: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا فقال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم.

وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة، فسار في حرة بني حارثة وبين أموالهم فمر بمال لرجل من المنافقين يقال له مربع بن قيظي وكان ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو التراب في وجوههم ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، وأخذ حفنة من تراب وقال: لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك، فابتدروه ليقتلوه فقال النبي ﷺ: (لا تفعلوا فهذا الأعمى القلب والبصر) فضربه سعد[2] بن زيد بقوس فشجه.

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بعُدوة الوادي[3] وجعل ظهر عسكره إلى أحد.

وكان المشركون ثلاثة آلاف، منهم سبعمائة دارع[4]، والخيل مائتي فرس والظعن خمس عشرة امرأة.

وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخيل غير فرسين فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة بن نيار.

وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة فرد زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر[5]

(١) في النسختين (فقال) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير.

(٢) في النسختين (سعيد) والتصحيح من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وجوامع السيرة.

(٣) أي جانبه.

(٤) في الظاهرية في الموضعين (دراع) وهو سهو.

(٥) في الظاهرية (عمير) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير وجوامع السيرة لابن حزم و (عيون الأثر ٢/٦).

وأسيد بن ظهير والبراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبا سعيد الخدرى وغيرهم ، وأجاز جابر بن سمرة ورافع بن خديج[١] .

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول لهم : خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا بقتالكم ، فردوا عليه ما يكره .

وتعبأ المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة ابن أبي جهل ، وكان لواؤهم مع بنى عبد الدار ، فقال لهم أبو سفيان : إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم فإما أن تكفونا وإما أن تخلوا بيننا وبين اللواء ، يحرضهم بذلك ، فقالوا : ستعلم إذا التقينا كيف نصنع .

واستقبل رسول الله ﷺ المدينة وترك أحداً خلف ظهره، وجعل وراءه الرماة وهم خمسون رجلا ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال له : (انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا) .

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[٢] وأعطى اللواء مصعب بن عمير ، وأمر الزبير على الخيل ومعه المقداد .

وخرج حمزة بالجيش بين يديه ، وأقبل خالد وعكرمة ، فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين ، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان .

---

(١) كان صلى الله عليه وسلم استصغر رافعاً ، فقام على خفين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم أجازه ، وكان صلى الله عليه وسلم قد رد سمرة بن جندب ، فقال مرى بن سنان : يا رسول الله رددت ابنى سمرة وأجزت رافع بن خديج ، وابنى يصرعه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (تصارعا) فصرع سمرة رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سمرة ربيباً لمرى بن سنان .

(٢) أى لبس درعاً فوق درع .

وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين فقال : يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا[1] بسيوفكم إلى النار ، فهل منكم أحد يعجله سيفي إلى الجنة أو يعجلني بسيفه إلى النار ؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب فضربه علي فقطع رجله ، وسقط وانكشفت عورته ، فناشده الله ، فتركه ، فكبر رسول الله ﷺ وقال لعلي : (ما منعك أن تجهز عليه) قال : ناشدني الله والرحم فاستحييت منه .

وكان بيد رسول الله سيفه فقال : (من يأخذه بحقه) فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال (تضرب به في وجه العدو حتى ينحني[2]) قال : أنا آخذه ، فأعطاه إياه ، وكان شجاعا ، وكان إذا علم رأسه بعصابة حمراء علم أنه يقاتل ، فعصب بها رأسه وأخذ السيف ، وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : (إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن[3]) فجعل لا يرتفع له شيء إلا حطمه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل فيهن امرأة تقول :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق[4]
إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق[5]

(١) (إن الله يعجلنا) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركها من الأحمدية وتاريخ الطبري والكامل لعز الدين بن الأثير .

(٢) هكذا في عيون الأثر (٢/٩) وتاريخ الاسلام للذهبي (الأول ـ المغازي) وفي النسختين (يشخن) .

(٣) هكذا في الأحمدية وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الاسلام للحافظ الذهبي (الجزء الأول ـ المغازي) والروض الأنف . وفي الظاهرية (الموضع) وهو موافق لما ورد في (مجمع الزوائد للهيثمي ٦/١٠٩) .

(٤) النمرقة : الوسادة . وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة ، على ما في (لسان العرب) .

(٥) أي غير محب .

وتقول أيضا :

إيهاً بني عبد الدار إيهاً حماة الأدبار
ضرباً بكل بتار

فرفع السيف ليضربها ثم أكرم سيف رسول الله ﷺ أن يضرب به امرأة ، وكانت المرأة هند بنت عتبة والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن .

واقتتل الناس قتالا شديدا ، وأمعن فى الناس حمزة وعلى وأبو دجانة فى رجال من المسلمين ، وأنزل الله نصره على المسلمين ، وكانت الهزيمة على المشركين .

وهرب النساء مصعدات فى الجبل ، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ، فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب ، وثبتت طائفة ، وقالوا : نطيع رسول الله ﷺ ونثبت مكاننا ، فأنزل الله تعالى (منكم من يريد الدنيا — يعنى الغنيمة — ومنكم من يريد الآخرة[1]) يعنى اتباع أمر رسول الله ﷺ ، قال ابن مسعود : وما علمت أن أحداً من أصحاب النبى ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية[2] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ .

(٢) من أراد الغنيمة ليس هو مفرطاً فى الآخرة مطلقا، فليس فى هذا مايدل على أن من أرادوا ثواب الدنيا قد ارتدوا عن الإيمان حينئذ، إذ ليس الحرص على تحصيل فائدة دنيوية مع عدم الحرص على تحصيل ثواب الآخرة من ذلك الفعل بدال على استخفاف بالآخرة ، وإنما سميت مخالفة من خالف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عصياناً مع أن تلك المخالفة كانت عن اجتهاد لا عن استخفاف إذ كانوا قالوا : إن رسول الله أمرنا بالثبات هنا لحماية ظهور المسلمين ، فلما نصر الله المسلمين فما لنا وللوقوف هنا حتى تفوتنا الغنائم . فكانوا متأولين . فإنما

فلما فارق بعض الرماة مكانه، ورأى خالد بن الوليد من بقى من الرماة حمل عليهم فقتلهم وحمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم ، فلما رأى المشركون خالداً يقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا فيهم .

وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، وبقى اللواء مطروحاً لا يدنو منه أحد ، فأخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته ، فاجتمعت قريش حوله ، وكان الذى قتل أصحاب اللواء على رضى الله عنه .

وكسرت رباعية النبي ﷺ السفلى، وشقت شفته ، وكلم فى وجهه وجبهته وعلاه ابن قميئة[1] بالسيف ، وكان هو الذى أصابه ، وقيل أصابه عتبة بن أبى وقاص ، وقيل عبد الله بن شهاب الزهرى[2] .

وقيل إن عتبة بن أبى وقاص وابن قميئة الليثى وأبى بن خلف الجمحى وعبد الله بن حميد الأسدى — أسد قريش — تعاقدوا على قتل النبي ﷺ ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته ، وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته ، وأما ابن قميئة فكلم وجنته وغيب حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يقطع ، وسقط رسول الله ﷺ فجحشت[3] ركبته ، وأما أبى ابن خلف فشد عليه بحربة ، فأخذها رسول الله ﷺ وقتله بها ، وقيل بل كانت حربة الزبير أخذها منه ، وقيل أخذها من الحارث بن الصمة .

سميت هنا عصياناً لأن المقام ليس مقام اجتهاد ، فان شأن الحرب الطاعة للقائد من دون تأويل. من (تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٤ / ١٢٩) .

(١) فى النسختين (قمية) والتصحيح من (تاج العروس للزبيدى) ، حيث ضبطه كسفينة .

(٢) هو عم الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، كما فى (جوامع السيرة ١٦١) .

(٣) أى انخدشت وانسحجت . كما فى (النهاية لابن الأثير) .

وأما عبد الله بن حميد[١] فقتله أبو دجانة الأنصارى .

ولما جرح رسول الله ﷺ جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله) ، وقاتل دونه خمسة نفر من الأنصار فقتلوا ، وترس[٢] أبو دجانة رسول الله ﷺ بنفسه فكان يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه[٣] .

ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يناوله النبل ويقول : (ارم فداك أبى وأمى) .

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه ، وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين حتى قتل ، قتله ابن قميئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، ثم رجع إلى قريش وقال : قتلت محمداً ، فجعل الناس يقولون : قتل محمد قتل محمد .

ولما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبى طالب وقاتل حمزة حتى مر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور ، وكانت أمه أم أنمار ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال وحشى : والله إنى لأنظر إلى حمزة وهو يهذ[٤] الناس بسيفه ، فهززت حربتى ودفعتها إليه فوقعت فى ثنته[٥] وخرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى فغلب

(١) فى النسختين (قمية) بدل (حميد) والتصحيح من السياق (وجوامع السيرة ١٧٣) وتاج العروس وغيرها .

(٢) فى الأحمدية (درس) والتصحيح من الظاهرية و (جوامع السيرة لابن حزم ١٦٢) وتاريخ عز الدين بن الأثير .

(٣) فى الظاهرية (عنه) فى موضع (عليه) وهو سهو ، على ما فى الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٤) الهذ : سرعة القطع .

(٥) الثنة : ما بين السرة والعانة من أسفل البطن ، وقد فسرت آنفا .

فوقع فأمهلته حتى إذا مات جئته فأخذت حربتى ثم تنحيت عن العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره .

وقتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه بسهمين ، فحملا إلى أمهما وأخبراها أن عاصماً قتلهما ، فنذرت إن أمكنها الله تعالى من رأسه أن تشرب فيه الخمر ، وبرز عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق — وكان مع المشركين — وطلب المبارزة ، فأراد أبو بكر أن يبرز إليه فقال رسول الله ﷺ : (أمتعنا بك) .

وانتهى أنس بن النضر[1] عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب فى أناس من المهاجرين قد ألقوا[2] بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل النبى ﷺ قال فما تصنعون بالحياة بعده ، موتوا على ما مات عليه . ثم استقبل القوم حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة ، فما عرفه إلا أخته عرفته بحسن بنانه .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال : فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب .

وكان قد أدركه أبى بن خلف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إن نجوتَ ، فعطف عليه رسول الله ﷺ وطعنه بالحربة فى عنقه . وكان أبى يقول لرسول الله ﷺ بمكة : إن عندى لقعوداً أعلفه فى كل يوم فرقاً[3] من ذرة

(١) فى النسختين (النظر) والتصحيح من تاريخ عز الدين بن الأثير وجوامع السيرة و (تاريخ الطبرى ٥١٧/٢) .

(٢) فى الظاهرية (أتوا) فى موضع (ألقوا) والتصحيح من الأحمدية و (تاريخ الطبرى ٥١٧/٢) .

(٣) الفرق بالتحريك — مكيال يسع ستة عشر رطلا أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز ، وقيل غير ذلك — وأما الفرق — بالسكون — فمائة وعشرون رطلا . على ما فى (النهاية لمجد الدين بن الأثير) .

أقتلك عليه ، فيقول رسول الله ﷺ : (بل أنا أقتلك إن شاء الله) فلما رجع إلى قريش وقد خدشه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير قال : قتلني محمد ، قالوا : والله ما بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لي : (أنا أقتلك) فوالله لو بصق عليّ لقتلني ، فمات عدو الله بسَرِف[١] .

وقاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديدا ، فرمى بالنبل حتى فني نبله وانكسرت سية قوسه[٢] وانقطع وترها[٣] ولما جرح رسول الله ﷺ ، جعل علي ينقل الماء في درقة من المهراس[٤] ويغسله ، فلم ينقطع الدم ، فأحرق حصيراً وجعل على الجرح من رماده فانقطع الدم .

ورمى مالك بن زهير الجشمي رسول الله ﷺ ، فاتقاه طلحة بيده ، فأصاب السهم خنصره ، وقيل رماه حبان[٥] بن العَرِقَة[٦] فشلت يده إلا السبابة والإبهام .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلى حنظلة رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله

---

(١) موضع على ستة أميال من مكة أو أكثر .

(٢) السية : ما عطف من طرفي القوس ، وهما سيتان .

(٣) الوتر : ما يشد بين طرفي القوس . وفي الظاهرية (وتره) وهو تحريف .

(٤) الدرقة : الترس . والمهراس : حجر ضخم منقور لا تحمله الرجال ولا يحركونه ، يملئونه ماء ، على ما في (الإفصاح في فقه اللغة) وفي (الروض الأنف) : ووهم المبرد فجعل المهراس اسماً علماً للمهراس الذي بأحد خاصة ، وإنما هو اسم لكل حجر نقر فأمسك الماء .

(٥) في الظاهرية (حباب) وهو تصحيف صححته من الأحمدية و (تبصير المنتبه في تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر عليه رحمة الله) .

(٦) هكذا ضبطها الحافظ في التبصير والفيروزابادي في القاموس وقال : وقد تفتح الراء ، وهي أمه .

فقال رسول الله ﷺ : (إن صاحبكم — يعنى حنظلة — لتغسله الملائكة) سئلت صاحبته فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة فقال رسول الله ﷺ لذلك (غسلته الملائكة) .

ووقفت هند وصويحباتها على القتلى يمثلن بهم ، واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خزماً [١] وقلائد ، وأعطت خزمها وقلائدها وحشيا، وبقرت عن كبد حمزة رضى الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها وقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ
ما كان لى عن عتبةٍ من صبر ولا أخى وعمه وبكر
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيتَ يا وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى علىّ عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ملهاشميين [٢] الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى حمزة ليثى وعلى صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى فخضبا منه ضواحى النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناس عن رسول الله ﷺ انتهى بعضهم إلى

---

(١) كذا فى النسختين ، وفى تاريخ ابن الأثير (خدما) وكلاهما معروف .
(٢) فى النسختين (بالهاشميين) والتصحيح من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف .

المُنَـعَّى[1] دون الأعوص ، وكان فى المسلمين رجل يقال له قُزمان، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يقول : (إنه لمن أهل النار) قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا ، وقتل ثمانية من المشركين فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، فجعل رجالمن المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم[2] يا قزمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ والله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر أعْلُ هُبل ، أى اظهر دينك ، فقال رسول الله ﷺ : (قم يا عمر فأجبه) فقال : الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، فقال : إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ قولوا : (الله مولانا ولا مولى لكم) .

فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له أبوسفيان : هلم إلىّ ياعمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : (ائته فانظر ما شأنه) فجاءه فقال أبو سفيان : أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة : إنى قتلت محمداً .

ثم نادى أبو سفيان : إن كان فى قتلاكم مثل[3] والله ما رضيت ولا سخطت وما نهيت ولا أمرت .

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ،

---

(١) فى الظاهرية (المنتقى) والتصحيح من الأحمدية ومعجم البلدان حيث قيده بالضم وتشديد القاف ، وقال : هو بين أحد والمدينة .

(٢) (اليوم) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية و (تاريخ الطبرى ٢ / ٥٣١) .

(٣) جمع مثلة ، يعنى من نكل بهم وشوهوا وقطعت بعض أعضائهم .

فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : (قل نعم هو والله[١] بيننا وبينكم موعد) .

ثم بعث رسول الله ﷺ علياً فى إثرهم وقال : (انظرهم فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فهم يريدون المدينة ، فوالذى نفسى بيده لئن أرادوها لأناجزنهم) قال على : فخرجت فى أثرهم فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة .

واحتمل بعض الناس قتلاهم إلى المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ بدفنهم حيث صرعوا ، وأمر أن يدفن الإثنان والثلاثة فى القبر الواحد ، وأن يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآنا ، وصلى عليهم ، وكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما ، وقيل كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم .

ولما دفن الشهداء انصرف رسول الله ﷺ فلقيته حمنة بنت جحش فنعى لها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت ، ونعى لها خالها حمزة[٢] فاستغفرت له واسترجعت ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت ، فقال رسول الله ﷺ : (إن زوج المرأة منها بمكان) .

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال : (لكن حمزة لا بواكى له) فرجع سعد بن معاذ إلى دار بنى عبد الأشهل وأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة[٣] .

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود فى الظاهرية .

(٢) ابن عبد المطلب ، كما هو ظاهر .

(٣) فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء قال : (ما هذا ؟) قال فأخبر ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا ، وقال : (ما هذا أردت وما أحب البكاء) ونهى عنه . كما فى تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى (الجزء الأول — المغازى) و (البداية والنهاية ٤٨/٤) ولعله نهى عن ذلك لما جمعوا كل نائحة باكية كانت فى المدينة .

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من الأنصار قد أصيب أبوها وزوجها وأخوها وولدها ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا هو بحمدالله تعالى كما تحبين ، قالت : أرونيه ، فلما نظرت إليه قالت : كل مصيبة بعدك جلل[١] .

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت بعد الوقعة .

غـــزوة حمراء الأسد

لما كان الغد من يوم أحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالغزو وقال : (لا يخرج معنا إلا من حضر أمس) لخرج ليظن الكفار به قوة ، وخرج معه بجماعة جرحى يحملون نفوسهم[٢] وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد، وهى من المدينة على سبعة أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ومر به معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة[٣] نصح رسول الله ﷺ بتهامة ، وكان معبد مشركاً فقال : لقد عز علينا ما أصابك ، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ فلقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى

---

(١) أى هينة، ويكون فى غير هذا بمعنى عظيم، كما فى (تاريخ الإسلام للذهبى) .

(٢) لما انصرف المشركون قاصدين الرجوع لمكة عن لهم فى الطريق ندم وقالوا : لو رجعنا فاقتفينا آثار محمد وأصحابه، فإنا قتلناهم ولم يبق إلا الفل والطريد فلنرجع إليهم حتى نستأصلهم . وبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين إلى لقائهم فانتدبوا وكانوا فى غاية الضعف ومثقلين بالجراحة ، حتى قيل إن الواحد منهم كان يحمل الآخر ثم ينزل المحمول فيحمل الذى كان حامله ، فقيض الله معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو كافر . . (تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٤/١٢٥) .

(٣) أى موضع نصحه ، وأصل العيبة : زبيل من أدم وما يجعل فيه الثياب كما فى (القاموس المحيط) .

رسول الله ﷺ ليستأصلوا المسلمين بزعمهم ، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله ، قد جمع معه من تخلف عنه ، وندموا على ما صنعوا ، وما ترحل حتى ترى نواصى الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم ، قال : فإنى أنهاك عن هذا ، فثنى[1] أبا سفيان ومن معه[2] .

ومر بأبى سفيان ركب من عبدالقيس فقال : بلغوا عنى محمداً رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ ، قالوا : نعم ، قال أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم ، فمروا برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ثم عاد إلى المدينة وظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص وبأبى عزة عمرو بن عبد الله[3] الجمحى ، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد .

وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فداء لأنه شكا إليه فقرا ، فأخذ رسول الله ﷺ عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله ، فخرج مع قريش يوم أحد وحرض على المسلمين ، فلما أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد أبق على ، قال : (المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين[4]) وأمر به فقتل .

وأما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية ، وهو الذى جدع أنف

---

(١) فى (تاريخ الإسلام للذهبى) : (فثنى ذلك أبا سفيان) .

(٢) لوقوع الرعب فى قلوبهم .

(٣) (عمرو بن عبد الله) ساقطة من الظاهرية .

(٤) نص الشيخين البخارى ومسلم (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ورواه الإمام أحمد فى المسند وأبو داود وابن ماجه .

حمزة رضى الله عنه ومثل به مع من مثل به فإنه كان قد[1] أخطأ الطريق فدخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما رآه عثمان قال : أهلكتنى وأهلكت نفسك ، فقال معاوية : أنت أقربهم منى رحما[2] وقد جئتك لتجيرنى[3] ، فأدخله عثمان داره ، وقصد رسول الله ﷺ ليشفع فيه ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن معاوية بالمدينة فاطلبوه) فأخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به إلى رسول الله ﷺ فقال عثمان : والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أماناً ، فهبه لى ، فوهبه له وأجله ثلاثة أيام ، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه ، فجهزه عثمان وقال له : ارتحل ، فأقام معاوية قريباً ليعرف أخبار النبى ﷺ ، فلما كان فى اليوم الرابع قال النبى ﷺ : (إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فاطلبوه) فطلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فأدركاه بالجماء[4] فقتلاه .

وهذا معاوية هو جد عبد الملك بن مروان لأمه .

وفى هذه السنة ولد الحسن بن على فى النصف من شهر رمضان .

وفيها علقت فاطمة بالحسين رضى الله عنهما . وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوما .

وفيها دخل رسول الله ﷺ بحفصة ابنة عمر بن الخطاب ، وبزينب

(١) فى الظاهرية (قد كان) .

(٢) سقط من الظاهرية (رحما) فاستدركتها من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى الظاهرية (لتخبرنى) وهو تصحيف صححته من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير .

(٤) جبل بالمدينة من ناحية العقيق إلى الجرف (وفاء الوفاء للسمهودى) و (معجم البلدان)

بنت خزيمة العامرية أم المساكين ، فعاشت عنده نحو ثلاثة أشهر وتوفيت رضى الله عنها .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الاعيان

فيها استشهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاع ، أرضعتهما ثويبة الأسدية ، كان يكنى أبا عمارة وأبا يعلى ، وكان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين .

شهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسنا، قتله وحشى بن حرب الحبشى مولى جبير ابن مطعم كما ذكرنا ، وكان عمره يوم قتل تسعاً وخمسين سنة ، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش فى قبر واحد ، وقال رسول الله ﷺ : (حمزة سيد الشهداء ولولا أن تجد صفية[1] لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع) ولم يمثل بأحد ما مثل به ، قطعت هند كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه وبقرت بطنه ، وقيل إن رسول الله ﷺ صلى على حمزة سبعين مرة ، كلما قدمت له جنازة صلى عليه معها .

وقال كعب بن مالك يرثى حمزة ، وقيل عبد الله بن رواحة :

بكت عينى وحق لها بكاها … وما يغنى البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله[2] غداة قالوا … لحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً … هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت … وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان … يخالطها نعيم لا يزول

(١) هى أخت سيدنا حمزة . ومن رحمة النبى ﷺ إياها أنه لما جاءت يوم أحد معها ثوبان لتكفين حمزة كره أن ترى حمزة على حاله فبعث إليها الزبير يحبسها ، وأخذ الثوبين ، كما فى (سير النبلاء)

(٢) كان يقال لسيدنا حمزة (أسد الله وأسد رسوله) على ما فى الاستيعاب.

ألا يا هاشم الأخيار صبرا فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنى لؤيا فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعاً عليه الطير حائمة[1] تجول
وعتبة وابنه خرا جميعاً وشيبة عضه السيف الصقيل
ألا يا هند لا تبدى شماتاً بحمزة إن عزكم ذليل
ألا يا هند فابكى لا تملى فأنت الواله العبرى الهبول

واستشهد (من المهاجرين) عبدالله بن جحش ، ومصعب بن عمير ، وشماس ابن عثمان المخزومى، وسعد مولى حاطب بن عبدالعزى، وعبد الله وعبدالرحمن ابنا الهبيب من بنى سعد بن ليث ، ووهب بن قابوس المزنى ، وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس ، ومالك ونعمان ابنا خلف بن عوف ابن دارم ، وكانا طليعتين للنبى ﷺ فقتلا يوم أحد شهيدين ودفنا فى قبر . (أحد عشر[2]) .

ومن الأنصار : حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة، وثابت بن وقش وكان رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد قد رفعهما فى الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ما ننتظر فوالله إن بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار[3] وإنما نحن هامة اليوم أو غداً، أفلا نأخذ

---

(١) فى النسختين (جائمة) والتصحيح من (الاستيعاب) .

(٢) المذكورون هنا عشرة ، وسها عن ذكر (حمزة بن عبد المطلب) فهو من المهاجرين وكانت وفاته سنة ثلاث من الهجرة ، يؤيد هذا ما ورد فى (تاريخ خليفة بن خياط ١/٣٢ من طبعة دمشق) .

(٣) أى شىء يسير ، وإنما خص الحمار لأنه أقل الدواب صبراً عن الماء ، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث والأثر) .

أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ ، لعل الله تعالى يرزقنا الشهادة معه ، فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما اليمان[1] حسيل بن جابر فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه وهم لا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى والله ، فقالوا : والله ما عرفناه . وصدقوا . فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده عند رسول الله ﷺ خيرا .

وفيها استشهد عمرو بن الجموح الأنصارى ، كان شيخاً كبيراً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون المشاهد مع رسول الله ﷺ فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بنىّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة . فقال له رسول الله ﷺ : (أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك) وقال لبنيه : (ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة[2] فأخذ سلاحه وخرج وقال : اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى إلى أهلى خائبا . فقتل يوم أحد فقال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته[3]) .

وقيل حمل هو وابنه خلاد حين انكشف المسلمون فقتلا جميعاً رحمهما الله تعالى .

---

(١) قيل له (اليمان) لأنه نسب إلى جده اليمان بن الحارث الذى حالف اليمانية ، على ما فى (الاستيعاب) .

(٢) سقط من الظاهرية (الشهادة) فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) سقط من الظاهرية (بعرجته) فاستدركتها من الأحمدية .

وفيها استشهد سعد بن الربيع بن عمرو[١] الأنصارى الخزرجى ، عقبى بدرى أحد نقباء الأنصار ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر أن يلتمس فى القتلى يوم أحد ، فرأوه وبه رمق فقال للذى رآه : أبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له : جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومى السلام ، وقل لهم : لا عذر لكم عند الله تعالى إن خلص إلى[٢] رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف ، ثم مات رضى الله عنه ، وكان الذى رآه أبى بن كعب رضى الله عنه .

وفيها استشهد خارجة بن زيد بن أبى زهير الخزرجى ، ودفن هو وسعد ابن الربيع فى قبر واحد وكان ابن عمه . وكانت ابنته تحت أبى بكر[٣] رضى الله عنه ، وكانت الرماح قد أخذته يوم أحد فجرح بضعة عشر جرحا ، فربه صفوان ابن أمية فعرفه فأجهز عليه ومثل به . وقال : هـذا ممن قتل أبا على يوم بدر ، يعنى أباه أمية بن خلف ، وكان خارجة بن زيد من كبار الصحابة رضى الله عنه .

وفيها استشهد عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله ، أحد النقباء ، عقبى بدرى ، قال جابر : قتل أبى يوم أحد فجئت إليه وقد مثل به وهو مغطى الوجه ، فكشفت عن وجهه وجعلت أبكى ، وجعل الناس ينهونى ، ورسول الله ﷺ لا ينهانى ، وجعلت فاطمة بنت عمرو عمتى تبكيه ،

---

(١) فى الأحمدية (عمر) وهو سهو صححته من الظاهرية ومن (جوامع السيرة لابن حزم ٧٥) .

(٢) سقطت (إلى) من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) هى والدة أم كلثوم التى مات أبو بكر وهى حامل بها فقال : ذو بطن بنت خارجة ما أظنها إلا أنثى . فكان كذلك . على ما فى (الإصابة للحافظ ابن حجر) وغيرها .

فقال رسول الله ﷺ : (لا تبكيه فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه[١]) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (أعلمت أن الله أحيا أباك فقال له : تمنه ، فقال : أرد إلى الدنيا فأقتل ، فقال قد قضيت أن لا يرجعوا) .

وأمر رسول الله ﷺ أن يدفن عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء[٢] ، وكان عبد الله قد أصابه جرح فى وجهه ويده عليه ، فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده إلى مكانه فسكت[٣] .

وفيها استشهد أنس بن النضر[٤] بن ضمضم بن زيد بن حرام النجارى الأنصارى ، عم أنس بن مالك رضى الله عنهما ، غاب عن قتال بدر فقال : يا رسول الله غبت عن قتال بدر ، عن أول قتال قاتلت[٥] فيه المشركين ، أما والله لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف الناس فقال : اللهم[٦] إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء[٧] وأبرأ إليك

(١) فى صحيح الإمام البخارى : (ابكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه) ورواه بصيغة أخرى أبو داود الطيالسى ، على ما فى (الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر) .

(٢) كانا صهرين وصديقين متآخيين . على ما فى (الدرر فى المغازى والسير للحافظ ابن عبد البر ١٦٥) .

(٣) فى الأحمدية (فسكن)

(٤) فى الأحمدية (النظر) وهو سهو ، صححته من الظاهرية والاشتقاق لابن دريد ، وصفة الصفوة لابن الجوزى وتاريخ خليفة بن خياط .

(٥) فى الظاهرية (قابلت) وهو تصحيف .

(٦) سقط من الظاهرية (اللهم) فاستدركتها من الأحمدية .

(٧) يعنى المسلمين ، كما فى (صحيح الإمام البخارى) وغيره.

مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ، ومشى بسيفه فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد هذه الجنة ورب أنس أجد ريحها ، ثم حمل وقاتل حتى قتل ، فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بين ضربة سيف وطعنة رمح ورشقة سهم ، ومثل به المشركون ، وفيه نزلت (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه[1]) الآية .

واستشهد من الأنصار أيضا : عمرو بن معاذ، وابن أخيه الحارث بن أوس ابن معاذ ، والحارس بن أنس ، وعمارة بن زياد ، وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش ، وأبوهما ، وعمهما رفاعة ، وصيفي وحباب[2] ابنا قيظى بن عمرو بن سهل بن مخرمة بن عبد الأشهل ، وعمهما عباد بن سهل ، وعمه معبد بن مخرمة ، وعامر بن يزيد بن السكن ، ويزيد بن السكن بن رافع ، وسهل بن رومى بن وقش ، ورافع بن يزيد ، وقرة بن عقبة بن قرة ، وإياس بن أوس بن عتيك ، وحبيب بن يزيد[3] بن تيم بن أمية ، وعبيد ابن التيهان ، وسيار مولى أبي الهيثم بن التيهان ، ويزيد بن حاطب بن أمية ، وقيس ابن الحارث بن عدى ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وأبو سفيان بن الحارث ابن قيس ، وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأنيس بن قتادة ، وثابت ابن الدحداح ، وسبيع بن حاطب بن قيس ، ومالك بن تميلة ، وأبو حبة[4] ابن عمرو بن ثابت ، وعبدالله بن جبير ، وخيثمة بن الحارث بن مالك ، والحارث ابن عدى بن خرشة ، وعمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وقيس بن

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .

(٢) في الأحمدية (جناب) أو (خباب) وكلاهما تصحيف صححته من الظاهرية وجوامع السيرة لابن حزم وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر .

(٣) في النسختين (زيد) والتصحيح من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف للسهيلي . وفي تاريخ خليفة بن خياط (زيد) .

(٤) هكذا في النسختين ، وقد اختلف فيه فقيل أبو حبة وأبو حنة قال الحافظ في التبصير : الجمهور على أنه بالموحدة .

مخلد ، وسليم بن الحارث ، والنعمان بن عبد عمرو ، وعمرو بن قيس بن مالك وأوس بن الأرقم ، والحارث بن ثابت بن سفيان ، والحارث بن ثابت بن عبد الله بن سعد ، ومالك بن سنان بن عبيد[1] بن ثعلبة ، وسعيد بن سويد ، وعتبة بن ربيع بن رافع ، وعبد الله بن الربيع بن قيس ، وثعلبة بن سعد بن مالك وثقف[2] بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ، وضمرة ابن عمرو بن كعب ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، ونوفل بن عبد الله بن نضلة المذكور ، والنعمان بن مالك ، والمجذر[3] بن ذياد[4] وعبدة بن الحسحاس ، ورفاعة بن عمرو ، وزيد بن وديعة ، وسليم بن عمرو ، وسهل بن قيس ، وذكوان ابن عبدقيس ، ورافع بن مالك ، وحارثة بن مالك ، وعبيد بن المعلى .

جميعهم ستة وتسعون ، منهم من المهاجرين أحد عشر ، ومن الأنصار خمسة وثمانون : من الأوس ثمانية وثلاثون ، ومن الخزرج سبعة وأربعون .

وقتل من كفار قريش يوم أحد حملة اللواء من بنى عبد الدار : عشرة ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد الدار ، والقاسط بن شريح ، وعبد الله ابن حميد ، وأبو الحكم بن الأخنس بن شريق[5] ، وسباع بن عبد العزى ، وهشام بن أبي أمية بن المغيرة ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، وأبو

---

(١) فى الأحمدية «عبيدالله» وهو سهو صححته من الظاهرية و (تاريخ خليفة ابن خياط ٣٦/١ من طبعة دمشق) .

(٢) فى النسختين « ثقب » والتصحيح من « تاريخ خليفة بن خياط ٣٦/١ من طبعة دمشق » .

(٣) فى النسختين « المحذر » وهو تصحيف .

(٤) فى النسختين « زياد » بالزاى ، وهو تصحيف صححته من تاريخ الإسلام للذهبى « الجزء الأول - المغازى » ومن تاريخ ابن الأثير .

(٥) فى الظاهرية (شريف) وهو تصحيف صححته من الأحمدية والسيرة النبوية لابن هشام .

أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم حليف لهم ، وعمرو بن عبدالله ابن عمير بن وهب الجمحي ، وأبي بن خلف الجمحي ، وعبيدة بن جابر ، وشيبة ابن مالك ، وغيرهم .

وقال حسان بن ثابت يذكر أصحاب اللواء من بني عبد الدار :

منع النومَ بالعشاء الهمومُ وخيال إذا تغور النجومُ
من حبيب أصاب[١] قلبك منه سَقَم فهو داخل[٢] مكتوم[٣]
لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
رب حلم[٤] أضاعه عدم الما ل وجهل غَطى[٥] عليه النعيم
لا تسبنني فلست بسبي إن سبي من الرجال الكريم
ما أبالي أنب بالحزن تيس[٦] أم لحاني بظهر غيب لئيم

(١) هكذا في النسختين وديوانه ، وفي السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف « أضاف » أي نزل وزار .

(٢) في الأحمدية « راحل » وما في الظاهرية موافق لما في السيرة النبوية لابن هشام وديوان حسان .

(٣) كذا في السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف وديوان حسان . وفي النسختين « مكلوم » .

(٤) كذا في النسختين والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف . وفي بلوغ الأرب الآلوسي : « علم » ، ومثله في « رسالة الغفران للمعري » .

(٥) كذا في النسختين . وفي الروض الأنف « غطا » بتخفيف الطاء ومعناه ارتفع وعلا .

(٦) يعني قد استوى لدى نبيب التيس في الحزن ونيل اللئيم من عرضي . ونبيب التيس : صوته عند السفاد . والحزن : ما غلظ من الأرض . كما في « بلوغ الأرب » ، وفي الأحمدية « أبت بالحزن يبس » وهو تحريف .

ولى البأس[1] منكم إذ رحلتم	أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت	فى رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا[2] جميعاً	فى مقام وكلهم مذموم
وأقاموا[3] حتى أزيروا شعوبا[4]	والقنا فى نحورهم محطوم
وقريش تفر منا لواذا	أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم	إنما يحمل اللواء النجوم[5]

وقال عبد الله بن الزبعرى ولم يكن أسلم يومئذ :

يا غراب البين أسمعت فقل	إنما تنطق شيئاً قد فعل
كل عيش ونعيم زائل	وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغاً حسان عنى[6] آية	فقريض الشعر يشفى ذا العلل[7]
كم قتلنا من كريم سيد	ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم[8] بارع	غير ملتاث لدى وقع الأسل

(١) فى النسختين « الناس » وهو تصحيف . والتصحيح من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف وديوان حسان .

(٢) فى النسختين « أتيحوا » وهو تصحيف صححته من السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف .

(٣) فى الظاهرية « وأقيموا » وهو سهو صححته من الأحمدية والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف .

(٤) شعوب : المنية .

(٥) فى « ديوان حسان » كلمات مغايرة لما ورد فى النص لم أشر إليها .

(٦) هكذا فى الظاهرية والسيرة النبوية . وفى الأحمدية « عنا » .

(٧) فى السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف (الغلل) . وفى النسختين « العلل » .

(٨) القرم : السيد .

ليت أشياخى ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت[١] بقباء بركها[٢] — واستحر[٣] القتل فى عبدالأشل[٤]
قد قتلنا الضعف من أشرافهم — وعدلناه ببدر فاعتدل[٥]

* * *

السنة الرابعة

غزوة الرجيع

فى هذه السنة فى صفر كانت غزوة الرجيع[٦] وكان سببها أن رهطاً من عَضل والقارة قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ، فبعث معهم نفراً ستة وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وقيل مَرثد بن أبى مَرثد ، فلما كانوا بالهَدْأة[٧] غدروا واستصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فبعثوا لهم[٨] مائة رجل

(١) هذا ما فى السيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف . وفى النسختين « حلت » .
(٢) فى الأحمدية « مبركها » ولعله من تصرف الناسخ .
(٣) فى الأحمدية « واستجر » وهو تصحيف .
( ) فى النسختين (الأسل) والتصحيح من المصدرين السابقين والبداية والنهاية لابن كثير .
(٥) فى المصادر السابقة « وعدلنا ميل بدر فاعتدل »
(٦) الرجيع : ماء لهذيل ، لبنى لحيان منهم .
(٧) الهدأة والرجيع متجاوران بين عسفان ومكة . وفى الأحمدية « الهدة » قال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف (الهدة) بغير ألف ، وهو غير الهدأة ، ذكر معه لنفى الوهم .
(٨) « لهم » مستدركة من « تاريخ ابن الأثير » .

فالتجأ المسلمون إلى جبل ، فاستنزلوهم وأعطوهم العهد ، فقال عاصم بن ثابت : والله لا أنزل على عهد كافر ، اللهم خبرعنا نبيك . وقاتلهم هو ومَرْثد وخالد ابن البكير حتى قتلوا .

ونزل إليهم(١) ابن الدَّثِنة وخبيب بن عدى ورجل آخر فأوثقوهم ، فقال الرجل : هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم إن لى بهؤلاء أسوة — يعنى القتلى — فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة حتى باعوهما ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا ، وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدُّ بها(٢) فأعارته ، فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه فأجلسه على فخذه والموسى بيده ، قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال : أتخشين أن أقتله ، ما كنت لأفعل ذلك ، قالت والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ، وكانت تقول : انه لرزق رزقه الله خبيبا .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب : دعونى أصلى ركعتين ، فتركوه فركع ركعتين(٣) وقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جـــزع لزدت ، ثم قال : « اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا(٤) ولا تبق

(١) فى الظاهرية « عليهم » .

(٢) الاستحداد : الاحتلاق بالحديد . على ما فى « القاموس المحيط » .

(٣) سقط من الظاهرية «فركع ركعتين» فاستدركتها من الأحاديث والمصادر المشهورة .

(٤) يروى بكسر الباء : جمع بدة وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بالفتح : أى متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد ، من التبديد ، على ما فى « النهاية لابن الأثير المحدث » .

منهم أحدا[١] ، ثم أنشأ يقول :

فلست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان لله[٢] مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على[٣] أوصال شلو ممزع

فقام أبو سَروعة عقبة بن الحارث فقتله وصلبه .

وكان خبيب هو أول من[٤] سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة[٥] .

وأما ابن الدَّثِنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نِسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه ، فقال له نِسطاس : أنشدك الله أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وأنك فى أهلك ، قال : « ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى » فقال أبو سفيان : ما رأيت من

(١) أصابت دعوته من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ، ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه . ومن قتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بدداً غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وقبل ذلك فى بدر . وإن كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه . على ما فى « الروض الأنف للحافظ أبى القاسم السهيلى » .

(٢) فى المصادر المشهورة كالبداية والنهاية لابن كثير ٦٣/٤ « فى الله » فى موضع « لله » وفى « تاريخ الطبرى ٥٤١/٢ » « على أى شق كان لله مصرعى » .

(٣) فى الأحمدية « فى » فى موضع « على » .

(٤) سقط من الأحمدية « أول من » والاستدراك من الظاهرية والمراجع المشهورة .

(٥) وقد صلى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى حياته عليه السلام ، على ما فى « الروض الأنف للمحدث عبد الرحمن السهيلى رحمه الله » .

الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . ثم قتله نسطاس[١] .

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي[٢] سفيان

ولما قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي[٣] سفيان بن حرب، قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبي ومعي بعير لي، وبرجل صاحبي علة، فكنت أحمله على بعيري، حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا في الشعب، وقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان لنقتله ، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله ﷺ ، وخل عني فإني عالم بالبلد نجيب الساق[٤] .

فدخلنا مكة ومعي خنجر إن عانقني[٥] إنسان ضربته به، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إن أهل مكة يجلسون بأفنيتهم وأنا أعرف بها، فلم نزل حتى أتينا البيت[٦] فطفنا وصلينا، ثم خرجنا فررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم ، فصرخ بأعلى صوته : « هذا عمرو بن أمية » فثار أهل مكة إلينا وقالوا : ما جاء إلا لشر[٧] فقلت لصاحبي : النجاء، من هذا كنت أحذر .

---

(١) أورد الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد ٦/١٩٩ » أحاديث هذه الغزوة ورجالها رجال الصحيح، وبعضها حسن .

(٢) في الظاهرة « بني » وهو سهو .

(٣) في الظاهرية « بني » وهو سهو . (٤) النجيب من الابل : السريع .

(٥) هكذا في « الظاهرية » ، وفي الأحمدية « عايقني » وفي تاريخ ابن الأثير « عاقني » ولعله الصواب .

(٦) « البيت » ساقطة من الظاهرية .

(٧) كان عمرو رجلا فاتكاً متشيطناً في الجاهلية ، كما في « تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٣ » وتاريخ ابن الأثير .

أما أبو سفيان فليس إليه – بعد ما عرفونى – سبيل ، فخرجنا حتى صعدنا الجبل فدخلنا فى غار ، فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب ، قال : فوالله إنى لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمى بفرس له فقام على باب الغار ، فخرجت إليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكانى فوجدوه وبه رمق ، قالوا : من ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية ، ثم مات ولم يقدر أن يخبرهم بمكانى ، وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبى ، فاحتملوه ، ومكثنا فى الغار يومين حتى سكن الطلب .

ثم خرجنا إلى التنعيم (١) فإذا خشبة خبيب وحوله حرس ، فصعدت إلى خشبته فاحتملته على ظهرى ، فما مشيت به إلا نحواً من أربعين خطوة حتى نذروا بى (٢) فطرحته ، واشتدوا فى إثرى ، فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا .

وانطلق صاحبى فركب البعير وأتى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر .

وأما خبيب فلم ير بعد ذلك ، فكأن الأرض ابتلعته .

قال : وسرت حتى دخلت غاراً بضجنان (٣) ومعى قوسى وأسهمى ، فبينما أنا فيه إذ دخل على رجل من بنى الديل (٤) أعور طويل ، يسوق غنماً له ، فقال : من الرجل ؟ قلت : من بنى الديل فاضطجع معى ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا

---

(١) بينه وبين مكة فرسخان «معجم ما استعجم» وهو فى الحل خارج الحرم .

(٢) أى علموا وأحسوا بمكانى . وفى النسختين « ندروا بى » وهو تصحيف صححته من « تاريخ الطبرى ٢ / ٥٤٤ » .

(٣) فى الأحمدية « بصحنان » وهو تصحيف صححته من « تاريخ الطبرى » وضجنان : جبل بناحية مكة على طريق المدينة « معجم ما استعجم » .

(٤) فى الأحمدية فى الموضعين « الذيل » وهو تصحيف .

ثم نام ، فقتلته ، ثم سرت فإذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان[١] أمر رسول الله ﷺ . فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، واستأسرت[٢] الآخر ، فقدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير .

غزوة بئر معونة

كانت في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، وكان سببها ما ذكره عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة[٣] على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله ﷺ : (إني أخشى أهل نجد عليهم) فقال أبو براء : أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك ، فبعث رسول الله ﷺ المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في أربعين رجلا وقيل في سبعين رجلا من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب[٤] ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على

---

(١) في تاريخ الطبري « يتحسسان » بالحاء ، والمعنى واحد . أنظر « النهاية لابن الأثير المحدث » .

(٢) في الظاهرية « استأمرت » وهو سهو .

(٣) سمي « ملاعب الأسنة » بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر ... فراح له حظ الكتيبة أجمع

(٤) وهي إلى حرة بني سليم أقرب ، كما في «تاريخ الطبري» و « مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٦ / ١٢٨ » و « عيون الأثر ٢ / ٤٤ » .

الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا : لن نخفر أبا براء فى جواره ، فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم : عُصَيّة ورعلا[١] فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله تعالى ، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتُثّ[٢] من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً رحمه الله تعالى .

وكان فى سرح[٣] القوم عمرو بن أمية الضمرى والمنذر بن محمد بن أحيحة ابن الجلاح الأنصارى ، فلم ينبئهما[٤] مصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالوا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا ينظران ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال المنذر لعمرو : ماذا ترى ؟ قال : نرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال المنذر : لكنى لم أرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة[٥] من صدر قناة أقبل رجلان

---

(١) فى الأحمدية «رغلا» وهو تصحيف صححته من « الاشتقاق لابن دريد » وهو خطأ ظاهر . وفى تاريخ الطبرى « عصية ورعلا وذكوان » ومثله فى « الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ١٧١ » .

(٢) أى وقع وبه جراح أثخنته لحمل من المعركة .

(٣) السرح : الرعاء .

(٤) فى النسختين « فلم يثبتهما » وهو تصحيف صححته من « عيون الأثر فى المغازى والسير لابن سيد الناس ٢ / ٤٤ » .

(٥) هى قرقرة الكدر .

من بنى عامر حتى نزلا معه فى ظل هو فيه ، وكان معهم عقد من النبى ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وسألهما من أين أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأره(١) من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد قتلت قتيلين لأدينّهما) ثم قال رسول الله ﷺ : (هذا عمل أبى براء ، لقد كنت لهذا كارهاً متخوفا) فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه .

وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ألم يَرُعْكم … وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء … ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى … فما أحدثت فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء … وخالك ماجد حكم بن سعد

أم البنين هى أم أبى براء ، فحمل ربيعة بن أبى براء على عامر بن الطفيل وطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه فأشواه(٢) ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى براء ، إن أنامت فدمى لعمى ، وإن أعش فسأرى رأيى (٣).

وأنزل الله عز وجل فى أهل بئر معونة قرآنا : أبلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه . ثم نُسخت .

---

(١) فى الأحمدية « ثوره » وفى تاريخ الطبرى ٢ / ٥٤٧ « ثؤرة » ـ مهموزه ـ وهى بمعنى الثأر .

(٢) يعنى لم يصب مقتله ، على ما فى « النهاية » و(الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس ليوسف بن عبد الهادى) .

(٣) أورد هـذا الخبر الحافظ الهيثمى فى « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق .

ذكر إجلاء بنى النضير (١)

وكان سبب ذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى دية الرجلين(٢) اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ، فقالوا : من منكم يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال : أنا لذلك، فصعدليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم .

فقال سلام بن مِشْكم لليهود :لاتفعلوا ، والله ليخبرن بما هممتم به ،وإنه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه .

قال فأتى رسولَ الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أصحابه الخبر ، وأمر المسلمين بحربهم ، ونزل بهم ، فتحصنوا منه فى الحصون فقطع النخل وأحرق(٣) ، وأرسل إليهم عبدالله ابن أبى ابن سلول وجماعته(٤) أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم .

---

(١) فى النسختين هنا « النظير » وهو سهو

(٢) بل اختلف فى سبب ذلك ، على ما فى « إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى عليه رحمة الله » حيث أورد بضعة أسباب لذلك .

(٣) كذا فى النسختين وفى المراجع الأخرى « وأحرقها » . وجميع ما قطعوا وأحرقوا ست نُخلات ، كما فى « إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى » .

(٤) من المنافقين ، على ما فى « الدرر فى المغازى والسير الحافظ ابن عبد البر ١٧٠ » .

وقد قذف الله فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

وكان ممن سار إلى خيبر كنانة بن الربيع وحيي بن أخطب(١) وكان منهم يومئذ أم عمرو صاحبة عروة بن الورد التى ابتاعوا منه ، وكانت غفارية .

فكانت النضير[٢] لرسول الله ﷺ وحده يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار[٣] ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقراً ، فأعطاهما .

ولم يسلم من بنى النضير إلا يامين بن عمير بن كعب ، وهو ابن عم عمرو ابن جحاش(٤) .

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وكانت رايته مع على بن أبى طالب رضى الله عنه .

* * *

---

(١) فى الظاهرية « أحطب » وهو تصحيف .

(٢) يعنى أموالهم ، وعبارة ابن الأثير فى تاريخه « فكانت أموال النضير » .

( ) « وإنما قسمها بين المهاجرين لأنهم إذ قدموا المدينة شاطرتهم الأنصار ثمارها ، وعلى ذلك بايعوا ليلة العقبة على نصرته ومواساة أصحابه ، فرد المهاجرون على الأنصار ثمارهم » . هـذا ما قاله الحافظ ابن عبد البر فى « الدرر » وقال الدكتور شوقى ضيف محقق « الدرر » : أوضح ابن عبد البر العلة فى ذلك : حتى يرد المهاجرون على الأنصار ما أخذوا من ثمارهم التى شاطروهم فيها ، ومن حينئذ وقفت المواساة التى كانت مفروضة عليهم للمهاجرين . وانظر « إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى » و « عيون الأثر ٢ / ٥٠ » .

(٤) بكسر الجيم .

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد (بنى النضير) شهرى ربيع ، ثم غزا نجدا ، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، وهى غزوة ذات الرقاع .

سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به ، فيه سواد وبياض وحمرة[١] واستخلف على المدينة عثمان بن عفان[٢] فلقى المشركين ولم يكن قتال ، وخاف الناس بعضهم بعضاً فنزلت صلاة الخوف . وجاء رجل من بنى محارب إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن ينظر إلى سيفه ، فأعطاه السيف فلما أخذه وهزه قال : يا محمد أما تخافنى ؟ قال : (لا) قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : (لا ، يمنعنى الله منك) فرد السيف على رسول الله ﷺ .

وأصاب المسلمون امرأة منهم ، وكان زوجها غائبا ، فلما أتى أهله أخبر الخبر ، فحلف لاينتهى حتى يهريق فى أصحاب رسول الله ﷺ ، فخرج يتتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ وقال : (من يحرسنا الليلة) ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار(٣) ، فأقاما بفم شعب نزله النبى ﷺ ، فاضطجع المهاجرى وحرس الأنصارى أول الليل ، وقام يصلى

---

(١) وقيل سميت بذلك لأن أقدامهم نقبت ، ورقت جلودها ، فكانوا يلفون عليها الخرق . وقيل بل سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها ، ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع . على ما فى « الدرر فى المغازى والسير للحافظ ابن عبد البر ١٧٦ » وانظر صحيح الإمام البخارى « باب غزوة ذات الرقاع » .

(٢) فى المصدر نفسه : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، وقيل بل استعمل عليها عثمان بن عفان . والأول أكثر .

(٣) هما عباد بن بشر من الأنصار ، وعمار بن ياسر من المهاجرين ، على ما فى « إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون للمؤرخ برهان الدين الحلبى » .

لجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيئة[١] فرماه بسهم فوضعه فيه، فانتزعه وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر فأصابه، فنزعه وثبت يصلي، ثم رماه الثالث فوضعه فيه، فانتزعه ثم ركع وسجد.

ثم أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أنهما علما به. ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى قال: سبحان الله ألا أيقظتنى أول ما رماك قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها، فلما تتابع على الرمى ركعت وأعلمتك، وايم الله لولا خوفى أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها.

وقيل إن هذه الغزوة كانت فى المحرم سنة خمس[٢] والله أعلم.

٭ ٭ ٭

غزوة بدر الثالثة [٣]

وتسمى غزوة السويق

وفى شعبان من هذه السنة خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبى سفيان ابن حرب، حتى نزل بدرا، فأقام عليها ثمانى[٤] ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج

---

(١) فى النسختين «ربية»، والتصحيح من «جوامع السيرة لابن حزم ١٨٣» والربيئة: العين والطليعة الذى ينظر القوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه، على ما فى «النهاية لابن الأثير المحدث».

(٢) أنظر «عيون الأثر لابن سيد الناس». وغيره لتحقيق ذلك.

(٣) فى النسختين «الثانية»، والصواب «الثالثة» كما سماهـا الحافظ ابن عبد البر فى «الدرر فى المغازى والسير ١٧٧».

(٤) فى النسختين «ثمان» وتثبت ياؤه عند الإضافة كما تثبت ياء «القاضى».

أبو سفيان فى أهل مكة إلى مَرّ الظهران[١] ، وقيل إلى عُسفان[٢] ثم رجع ورجعت قريش معه ، فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

واستخلف رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة .

وفيها تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة .

وفيها أمر رسول الله ﷺ أن تتعلم كتابة اليهود[٣]

وفيها ولد الحسين بن على بن أبى طالب . وولى الحج فيها المشركون .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

فيها توفى عبد الله بن عثمان بن عفان ، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ وكان عمره ست سنين .

وفيها استشهد عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح[٤] قيس بن عصمة بن النعمان الأنصارى ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه ، قد ذكرنا مقتله ، فلما علمت قريش بمقتله بعثوا إليه ، وكان قد قتل أخا سلافة بنت سعد يوم بدر ، وكانت نذرت أن تشرب الخمر فى قِحف[٥] دماغه ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبر — والدَّبر[٦] ذكور النحل — فحمته عن رسلهم ، فلم يقدروا

(١) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة ، على ما فى « معجم البلدان » .

(٢) عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة . على ما فى « معجم البلدان » .

(٣) أمر النبي زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . فتعلمه فى خمسة عشر يوما على ما فى « الثقات لابن حبان ١ / ٢٤٦ » .

(٤) فى صورة النسخة الظاهرية « الأفلح » ، وهو تصحيف .

(٥) القحف - بالكسر - العظم فوق الدماغ ، وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء ، على ما فى « القاموس المحيط » .

(٦) بالفتح ، ويكسر ، على ما فى القاموس المحيط » .

على شيء منه ، فلما أعجزهم قالوا : إن الدبر ستذهب إذا جاء الليل فلما جاء الليل بعث الله عز وجل مطراً جاء بسيل فحمله فلم يوجد ، وحال الله تعالى بينهم وبينه ، فسمى عاصم (حمىّ الدبر) رحمه الله تعالى(١) . ومن ذريته الأحوص الشاعر ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها استشهد عامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما . كان مولداً من الأزد ، أسود اللون مملوكاً للطفيل بن سخبرة . أسلم وهو مملوك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبى بكر فى هجرتهما إلى المدينة . شهد بدراً وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين سنة ، قتله عامر بن الطفيل ، وكان يقول عامر : لما طعنته رأيته وقد رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع ، وطلب بين القتلى فلم يوجد ، زعم عروة بن الزبير أن الملائكة دفنته . وقيل إن الذى قتله جبار بن سلمى من بنى كلاب ، فلما طعنه قال : فزت والله(٢) ، ورفع إلى السماء ، فأسلم جبار لما رأى(٣) من رفعه . وقال رسول الله ﷺ : (إن الملائكة وارت جثته وأنزلته عليين) .

وممن استشهد يوم بئر معونة الحكم بن كيسان مولى بنى مخزوم ، والمنذر ابن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح . وأبو عبيدة بن عمرو بن محصن ، والحارث بن الصمة . وأبى بن معاذ بن أنس . وأخوه أنس . وأبى بن ثابت بن المنذر . وسليم وحرام ابنا ملحان ، وهما أخوا أم سليم أم أنس بن مالك وأخوا أم حرام امرأة عبادة بن الصامت ، ومالك وسفيان ابنا ثابت(٤) . وعروة بن

(١) قال عمر بن الخطاب حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته . « البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٦٤ » .

(٢) يعنى بالجنة ، على ما فى « البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٤ / ٧٢ » .

(٣) سقط من الظاهرية « لما رأى » فاستدركتها من الأحمدية .

(٤) من الأنصار من بنى النبيت ، على ما فى « عيون الأثر فى المغازى والسير بن سيد الناس ٢ / ٤٦ » .

أسماء بن الصلت . وقطبة بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل . والمنذر ابن عمرو بن خنيس وهو أميرهم . ومعاذ بن ماعص وأخوه عائذ . ومسعود بن سعد بن قيس . وخالد بن ثابت بن النعمان . وسفيان بن حاطب بن أمية ، وسعد بن عمرو بن ثقف، وابنه الطفيل ، وابن أخته سهل بن عامر . وعبدالله ابن قيس بن صرمة . ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وفيه يقول عبد الله ابن رواحة يرثيه :

رحم الله نافع بن بديلٍ ... رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابراً صادق اللقاء إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد

والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل . وعمرو بن معبد ابن الأزعر ، رحمهم الله تعالى(١) .

السنة الخامسة

في هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمته . كان زوجها مولاه زيد بن حارثة ، فخرج رسول الله ﷺ يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته وكرهت إلى زيد فلم يستطع يقربها(٢) ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال له : (هل رابك منها شيء ؟) قال : لا والله، فقال له رسول الله ﷺ : (أمسك عليك زوجك

---

(١) هنا في حاشية الأحمدية : « بلغ قراءة » .

(٢) القول بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لها وإرادة طلاقها جهل عظيم من قائله بما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز، ولا يليق بحق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا بحق غيره من الأنبياء ، فإن مقام النبوة يجل عن ذلك ، وهو جهل بمقام النبوة وأي جهل . « من كتاب كشف الغيهب في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب للشيخ محمد سعيد إياس عليه رحمة الله » .

واتق الله) ففارقها زيد وحلّت(١) . وأنزل الوحى على رسول الله ﷺ : فقال : (من يبشر زينب أن الله زوجنيها) وقرأ عليهم قوله تعالى (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه(٢)) الآية . فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول : زوجكن أهلوكن وزوجنى الله تعالى من السماء .

غزوة دُومَة الجندل

وفيها كانت غزوة دومة(٣) الجندل فى ربيع الأول . وسببها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعاً من المشركين ، فغزاهم فلم يلق كيدا ، وخلف على المدينة سباع بن عُرفُطة(٤) الغفارى ، وغنم المسلمون إبلا وغنماً وجدت لهم .

وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع رسول الله ﷺ فى هذه الغزاة .

وفيها وادع رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزارى .

غزوة الخندق ، وهى غزوة الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس ، وكان من حديثها أن نفراً من يهود ، منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة

---

(١) فى الأحمدية « وخلت » وما فى الظاهرية موافق لما فى « تاريخ الطبرى ٢ / ٥٦٣ من طبعة دار المعارف » وفيه : وقامت إليه زينب فضلا — أى تلبس ثوباً واحداً — فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله على الباب ، فوثبت عجلة .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧ ، ومن هذه الآية قوله تعالى « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » أى أخفى فى نفسه ما أعلمه الله به من أنها ستكون زوجته وأنه سيزوجه إياها ، على ما فى « كتاب كشف الغيهب » .

(٣) بضم الدال . ودومة بالفتح موضع آخر ، كما فى تاريخ الإسلام للذهبى « الجزء الأول » بتحقيق محمد محمود حمدان .

(٤) فى النسختين « عرطفة » وهو تحريف صححتة من « جوامع السيرة لابن حزم » .

ابن الربيع بن أبي الحقيق النضَري ون(١) ، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائلي ، في نفـــر من بني النضير وبني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ .

خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه(٢) فديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى فيهم (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت(٣)) إلى قوله (وكفى بجهنم سعيرا) قال : فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واعتدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ فخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف المري في بني مرة ، ومسعر بن رخيلة(٤) فيمن تابعه من بني أشجع ، وخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا عليه من الأمر ضرب على المدينة الخندق ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون ، وتسلل جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى (قد يعـــلم الله الذين يتسللون منكم لواذا(٥)) الآيات .

---

(١) بفتح الضاد ، على ما في « اللباب في الأنساب لابن الأثير » والقاموس المحيط .

(٢) « نحن ومحمد » كما في « تاريخ الطبري ٢ / ٥٦٥ » .

(٣) سورة النساء ، الآية ٥١ .

(٤) في النسختين « رخلة » وهو تحريف صححته من « جوامع السيرة » .

(٥) سورة النور ، الآية ٦٣ .

وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة استأذن رسول الله ﷺ فيقضى حاجته ثم يعود ، فأنزل الله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله[١]) الآية .

ثم قسم الخندق بين المسلمين ، فاختلف المهاجرون والأنصار فى سلمان ، كل يدعى أنه منهم ، فقال رسول الله ﷺ : (سلمان منا أهل البيت[٢]) وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا ، فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو ابن عوف وستة من الأنصار يعملون ، فخرج عليهم صخرة كسرت المعاول ، فأعلموا رسول الله ﷺ فهبط إليها ومعه سلمان ، فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعتها ، وبرق منها برقة أضاءت ما بين لابتى المدينة ، فكبر رسول الله ﷺ والمسلمون ، ثم الثانية كذلك ، ثم الثالثة كذلك ، ثم خرج وقد صدعها ، فسأله سلمان عما رأى من البرق ، فقال رسول الله ﷺ : (أضاءت لى الحيرة وقصور كسرى فى البرقة الأولى وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، وأضاء لى فى الثانية القصور الحمر من أرض الروم وأخبرنى أن أمتى ظاهرة عليها وأضاء لى فى الثالثة قصور صنعاء وأخبرنى أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا) فاستبشر المسلمون ، وقال المنافقون : ألا تعجبون ، يعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا ، فأنزل الله تعالى (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا[٣]) .

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٢ .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك ، والطبرانى فى الكبير ، على ما فى « الفتح الكبير للشيخ يوسف النبهانى عليه رحمة الله » . وإنما وقع التنافس فى سلمان رضى الله عنه لأنه كان رجلا قويا ، يعمل عمل عشرة رجال فى الخندق ، أى فكان يحفر فى كل يوم خمسة أذرع فى عمق خمسة أذرع ، على ما فى « إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى » .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ١٢ .

وأقبلت قريش حتى نزلت مجتمع الأسيال[١] بين الجرف[٢] والغابة، فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم، حتى نزلوا إلى جنب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سلع[٣] فى ثلاثة آلاف، فنزل هناك ورفع الذرارى والنساء فى الآطام[٤].

وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له. فقال حيي: يا كعب قد جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش وقادتها وسادتها وغطفان بقادتها وسادتها، وقد عاهدونى أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه، فقال كعب: جئتنى بذل الدهر وبجهام[٥] قدهراق ماؤه يرعد ويبرق ليس فيه شيء، وأنت امرؤ مشئوم، وقد وادعت محمداً ولم أر منه إلا الوفاء، ولم يزل معه يفتله فى الذروة[٦] والغارب[٧] حتى حمله على الغدر

(١) فى جوامع السيرة: «مجتمع السيول».

(٢) على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام، وفى بعض المصادر «بين الجرف وزغابة» أنظر الروض الأنف ووفاء الوفا للسمهودى. والجرف بضم الجيم.

(٣) جبل متصل بالمدينة، على ما فى «معجم ما استعجم».

(٤) جمع أطم، وهو البناء المرتفع، الحصن، على ما فى «شرح السيرة النبوية للخشنى» و«النهاية لابن الأثير». وقيل: كل حصن مبنى بحجارة، كما فى «الإفصاح للأستاذين عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى جزاهما الله خيرا».

(٥) الجهام: السحاب الذى لا ماء فيه.

(٦) فى الظاهرية «الدروة»، والتصحيح من الأحمدية ولسان العرب.

(٧) الغارب: مقدم السنام، والذروة أعلاه، أراد أنه ما زال يخادعه ويتلطفه حتى أجابه. والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصعب ليزمه وينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه ويفتل وبره حتى يستأنس ويضع فيه الزمام، على ما فى «لسان العرب لابن منظور رحمه الله».

بالنبي ﷺ ، ففعل ونكث العهد ، فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، ونجم النفاق من بعض المنافقين .

وأقام رسول الله ﷺ والمشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمى ، فلما اشتد البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى قائدى غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، فأجابا إلى ذلك .

فاستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا : يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه أو شيء أمرك الله به أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : (بل رأيت العرب ترميكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم) فقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهم على شرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام نعطيهم أموالنا ، ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم .

فترك ذلك رسول الله ﷺ ، وتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

فتقدم فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب الفهرى[1] يلتمسون القتال ، فأقبلوا حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ، ثم يمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمته فجالوا فى السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج على بن أبي طالب فى نفر معه من المسلمين

(١) ونوفل بن عبد الله ، على ما فى « إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى » وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن جرير . ولما قتل نوفل بن عبدالله سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده بثمن كبير ، فقال : « لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه ، فشأنكم به » فخلى بينهم وبينه ، على ما فى « تاريخ الطبرى » و « البداية والنهاية لابن كثير ٤ / ١١٦ » .

حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحمت منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق[1] نحوهم.

وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة[2] فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً[3] ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز، فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنه — قال ابن سعد: كان عمرو ابن تسعين سنة — فقال له على[4]: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه. قال عمرو: أجل. قال على: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام. قال لا حاجة لى بذلك. قال له على: فإنى أدعوك إلى النزال. قال: لم يا بن أخى فوالله إنى ما أحب أن أقتلك؟ قال له على: لكنى والله أحب أن أقتلك. قال: فحمى عند ذلك عمرو[5] فاقتحم عن فرسه فعقره[6] وضرب[7] وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا، فقتله على رضى الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق. وقال على فى ذلك:

---

(١) فى الظاهرية «بعنق» وهو تصحيف، صححته من الأحمدية و«تاريخ الطبرى ٢ / ٥٧٤». وتعنق يعنى تسرع.

(٢) أى جعلته ثابتاً فى مكانه لا يتحرك، على ما فى «تاج العروس للزبيدى».

(٣) يعنى جعل له علامة يعرف بها.

(٤) (على) ساقطة من الظاهرية فاستدركتها من الأحمدية.

(٥) أى أخذته الحمية، على ما فى «إنسان العيون لبرهان الدين الحلبى».

(٦) «فعقره» ساقطة من الظاهرية، فاستدركتها من الأحمدية وتاريخ الطبرى. وعقره: أى ضرب قوائمه. وربما قيل: عقره إذا نحره، على ما فى «المصباح المنير».

(٧) كذا فى النسختين، وفى تاريخ الطبرى «أو ضرب».

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت دين محمد بضراب
فصدرت حين تركته متجدلا(١) كالجذع بين دكادك وروابى(٢)
وعففت عن أثوابه ولو اننى كنت المقطر بزّنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذلَ دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

وقيل فى قتل عمرو من رواية ابن إسحاق إن عمراً لما نادى بطلب من يبارزه قام على رضى الله عنه — وهو مقنع فى الحديد — فقال : أنا له يانبى الله ، فقال : (اجلس إنه عمرو) ثم نادى الثانية وجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لى رجلا ؟ فقام على رضى الله عنه فقال النبى ﷺ : (اجلس إنه عمرو) ثم نادى الثالثة وقال :

ولقد بححتُ من الندا ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشـ ـجع وقفة الرجل المناجز(٣)
وكذاك إنى لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز(٤)
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه فقال : أنا له يا رسول الله فقال : (إنه عمرو) فقال: وإن كان عمرا، فأذن له رسول الله ﷺ، وأعطاه سيفه وعممه بيده وقال : (اللهم أعنه عليه) فمشى إليه علىّ وهو يقول :

(١) فى النسختين « متجندلا » والتصحيح من « الدرر فى المغازى والسير للحافظ ابن عبد البر ١٨٦ » .

(٢) متجدلا : لا صقا بالأرض . الدكادك : الرمال اللينة ، الروابى : التلال والمرتفعات .

(٣) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير : « موقف القرن المناجز » ومثله فى « الروض الأنف » .

(٤) هى الفتن التى تهز الناس .

لا تعجلن فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـة وبصـــيرةٍ والصدق منجى(١) كل فائز
إنى لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ ـقى ذكرها عنـد الهزاهز

فقـال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فقال : غيرك يا بن أخى من هو أسن منك(٢) فإنى أكره أن أهريق دمك ، فقال على : لكننى والله ما أكره أن أهريق دمك ، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو على مغضبا ، ويقال إنه كان على فرسه ، فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معى ، فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه ، فاستقبله علىّ بدرقته(٣) فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه على على حبل العاتق ، فسقط وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله .

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : كنت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحصن حصون المدينة ، وكانت أم سعد بن معاذ معى فى الحصن ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فر سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته وهو يقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل(٤) لا بأس بالموت إذا حان الأجل

(١) فى الظاهرية « نجى » وهو سهو ، أو تكون النون طمسها التصوير ، لأن لدينا المصور لا الأصل .

(٢) فى الروض الأنف : « غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك » .

(٣) الدرقة : الترس .

(٤) فى النسختين « جمل » والتصحيح من « الروض الأنف » حيث قال : عنى به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب الكلبى . وفى حاشية الأحمدية : « حمل بالحاء المهملة ، قيده الحفاظ » .

فقالت له أمه : الحق أى بنى فقد والله أخرت ، قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ، قال : فرمى سعد بسهم فأصاب منه الأكحل[1] رماه حبان[2] بن العَرقة أحد بنى عامر ابن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ، فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، ثم قال سعد : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه ، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية .
فلما قال سعد ما قال انقطع الدم .

وكانت صفية عمة رسول الله ﷺ فى (فارع) حصن حسان بن ثابت ، وكان حسان فيه مع النساء لأنه كان جبانا[3] . قالت : فأتانا آت من اليهود ، فقلت لحسان : إن هذا اليهودى يطوف بنا ولا آمنه أن يدخل[4] على عورتنا فانزل إليه فاقتله ، قال : والله ما أنا بصاحب هذا ، قالت : فأخذت عموداً

---

(١) الأكحل : عرق ، زعموا أنه لم ينقطع من أحد قط إلا لم يزل يبض دماً حتى يموت . على ما فى « تاريخ الطبرى ٢ / ٥٧٦ » .

(٢) فى الظاهرية « حباب » وهو تصحيف صححته من الأحمدية و « تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر » .

(٣) هذا حديث منقطع الإسناد ذكره ابن إسحاق وطائفة من أهل السير . وأنكره آخرون وقالوا : لو كان فى حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك من كان يهاجيهم فى الجاهلية والإسلام ، ولهجى بذلك ابنه عبد الرحمن فإنه كان كثيراً ما يهاجى الناس من الشعراء ، على ما فى « الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر ١٨٦ » و « الروض الأنف » والاستيعاب .

(٤) فى الأحمدية « يدل » عوض « يدخل » التى فى الظاهرية .

ونزلت إليه فقتلته ، ورجعت وقلت لحسان : انزل إليه وخذ سَلبه فإننى يمنعنى منه أنه رجل ، فقال : والله مالى بسَلبه من حاجة .

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى قد أسلمت ولم يعلم قومى ، فمرنى بما شئت فقال له رسول الله ﷺ : (إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خُدعة) فخرج حتى أتى بنى قريظة وكان نديماً لهم فى الجاهلية، فقال لهم : قد عرفتم ودى إياكم ، قالوا : لست عندنا بمتهم ، قال : قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كهيئتكم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه ، وإن قريشاً وغطفان إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به. قالوا : أشرت بالنصح .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه : قد عرفتم ودى إياكم ، وقد بلغنى أن قريظة قد ندموا ، وقد أرسلوا إلى محمد يقولون : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ، فأجابهم أن نعم ، فإن طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : أنتم أهلى وعشيرتى ، وقال : لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كان ليلة السبت من شوال ، وكان مما صنع الله لرسوله أن[1] أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، وقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد

(١) (أن) استدركتها من تاريخ (الكامل لابن الأثير) .

هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال ، فقالوا لهم : إن يوم السبت لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن ثقة لنا ، فانا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ، ونحن ببلاده .

فقالت قريش وغطفان : والله لقد صدق نعيم بن مسعود ، فأرسلوا إلى قريظة: والله لا ندفع اليكم رجلاً واحدا ، فاخرجوا معنا إن شئتم وإلا فلا عهد بيننا وبينكم ، فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود .

وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم ، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفا[1] فى ليال شديدة البرد ، فجعلت الريح تقلب آنيتهم وتكفأ قدورهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلا فقال : (انطلق إليهم وانظر حالهم ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا) قال حذيفة : فذهبت فدخلت فيهم والريح تفعل فيهم ما تفعل . لا تقرّ لهم قدر ولا بناء ولا نار .

فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ جليسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذى بجنبى فقلت : من أنت ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ، ثم قال أبو سفيان : والله لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا قريظة ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه وضربه فوثب على ثلاث قوائم (ثم قال حذيفة)[2] :

ولولا عهد رسول الله ﷺ أن لا أحدث شيئاً لقتلته؛ قال :فرجعت إلى

---

(١) يقال . ريح عاصف ، وعاصفة ، ومعصفة ، تكسر الشىء فتجعله كعصف ، ويقال لحطام النبت المتكسر : عصف ، على ماق (المفردات للراغب الأصفهانى) .

(٢) (ثم قال حذيفة) هكذا فى (الثقات لابن حبان ١/٢٧٣) .

رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ، فأدخلني بين رجليه وطرح عليّ طرف المرط ، فلما سلم خبرته الخبر .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم . وقال رسول الله ﷺ : (الآن نغزوهم ولا يغزونا) فكان كذلك حتى فتح مكة .

وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقة لعسكر قريش[١] مخافة الطلب ، وانصرف رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة .

وتم في حفر الخندق (معجزات من أعلام النبوة) :

منها أن جابراً كان يحدث أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كدية[٢] فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ المعول وضرب فعاد كثيباً أهيل[٣] وروى في هذا الخبر أنه دعا بماء فتفل فيه ثم دعا ما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكدية[٤] فانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة[٥] .

ومنها (خبر الحفنة من التمر) التي جاءت بها ابنة بشير بن سعد وخالها عبد الله بن رواحة ليتغديا به ، فقال لها رسول الله ﷺ : (هاتيه) فصبته

(١) في الأحمدية (المشركين) عوض (قريش) التي في الظاهرية .

(٢) في النسختين (كدنة) وهو تصحيف .

(٣) أي رملا سائلا . وفي الظاهرية (أحرهيل) عوض (أهيل) .

(٤) في النسختين (الكدنة) وهو تصحيف . والكدية : صخرة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس .

(٥) المسحاة : المجرفة .

فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم قال لإنسان عنده : (اصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغداء) فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

ومنها (حديث شويهة جابر) قال : صنعتها وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، فلما قلت له أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال قلت : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(قال : فأقبل الناس معه ،فجلس، فأخرجناها إليه فبرك ثم سمى الله عز وجل وأكلوا ، وتواردا الناس جميعا ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء آخرون ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

رواه البخارى وفيه : وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط(١) كما هى وأن عجيننا ليخبز كما هو .

(غزوة بنى قريظة)

لما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم عاد إلى المدينة ، ووضع المسلمون السلاح ، وضرب على سعد بن معاذ قبة فى المسجد ليعوده من قريب ،فلما كانت الظهر أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (أقد وضعت السلاح ؟ قال: نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح إن الله عز وجل يأمرك

---

(١) أى تغلى ويسمع غطيطها يعنى صوتها . وفى الظاهرية (لتفغط) وهو تصحيف .

بالمسير إلى بنى قريظة ، فانى عامد إليهم فزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة .

وقدم على رضى الله عنه إليهم برايته ، ثم تلاحق الناس . ونزل رسول الله ﷺ ، وأتاه رجال بعدعشاء الآخرة فصلوا العصر بها ، وماعابهم رسول الله ﷺ .

وحاصر رسول الله ﷺ بنى قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة . فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة[1] ابن عبد المنذر — وهو أنصارى من الأوس — نستشيره ، فأرسله ، فلمارأوه قام إليه الرجال وبكى له[2] النساء والصبيان ، فرق لهم فقالوا له[3] : ننزل على حكم رسول الله ﷺ ، فقال نعم ، وأشار إلى حلقه أنه الذبح[4] .

قال أبو لبابة : فمازالت قدماى حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله فقلت : والله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه ، وانطلق على وجهه حتى ارتبط فى المسجد وقال : لا أبرح حتى يتوب الله على .

---

(١) اشتهر بهذه الكنية . واختلف فى اسمه .

(٢) (له) ساقطة من الاحمدية .

(٣) (له) ساقطة من الظاهرية .

(٤) لما حاصر المسلمون بنى قريظة سأل بنو قريظه الصلح ، فقال رسول الله ﷺ : (تنزلون على حكم سعد بن معاذ) فأبوا وقالوا : أرسل الينا أبا لبابة . فبعثه اليهم ، وكان ولده وعياله وماله عندهم ، فلما جاءهم قالوا له : ماترى أننزل على حكم سعد ؟ فأشار أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح ، ثم فطن أنه خان الله ورسوله ، كما فى (تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٩/٣٢١) .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال : (أما لو جاءنى لاستغفرت له فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه) .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ستة أيام ، تأتيه امرأته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، ومكث سبع ليال (١) لا يأكل ولا يشرب حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره .

فنزلت توبته على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة ، قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك ، قلت : مم تضحك أضحك الله سنك ؟ قال : (تيب على أبى لبابة) قالت قلت : أفلا أبشره يارسول الله؟ قال : (بلى إن شئت) قال : فقامت على باب حجرتها — وذلك قبل أن يضرب الحجاب — فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

قال : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

رجع إلى الأول :

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فقالت الأوس : يارسول الله افعل فى موالينا مثل ما فعلت فى موالى الخزرج — يعنى بنى قينقاع ، وقد تقدم ذكرهم — فقال رسول الله ﷺ : (ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ) قالوا : بلى ، فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ، ثم أقبلوا به إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك .

---

(١) وفى رواية (بضع عشرة ليلة) كما فى الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فعلم كثير منهم أنه يقتلهم .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال : (قوموا إلى سيدكم) أو قال : (خيركم) ، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا له : يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد رد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك .

فقال سعد : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم إليّ ؟ قالوا : نعم ، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها رسول الله ﷺ وغض(١) بصره عن رسول الله ﷺ إجلالا له وقال : وعلى من هاهنا العهد أيضا ، قالوا : نعم ، وقال رسول الله ﷺ : (نعم) قال : فاني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال ، فقال له رسول الله ﷺ : (لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة(٢)) .

ثم حبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم وضرب أعناقهم فيها .

وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم ، وكانوا ستمائه أو سبعمائة ، وقيل ما بين الثمانمائة والسبعمائة : وأتى بحيي بن أخطب وهو مكتوف ، فلما رأى رسول الله ﷺ قال : والله مالمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم قال للناس : إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر ، ملحمة كتبت على بني اسرائيل ، فأجلس وضربت عنقه .

---

(١) في الظاهرية (وغمض) .
(٢) الارقعة : السموات .

ولم يقتل منهم إلا امرأة واحدة بحدث أحدثته . وقتل من أنبت(١)منهم .
وأسلم منهم ثعلبة بن سعية(٢) وأسد بن سعية وأسد بن عبيد .

ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان وللفارس سهم ، وللراجل سهم(٣) وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين فرسا .

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه ريحانة ابنة عمرو بن خنافة من بنى قريظة ، فأراد أن يتزوجها فقالت : اتركنى فى ملكك فهو أخف علىّ وعليك .

قال ابن اسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن شماس الانصارى قد أتى إلى الزبير بن باطا القرظى ، وكان الزبير قدمنّ على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث(٤) أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله ، فجاءه ثابت ، وهو شيخ كبير فقال : هل تعرفنى ؟ قال الزبير : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى ، قال : إن الكريم يجزى الكريم .

فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنه كان للزبير على منة

---

(١) أراد نبات شعر العانة ، فجعله علامة للبلوغ . وليس ذلك حداً عند أكثر أهل العلم إلا فى أهل الشرك لأنه لا يوقف على بلوغهم من جهة السن ولا يمكن الرجوع إليهم للتهمة فى دفع القتل . على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٢) فى النسختين (سعيد) عوض (سعية) فى الموضعين . والتصحيح من (جوامع السيرة لابن حزم) .

(٣) فى (الثقات لابن حبان) زيادة : وأخرج منها ﷺ الخمس .

(٤) من أيام الأوس والخزرج ، بين المبعث والهجرة . وكان الظفر فيه للأوس وهو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج . ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله . وبعاث: اسم حصن للاوس (من تاج العروس وتاريخ الكامل لابن الاثير) .

وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه ، فقال رسول الله ﷺ : (هو لك) فأتى ثابت إليه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لى دمك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ، قال فأتى ثابت النبى ﷺ قال : يا رسول الله ماله، قال(هو لك)فأتاه ثابت قال . قد أعطانى رسول الله ﷺ مالك فهو لك.

قال : أى ثابت : ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية(١) يتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد ؟ قال: قتل ؛ قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى ابن أخطب ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموءل (٢) قال . قتل ، قال . فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : قتلوا .

قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة (٣) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة ؛ فقدمه ثابت فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قوله « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

(ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان)

فيها انفجر جرح (سعد بن معاذ) بن النعمان بن زيد بن عبد الأشهل — ويكنى أبا عمرو ، وأمه كبشة بنت رافع وهى من المبايعات - فمات منه ، ونزل

---

(١) فى الظاهرية (ضيئة) وفى تاريخ الطبرى مثل مافى النص .

(٢) كذا فى النسختين . وفى تاريخ الطبرى (شمويل) عوض (سموءل) .

(٣) قال الخشنى فى شرح السيرة : ومن رواه (قبلة) فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة .

جبريل عليه السلام على النبي ﷺ معتجراً بعمامة من استبرق[١] وقال : يا محمد من هذا الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ فوجده قد مات .

وكان رجلا جسيما ، فلما حملوه جعل المنافقون يقولون وهم يمشون حول سريره : لم نر كاليوم رجلا أخف ، وقالوا : أتدرون لم ذلك ؟ لحكمه فى بنى قريظة .

فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : (والذى نفسى بيده ، لقد كانت الملائكة تحمل سريره)[٢] .

وروى سلمة بن أسلم الأشهلى قال : دخل رسول الله ﷺ البيت وما فيه إلا سعد مسجى ، فرأيته يتخطى ، فوقف وأومأ إلىّ أن قف ، فوقفت ورددت من ورائى ، وجلس ساعة ثم خرج ، فقلت : يا رسول الله ما رأيت أحداً وقد رأيتك تتخطى ، فقال : (لم أجد لى مجلساً من الملائكة) .

وكان سعد رجلا أبيض طوالا جميلا . وتوفى ابن سبع وثلاثين سنة ، ودفن بالبقيع . وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : (هذا العبد الصالح الذى قد تحرك له العرش[٣] وفتحت له أبواب السموات وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك ، ضم ضمة ثم أفرج عنه) يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه .

---

(١) هو ما غلظ من الحرير والابريسم . وهى لفظة أعجمية معربة ؛ على ما فى (النهاية فى غريب الحديث) .

(٢) أخرجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) روى هذا الحديث بروايات مختلفة ؛ كما فى (خ م ت) .

وفيها استشهد (خلاد بن سويد بن ثعلبة) شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق ويوم بنى قريظة ، وقتل يومئذ شهيداً ، دلت عليه امرأة من بنى قريظة رحى شدخت رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : (له أجر شهيدين) وقتلها به. قالت عائشة رضى الله عنها : إنها لعندى تتحدث ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قلت : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . فانطلق بها فضربت عنقها ، فما أنسى منها طيبة نفس وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تقتل.

(أمية بن أبى الصلت)

وفى هذه السنة هلك (أمية بن أبى الصلت) واسم أبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة[١] . وكان أمية قد قرأ الكتب المتقدمة ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً يخرج قد أظل زمانه ، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبى ، فلما بلغه ظهور رسول الله ﷺ كفر به حسداً له ؛ فأنزل الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها[٢]) وكان يحرض قريشاً بعد ذلك على النبى ﷺ .

ورثى قتلى بدر بقصيدة ، منها :

ماذا ببدر والعقنـ ـقل من ضراغمة جحاجح[٣]

---

(١) فى النسختين (بن ربيعة) والتصحيح من (الأعلام للأستاذ الزركلى رحمه الله) و (بلوغ الأرب للآلوسى) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٧٥ .

(٣) فى الظاهرية (حجاحج) وهو تصحيف ، وفى ديوان أمية المطبوع الذى جمعه بشرعوت :

كم بين بدر والعقنـ ـقل من مرازبة جحاجح

وما فى النسختين موافق لما فى (بلوغ الأرب للآلوسى) . والعقنقل : كثيب من الرمل ببدر . والجحجاح : السيد الكريم . والمرزبان : الفارس الشجاع .

ونهى النبي ﷺ أن تروى . وهو القائل فى عبد الله بن جدعان :

قومى ثقيف إن سألت وأسرتى وبهم أدافع ركن من عادانى
قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتطلب[١] العلات بالعيدان

وعن ثابت بن الزبير قال : لما مرض أمية المرض الذى مات فيه جعل يقول قد دنا أجلى وهذه المرضة فيها منيتى ، وأنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك تداخلنى[٢] فى محمد ، فلما دنت وفاته أغمى عليه قليلا ثم أفاق وهو يقول:

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما * لا مال لى يفدينى * ولا عشيرة تنجينى

ثم أغمى عليه أيضاً ساعة ، حتى ظن من حضره من أهله أنه قد قضى . ثم أفاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما * لا برىء فأعتذر * ولا قوى فأنتصر

ثم إنه بقى يحدث من حضر ساعة ، ثم أغمى عليه مثل المرتين ، حتى يئسوا منه ، ثم أفاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما هأنذا لديكما
إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

ورفع رأسه وهو يقول :

كل حى[٣] وإن تطاول دهراً صائر مرة[٤] إلى أن يزولا

---

(١) فى الأغانى (لتلمس) عوض (لتطلب) .

(٢) كذا فى النسختين و (الوافى بالوفيات للصلاح الصفدى ٣٩٨/٩) وورد (يداخلنى) فى تفسير (التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١٧٤/٩) والأغانى .

(٣) فى ديوانه المطبوع فى بيروت (كل عيش) ومثله فى بلوغ الأرب للآلوسى والبداية والنهاية ٢٢٦/٢ ومروج الذهب والوافى بالوفيات ٣٩٩/٩ .

(٤) كذا فى النسختين وبلوغ الأرب . وفى الأغانى (صائر أمره) . وفى

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى في قلال(١) الجبال أرعى الوعولا
إجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن للدهر غولا

ثم قضى نحبه .

وقيل إن أمية بينما هو يشرب مع إخوان له بالطائف فى قصر من قصورها إذ سقط غراب على شرفة القصر ، فنعب نعبة فقال أمية : بفيك الكثكث . وهو التراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال يقول إنك إذا شربت الكأس التى (٢) بيدك مت ، فقلت : بفيك الكثكث ، ثم نعب أخرى فقال أمية بحق ذلك ؟ فقال أصحابه ما يقول ؟ قال زعم أنه يقع على هذه المزبلة فيثير(٣) عظما فيبلعه فيشجى به فيموت ، فقلت : بحق ذلك ؟ فوقع الغراب فأثار العظمة وابتلعها فمات ، فانكسر أمية ووضع الكأس التى بيده وتغير لونه ، فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا منك باطلا ، وألحوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال وأغمى عليه ، وأفاق وهو يقول :

لا برىء فاعتذر ولا قوى فأنتصر ، ثم خرجت نفسه .

ولما أنشد للنبى ﷺ قول أمية :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
ألا نبى لنا منا يخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا(٤)

ديوان أمية (منتهى أمره) . وفى مروج الذهب (فقصارى أيامه أن يزولا) .

(١) فى النسختين (قلال) عوض (قنان) التى فى (الأغانى) وهى أعالى الجبال وفى ديوانه المطبوع (فى رءوس الجبال) وكذلك فى بلوغ الأرب ومروج الذهب . وفى تاريخ ابن كثير (فى ظلال) .

(٢) فى النسختين (الذى) والتصحيح من الوافى بالوفيات للصفدى .

(٣) فى النسختين (فيشير) والتصحيح من (الأغانى) ومن السياق .

(٤) فى ديوانه المطبوع (بحرانا) عوض (محيانا) ومثله فى بلوغ الأرب ومجلة الأزهر ١٣/٢٢٦ — وما فى النسخ موافق لرواية الأغانى .

بينا يرى بيننا أباؤنا(١) هلكوا   وبينما نقتني الأولاد أفنانا
وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا
أن سوف يلحق أخرانا بأولانا (٢)

فقال النبي ﷺ (إن كاد أمية ليسلم) . وعتب أمية على ابن له فقال :

غذوتك مولوداً وعلتك(٣) يافعاً   تعل بما أجنى عليك (٤) وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت   لشكواك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي   طرقت به دوني فعيناي(٥) تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها   لتعلم أن الموت وقت مؤجل(٦)
فلما بلغت السن والغاية التي   إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة (٧)   كأنك أنت المنعم المتفضل
وسميتني باسم المفند رأيه   وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك إذ(٨) لم ترع حق أبوتي   فعلت كما الجار المجاور يفعل

---

(١) في ديوانه المطبوع (بينا يربينا آباؤنا) ؛ يعني : يربينا آباؤنا .
(٢) في الظاهرية (أولانا بأخرانا) وهو سهو . وقد وردت هذه القطعة في (الأغاني) باختلاف في بعض الكلمات ؛ وفي مجلة الأزهر زيادة عما هنا .
(٣) في الظاهرية (وعلتك) وهو تحريف . وفي مجلة الأزهر ١٣ / ٣٦٠ (ومنتك) تبعاً للأغاني .
(٤) أجنى عليك : أكسب . وفي الأحدبة وديوانه المطبوع (أحنى عليك) .
(٥) في النسختين والوافي بالوفيات (فعيناي) وفي الأغاني وديوان المعاني (فعيني) .
(٦) في ديوانه المطبوع ومجلة الأزهر :
تخاف الردى نفسي عليك وانني   لأعلم أن الموت حتم مؤجل
(٧) في الظاهرية (وقضاضة) وفي الأحدبة (فضاضة) وكلاهما تصحيف .
(٨) في النسختين (إن) عوض (إذ) المثبتة في ديوانه المطبوع في بيروت .

تراه معداً للخلاف كأنه برد على أهل الصواب موكل[1]

وحكى ابن الجوزى فى (المنتظم) بسنده إلى الشريد الهمدانى قال : خرجنا مع النبي ﷺ فى حجة الوداع فاذا وقع ناقة خلفى ، فالتفت فاذا رسول الله ﷺ ، فقال : (الشريد) فقلت نعم ، قال (ألا أحملك) قلت بلى ؛ وما بى من إعياء ولا لغوب ولكنى أردت البركة بركوبى مع رسول الله ﷺ ، فأناخ فحملنى ثم قال :

(أمعك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟)[2] قلت نعم ، قال : (هات) فأنشدته قوله : * لك الحمد والنعماء والملك ربنا *

وأنشدته قوله : * سبحان من سبحت طير السماء له *

وقوله : * إلـه محمد حقاً إلهى *

فقال النبي ﷺ : (عند الله علم أمية ، عند الله علم أمية) .

القصيدة الأولى قالها فى أول المبعث وهى :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا فلا شىء أعلى منك جداً[3] وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

(١) أورد الدكتور السطلى فى (ديوان أمية) زيادة فى هذه القطعة ؛ نسبها [المستشرق بور] إلى نسخة مخطوطة من حماسة أبى تمام .

(٢) أورد محمد بن سلام الجمحى بعض شعر أمية باختلاف فى بعض الألفاظ عما هنا فى (طبقات فحول الشعراء — تحقيق الاستاذ مدره الاسلام الامين محمود محمد شاكر) .

(٣) فى النسختين (جـــداً) عوض (مجداً) المثبتة فى ديوانه المطبوع فى بيروت . والجد : العظمة .

عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهار نور حوله تتوقد[١]
فلا بصر يسمو إليه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مؤيد
ملائكة أقدامهم تحت عرشه[٢] ... وأعناقهم فوق السموات صعد
فمن حامل إحدى قوائم عرشه ... بكفيه لولا الله كلوا وبلدوا
قيام على الأقدام عانين تحته ... فرائصهم[٣] من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوف ينظرون قضاءه ... مصيخون بالأسماع للوحي ركد[٤]
أمين كروح القدس جبريل فيهمُ ... وميكال ذو الروح القوى المسدد
وحراس أبواب السموات دونهم ... قيام عليها بالمقاليد رصد
فنعم العباد المصطفون لأمره ... ومن دونهم جند كثيف مجند
ملائكة لا يفترون عبادة ... كروبية[٥] منهم ركوع وسجد
فساجدهم لا يرفع الدهر رأسه ... يعظم رباً فوقه ويمجد
وراكعهم يحنو له الظهر خاشعاً[٦] ... يردد آلاء الإلـه ويحمد
ومنهم ملف فى جناحيه رأسه ... يكاد لذكرى ربه يتفصد
من الخوف لاذو سأمة من عبادة ... ولا هو من طول التعبد يجهد

(١) فى الظاهرية « وأنهار نور نوره يتوقد » والذى فى النص هو من الأحمدية ، وهو موافق لما فى ديوانه المطبوع ببيروت من جمع بشير يموت .
(٢) فى النسختين (أرضه) عوض (عرشه) المثبتة فى ديوانه (طبعة بيروت).
(٣) الفريصة : لحمة بين الجنب والكتف ؛ جمعها فرائص ، على ما فى (مختار الصحاح) .
(٤) هكذا فى الأحمدية وديوانه المطبوع . وفى الظاهرية (وكد) .
(٥) الكروبيون: سادة الملائكة ، هم المقربون؛ كما فى (النهاية لابن الأثير).
(٦) فى ديوانه المطبوع ببيروت « وراكعهم يعنو له الدهر خاشعا » .

وساكن أقطار بأرجاء مصعد ... وذو الغيث والأرواح كل معبد
ودون كثيف الماء في غامض الهوى ... ملائكة تنحط فيه وتصعد
وبين طباق الأرض تحت بطونها ... ملائكة بالأمر فيها تردد
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحد
ومن لم تنازعه الخلائق ملكه ... وإن لم تفرده العباد فمفرد
مليك السموات الشداد وأرضها ... وليس بشيء عن قضاه تأود
وسبحان ربي خالق النور لم يلد ... ولم يك مولوداً بذلك أشهد
وسبحانه من كل إفك وباطل ... ولما يلد ذو العرش أم كيف يولد
هو الله باري(١) الخلق والخلق كلهم ... إماء له طوعا جميعاً وأعبد
هو الصمد الله الذي لم يكن له ... من الخلق كفء قد يضاهيه مضدد
وأنى يكون الخلق كالخالق الذي ... يدوم ويبقى والخليقة تنفد
وليس لمخلوق من الدهر جدة ... ومن ذا على مر الحوادث يخلد
ونفنى(٢) ولا يبقى سوى القاهر الذي ... يميت ويحيي دائباً ليس يهمد
تسبحه الطير الجوانح في الخفا ... وإذ هي في جو السماء تصعد
ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا ... وسبحه(٣) الأشجار والوحش أبد(٤)
وسبحه النينان(٥) والبحر زاخراً ... وما صم من شيء وما هو متلد

---

(١) في النسختين (بادى) عوض (باري) المثبتة في ديوانه طبعة بيروت ، مجموعة بشير يموت ، وكذلك في ديوانه تحقيق الدكتور السطلي .
(٢) في الديوان تحقيق الدكتور السطلي (ونفنى) وفي النسختين (ويفنى) .
(٣) في الظاهرية (وتسبيحه) وهو سهو .
(٤) في الظاهرية (أبعد) وهو سهو .
(٥) في أساس البلاغة (الحيتان) عوض (النينان) جمع نون وهو الحوت.

ألا أيها القلب المقيم على الهوى إلى أى حين منك هذا التصدد
عن الحق كالأعمى المميط عن الهدى وقد جاءك النجد النبي محمد
بنور على نور من الحق واضح دليل على طرق الهدى ليس يخمد
ترى فيه أنباء القرون التى خلت وأخبار غيب فى القيامة توجد
وحالات دنيا لا تدوم لأهلها وفيها منون ريبها متردد
ألا إنما الدنيا بلاغ وبلغة وبينا الفتى فيها مهيب مسود
إذ انقلبت عنه وزال نعيمها وأصبح من ترب القبور يوسد
وفارق روحاً كان بين جنانه وجاور موتى ما لهم متبدد
فأى فتى قبلى رأيت مخلداً له فى قديم الدهر ما يتودد
ومن يبتليه الدهر منه بعثرة سيكبو لها والنائبات تردد
فلن تسلم الدنيا وإن ضن[1] أهلها بصحبتها[2] والدهر قد يتجرد
ألست ترى فيما مضى لك عبرة فمه لا تكن يا قلب أعمى تلدد
وقد جاء ما لا شك فيه من الهدى وليس يرد الحق إلا مفند
فكن خائفاً للموت والبعث بعده ولا تك ممن غره اليوم والغد
فإنك فى دنيا غرور لأهلها وفيها عدو كاشح الصدر يوقد
من الحقد نيران العداوة بيننا لأن قال ربى للملائكة اسجدوا
لآدم لما أكمل الله خلقه فخروا له طوعاً سجوداً وكدوا
فقال عدو الله للكبر والشقا أطين على نار السموم يسود

(١) فى الأحمدية والديوان (ظن) .
(٢) فى الأحمدية والديوان (بصحتها) .

فأخرجه العصيان من خير منزل — فذاك الذى فى سالف الدهر يحقد
علينا ولا يألو خبالا ودخلة — ليوردنا منها الذى تورد
جحيما تلظى لا تفتر ساعة — ولا الحر منها آخر الدهر يبرد
فمالك والشيطان فى النار أسوة — إذا ما صليت النار بل أنت أبعد
هو القائد الداعى إلى النار جاهداً — ليوردنا منها الذى نتورد
فما لك من عذر بطاعة فاسق — ولا بلظى نار عملت لها يد[1]

والقصيدة الأخرى هى قوله :

إله محمد حقاً إلهى — ودينى دينه غير انتحال
إله العالمين وكل أرض — ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً — بلا عمد يرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور — من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ فى دجاها — مراميها أشد من النصال
وأنشا المزن تدلج بالروايا — خلال الرعد مرسلة العزالى[2]
ليسقى الحرث والأنعام منها — سجال الماء حالا بعد حال
وشق الأرض فانبجست عيونا — وأنهاراً من العذب الزلال
وبارك فى نواحيها وزكى — بها ما كان من حرث ومال

(١) عدد أبيات هذه القصيدة المثبتة هنا ٥٦ بيتاً ، وهى فى الديوان المطبوع ٤٢ فقط .

(٢) العزالى جمع العزلاء وهو فم المزادة الأسفل ، يشبه اتساع المطر واندفاقه بالذى يخرج من فم المزادة كما فى (النهاية للمحدث ابن الأثير) .

وأجرى الفلك فى تيار موج يفيض على المداليج الثقال
وكل معمر لا بد يوماً وذى دنيا يصير إلى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال
كأنا لم نعش إلا قليلا إذا كنا من الهام البوالى
وصرنا فى مضاجعنا رميا إلى يوم القيامة ذى الوبال
ونادى مسمع الموتى فجئنا من الأجداث كالسفر العجال
وأعطى كل إنسان كتاباً مبيناً باليمين وبالشمال
ليقرأ ما يقارف ثم يكفى حساباً نفسه قبل السؤال
وقام القسط بالميزان حولا كما بان الخصيم من الجدال
فلا أنساب بين الناس ترجى ولا رحم تمت إلى وصال
سوى التقوى ولا مولى يرجى سوى الرب الرحيم من الموالى
وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
إلى نار تحش بصم صخر وبالأوصال من أهل الضلال
إذا نضجت جلودهم أعيدت كما كانت وعادوا فى سفال
ونادوا : ويلنا ويلا طويلا على ما فاتنا أخزى الليالى
فهم يتلاعنون إذا تلاقوا بها لعناً أشد من القتال
ونادوا مالكا ودعوا ثبوراً وعجوا فى سلاسلها الطوال
إذا استسقوا هناك سقوا حميما على ما فى البطون من الأكال
شرابهم من الزقوم فيها ضريع يحتلى عقد الحبال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صالى
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
ظلال بين أعناب ونخل وبنيان من الفردوس عالى

لهم ما يشتهون وما تمنوا من اللذات فيها والجمال
ومن إستبرق يكسون فيها عطايا جمة من ذى المعالى
ومن خدم بها يسعون فيها كدر خالص الألوان غالى
وأشربة من العسل المصفى ومن لبن ومن ماء سجال
وكأس لذة لا غول فيها من الخمر المشعشعة الحلال
على سرر مقابلة عوال معارجها أذل من الفعال
صفوف متكون لدى عظيم بكفيه الجزيل من النوال[١]

وله ديوان شعر كله من هذا النوع[٢]

* * *

(السنة السادسة من الهجرة)

فى هذه السنة كانت :

(غزوة بنى لحيان[٣])

فى جمادى الأولى من هذه السنة خرج رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان يطلب ثأر أصحاب الرجيع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة ، وأغذ[٤] السير حتى نزل على غران[٥] منازل بنى لحيان وهى بين

---

(١) عدد أبيات هـذه القصيدة هنا ٣٨ بيتا . وعددها فى الديوان المطبوع ١٢ فقط .

(٢) لعل هـذا الديوان فقد . وقد شرحه محمـد بن حبيب .

(٣) من بطون هذيل بن مدركة ، على ما فى (الاشتقاق لابن دريد ١/١٧٦) و (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٦٦) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٤) فى الظاهرية (وأعد) وهو تصحيف .

(٥) واد بين أمج وعسفان ، على ما فى (جوامع السيرة لابن حزم ٢٠١) .

أمج وعسفان ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال ، فلما أخطأه ما أراد منهم خرج فى مائتى راكب حتى نزل عسفان تخويفاً لأهل مكة ، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم(١) ثم عادوا وعاد قافلا .

(غزوة ذى قرد(٢))

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يقم إلا أياما قلائل ، حتى أغار عيينة ابن حصن بن حذيفة الفزارى فى خيل غطفان على لقاح(٣) رسول الله ﷺ، وأول من نذر(٤) بهم سلمة بن الأكوع الأسلمى .

هكذا ذكرها الطبرى ، والرواية الصحيحة أنها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفا من الحديبية ، وبين الوقتين تفاوت .

قال سلمة بن الأكوع : أقبلنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية ، فبعث رسول الله ﷺ بظهره(٥) مع رباح غلامه ، وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله ، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزارى قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه . قلت: يا رباح هذا الفرس فأبلغه طلحة وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه .

---

(١) فما بين عسفان ومر الظهران ، أنظر (وفاء الوفا للسيد السمهودى ، عليه رحمة الله) وانظر (معجم ما استعجم) .

(٢) وتسمى : غزوة الغابة ، كما فى (الطبقات الكبرى لابن سعد) والسيرة الحلبيــة .

(٣) اللقاح من النوق : الحوامل . وقيل : ذوات الألبان .

(٤) فى النسختين (ندر) وهو تصحيف . ونذر : أعلم وحذر ، على مافى (القاموس المحيط) .

(٥) أى إبله .

ثم استعبلت الأكمة فناديت ثلاثة أصوات (يا صباحاه (١)) ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول :

إنى(٢) أنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع(٣)

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقرهم ، فاذا خرج إلى فارس قعدت فى أصل شجرة فرميته فعقرت به(٤) ، وإذا دخلوا فى مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقه ، فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله ﷺ بعيراً إلا جعلته وراء ظهرى ، وخلوا بينى وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة يستخفون بها ، لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراما(٥) حتى يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ .

حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنية أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مدداً لهم ، فقعدوا يتضحون(٦) ، فلما رآنى قال : ما هذا ؟ فقالوا : لقينا

---

(١) كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه ، لأنهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح ، على مافى (إنسان العيون لنور الدين الحلبى)

(٢) (إنى) غير موجود فى الظاهرية ، فاستدركناها من الأحمدية .

(٣) أى يوم هلاك اللئام ، ويوم جبنهم . أنظر (الروض الأنف) وإنسان العيون وشرح صحيح مسلم للنووى ، ففيه بسط معناه .

(٤) أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم ، ثم اتسع فى العقر حتى استعمل فى القتل والهلاك ، على مافى (النهاية فى غريب الحديث).

(٥) فى النسختين (ازاما) والتصحيح من (تاريخ الطبرى ٥٩٧/٢)، والآرام: الأعلام ، وهى حجارة تجمع وتنصب فى المفازة يهتدى بها ، كما فى (شرح صحيح مسلم للنووى) .

(٦) فى الظاهرية (يتضخون) والتصحيح من الأحمدية و (تاريخ الطبرى) حيث قال محققه : يقال لكل من أكل فى وقت الضحى : هو يتضحى . . .

منه البرح[1] وقد استنفذ كل ما بأيدينا . فما برحت مكانى حتى أبصرت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ، أولهم الأخرم الأسدى ، واسمه محرز بن نضلة ، وعلى أثره أبو قتادة ، وعلى أثرهما المقداد بن عمرو الكندى[2] ، فأخذت بعنان الأخرم وقلت : احذر القوم لا يقتطعوك حتى تلحق رسول الله ﷺ وأصحابه[3] فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحل بينى وبين الشهادة،قال : فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة بن حصن، فعقر الأخرم فرس عبد الرحمن ، وطعن عبد الرحمن الأخرم فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فانطلقوا هاربين ، قال سلمة : فوالذى كرم وجه محمد لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى من أصحاب محمد ولا غبارهم شيئاً .

وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء يقال له ذو قرد — بفتح القاف والراء — يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو فى آثارهم فخليتهم[4] فماذا قوا منه قطرة .

قال واشتدوا فى ثنية ذى أثير ،فأرشق بعضهم بسهم فيقع فى نغض كتفه ؛ وقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ، وإذا فرسان على الثنية فجئت بهما أقودهما إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) يعنى الشدة .

(٢) هو المقداد بن الأسود ،

(٣) (وأصحابه) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية وشرح صحيح مسلم للنووى .

(٤) هكذا فى الأحمدية وهو الموافق لما فى (النهاية) حيث قال : هكذا جاء فى الرواية غير مهموز والأصل الهمز . أى منعهم من ورود الماء . وفى الظاهرية (فخليتهم) . وفى الطبقات الكبرى لابن سعد (فحلأتهم) .

ولحقنى عمى عامر بسطيحة[١] فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وصليت وشربت .

ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وإذا هو على الماء الذى حلأت[٢] عنه العدو ، وهو ذوقرد ، وقد أخذ تلك الإبل التى استنقذت من القوم وكل رمح وكل بردة ؛ وإذا بلال قد نحر لهم ناقة من الإبل وهو يشوى منها .

فقلت : يا رسول الله خلنى أنتخب مائة رجل وألحقهم فلا يبقى منهم عين، فقال رسول الله ﷺ : (خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالنا سلمة بن الأكوع) ثم أعطانى رسول الله ﷺ سهم الفارس وسهم الراجل[٣] ، قال : ثم أردفنى وراءه على ناقته العضباء ، فبينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً[٤] ، فقال : ألا من مسابق ، مراراً ؛ فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى أتأذن لى فأسبقه[٥]، قال : (إن شئت) قال : فطفرت فربطت[٦] شرفاً أو شرفين ، فألحقه فقلت : سبقتك والله ، فسبقت إلى المدينة .

وفى هذه الغزاة نودى : (يا خيل الله اركبى) ولم تكن تقال قبلها .

---

(١) السطحية : إناء من جلد .

(٢) فى الظاهرية (خلأت) وفى الأحمدية (جلأت) والتصحيح مما سبق آنفا .

(٣) هذا محمول على أن الزائد على سهم الراجل كان نفلا ، وهو حقيق باستحقاق النفل رضى الله عنه لبديع صنعه فى هذه الغزوة ، على ما فى (شرح صحيح مسلم للنووى) .

(٤) أى عدواً على القدمين .

(٥) فى الأحمدية (فأسابقه) .

(٦) فى النسختين (فهبطت) والتصحيح من تاريخ الطبرى وشرح صحيح مسلم للنووى . ومعنى ربطت أى حبست نفسى عن الجرى الشديد . والشرف : ما ارتفع من الأرض على ما فى المصدر المذكور .

(غزوة بني المصطلق بن خزاعة)

وهي غزوة المريسيع

كانت هذه الغزاة بعد غزاة ذى قرد ، وكانت فى شعبان من هذه السنة .

وكان بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث ابن أبى ضرار أبو جويرية زوج النبى ﷺ ؛ فلما سمع بهم خرج إليهم فلقيهم بماء يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا فانهزم المشركون وقتل من قتل منهم ، وأصيب رجل من المسلمين اسمه هشام بن صبابة الليثى ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله .

وكان حامل راية المهاجرين أبا بكر ؛ وراية الأنصار سعد بن عبادة ، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتفوا ، وجمع الغنائم ، وكانت الإبل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة ، وكان السبي مائتى بيت(١) .

وكانت غيبة رسول الله ﷺ عن المدينة ثمانية وعشرين يوماً .

وبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس . ومع عمر بن الخطاب أجيرله من بنى غفار يقال له جهجاه(٢) بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى - حليف بنى عوف بن الخزرج - على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبى ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث ، فقال : أقد فعلوها ونافرونا وكاثرونا فى بلادنا ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

---

(١) فى الظاهرية (بنت) . والتصحيح من الأحدية ومن (نهاية الأرب للنويرى ١٦٥/١٧) وفيه (مائتى أهل بيت) وفى عيون الأثر (مائتى بيت) كما فى نصنا .

(٢) لعل الصواب (جهجا) بدون هاء . (عيون الأثر ١٠٠/٢) .

ثم أقبل على من حضره من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم[١] أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال رسول الله ﷺ : (فكيف إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه) ورحل رسول الله ﷺ فى ساعة لم يكن يرتحل فيها .

وقد مشى عبد الله بن أبى ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين[٢] بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ماسمعه منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ولا تكلمت به ، وكان فى قومه شريفاً عظيما ، فقال من حضر من الأنصار : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه .

ولما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وقال : يا نبى الله والله لقد[٣] رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : (أو ما بلغك ما قال صاحبكم) قال : أى صاحب يارسول الله ؟ قال : (عبدالله بن أبى) قال : وما قال ؟ قال : (زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل) قال : فانت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ارفق

---

(١) فى النسختين (أولادكم) عوض (أموالكم) الواردة فى (عيون الأثر ٩٣/٢) .

(٢) فى النسختين (حتى) عوض (حين) التى فى عيون الأثر .

(٣) فى الظاهرية (لو) عوض (لقد) المثبتة فى الأحمدية وعيون الأثر (٩٤/٢) .

به فوالله لقد جاءالله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وأنه يرى أنك قد استلبته ملكا .

فسار رسول الله ﷺ بالناس يومه ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذته الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل أبى عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فرنى فأنا أحمل لك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها (١) من رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله(٢) فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا) .

وكان فى جملة السبى جويرية بنت الحارث ، وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله ﷺ جويرية ، وكانت إحدى أزواج رسول الله ﷺ .

(حديث الافك)

وكان من حديث الإفك ما رواه البخارى فى كتابه مما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

---

(١) فى النسختين (لها) والتصويب من (عيون الأثر) .
(٢) سقط من (عيون الأثر ٢/ ٩٤) كلمات وردت هنا فنستدرك هناك .

قالت عائشه : فأقرع بيننا فى غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى فإذا عقد لى من جزع أظفار(١) قد انقطع ، فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن(٢) ولم يثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام(٣) .

فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فأممت منزلى الذى كنت به وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ، والله ما كلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها ؛ فانطلق بى يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزل القوم موغرين فى نحر الظهيرة(٤) فهلك من هلك .

وكان الذى تولى الإفك عبدالله بن أبى ابن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً ، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك ، وأنا لا أشعر

---

(١) ويروى (ظفار) وهى مدينة باليمن . واختلفوا فى تحقيق الروايتين .

(٢) مصحفة فى الظاهرية ، والتصحيح من صحيح البخارى وسقط من الأحمدية (يهبلن ولم) . واختلفوا فى ضبط (يهبلن) .

(٣) تعنى القليل .

(٤) تعنى داخلين فى شدة الحر .

بشيء من ذلك ، غير أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرىمنه حين أشتكى ، إنما يدخل على فيسلم ثم يقول: (كيف تيكم) ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى ولا أشعر بالشر .

حتى خرجت بعد ما نقهت ، فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ،فانطلقت أنا وأم مسطح . وهى ابنة أبى رهم (١) بن عبد مناف، وأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح فى مرطها(٢) فقالت « تعس مسطح » فقلت لها : بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدراً ؟ فقالت: أى هنتاه أو لم تسمعى ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ قال فأخبرتنى بقول أهل الإفك ، فازددت مرضاً على مرضى .

فلما رجعت إلى بيتى ودخل رسول الله ﷺ وقال : (كيف تيكم ؟) فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوى ، قالت . وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لى رسول الله ﷺ فجئت أبوى فقلت لأمى : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بنية هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قالت : فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا ترقأ لى دمعة ولا أكتحل بنوم .

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستأمرهما فى فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول

---

(١) فى الأحمدية (زحم) وهو تصحيف على ما فى تاريخ الطبرى وغيره .
(٢) المرط : كساء من صوف أو خز .

الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود ، فقال يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيراً . وأما على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك(١) ، والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك . قال : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : (يا بريرة هل رأيت من شيء يريبك) فقالت بريرة : والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه(٢) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله .

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أبى ابن سلول ، قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : (يا معشر المسلمين من يعذرنى(٣) من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معى) .

فقام أسيد بن حضير(٤) فقال : يا رسول الله أنا أعذرك منه ، إن كان

---

(١) قال ذلك تسهيلا للأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإزالة لما هو متلبس به ، وتخفيفاً لما هو شاهده فيه ، لا عداوة لها . أنظر (شرح صحيح البخارى للكرمانى) .

(٢) أى أعيبه . وفى الأحمدية (أغضه) والتصحيح من الظاهرية وصحيح الإمام البخارى .

(٣) أى يقوم بعذرى إن كافأته على قبيح فعله .

(٤) فى صحيح الإمام البخارى (سعد بن معاذ) عوض (أسيد بن حضير) . قال الحافظ ابن سيد الناس فى (عيون الأثر ٢/١٠٢) : وقع فى هذا الحديث : فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يارسول الله أنا أعذرك منه . ووقع عند ابن اسحاق فى هذا الخبر بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير . فمن الناس من يرى أن ذكر سعد فى هذا الخبر وهم لأن سعداً مات عند انقضاء أمر بنى قريظة ،

من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج — وكان قبل ذلك رجلا صالحاً ولكن احتملته الحمية — فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقال أسيد بن حضير : كذبت ، لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق(١) تجادل عن المنافقين .

فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

ومكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع ، يظنان أن البكاء فالق كبدى ، قالت . فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى فاستأذنت علىّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى ، قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم وجلس ، قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى .

قالت . فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه) قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة ،

= ويرى أن الصواب ما ذكره ابن إسحاق من ذكر أسيد بن حضير ولو اتفق أهل المغازى على أن وقعة الخندق وبنى قريظة متقدمة على غزوة بنى المصطلق لكان الوهم لازماً لمن رآه كذلك ، ولكن هم مختلفون فى ترتيب هذه المغازى كما سبق . . .

(١) لم يرد به نفاق الكفر ، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة لقومه الأوس ثم ظهر منه فى هذه القصة ضد ذلك . فأشبه حال المنافق ، لأن حقيقة النفاق إظهار شىء وإخفاء غيره . ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبى صلى الله عليه وسلم . أنظر (فتح البارى للحافظ ابن حجر) .

فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : والله (١) ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن : والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فإن قلت لكم إني بريئة(٢) لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني.

والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف حين قال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون(٣) ﴾ قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

قالت فوالله ما رام(٤) رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء(٥) حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان(٦) من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها : (يا عائشة أما الله فقد برأك) فقالت أمي : قومي(٧) إليه ، قالت فقلت : لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله .

---

(١) هنا سقطت كلمات من النسختين استدركتها من صحيح البخاري وغيره .
(٢) في الأحدية هنا زيادة (والله يعلم أني بريئة) .
(٣) سورة يوسف ، الآية ١٨ .
(٤) أي : مافارق .
(٥) أي العرق من شدة وطأة الوحي .
(٦) الجمان : اللؤلؤ .
(٧) (قومي) سقطت من الظاهرية فاستدركتها من الأحدية ومصادر أخرى.

وأنزل الله تعالى ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم [١] ﴾ العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله تعالى هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق — وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى. ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم [٢] ﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، ورجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى قال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ قالت: يارسول الله أحمى سمعى وبصرى، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهى التى كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تجادل فهلكت [٣] فيمن هلك من أصحاب الافك.

ثم أمر رسول الله ﷺ بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش — وكانوا ممن أفصح بالفاحشة — فضربوا حدهم.

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه [٤] ثم قال:

---

(١) سورة النور، الآية ١١.

(٢) سورة النور، الآية ٢٢.

(٣) فى (تاريخ الطبرى ٢/٦١٤): وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت...

(٤) وذلك لأن حسان بن ثابت قال شعراً يعرض فيه بصفوان. أنظر (تاريخ الطبرى ٢/٦١٨) من طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٩.

تلقَّ ذباب السيف عنك(١) فانني غلام إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شَمّاس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه وانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال ضرب حسان وما أراه إلا قتله ، فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء(٢) مما صنعت ؟ قال : لا ، قال : والله لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال صفوان : هجانى يارسول الله وآذانى فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : (أحسن ياحسان) قال هى لك يارسول الله ، فأعطاه رسول الله ﷺ عوضاً منها بيرحا وهى قصر بنى حديلة — بالحاء المهملة المضمومة والدال المفتوحة — وأعطاه سيرين(٣) أمة قبطية(٤) وهى أخت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وقيل إن مارية وسيرين أهديتا إلى النبى ﷺ سنة سبع ، وإنما أعطاه غيرها ، فولدت له ابنه عبد الرحمن .

وكان صفوان حصوراً لا يأتى النساء .

---

(١) فى (تاريخ الطبرى ٦١٨/٢) : (عنى) عوض (عنك) .
(٢) (بشيء) استدركتها من (نهاية الأرب للنويرى ٤١٥/١٦) .
(٣) فى النسختين (نسرين) والتصحيح من (نهاية الأرب للنويرى ١٦ / ٤١٧) .
(٤) أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك تعويضاً عن ضربته .

(عمرة الحديبية(١))

وفى هذه السنة خرج رسول الله ﷺ معتمراً فى ذى القعدة لا يريد حربا ، ومعه من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة ، وقيل: وخمسمائة ، وقيل ثلاثمائة ، وساق الهدى – معه – سبعين بدنة ليعلم الناس أنه جاء زائراً للبيت ، فلما بلغ عسفان لقيه بسر(٢) بن سفيان الكعبى فقال: يارسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذى طوى(٣) يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا ، وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ، وقيل إن خالداً كان مع النبى ﷺ مسلما ، والأول أصح .

فلما سمع رسول الله ﷺ مقال بسر(٤) قال : (ياويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ، ماعليهم لو خلوا بينى وبين سائر الناس ، فإن أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله دخلوا فى الإسلام وافرين ، والله لا أزال

---

(١) قال الحافظ ابن عبد البر فى مقدمة (الاستيعاب) : ليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم مايعدل بدراً فى الفضل أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية ، حيث كانت بيعة الرضوان . و (الحديبية) : بئر سمى المكان بها ، وقيل غير ذلك ، أنظر (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) فى النسختين (بشر) والتصحيح من (تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه لابن حجر) .

(٣) مثلثة الطاء : واد معروف بقرب مكة ، على ما فى (شرح صحيح مسلم للنووى) .

(٤) فى النسختين (بشر) وهو تصحيف على ماذكرت آنفا . ووقع فى عيون الأثر ١١٤/٢ (بشر) فأرجو تصحيحه فيها ، وورد فى الصفحة ١١٥ وغيرها غير مصحف ، ولله الحمد .

أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله تعالى أو تنفرد هذه السالفة(١))

ثم خرج على غير الطريق التى هم بها ، سلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المرار على مهبط الحديبية — وهى اسم بئر — فبركت به ناقته فقال الناس: « خلأت(٢) » فقال : (ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل(٣) ، لاتدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها) ثم قال للناس : (انزلوا) فقالوا : ما بالوادى ماء ، فأخرج سهماً من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه ، فجاش الماء بالرى حتى ضرب الناس عنه بعطن(٤) . وكان اسم الذى أخذ السهم ناجية بن عمير(٥) سائق بدن النبى ﷺ .

فبينا هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة ، وكانت عيبة نصح(٦) رسول الله ﷺ من تهامة ، فقال : تركت كعب بن لؤى

---

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت ، وقيل : أراد : حتى يفرق بين رأسى وجسدى ، على مافى (النهاية فى غريب الحديث) .

(٢) أى تلكأت وحرنت . والخلاء — بالكسر ممدوداً — للإبل كالحران للدواب ، وهو فى النوق خاصة ، على مافى (مشارق الأنوار للقاضى عياض) .

(٣) هو الله القادر سبحانه .

(٤) مثل لتوسع الناس بكثرة الماء ، على مافى (الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس ليوسف بن عبدالهادى).وأصله فى الإبل، يقال: ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء لتعاد إلى الشرب مرة أخرى . أنظر (لسان العرب) و (النهاية) .

(٥) هو ناجية بن جندب بن عمير ، على مافى عيون الأثر وتاريخ الطبرى .

(٦) أى خاصته وأصحاب سره .

وعامر بن لؤى نزلوا(١) أعداد(٢) مياه الحديبية ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ (إنا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين ، وإن شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلون بينى وبين الناس ، فإن أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى) .

فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبى ﷺ ، فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال : إن هذا الرجل عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته ، فقالوا : ائته ، فأتاه فكلمه فقال له النبى ﷺ نحو مقالته لبديل ، فقال عروة : يا محمد أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وجعل يرمق أصحاب النبى ﷺ ، فوالله إن تنخم النبى ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف أحدهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وما يحدون النظر إليه تعظيما له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ! قد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى ، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ؛ وحدثهم ما رأى وما قال له النبى ﷺ ، فقال رجل من كنانة إسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش : دعونى آته ، فأتاه ؛ فلما رآه النبى ﷺ قال : (هذا من قوم يعظمون البدن(٣) فابعثوا الهدى فى وجهه)

---

(١) (نزلوا) استدركتها من (تاريخ الطبرى ٢/٦٢٥) .

(٢) فى الظاهرية (عدد) وفى الأحمدية (عدو) والتصحيح من النهاية لابن الأثير وتاريخ الطبرى . قال ابن الأثير المحدث: أى ذوات المادة كالعيون والآبار . وقال محقق تاريخ الطبرى : الأعداد جمع عد — بالكسر — وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها .

(٣) البدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم ؛ والجمع بدن ، على ما فى (بصائر ذوى التمييز للفيروزابادى) .

فلما رأى الهدى رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ فقال : يا قـوم قد رأيت ما لا (١) يحل صده : الهدى فى قلائده ، قالوا : اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك . فقال : والله ما على هذا حالفناكم أن تصدوا عن البيت من جاء معظما له ، والذى نفسى بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين البيت أو لأنفرن بالأحابيش(٢) نفرة رجل واحد ، فقالوا : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ، فقام رجل منهم يقال له مكرز(٣) بن حفص فقال : دعونى آته ، قالوا ائته ، فلما أشرف على النبي ﷺ قال(٤) لأصحابه : (هذا رجل فاجر) فجعل يكلم النبي ﷺ ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، فلما جاء قال النبي ﷺ : (سهل أمركم).

وكان رسول الله ﷺ قد دعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف مكة ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وما بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها ، ولكن أدلك على رجل أعز بها منى : عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله ﷺ عثمان رضى الله عنه فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فقال أبو سفيان لعثمان حين بلغ الرسالة

---

(١) (لا) سقطت من النسختين ، فاستدركتها من (تاريخ الطبرى ٢/٦٢٨) وغيره من المصادر .

(٢) الاحابيش : جماعات يتجمعون من قبائل شتى ، على ما فى (مقاييس اللغة لابن فارس) .

(٣) فى النسختين (يكرز) والتصحيح من المراجع المشهورة .

(٤) أى النبى عليه صلوات الله وسلامه .

إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل فقال : (لا نبرح حتى نناجز القوم) .

ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت (بيعة الرضوان) تحت الشجرة وهي سَمُرة[1] .

وكان أول من بايعه رجل من بني أسد يقال له أبو سنان[2] ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر يقول : لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر ، فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ثم بلغه أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

وبعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك ، فأقبل سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال معه الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهم الصلح .

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال (اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : « باسمك اللهم » ثم قال :

---

(١) ضرب من شجر الطلح ، على ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٢) في (عيون الأثر في فنون المغازي والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢/١٢٥) : الصواب سنان بن أبي سنان . قال الواقدي : وسنان أول من بايع بيعة الرضوان ، وتوفي سنان سنة اثنتين وثلاثين ، وأما أبوه أبو سنان فمات في حصار بني قريظة ....

وفي (الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر) : سنان أول من بايع بيعة الرضوان في قول الواقدي . وقال غيره : بل أبو سنان أول من بايع بيعة الرضوان . وقال الواقدي : أول من بايع بيعة الرضوان سنان ؛ بايعه قبل أبيه . قال أبو عمر : الأكثر والأشهر أن أبا سنان هو أول من بايع بيعة الرضوان ، والله أعلم . وانظر (الطبقات الكبرى لابن سعد) .

(أكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو) فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال لعلي : (أمح رسول الله) فقال : لا أمحوك أبداً ، فأخذه رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب فكتب مكان رسول الله : (محمد بن عبد الله) وقال لعلي : - لتُبْلَيَنَّ بمثلها - اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، من أتى منهم رسول الله ﷺ (١) بغير إذن وليه رده إليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه اليه ، ومن أحب أن يدخل فى عهد [محمد دخل ومن أحب أن يدخل فى عهد](٢) قريش دخل . فدخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ (٣) ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ، وأن يرجع رسول الله ﷺ عامه ذلك(٤) ، فاذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف فى القُرُب .

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ .

فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ دخل الناس من ذلك(٥) أمر عظيم ، وكادوا يهلكون ، ووثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر وقال له : يأبا(٦) بكر أليس هو برسول الله ؟ قال : بلى . قال :

---

(١) فى نص الوثيقة : (من أتى محمدا) على ما فى المصدر المقبل .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية ومن (مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ٥٩ من الطبعة الثالثة) .

(٣) فى نص الوثيقة : (فى عقد محمد وعهده) ، كما فى المصدر السابق .

(٤) فى نص الوثيقة : (وأنت ترجع عنا عامك هذا) .

(٥) (من ذلك) مستدرك من الأحمدية وعيون الأثر .

(٦) هكذا تكتب ولكن أحياناً نخالف قواعد الإملاء للايضاح .

أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ ! قال أبو بكر : ياعمر الزم غرزه(١) فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ؛ ألست برسول الله ؟ قال : (بلى) قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : (بلى) ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : (بلى) ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : (أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى) فكان عمر يقول : مازلت أصوم وأتصدق وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً .

ولما رأى سهيل ولده أبا جندل قام إليه يضرب وجهه وأخذ بتلبيبه(٢) وقال : يامحمد قد تمت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : (صدقت) ، فجعل ينتره(٣) بتلبيبه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ، فزاد الناس ذلك إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم) قال فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبى جندل يمشى إلى جنبه(٤) ويقول :

---

(١) أى اتبعه ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز ؛ كالذى يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره .

(٢) فى الظاهرية (بتلببته) والتصحيح من الأحمدية وعيون الأثر . وأخذ بتلبيبه : أى جمع عليه ثوبه عند صدره ولبته ، وجره ؛ على مافى المشارق للقاضى عياض والنهاية لابن الأثير .

(٣) النتر : جذب فيه قوة وجفوة . وفى الأحمدية (ينبزه) وهو تصحيف .

(٤) (يمشى إلى جنبه) مستدركة من الأحمدية .

اصبر يأبا جندل فانما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، قال ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال فضن(١) الرجل بأبيه(٢) ونفذت القضية .

فلما فرغ الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين ، منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف(٣) وغيرهم وجماعة من المشركين ، وكان رسول الله ﷺ مضطرباً فى الحل(٤) ، وكان يصلى فى الحرم .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه ، فلما رأى الناس النبى ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت عليه سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما(٥)) ثم كانت القصة فيه وفى أصحابه ، حتى إذا انتهى إلى ذكر البيعة (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله(٦)) الآية . قال ابن عباس : ووعده ربه أنه فاتح مكة وبين له فتحها.

---

(١) فى الظاهرية (فظن) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ الطبرى وابن كثير .

(٢) فى الظاهرية (بابنه) وهو تصحيف .

(٣) سقط من الظاهرية (بن عوف) فاستدركتها من الأحمدية و (مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ٥٩ من الطبعة الثالثة) .

(٤) معناه أن خيامه كانت مضروبة فى الحل خارج منطقة الحرم ، وكانت صلاته فى الحرم لقرب الحديبية من الحرم ، على ما فى (شرح غريب سيرة ابن هشام للقاضى المحدث أبى ذر الخشنى) وغيره .

(٥) سورة الفتح ، الآية الأولى .

(٦) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أبو بصير عتبة(١) بن أسيد بن جارية الثقفي وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة، فكتب فيه الأزهر بن عبد(٢) عوف والأخنس بن شريق: وبعث فيه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقال له رسول الله ﷺ (قد علمت أنا أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يصلح الغدر في ديننا) فانطلق معهما إلى ذي الحليفة وجلسوا، فأخذ أبو بصير سيف أحدهما فقتله به، فخرج المولى سريعاً إلى رسول الله ﷺ فأعلمه بقتل صاحبه وأقبل أبو بصير فقال يا رسول الله قد وفت ذمتك وأنجاني الله منهم، فقال رسول الله ﷺ: (ويل امه مسعر حرب لو كان له رجال) فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم.

فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا بمكة ذلك، فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا، فضيقوا على قريش يعترضون لعيرهم، فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فآواهم رسول الله ﷺ.

ودخل في الإسلام في هذه السنة مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر(٣).

---

(١) أبو بصير سماه ابن إسحاق (عتبة)، ومن الناس من يسميه عبيدا، على مافي (عيون الأثر)

(٢) (عبد) سقطت من النسختين. فاستدركتها من (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس ١٢٧/٢) وغيرها من المصادر المشهورة.

(٣) لذلك ورد في صحيح الإمام البخاري عن البراء بن عازب أنه قال: تعدون فتح مكة فتحا ونحن نعد الحديبية هي الفتح.

وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوة : فيهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فجاء أخواها الوليد وعمارة يطلبانها فأنزل الله تعالى (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم)(١) الآية . فلم ترسل امرأة مؤمنة إلى مكة ، فأنزل الله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر)(١) فطلق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه امرأتين له إحداهما قريبة ابنة أبي أمية ؛ فتزوجها معاوية ، وهما مشركان ، والثانية أم كلثوم ابنة عمرو بن جرول الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم ، وهما مشركان .

وفي هذه السنة كانت عدة من السرايا والغزوات :

(سرية عكاشة بن محصن في أربعين رجلا الى الغمر(٢))

فنذر القوم بهم ، فهربوا ، فبعث الطلائع ؛ فوجدوا مائتي بعير فأخذوها إلى المدينة وكانت في ربيع الآخر(٣) .

= وزاد عدد الجيش حتى رجع الى مكة في الفتح بأكثر من عشرة آلاف . وكان عدد المسلمين في الحديبية لا يزيد على الألف وأربعمائة .

وكان دور هذه المعاهدات العسكرية خيراً وبركة على المسلمين . وتقدمت فيها قواهم العسكرية ونفوذهم في الجزيرة . مما مهد لدور الفتح والنصر . على مافي (كتاب النبي صلى الله عليه وسلم والسياسة الدولية للأستاذ الجليل المؤمن القوى الدكتور مصطفى كمال وصفى) .

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

(٢) في النسختين (الغمق) عوض (الغمر) وهو تحريف . والغمر : ماء لبني أسد .

(٣) في عيون الأثر وغيرها : (في ربيع الأول) .

ومنها:

(سرية محمد بن مسلمة)

أرسله رسول الله ﷺ فى عشرة فوارس إلى بنى ثعلبة بن سعد ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه فظهروا عليهم ، فقتل أصحابه ونجا وحده جريحاً .

(سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة[1])

فهرب أهله . وأصابوا نعماً ورجلا[2] أسلم ، فتركه رسول الله ﷺ .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة بالجموم[3])

فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة ؛ فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا نعماً وشاءً وأسرى ، فيهم زوجها ، فأطلقها رسول الله ﷺ وزوجها معها .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة أيضا)

الى العيص[4] فى جمادى الاولى

وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ، واستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، وقد تقدم ذكره فى غزاة بدر .

(١) بينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا فى طريق الربذة .

(٢) سقط من النسختين (رجلا) والاستدراك من تاريخ الكامل لابن الاثير ، و (عيون الاثر ٢/١٠٥) .

(٣) بفتح الجيم . ناحية بطن نخل عن يسارها . وبطن نخل من المدينة على أربعة برد ، على ما فى (عيون الاثر) .

(٤) بينها وبين المدينة أربع ليال .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة أيضاً)

فى جمادى الآخرة إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجـــلا ، فهربوا منه ، وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً .

(سرية زيد بن حارثة أيضاً)
الى حسمى(١) فى جمادى الآخرة

وسببها أن رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبيبى(٢) قدم على رسول الله ﷺ فى هدنة(٣) الحديبية ، وأهدى له غلاما ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ، ثم سار إلى الحرة حرة الرجلاء(٤) .

ثم إن دحية بن خليفة الكلبى أقبل من الشـام من عند قيصر ؛ إذ كان بأرض جذام أغار عليه الهنيد بن عوص(٥) وابنه عوص الضليعيـان(٦) ــ

(١) هى وراء وادى القرى .

(٢) فى النسختين (الضبى) تحريف . وبنو الضبيب بطن من جذام ، على ما فى (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٧٧) والإيناس بعلم الأنساب للوزير ابن المغربى . وورد فى اللباب فى الأنساب ، وعجالة المبتدى للحازمى والاستيعاب :(الضبنى) أو (الضبينى) أنظر (تبصير المنتبة).

(٣) فى الظاهرية (هذه السنة إلى) عوض (هدنة) التى فى الأحمدية ، وهى الصواب ، على ما فى الاستيعاب وغيره .

(٤) فى النسختين (الرحلاء) والتصحيح من الروض الأنف ووفاء الوفا للسيد السمهودى وتاريخ الطبرى .

(٥) فى النسختين (عوض) والتصحيح من تاريخ الطـــبرى والقاموس المحيط وغيرهما .

(٦) فى الظاهرية (الصليعيان) وهو تصحيف صححته من الأحمدية و(تاريخ الطبرى ٣/١٤٠) .

وهو بطن من جذام — فأخذا كل شيء معه ، فبلغ ذلك نفراً من بنى الضبيب فاستنقذوا كل شيء أخذ من دحية وردوه عليه ، فخرج دحية حتى قدم على رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، وطلب منه دم الهنيد وابنه عوص.

فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة فى جيش،فأغاروا بالفضافض، وجمعوا ما وجدوا من مال ، وقتلوا الهنيد وابنه ، فلما سمع بذلك بنو الضبيب رهط رفاعة بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا : إنا قوم مسلمون، فقال زيد : فاقرءوا أم الكتاب ؛ فقرأها بعضهم ، فقال زيد : نادوا فى الجيش « إن الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التى جاءوا منها » وأراد أن يسلم إليهم سباياهم ، فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط ، فتوقف فى تسليم السبايا وقال : « هم فى حكم الله تعالى»

ونهى الجيش أن يهبطوا(١) فعادوا إلى رفاعة بن زيد ، ولم يكن عنده علم بذلك ، فأتوه وهو فى كراع ربة(٢) فقالوا : إنك جالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذى جئت به .

فسار رفاعة والقوم معه إلى المدينة ، فعرض كتاب رسول الله ﷺ عليه فقال : (كيف أصنع بالقتلى) فقالوا : لنا من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت أقدامنا — يعنون تركوا الطلب به — فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل معهم على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى زيد بن حارثة ، فرد على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة من تحت الرحل ، وأطلق الأسارى.

---

(١) إلى واديهم الذى جاءوا منه ، على ما فى (تاريخ الطبرى) وغيره .

(٢) فى النسختين (كراع له) والصواب (كراع ربة) فى ديار جذام ، على ما فى معجم البلدان والروض الأنف وتاريخ الطبرى .

ومنها :

(سرية عبد الرحمن بن عوف الزهرى)

الى دومة الجندل فى شعبان

فأسلموا ، فتزوج عبد الرحمن تماضر[١] بنت الأصبغ[٢] رئيسهم ، وهى أم أبى سلمة[٣] .

ومنها :

(سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه)

الى فدك فى شعبان فى مائة رجل

وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن حياً من بنى سعد[٤] قد تجمعوا يريدون أن يمدوا أهل خيبر ، فسار إليهم على فأصاب عيناً لهم ، فأخبره أنه سار إلى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم ، على أن يجعلوا له تمر خيبر .

ومنها :

(سرية زيد بن حارثة)

الى أم قرفة فى رمضان

وكانت عجوزاً كبيرة ، فلقى بنى فزارة بوادى القرى ، فأصيب أصحابه ،

---

(١) فى الأحمدية (تماظر) وهو تحريف .

(٢) فى الظاهرية (الأصبع) وهو تصحيف .

(٣) (سلمة) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية ، وأبو سلمة هذا هو ابن عبدالرحمن بن عوف .

وأمثال هذه المصاهرات تعتبر من أعظم الأسباب لتوطيد الود والمحبة بين القبائل ، كما أنها عامل من عوامل انتشار الإسلام بين الناس ، كما فى (السرايا الحربية فى العهد النبوى للدكتور محمد السيد طنطاوى) .

(٤) سعد بن بكر ، على ما فى (سيرة مغلطاى) الملخصة من (الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم) .

وارتث زيد من بين القتلى فنذر أن لا يمس ماءً من جنابة حتى يغزو فزارة، فبعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة، فلقيهم بوادى القرى فأصاب منهم وقتل، وأسر أم قرفة، وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجوزاً كبيرة وبنتاً لها، فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين(١)، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنتها، وكانت فى بيت شرف من قومها، كانت العرب تقول: (لو كنت أعز من أم قرفة)(٢) فسأل سلمة بن الأكوع رسول الله ﷺ فيها فوهبها له، فأهداها سلمة لخاله حزن بن أبى وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حزن.

---

(١) إختلف أهل السير فيمن قتلها. والمشهور عندهم أنه قيس بن مالك بن المحسر، وإن لم يثبت قتلها فى تلك السرية عند أهل الحديث. وفى (عيون الأثر ١٠٨/٢): وعن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير قال: حدثنى عبدالله بن أبى بكر، ذكر قيس بن مالك بن المحسر لأم قرفة وقتله إياها بأمر زيد بن حارثة قتلا عنيفاً بربط رجليها ببعيرين حتى شقاها، لكن ليس فى رواية ابن هشام ذكر للبعيرين. قال الشيخ الكوثرى فى (مقالاته): وفى هذه الأقصوصة وقفات من جهة أن الراوى عن ابن إسحاق هو يونس بن بكير، وعنه يقول أبوداود: ليس بحجة عندى، كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالحديث. وقد ضعفه العجلى والنسائى. فانفراد مثله يكون موضع ريبة، بل وقع فى تاريخ الطبرى عنعنة ابن إسحاق لهذا الخبر عن ابن أبى بكر، فتعين الرد لكونه مدلسا. وشيخ الطبرى ابن حميد وشيخه سلمة بن الفضل الراوى عن ابن إسحاق لا يحتج بهما عند كثيرين... فيضرب برواية ابن إسحاق عرض الحائط كما فعل ابن كثير فى (البداية والنهاية) اعتماداً على الرواية الصحيحة لأحمد ومسلم وأبى داود. والنبى صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة نهياً باتاً.....

وكانت أم قرفة سبت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: إنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة واقتلوا محمدا. أنظر عيون الأثر لابن سيد الناس: وشرح المواهب اللدنية، وإنسان العيون.

(٢) وإنما قالوا: (أعز من أم قرفة) لأنه كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا، كلهم لها ذو محرم، كما فى (عيون الأثر ١١٠/٢).

ومنها :

(سرية كرز بن جابر الفهرى)

إلى العرنيين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ ، واستاقوا الإبل . وكانت فى شوال .

وفيها تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح[1] أخت عاصم ، فولدت له عاصماً .

وفيها أجدب الناس جدبا شديداً ، فاستسقى رسول الله ﷺ بالناس فى رمضان .

(ذكر مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك[2])

فى هذه السنة بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشى وغيرهم .

فأرسل حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس بالأسكندرية .

---

(١) فى الظاهرية (الأفلح) والتصحيح من الأحمدية و(تبصير المنتبه) حيث قال : وبقاف هو ... فرد .

(٢) من الدليل على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كاتب كسرى وقيصر وغيرهما ، وأمره مع قومه كلهم ما استقب فضلا عن عامة العرب . ولولا أنه مدفوع إلى المكاتبة من جهة من إليه حفظ العاقبة لم يفعل ذلك ، فإن ذلك لا يصدر عن رأى ذى رأى قط . . . . فما أسخف عقول الشاكين فى نبوته مع تشعشع أنوار صدقه .

من (الوفا بأحوال المصطفى للحافظ ابن الجوزى عليه رحمة الله ٧٤٢/٢) .

وأرسل شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى بدمشق
وأرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر .
وأرسل سليط بن عمرو العامرى إلى هوذة[١] بن على الحنفى .
وأرسل عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى .
وأرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى .
وأرسل العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين .

فأما المقوقس فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ ، وأهدى إليه أربع (٢) جوار إحداهن مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، والأخرى سيرين وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وأهدى له أيضاً بغلته دلدل وحماره يعفور وكسوة .

وأما قيصر وهو هِرَقْل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وجعله بين فخذه وخاصرته (٣) . وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره بشأنه فكتب إليه صاحب رومية : إنه النبى الذى كنا ننتظر ، لاشك فيه ، فاتبعه وصدقه .

(١) فى الظاهرية (هردة) وهو تصحيف صححته من الأحمدية ومن (صبح الاعشى ٣٧٩/٦) و (هوذة) بفتح الهاء ، ، زعم بعضهم أنها بالضم وهو وهم ، على مافى (تاج العروس) .

(٢) (أربع) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من تاريخ ابن جرير وتاريخ ابن الأثير .

(٣) فى (الروض الأنف للسهيلى) : روى أن هرقل وضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب إليه فى قصبة من ذهب تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر فى أرفع صوان وأعز مكان ، حتى كان عند =

فجمع هرقل بطارقته فى دسكرة (١) وغلقت أبوابها ، ثم اطلع عليهم من علية ، وخافهم على نفسه وقال لهم : قد أتانى كتاب هذا الرجل يدعونى إلى دينه ، وإنه والله النبي الذى كنا نجده فى كتبنا فهلم نتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فنخروا نخرة رجل واحد ، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا ، فقال ردوهم على ، وخافهم على نفسه وقال لهم : إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم ، وقد رأيت منكم ما سرنى . فسجدوا له وانطلقوا . فقال لدحية : إنى لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكنى أخاف الروم على نفسى، ولولا ذلك لاتبعته فاذهب إلى ضغاطر (٢) الأسقف فهو أعظم فى الروم منى ، فاذكر له أمر صاحبك وانظر ما يقول لك ، فجاءه دحية وأخبره ماجاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضغاطر : والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده فى كتبنا ، ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم فى الكنيسة وقال : يامعشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله ، وإنى أشهد ألا إله إلا الله وأن أحمد عبده(٣) ورسوله . قال فوثبوا عليه فقتلوه ، فرجع

= اذفونش .. ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسليطين . حدثنى بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال : فأخرجه إلى فاستعبرته وأردت تقبيله وأخذته بيدى ؛ فمنعنى من ذلك صيانة له وضناً به على .

وفى (أهرام ٨ - ١٥ / ٤ / ١٩٧٥) أن هذا الكتاب النبوى نقل إلى خزائن أحد البنوك السويسرية وكان من ممتلكات الملك عبدالله ملك شرقى الأردن.

(١) الدسكرة : بناء على هيئة القصر ، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، على مافى (النهاية) .

(٢) هكذا فى النسختين و (مجموعة الوثائق السياسية للأستاذ الدكتور محمد حميد الله) وفى تاريخ الطبرى (صغاطر) بالصاد المهملة .

(٣) فى الظاهرية (عبدالله) عوض (عبده) .

دحية إلى هرقل وأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا . وقال هرقل للروم : هلموا نعطه الجزية ، فأبوا ، فقال : نعطيه أرض سورية ـ وهى الشام ـ ونصالحه ، فأبوا .

واستدعى هرقل أبا سفيان ، وكان بالشام تاجراً فى المدنة (١) ، فحضر عنده ومعه جماعة من قريش ، فأجلسهم هرقل خلفه ، وقال : إنى سائله ، فإن كذب فكذبوه . فقال أبو سفيان : لولا أن يأثروا عنى الكذب لكذبت ، فسأله عن النبى ﷺ ، قال : فصغرت له شأنه ، فلم يلتفت إلى قولى ، وقال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو أوسطنا نسباً (٢) ، قال : هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان له فيكم ملك سلبتموه إياه ؟ قلت لا ، قال : فمن أتباعه منكم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث : قال : فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أم يقليه (٣) ويفارقه ؟ قلت : ما تبعه رجل ففارقه. قال : فكيف الحرب بينكم وبينه ؟ قلت : يدال علينا وندال عليه . قال هل يغدر ؟ قال : فلم أجد شيئاً أغمزه به غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه فى هدنة لانأمن غدره ، قال فما التفت إليها .

قال أبو سفيان قال لى هرقل : سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسطكم نسباً ، وكذلك الأنبياء . وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو يتشبه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له ملك سلبتموه ملكه ، فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه ، فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والاحداث . وكذلك أتباع الرسل . وسألتك عمن يتبعه أيحبه أم

---

(١) هدنة الحديبية .
(٢) أى من أشرفهم وأحسبهم ، على ماقى (النهاية لمجد الدين بن الأثير) .
(٣) أى يبغضه .

يفارقه ، فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه ، وكذلك حلاوة الايمان لاتدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أن لا .

ولئن كنت صدقتنى ليغلبن على ما تحت قدمىّ هاتين ، ولوددت أنى عنده فأغسل قدميه ، إمض لشأنك .

قال فخرجت وأنا أضرب إحدى يدى بالأخرى وأقول : أى عباد الله ، لقد عظم أمر ابن أبى كبشة (١) ، أصبح ملوك الروم يهابونه فى سلطانهم .

وأما الحارث بن أبى شمر الغسانى فأتاه كتاب رسول الله ﷺ مع شجاع ابن وهب ، فلما قرأه قال : أنا سائر إليه ؛ فلما بلغ قوله رسول الله ﷺ قال : (باد ملكه) .

وأما النجاشى فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب ، وأرسل إليه ابنه فى ستين من الحبشة ، فغرقوا فى البحر ، وأمره رسول الله ﷺ ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفى بالحبشة ، فخطبها النجاشى على رسول الله ﷺ فأجابت فزوجها ، وأصدقها أربعمائة دينار ؛ فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة قال « ذلك الفحل لايقدع (٢) أنفه » .

---

(١) كان المشركون ينسبون النبى ﷺ إلى أبى كبشة ، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً فى عبادة الأوثان ، وعبد الشعرى العبور ، فلما خالفهم النبى ﷺ فى عبادة الأوثان شبهوه به ، وقيل إنه كان جد النبى ﷺ من قبـــل أمه ، فأرادوا أنه نزع فى الشبه إليه ، على مافى (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير) .

(٢) كناية عن كريم أصله وعراقته . وفى النسختين (يقذع) وهو تصحيف صححته من لسان العرب والنهاية .

وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة، فمزق الكتاب فقال رسول الله ﷺ : (مزق ملكه) .

وكان كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وإنى أدعوك بدعاية الله تعالى وإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وإن توليت فإنما إثم المجوس عليك .

فلما قرأه شقه وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى .

ثم كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به ، فبعث باذان بابويه(١) — وكان كاتباً حاسباً — ورجلا آخر من الفرس يقال له خُرّ خُسره ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ بالمسير معهما إلى كسرى ، وتقدم إلى بابويه(١) أن يأتيه بخبر رسول الله ﷺ .

وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا : أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، وكفيتم الرجل

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، وقد حلقا لحاهما وشواربهما، فكره النظر إليهما وقال . (ويلكما من أمركما بهذا ؟) قالا ربنا — يعنيان الملك — قال : (لكن ربى أمرنى أن أعفى لحيتى وأقص شاربى) فأعلماه بما قدما له ، وقالا : إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى وإن أبيت فهو يهلكك ويهلك قومك ، فقال لهما رسول الله ﷺ : (ارجعا حتى تأتيانى غداً) وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أن الله تعالى قد سلط على كسرى ابنه شيرويه

(١) فى النسختين (بابوه) والتصحيح من (تاريخ الطبرى ٢/٦٥٥) وغيره .

فقتله ، فدعاهما رسول الله ﷺ وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما : (إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر) وأمرهما أن يقولا لباذان ليسلم فان أسلم أقره على ما تحت يده وملكه على قومه .

ثم أعطى خُرَّ خُسره مِنْطَقَة ذهب وفضة ، أهداها له بعض الملوك .

فخرجا وقدما على باذان فأخبراه الخبر فقال : والله ما هذا كلام ملك ، وإني لأراه نبياً ، ولننظرن فان كان ما قال حقاً إنه لنبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا ، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن رسول الله ﷺ ، فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه الأبناء من فارس .وكانت حِمْيَر تسمي خرخسره صاحب المعجزة، والمعجزة بلغة حِمْيَر : المنطقة .

وأما هوذة[١] بن علي الحنفي فكان ملك اليمامة ، فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الاسلام — وكان نصرانياً — فأرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيهم مُجّاعة بن مرارة والرَّجَّال[٢] بن عُنْفُوة يقول له : إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره ، وإلا قصد لحربه ، فقال رسول الله ﷺ :(لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه) فمات بعد قليل.

وأما مُجّاعة والرَّجَّال فأسلما: وأقام الرجال عند رسول الله ﷺ حتى قرأ سورة البقرة وغيرها ، وتفقه ، وعاد إلى اليمامة فارتد وشهد أن رسول الله ﷺ أشرك مسيلمة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة .

---

(١) في الظاهرية (هردة) وهو تصحيف ، صححته من الأحمدية وغيرها .

(٢) في النسختين (ارحال) وفي تبصير المنتبه للحافظ ابن حجر : ضبطه عبد الغني بالحاء المهملة فوهم .

وأما المنذر بن ساوى بالبحرين، فلما أتاه العلاء بن الحضرمى يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية — وكانت ولاية البحرين للفرس — فأسلم المنذر بن ساوى وأسلم جميع العرب بالبحرين. وأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء بن الحضرمى والمنذر على الجزية، من كل حالم دينار.

(ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما)

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن حبيب بن أبى أوس قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم: تعلموا (١): والله إنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنى قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نكون عند النجاشى فإن ظهر محمد على قومه(٢) كنا عند النجاشى، فنكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير.

قالوا: إن هذا الرأى، قلت: فاجمعوا ما نهدى له — وكان أحب ما يهدى له من أرضنا الأدم — فجمعوا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه، قال فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال فقلت لأصحابى: هذا عمرو

(١) أى (اعلموا) وفى النسختين (تعلمون) وهو خطأ ظاهر، لأنهم لا يعلمون ما سيقوله.

(٢) فى الأحمدية (قومنا) ومثله فى (تاريخ الطبرى ٣/٣٠).

ابن أمية لو دخلت إلى النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فترى قريش أني قد اجترأت(١) وقتلت رسول محمد.

قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال لي : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال قلت : نعم أيها الملك قد أهديت لك أدماً كثيرا ، ثم قربته له فأعجبه ذلك واشتهاه ، ثم قلت أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال فغضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، فقلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك .

قال تسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال فقلت : أيها الملك كذلك هو ؟ قال : ويحك ياعمرو أطعني على الاسلام ، قلت : نعم ، فبسط يده فبايعته على الاسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، فكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم — أي ظهرت العلامة — وإن الرجل لنبي ، أذهب والله إليه أسلم ، فحتى متى ؟ قال قلت : وأنا والله ما جئته إلا لأسلم .

قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ، فقال النبي ﷺ : (يا عمرو بايع فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها) .

---

(١) هكذا في النسختين ، وفي تاريخ الطبري : (فاذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد) .

قال : فبايعته ثم انصرفت .

ويقال إن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما[١] .

قال عمرو : كنت قد أضمرت في نفسي أن أذكر[٢] « ما تقدم من ذنبي وما تأخر » ، فلما بايعت قلت « على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي » ، وأنسيت أن أقول « وما تأخر » .

(ذكر من توفي في هذه السنة) من الأعيان

فيها توفيت (أم رومان) بنت عامر بن عويمر ، تزوجها الحارث بن سخبرة[٣] فولدت له الطفيل ، ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر ، أسلمت بمكة قديماً وبايعت ، وولدت لأبي بكر عبد الرحمن وعائشة ، وهاجرت إلى المدينة وكانت صالحة . توفيت في ذي الحجة من هذه السنة ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها . رحمها الله تعالى .

وفيها توفي (عتبة[٤] بن أسيد بن جارية[٥])، كان حليفاً لبني زهرة . أسلم بمكة قديماً فحبسه المشركون عن الهجرة ، فلما أن نزل رسول الله ﷺ الحديبية وقاضى قريشاً على ما قاضاهم عليه وقدم المدينة أقبل أبو بصير[٦] على قدميه

---

(١) وأسلما حين أسلما ، على ما في (تاريخ الطبري ٣١/٣) .
(٢) هنا في الظاهرية تقديم وتأخير في بعض كلمات النص .
(٣) في الأحمدية (سجيرة) وهو تصحيف ، صححته من الظاهرية و (طبقات ابن سعد) .
(٤) في الظاهرية (عقبة) وهو تحريف صححته من الأحمدية والاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .
(٥) في النسختين (حارثة) وهو تصحيف، صححته من الاستيعاب والتبصير .
(٦) هو عتبة بن أسيد المذكور آنفا ، وهو مشهور بكنيته .

سعياً حتى وصل إلى رسول الله ﷺ ، فكتب الأخنس بن شريق(١) وأزهر ابن عبد عوف إلى رسول الله ﷺ كتاباً ، فيه أن يرد عليهم ما اصطلحوا عليه ، وبعثاه مع خنيس بن جابر ، فخرج خنيس ومعه مولاه كوثر فدفعه إليهما فخرجا به .

فلما كانوا بذى الحليفة عدا أبو بصير على خنيس فقتله ، وهرب كوثر حتى قدم المدينة فأخبر النبي ﷺ ، ورجع أبو بصير وقال : وفيت ذمتك يارسول الله دفعتنى إليهم فخشيت أن يفتنونى عن دينى . فقال النبي ﷺ لكوثر : (خذه فاذهب به) قال : أخاف أن يقتلنى ، وتركه ومضى إلى مكة فأخبر قريشاً بما كان ، وخاف أبو بصير من طلب قريش له فخرج إلى العيص، فنزل بساحله على طريق قريش إلى الشام ، فجعل من بمكة من المحبسين يتسللون إلى أبى بصير .

فاجتمع قريب من سبعين رجلاً فجعلوا لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه ولا بعير لهم إلا اقتطعوها ، فكتبت قريش(٢) إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير وأصحابه إليه فلاحاجة لنا بهم ، فكتب النبي ﷺ إلى أبى بصير أن يقدم عليه مع أصحابه ، فجاءه الكتاب وهو يموت فجعل يقرؤه ويقبله ويضعه على عينيه ، ومات وهو فى يده ، فغسله أصحابه وصلوا عليه ودفنوه هناك ، وبنوا عند قبره مسجداً ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه ، فترحم عليه ، رحمه الله تعالى(٣)

* * *

(١) فى الظاهرية (شريف) وهو تصحيف صححته من الأحمدية و(تاريخ الطبرى ٢/٣٤٧) .

(٢) (قريش) ساقطة من الظاهرية . فاستدركتها من الأحمدية .

(٣) هنا فى حاشية الأحمدية : (بلغ قراءة) .

(السنة السابعة من الهجرة)

فيها كانت (غزوة خيبر[١])

وكان رسول الله ﷺ لما رجع[٢] من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم، وسار إلى خيبر فى ألف وأربعمائة راجل ومائتى[٣] فارس. وخيبر على ثمان برد من المدينة . واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

وقال فى مسيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن الأكوع (أحْدُ لنا) فنزل وحدا ، يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله ﷺ : (يرحمك الله يا عامر) فقال عمر : هلاّ متعتنا به يارسول الله — وكان إذا قالها للرجل قتل — فلما نازلوا خيبر بارز عامر، فعاد عليه سيفه فجرحه جرحاً شديداً فمات منه ، فقال الناس إنه قتل نفسه ، فقال سلمة ابن أخيه للنبى ﷺ ، فقال : (كذبوا بل له أجره مرتين) .

ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه : (قفوا) ثم قال : (اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله) وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها .

---

(١) موضع قرب المدينة على ثمانية برد منها إلى الشام : سمى باسم رجل من العماليق نزل به ، وكانت به سبعة حصون ، على مافى (تاج العروس للزبيدى) .

(٢) سقط من الأحمدية (لما رجع) .

(٣) سقط من النسختين (راجل ومائتين) فاستدركتها من الدرر فى المغازى والسير للحافظ ابن عبد البر ٢٠٧ .

ونزل على خيبر ليلا ، ولم يعلم أهلها ، فلما أصبحوا خرج أهلها إلى عملهم، ومعهم مكاتلهم ومساحيهم[١] ، فلما رأوه عادوا وقالوا « محمد والخميس[٢] » ، يعنون الجيش فقال النبي ﷺ : (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) ثم حصرهم وضيق عليهم ، وبدأ بالأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصناً حصنا ، وكان أول حصن[٣] افتتحه حصن ناعم ، وقتل عليه محمود بن مسلمة الأنصارى ، ألقيت عليه رحى فقتلته ، ثم القموص حصن ابن أبى الحقيق .

وأصاب منهم رسول الله ﷺ سبايا ، منهن صفية بنت حيى بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه .

وأكل الناس لحم الحمر الإنسية ، فنهاهم رسول الله ﷺ عنها .

ثم افتتح حصن الصّعب ، وهو أكثرها طعاماً وودكاً[٤] .

ثم قصد حصنى الوطيح والسلالم[٥] ، وكان آخر ما افتتح ، فخرج منه مرحب اليهودى وهو يقول :

---

(١) المكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة كبيرة ، يقال لها الزنبيل . والمساحى : الفؤوس .

(٢) الخميس : الجيش، لأنه ينقسم خمسة أقسام : مقدمة ، وساقة ،وجناحان، وهما الميمنة والميسرة . والقلب ، على مافى (شرح السيرة النبويه لأبى ذر الخشنى ٣٤٤/٢) والافصاح فى فقه اللغة .

(٣) (وكان أول حصن) ساقطة من الظاهرية ،فاستدركتها من الأحديةوغيرها.

(٤) دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه .

(٥) فى خيبر سبعة حصون ، منها شق ونطاة وكتيبة . ولم أجد فى المعاجم (الصعب) .

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب
إن حماى كالحمى(١) لا يقرب

وسأل المبارزة فخرج إليه محمد بن مسلمة وهو يقول : أنا والله الموتور الثائر ، قتلوا بالأمس أخى،فقال رسول الله ﷺ : (اللهم أعنه عليه) فتقاتلا طويلا ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة وضربه فاتقاه بالدرقه(٢) فنشب فيها سيف عدو الله ، وضربه محمد فقتله .

وقيل إنما قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو الأصح ، وذلك أن أبا بكر رضى الله عنه أخذ الراية وقاتل قتالا شديداً ، ثم أخذها عمر رضى الله عنه وقاتل أشد من القتال الأول ، ثم رجع فقال رسول الله ﷺ (والله لأعطينها غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) فتطاولت لها قريش .

وكان على رضى الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه ، فلما أصبحوا إذا على(٣) على بعير له ، فنزل قريباً من رسول الله ﷺ وهو أرمد قد عصب عينيه ، فقال له رسول الله ﷺ:(أدن منى) فدنا منه ، فتفل فى عينيه ،فما شكا وجعاً حتى مضى لسبيله .

وأعطاه الراية فنهض بها(٤) فأتى خيبر ، فأشرف عليه رجل من يهود وقال: من أنت ؟ قال أنا على بن أبى طالب ، فقال اليهودى : غلبتم يامعشر يهود ،

---

(١) وفى رواية (للحمى) عوض (كالحمى) .
(٢) الدرقة : ترس من جلد .
(٣) فى الأحمدية (جاء على رضى الله عنه) عوض (إذا على) المثبتة فى الظاهرية .
(٤) رواه الشيخان . أنظر (اللؤلؤ والمرجان ٣/١٢٢) وانظر (جامع الاصول لابن الاثير ٨/٦٥٤ من طبعة دمشق) .

فخرج مرحب من الحصن ، وعليـــه مغفر يمانى ، وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح(١) بطل مجرب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره(٢) أكيلهم بالسيف كيل السندره(٣)

ليث بغابات شديد القسوره

واختلفا بينهما ضربتين ، فسبقه على فقدّ البيضة والمغفر ورأسه ، فوقع إلى الأرض .

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : خرجنا مع على رضى الله عنه حين أعطاه رسول الله ﷺ الراية ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه .

وكان فتحها فى صفر .

---

(١) يريد حاد السلاح ، على ما فى (شرح السيرة النبوية لأبى ذر الخشنى ٢ / ٣٤٥) .

(٢) الحيدرة : الأسد .

(٣) السندرة : مكيال كبير . يعنى أنه يقتلهم قتلا ذريعا .

ولما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى اليهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية ، وأبعد الأخرى وقال : (إنها شيطانة) لأجل فعلها ، وقال رسول الله ﷺ لبلال : (أنزعت منك الرحمة جئت بهما على قتلاهما).

وكانت صفية قد رأت في منامها وهي عروس لكنانة بن أبي الحقيق قمراً وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال « ماهذا إلا أنك تتمنين محمداً » ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانة بن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود . وحاز رسول الله ﷺ الأموال كلها ، وسأله يهود أهل فدك أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون له الأموال ، ففعل ذلك .

ولما نزل أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف وأن يخرجوا إذا شاءوا ، فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل (فدك) ، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين .

وكانت (فدك) خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما استقر رسول الله ﷺ أهدت له زينب ابنة الحارث امرأة سلام ابن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه ، فأخذ منها رسول الله ﷺ مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، فأكل بشر منها . وقال رسول الله ﷺ : (إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة) ثم دعا المرأة فاعترفت فقال : (ما حملك على ذلك) ؟ قالت : بلغت من قومي مالم يخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسيخبر ، وإن كان ملكا استرحنا منه ، فتجاوز عنها .

ومات بشر بن البراء من تلك الأكلة .

وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه : (هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى[١] من أكلة خيبر) فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهله ليالى فافتتحه عنوة ، وفى حصاره قتل مدعم(٢) مولى رسول الله ﷺ الذى أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، فقال المسلمون : هنيئاً لك الجنة ، فقال رسول الله ﷺ . (والذى نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل عليه نارا) وكان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر ، فسمعه رجل فقال : أصبت شرا كين لنعلين[٣] فقال رسول الله ﷺ : (يقد لك مثلهما من النار) .

وترك رسول الله ﷺ النخل والأرض فى أيدى أهل الوادى - يعنى فدك - وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر ، فبقوا كذلك إلى أن ولى عمر الخلافة فأجلاهم ، وقيل إنه لم يجلهم فإنها خارجة عن أرض الحجاز .

وأقر النبى ﷺ أهل خيبر بخيبر ، وأبو بكر بعده ، وعمر صدراً من خلافته ، حتى بلغه أن النبى ﷺ قال فى مرضه الذى مات فيه : (لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان) فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله ﷺ .

---

(١) هو الشريان الأورطى Aorta ، الوتين ، كما فى (القاموس المصرى) وقد سألنا أحد كبار الأطباء ، فوافق على ما ورد فى هذا القاموس .

(٢) فى النسختين (مدغم) وهو تصحيف صححته من فتوح البلدان للبلاذرى وغيره .

(٣) (لنعلين) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية وفتوح البلدان للبلاذرى .

وكان نصف (فدك) خالصاً لرسول الله ﷺ، وكان يصرف ما يأتيه منها إلى أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأجلى يهـــود الحجاز ، فبعث أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن أبى حثمة(١) وزيد بن ثابت فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل ، فدفعها إلى يهود وأجلاهم إلى الشام .

ولم يزل أبو بكر وعمر وعثمان وعلى يصنعون فيها صنع رسول الله ﷺ بعد وفاته ، فلما ولى معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان ابنيه عبد الملك وعبد العزيز، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان ، فلما ولى الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز ، ثم ولى سليمان بن عبد الملك الخلافة فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز .

فلما ولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر(فدك) وأنه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ثم أخذت منهم . فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون إليهم .

وفى هذه السنة اتخذ رسول الله صلى الله عايه وسلم المنبر ، وقيل إنه عمل سنة ثمان(٢) .

وفيها بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ثلاثين

---

(١) فى الأحمدية (حيثمة) وهو تحريف صححته من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر ، وغيره .

(٢) قال الواقدى : وهو الثبت عندنا ، على مافى (تاريخ الطبرى ٣/٢٢) .

رجلا إلى عجز(١) هوازن ، فهربوا منه ، ولم يلق كيدا .

وفيها كانت :

(سرية بشير بن سعد)

والد النعمان بن بشير الأنصارى ، إلى بنى مرة بفدك فى ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه(٢) ، وارتث فى القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

وفيها كانت :

(سرية غالب بن عبد الله الليثى)

إلى أرض بنى مرة ، فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من جهينة ، قتله أسامة ورجل من الأنصار ، قال أسامة : لما علوناه قال : أشهد ألا(٣) إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبرناه الخبر فقال : (كيف تصنع بلا إله إلا الله) .

وفيها كانت :

(سرية غالب بن عبد الله أيضاً)

إلى بنى عبد بن ثعلبة

فأغار عليهم ، واستاق النعم إلى المدينة .

---

(١) بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاى : محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء ، على ما فى (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون لنور الدين الحلبى) .

(٢) بعد أن قاتلوا قتالا شديداً ، وقاتل بشير قتالا شديداً حتى ضرب كعبه وقيل : قد مات ، فلما أمسى تحامل إلى فدك . . . ثم رجع إلى المدينة ، كما فى (تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر ١٠/١٥٠ تحقيق الأستاذ دهمان)

(٣) أنظر هامش الصفحة ٢٧٦ .

وفيها كانت .

(سرية بشير بن سعد)
إلى يمن وجبار(١) فى شوال

وكان سببها أن حسيل بن نويرة الأشجعى كان دليل رسول الله ﷺ إلى خيبر ، قدم على النبي ﷺ فأخبره أن جمعاً من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن وأمرهم بالمسير إلى المدينة ، فبعث النبي ﷺ بشيراً ، فأصابوا نعما ، وقتلوا مولى لعيينة ، ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون ، وانهزم عيينة فلقيه الحارث بن عوف منهزماً فقال له : قد آن لك أن تقصر عما ترى .

(عمرة القضاء)

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جماديين ورجباً وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث السرايا .

وخرج فى ذى القعدة معتمراً(٢) عمرة القضاء ، وساق معه سبعين بدنة ، وخرج معه المسلمون ممن كان معه فى عمرته الأولى

---

(١) فى النسختين (جناب) والتصحيح من (تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥١/١٠) و (يمن) ضبطها البكرى فى معجم ما استعجم بالضم. وقال ياقوت فى معجم البلدان : يمن بالفتح ويروى بالضم ثم السكون : ماء لغطفان بين بطن قو ورؤاف على الطريق بين تيماء وفيد . و (جبار) صرح الزبيدى فى (التاج) بأنها بالضم ، وكذلك فى (معجم ما استعجم) وفى عيون الأثر : جبار بفتح الجيم وباء معجمة ثانية الحروف مخففة . ومثله فى (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسيد الشريف السمهودى المصرى) .

(٢) (معتمرا) غير موجودة فى النسختين ، فاستدركتها من (تاريخ الطبرى ٢٣/٣) ومن تاريخ ابن الأثير . وقد عوضهم الله مكاسب للدعوة فى هذه الفترة .

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه فى عسر وجهد وقد نهكتهم حمى يثرب، فاصطفوا له عند دار الندوة، فلما دخلها رسول الله ﷺ اضطبع بردائه[1] وأخرج عضده اليمنى ثم قال: (رحم الله امرأ أراهم قوة) ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه.

وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذاً بخطام ناقته وهو يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله　　خلوا فكل الخير فى رسوله
يا رب إنى مؤمن بقيله[2]　　أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله　　كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عن خليله[3]

وتزوج النبى ﷺ فى سفرته هذه ميمونة بنت الحارث، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلى أمرها، وهى أخت أم[4] ولده، وهى آخر امرأة تزوجها.

وأقام بمكة ثلاثا، فأرسل المشركون إليه مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ليخرج عنهم، فقال: (ما عليهم لو عرست بين أظهرهم وصنعنا لهم طعاماً فحضروه معنا) فقالوا: لا حاجة لنا فى طعامه، فخرج عنهم.

---

(١) أى أخذ رداءه فجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتى صدره وظهره، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير).

(٢) يعنى: قوله.

(٣) وردت هذه المقطوعة فى تاريخ الطبرى وغيره بزيادة عما هنا.

(٤) أم الفضل، على ما فى (البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٢٩) وغيره.

وبنى بميمونة بسرف[١] .

ثم انصرف إلى المدينة فأقام بها بقية ذى الحجة والمحرم وصفر وشهرى ربيع ، وبعث جيشه الذى أصيب بمؤتة .

وولى تلك الحجة المشركون .

وفيها كانت غزوة ابن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم ، فلقوه فأصيب هو وأصحابه ، وقيل بل نجا وأصيب أصحابه .

(ذكر من توفى فى هذه السنة)
من الأعيان

فيها توفى (بشر بن البراء[٢] بن معرور) بن صخر(٣) شهد العقبة ، وكان من الرماة المذكورين ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وأكل مع رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة فمات مكانه ، ويقال : بل بقى سنة مريضاً ومات ، وقال النبى ﷺ : (يابنى سلمة(٤) من سيدكم ؟ قالوا الجد بن قيس على أنه رجل فيه بخل ، قال : (وأى داء أدوى من البخل ، بل سيدكم بشر ابن البراء بن معرور) رحمه الله تعالى .

وفيها توفيت (ثويبة مولاة أبى لهب) أرضعت رسول الله ﷺ قبل حليمة. وذكر أبو نعيم الأصفهانى أن بعض العلماء قال : قد اختلف فى إسلامها . قال الواقدى عن غير واحد من أهل العلم قالوا : كان رسول الله ﷺ يصل ثويبة

(١) بفتح أوله وكسر ثانية ، موضع على أميال من مكة ، على مافى (معجم البلدان لياقوت الحموى رحمه الله) .

(٢) بفتح الباء والراء . وهناك (البراء) بتشديد الراء ؛ وهو غير هذا .

(٣) فى الظاهرية (صحر) وهو تصحيف ، صححته من جوامع السيرة للحافظ ابن حزم .

(٤) بكسر اللام .

وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت إلى أبي لهب أن يبيعها منها فتعتقها ، فأبى أبو لهب ، فلما هاجر رسول الله ﷺ أعتقها أبو لهب[1] ، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاء خبرها أنها قد توفيت في سنة سبع مرجعه من خيبر ، فقال : (ما فعل ابنها مسروح ؟) قالوا : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

وفيها توفي (الوليد بن الوليد بن المغيرة) بن عبد الله بن عمر[2] بن مخزوم ، خرج مع قومه إلى بدر وهو على دينهم فأسره عبد الله بن جحش ، فقدم في فدائه أخواه : خالد وهشام فافتكاه بأربعة آلاف ، وأبى رسول الله ﷺ أن يفديه إلا بشكة[3] أبيه وكان درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة ، فأقيم ذلك مائة دينار .

فلما قبض ذلك وخرجا به بلغا ذا الحليفة فأفلت ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحقه خالد فقال له : هلا كان هذا قبل أن تفتدي وتخرج مأثرة أبينا ؟ فقال : ما كنت لأسلم حتى أفتدي ولا تقول قريش إنما اتبع محمداً فراراً من الفدى[4] ، فلما دخل مكة حبسوه فكان النبي ﷺ يقول : (اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة)

---

(١) هذا القول ضعيف ، والصحيح أنه أعتقها حين بشرته بولادة النبي ﷺ على ما في (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للحافظ محمد بن يوسف الصالحي رحمه الله ١ / ٤٥٨) .

(٢) في الظاهرية (عمرو) وهو وهم صححته من الأحمدية والاصابة للحافظ ابن حجر وطبقات الرواة لخليفة بن خياط .

(٣) الشكة بالكسر : السلاح ، على ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٤) فداه يفديه فداء وفدى ـ بالكسر ـ وفدا بفتح الفاء ، على ما في (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي رحمه الله) .

ثم أفلت الوليد فقدم المدينة وبها توفى فى هذه السنة(١) فقالت أم سلمة(٢) :

يا عين بكى للوليـ ـد بن الوليد بن المغـيره
كان الوليـد بن الوليـ ـد أبو الوليد فتى العشيره

فقال رسول الله ﷺ : (لا تقولى هكذا ولكن قولى : وجاءت سكرة الموت بالحق) رحمه الله تعالى .

وفيها توفى (يسار الحبشى) ، قال ابن سعد : كان يسار عبداً لعامر اليهودى يرعى غنماً له ، فلما نزل رسول الله ﷺ خيبر وقع الإسلام فى قلبه فأقبل بغنمه يسوقها إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إلام تدعو ؟ قال : (إلى الإسلام ، تشهد ألاّ(٣) إلـه إلا الله وأنى رسول الله) قال : فما لى ؟ قال : (الجنة إن ثبت على ذلك) فأسلم ، وقال : إن غنمى وديعة ، قال : (أخرجها من العسكر ثم صح بها وارمها بحصيات فإن الله تعالى سيؤدى عنك أمانتك) ففعل ذلك ، فخرجت الغنم إلى سيدها .

فعلم اليهودى أن غلامه قد أسلم ، وخرج على رضى الله عنه بالراية وتبعه العبد الأسود ، فقاتل حتى قتل ، فاحتمل فأدخل خباءً من أخبية العسكر ، فاطلع رسول الله ﷺ فى الخباء فقال : (لقد أكرم الله هذا العبد الأسود وساقه إلى خير ، قد رأيت عند رأسه زوجتين من الحور العين) رحمه الله تعالى .

---

(١) سقط من الظاهرية (فى هذه السنة) فاستدركتها من الاحمدية .

(٢) أم المؤمنين رضى الله عنها .

(٣) أصلها (أن لا) وتدغم النون فى اللام وجوباً . ولما كان كثير من القراء يظهرون النون حذفناها وإن كان هذا مخالفاً للقاعدة الاملائية التى توجب إثبات نون (أن) غير الناصبة .

(السنة الثامنة من الهجرة)

فيهـا كانت (سرية غالب بن عبد الله الليثى) إلى بنى الملوح ، فلقيهم بالكديد وساق النعم .

ومن الحوادث أيضاً :

(سرية غالب)
إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك ، فى صفر

قال الواقدى : بعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام وقال له : (سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد ، فإن ظفرك الله بهم فلا تبق فيهم) وعقد له لواءً ، فقدم غالب من سرية الكديد ، فقال النبي ﷺ للزبير: (اجلس) وبعث غالباً فى مائتى رجل ، وخرج فيها أسامة بن زيد ، فأصابوا نعماً وقتلوا قتلى .

ومن الحوادث فى هذه السنة :

(سرية شجاع بن وهب)
فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع هوازن

وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم ، فأصابوا نعماً (١) كثيراً وشاءً ، وساقوا ذلك ، وغابوا خمس عشرة ليلة .

---

(١) النعم : الإبل خاصة ، يذكر ويؤنث . وقال الفراء : النعم ذكر لا يؤنث ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فاذا قالوا : الأنعام ، أرادوا بها الابل والبقر والغنم ، على ما فى (لسان العرب لابن منظور) .

ومن الحوادث فى هذه السنة :

(إتخاذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم)
وقيل فى سنة سبع ، والأول أصح

عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار كان لها غلام نجار : يا رسول الله إن لى غلاماً نجاراً ، أفلا آمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه ؟ قال (بلى) فاتخذ له منبرا ، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر قال فإن الجذع الذى كان يقوم عليه أنّ(١) كما يئن الصبى ، فقال النبى ﷺ : (إن هـذا بـكى لمـا فقد من الذكر) رواه أحمد فى المسند ، وأخرجاه فى الصحيحين .

وفى رواية أخرى عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع إذ كان المسجد عريشا ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : يارسول الله هل لك أن أعمل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك ؟ قال : (نعم) فصنع له ثلاث درجات ، فلما صنع المنبر ووضع فى موضعه وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم على المنبر خار الجذع حتى تصدع وانشق ، فنزل رسول الله ﷺ يمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر ، فلما هدم المسجد وتغير أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب ، فكان عنده فى داره حتى بلى وأكلته الأرضة(٢) وعاد رفاتا .

---

(١) البحوث والتجارب العلمية اليوم تثبت مثل هذا ، ونعوذ بالله من ضيق العطن .

(٢) بفتح الهمزة وفتح الراء : دودة بيضاء تشبه النملة تنخر الخشب وغيره

ومن الحوادث فى هذه السنة :

(سرية مؤتة(١))

وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان(٢) ، واستعمل رسول الله ﷺ على الناس زيد بن حارثة وقال : (إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أصيب فليرضين المسلمون رجلا) فتهيئوا للخروج ، وودع الناس أمراء رسول الله ﷺ ، فبكى عبد الله بن رواحة فقال الناس : ما يبكيك ؟ قال : والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا(٣)) فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ(٤) تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

---

(١) مؤتة : بادنى البلقاء بالقرب من الكرك ، فى الأردن . وهذه سرية وليست من الغزوات ، لأنه ﷺ لم يكن فيها ، على مافى (إنسان العيون لنور الدين الحلبى) .

(٢) وكان سببها أن النبى ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدى بكتاب ملك بصرى ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله ، ولم يقتل أحد من رسل النبى ﷺ سوى الحارث . فجهز الجيش وأمرهم بأن يدعو من هناك إلى الإسلام ، فان استجابوا تركوهم وإلا قاتلوهم . على مافى (الطبقات الكبرى لابن سعد) وغيرها .

(٣) سورة مريم ، الآية ٧١

(٤) فى النسختين (قرع) والتصحيح من (تاريخ الإسلام للذهبى ــ الجزء الاول) والفرغ : السعة . ويعنى بالزبد : الدم .

حتى يقولوا إذا مروا على جدثى يا أرشد الناس(١) من غاز وقد رشدا

ثم إنه ودع النبي ﷺ وقال :

خلف السلام على امرىء ودعته في النخل خير مشيع وخليل

ثم ساروا وهم ثلاثة آلاف فارس حتى نزلوا معان(٢) ، فبلغهم أن هرقل قد سار إليهم فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة وبلقين(٣) وبَلى، عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافلة ، ونزلوا مآب من أرض البلقاء فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون فى أمرهم، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره الخبر وننتظر أمره .

فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم تطلبون : « الشهادة » وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين ، فانطلقوا فانما هى إحدى الحسنيين(٤) ، فقال الناس : صدق والله . وساروا ، وسمعه زيد بن أرقم ، وكان يتيماً فى حجره — وقد أردفه فى مسيره ذلك على حقيبته وهو يقول :

---

(١) فى الاحمديه (الله) عوض (الناس) ومثله فى تاريخ الكامل لابن الأثير عليه رحمة الله . وانظر شرح المواهب اللدنية .

(٢) بفتح الميم، والمحدثون يقولونه بالضم ، على ما فى (معجم البلدان لياقوت الحموى) وبسط السهيلى فى (الروض) وجه الخلاف .

(٣) يعنى (بنى القين) بن جسر ، كما يقال تخفيفا : بلحارث وبلهجيم . أنظر (الإشتقاق لابن دريد ٢/ ٥٤٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون) .

(٤) إما ظهور وإما شهادة ، على ما فى (الاكتفاء الكلاعى) ، و (الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر) و (الروض الأنف) وفى الأحدية (الحسنتين) ولعله تصحيف .

إذا أدنيتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء[١]
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرجـع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى بأرض الشام مشهور[٢] الثواء
وردك كل ذى نسب قريب إلى الرحمن منقطـع الاخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعه زيد بكى نخفقه بالسوط(٣) وقال : ما عليك يا لكع ، يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل .

ثم ساروا فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها مشارف ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذرى[٤] وعلى ميسرتهم عبادة[٥] ابن مالك الأنصارى ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاطته[٦] رماح القوم ، ووقعت الراية فأخذها جعفر

(١) إسم منزلة معروفة ، على ما فى (عيون الأثر ٢/١٥٦) .

(٢) فى تاريخ الطبرى (مشتهى) بدل (مشهور) وفى الروض الأنف (مستنهى) من الانتهاء ، أى حيث انتهى مثواه . قال السهيلى : ومن رواه (مشتهى الثواء) أى لا أريد رجوعا .

(٣) فى النسختين (بالصوت) وهو وهم ظاهر ، صححته من (الاكتفاء للكلاعى) وغيره .

(٤) فى النسختين (العدوى) عوض (العذرى) والتصحيح من (الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر) وغيره .

(٥) كذا فى النسختين ، وفى بعض المصادر (عباية) قال ابن هشام : ويقال عبادة ، ومثله فى (عيون الأثر) .

(٦) يعنى قتلته .

ابن أبي طالب ونزل عن فرسه فعقرها[١]، ثم تقدم وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً[٢] شرابها
والروم روم قد دنا عذابها عليّ إن لاقيتها ضرابها

وقاتل حتى قتل،فأخذ الراية عبدالله بن رواحة ، فالتوى بها بعض الالتواء. ثم تقدم بها على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد ويقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة لي أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه[٣] ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه(٤)

ثم حمل على الروم وهو يقول :

يانفس إن لا تقتلي[٥] تموتي هذا حمام الموت قد صليت

(١) عقرت الفرس : أي ضربت قوائمها بالسيف ،أوجرحتها جرحاً لاينتفع بها بعده . وإنما فعل ذلك موطناً نفسه على الموت ، لأنه إذا قتل فرسه وبقي راجلا فقد حقق عزيمته على القتال وأنه لايفر ولاينهزم. على مافي(جامع الأصول لابن الأثير ٨/٣٥٠ من طبعة دمشق) . قال السهيلي في (الروض) : لم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو ، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم . .

(٢) في النسختين (باردة) عوض (باردا) المثبتة في أكثر المصادر .

(٣) أي ضجوا ، والرنة : صوت فيه ترجيع ، شبه البكاء .

(٤) النطفة : القليل من الماء . والشنة : السقاء البالي ، فيوشك أن تهراق النطفة وينخرق السقاء . ضرب ذلك مثلا لنفسه في جسده ، على ما في (الروض الأنف) .

(٥) هذا ما في الظاهرية ، وهو الموافق لما في المصادر والمظان المشهورة وفي الأحمدية (تقبلي) .

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما[١] هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

فأتاه ابن عمه بعرق لحم وقال : شد به صلبك ، فنهس منه نهسة[٢] ، ثم سمع الضجة فى ناحية العسكر فقال لنفسه : وأنت فى الدنيا ، ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنهم أجمعين .

واشتد الأمر على المسلمين وكلب عليهم العدو . وقدكان قطبة بن قتادة قد قتل مالك بن رافلة قائد النصارى المستعربة .

ثم إن الخبر جاء من السماء فى ساعته إلى رسول الله ﷺ فصعد المنبر وأمر فنودى (الصلاة جامعة) فاجتمع الناس فقال : (ثاب خبر[٣] جيشكم هذا الغازى ، إنهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله ابن رواحة) وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قدكان من عبدالله ابن رواحة ما يكرهون ، ثم قال رسول الله ﷺ : (فقاتل حتى قتل شهيدا) ثم قال : (لقد رفعوا فى الجنة على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله ابن رواحة ازوراراً عن سرر صاحبيه فقلت عم هذا ؟ فقيل : مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى) .

---

(١) يعنى صاحبيه : جعفراً وزيدا . على ما فى (الاكتفاء للكلاعى ٢/٢٨٠) و (الروض الأنف) .

(٢) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان . والنهش : الأخذ بجميعها ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٣) كذا فى النسختين . وفى تاريخ ابن جرير وابن كثير : (باب خير باب خير . .) .

قال : (ولما قتل عبدالله بن رواحة أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصارى(١) وقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : رضينا بك ، قال : ما أنا بفاعل(٢) ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، فأخذ الراية ودافع القوم وانحاز وانحيز عنه(٣) ، فقال رسول الله ﷺ : (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله تعالى خالد بن الوليد فعاد بالناس) فمن يومئذ سمى خالد (سيف الله(٤)) .

وقال رسول الله ﷺ : (مر بى جعفر البارحة فى نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم(٥) بالدم) قالت أسماء : أتانى رسول الله ﷺ وقد فرغت من أشغالى وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم ، فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه ، فقلت : يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء ؟ قال : (نعم أصيب هذا اليوم(٦)) ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاما ، فهو أول ما عمل فى دين الإسلام . قالت أسماء بنت عميس : فقمت أصيح ، واجتمع إلى النساء .

(١) فى بعض المصادر (العجلانى) عوض (الأنصارى) ، وكلاهما صواب ، لأن بنى العجلان بطن من الأنصار ، على ما فى (اللباب لابن الأثير) و (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) .

(٢) لا خوفا من الموت ، بل لوجود من هو أقدر منه .

(٣) فى الظاهرية (وانحيزوا عنه) والتصحيح من الأحمدية ونهاية الأرب للنويرى (٢٨١/١٧) .

(٤) وهى أول مشاهد سيدنا خالد فى الاسلام .

(٥) فى النسختين (القوائم) عوض (القوادم) والتصحيح من (سير أعلام النبلاء) .

(٦) سيدنا جعفر أسن من أخيه سيدنا على بعشر سنين ، على ما فى (سير النبلاء للحافظ الذهبى ١٥٠/١) وفيه رواية عن الصحيح من حديث البراء وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجعفر (أشبهت خلقى وخلقى) ،

فلما رجع الجيش لقيهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، فأخذ عبد الله ابن جعفر فحمله بين يديه ، فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون : يا فرار يا فرار[1] ، ويقول رسول الله ﷺ : (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى) .

(غزوة ذات السلاسل)

وفى هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بلى وعذرة يدعو الناس إلى الإسلام ، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل[2] ـ وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ فلما كان به خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبى عبيدة حين وجهه : (لا تختلفا) فلما قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لى ، قال أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال : (لا تختلفا) وإن عصيتنى أطعتك ، قال : فأنا أمير عليك ، قال : فدونك .

فصلى عمرو بالناس ، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبى عبيدة فقال : إن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية ٢٤٨/٤) : هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم فى هذا السياق فظن أن هذا لجمهور الجيش ، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر فى قوله : (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه) . فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً وإعظاما ، وإنما كان التأنيب وحثى التراب للذين فروا وتركوهم هنالك . . . (أنظر البداية والنهاية ففيه بسط القول فى ذلك) .

(٢) وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، على ما فى (الطبقات الكبرى لابن سعد) .

رسول الله ﷺ استعملك علينا وإن عمراً ليس له معك أمر(١) فقال أبو عبيدة إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع ، فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو .

وسار عمرو حتى وطىء بلاد طيء ودوخها، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلى ، ولقى فى آخر ذلك جمعاً ، فحمل عليهم المسلمون ، فهربوا فى البلاد وتفرقوا .

(سرية الخبط)

وكانت فى رجب سنة ثمان ، وأميرها أبو عبيدة بن الجراح ، بعثه رسول الله ﷺ فى ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار - وفيهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه - إلى حى من جهينة بالقبلية(٢) مما يلى ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال .

فأصابهم فى الطريق جوع شديد فأكلوا الخبط(٣) ، وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه وانصرفوا ولم يلقوا كيداً .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال · بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب ، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عير قريش ، فأقمنا بالساحل

---

(١) فى الأحمدية (ليس لك معه أمر) وهو سهو .

(٢) من نواحى الفرع بالمدينة ، على ما فى (معجم البلدان) ووفاء الوفا للسيد السمهودى .

(٣) ورق السمر . يخبط بعصا فينثر لتأكله الابل . على ما فى (المشارق للقاضى عياض) والنهاية وجامع الأصول لابن الأثير .

نصف شهر ، فأصابنا جوع شديد فأكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط ، فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر وادهنا ودكه(١) حتى ثابت إلينا أجسادنا(٢) ، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أعضائه فنصبه(٣) ، وعمد إلى أطول رجل معه وركبه بعيراً ، فمر تحته .

وقال جابر : أقمنا عليها شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ، ولقد كنا نغترف من وقب (٤) عينيه بالقلال(٥) الدهن . ولقد أخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى عينه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرنا له ذلك فقال : (هو رزق ساقه الله تعالى إليكم ، فهل معكم من لحمه شىء تطعمونا) وكنا قد حملنا منه وشائق(٦) فأرسلنا منه إلى رسول الله ﷺ فأكل . أخرجه مسلم .

(سرية أبى قتادة بن ربعى)
إلى بنى محارب ، فى خمسة عشر رجلا

وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليل وكمن النهار ، وهجم على حاضر

(١) الودك : دسم اللحم ودهنه .
(٢) أى رجعت إلى القوة بعد الهزال . على ما فى (شرح صحيح الامام مسلم للنووى) و (جامع الأصول لابن الأثير) .
(٣) وجه التذكير أنه أراد العضو . على ما فى (شرح صحيح مسلم للنووى) .
(٤) يعنى داخل العين ، نقرتها .
(٥) القلة : الجرة الكبيرة التى يقلها الرجل بين يديه ، أى يحملها ، على ما فى المصدر المذكور آنفا .
(٦) هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاءً لا ينضج . ويحمل فى الأسفار والوشيقة : الواحدة منه . وقيل : الوشيقة : القديد . على مافى المصدر المذكور . وفى النسختين (وسائق) وهو تصحيف .

منهم عظيم ، فقتل منهم واستاق النعم ، فكانت الإبل مائتى بعير والغنم ألفى شاة والله أعلم .

(ذكر فتح مكة)

وأقام رسول الله ﷺ بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ، ثم إن بنى بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير(١) ، وكانت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ ، وبكر فى عهد قريش فى صلح الحديبية ، وكان بينهم حروب فى الجاهلية .

فكلمت بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم متنكرين ، فيهم صفوان بن أمية وحويطب ومكرز ، فبيتوا(٢) خزاعة ليلا ، فقتلوا منهم عشرين ، ثم ندمت قريش على ما صنعت وعلموا أن هذا نقض للعهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ .

وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى طائفة من قومه ، فقدموا على رسول الله ﷺ مستغيثين به ، فوقف عمرو عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرى الناس فقال :

يا رب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتمُ ولداً وكنا والدا(٣) ثمت أسلمنا فلم ننزع(٤) يدا

---

(١) الوتير : إسم ماء بأسفل مكة لخزاعة كما فى معجم البلدان . وفى النسختين (الوثير) وهو تصحيف .

(٢) تبييت العدو : هو أن يقصد ليلا من غير أن يعلم .

(٣) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة . وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . كما فى (عيون الاثر ١٨٢/٢) نقلا عن السهيلى .

(٤) فى النسختين (نسرع) عوض (ننزع) والتصحيح من عيون الاثر وتاريخ الاسلام (الجزء الاول ـــ المغازى) .

فانصر هداك الله نصراً أعتدا　　وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا　　إن سيم خسفاً وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا　　إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المو كدا(١)　　وجعلوا إلى أذانا رصدا(٢)
وزعموا أن ليس ندعو أحدا　　وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا　　وقتلونا ركعاً وسجدا
فانصر هداك الله نصراً أبدا

فقال رسول الله ﷺ : (نصرت يا عمرو بن سالم) ثم قدم بديل ابن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة على النبى ﷺ وأخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : (كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد العقد ويزيد فى المدة) .

ومضى بديل وأصحابه فلقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان ، قد جاء ليشد العقد ويزيد فى المدة ، وقد رهبوا للذى صنعوا ، فلما لقى بديل بن ورقاء قال : من أين يا بديل ؟ وظن أنه أتى من عند رسول الله ﷺ ، قال : سرت فى خزاعة على الساحل ، قال : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا ، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن كان جاء بديل إلى المدينة لقد علف النوى ، فأتى مبرك راحلته ففته(٣) فرأى فيه النوى فقال : أحلف بالله لقد أتى محمدا .

ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال : ما أدرى ،

(١) غير مهموز ، وهو جائز . ورويت هذه المقطوعة ، فى بعض المصادر وفيها تقديم وتأخير فى بعض الأبيات .
(٢) فى المصادر المشهورة : (وجعلوا لى فى كداء رصدا) .
(٣) أى فت البعر .

أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟! قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، قال : والله لقد أصابك بعدى يا بنية شر .

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل ، فأتى عمر رضى الله عنه فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجالدتكم به[1] .

فخرج حتى أتى عليا رضى الله عنه وعنده فاطمة وابنها الحسن وهو غلام يدب فقال: يا على إنك أمس القوم بى رحما ، وقد جئت فى حاجة فلا تدعنى أرجع خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ﷺ ، فقال على : ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمرما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة رضى الله عنها وقال : يا ابنة محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ، قالت : والله ما بلغ بنى ذلك ، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ .

قال : يأبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى ، قال : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك ، ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس والحق بأرضك ، قال: أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئا ؟ قال : لا والله ما أظنه ، ولكن لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره وانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ فقص شأنه

(١) فى النسختين (عليه) عوض (به) المثبتة فى (الروض الأنف) وهذا كالمثل مفهوم المعنى لأن الذر لا يقاتل به ؛ على ما قاله السهيلى فى (الروض) . والذر : صغار النمل .

وأنه قد أجار بين الناس ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : والله إن زاد الرجل على أن لعب بك .

قال ثم أمر رسول الله ﷺ بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، ثم أعلم الناس أنه يريد مكة وقال : (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتهم فى بلادهم) .

قال فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش بذلك مع امرأة ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الوحى بفعلها ، فأرسل فى طلبها علياً والزبير والمقداد ، وقال : (انطلقوا) حتى انتهوا إلى الروضة فرأوها فقالوا : أخرجى الكتاب ، قالت : ما معى من كتاب ، قالوا : تخرجين الكتاب أو تقلعين الثياب . فأخرجته من شعرها فأتوا به النبى ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ .

فقال النبى ﷺ : (ياحاطب ما هذا ؟!) قال : يارسول الله لا تعجل فإنى والله لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ، ولكن ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة، ولى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعنى أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ : (وما يدريك يا عمر لعل الله تعالى قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]) .

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة كلثوم ابن الحصين الغفارى — وقال ابن سعد عبدالله بن أم مكتوم — فخرج لعشر

---

(١) قال الحافظ السهيلى فى (الروض الأنف) : علق حكم المنع من قتله بشهود « بدر » فدل على أن من فعل مثل فعله وليس ببدرى أنه يقتل .

مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف ، وعميت الأخبار عن قريش وهم على وجل وارتقاب ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام(١) وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بعياله مسلماً مهاجرا ، فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل بالجحفة وقيل بذى الحليفة ، وكان فيمن خرج ، ولقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بالأبواء(٢) فأعرض عنهما ، فقالت أم سلمة : لا يكن ابن عمك وابن عمتك أخى أشقى الناس بك، وجاءإليه أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب فقبل وجهه، فقال رسول الله ﷺ : (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وقبل منهما إسلامهما ، فأنشده أبو سفيان معتذراً إليه أبياتاً ، منها :

لعمرك إنى يوم أحمل راية لتغلب(٣) خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج(٤) الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسى ودلنى على الله من طردت كل مطرد

---

(١) فى الظاهرية (حرام) والتصحيح من الأحمدية و (تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر) وهو مشهور .

(٢) موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب ؛ وهو على خمسة أميال منها ، على ما فى (الروض الأنف) وغيره .

(٣) فى النسختين (لتنصر) عوض (لتغلب) المثبتة فى المصادر المشهورة كتاريخ ابن الأثير وغيره .

(٤) فى الظاهرية (لكالمدبح) والتصحيح من الأحمدية والمراجع المشهورة . والمدلج : هو الذى يسير ليلا .

فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : (أنت طردتنى كل مطرد) .

وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامه فيقال : إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويشهد له بالجنة ويقول : (أرجو أن يكون خلفاً من حمزة(١)) .

ولما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران(٢) ليلا وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضى الله عنه رقت نفس العباس لأهل مكة ، قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرجت عليها حتى جئت الأراك(٣) فقلت لعلى : أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيخرجوا إليه فيستأمنوه

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فى تفسيره (التحرير والتنوير ٩/٣٠٨) :
كل من لم يؤمن من المشركين حتى مات على الشرك فقد انتفت مخالطة الخير نفسه. وكل من آمن منهم فهو فى وقت عناده وتصميمه على العناد قد انتفت مخالطة الخير نفسه ، ولكن الخير يلمع عليه ، حتى إذا استولى نور الخير فى نفسه على ظلمة كفره ألقى الله فى نفسه الخير فأصبح قابلا للإرشاد والهدى ، فحق عليه أنه قد علم الله فيه خيراً حينئذ فأسمعه : فمثل ذلك مثل أبى سفيان إذ كان فيما قبل ليلة فتح مكة قائد أهل الشرك ، فلما اقترب من جيش الفتح وأدخل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : (أما آن لك أن تشهد ألا إله إلا الله) قال أبو سفيان : لقد علمت أن لو كان معه إله آخر لقد أغنى عنى شيئاً . ثم قال له الرسول عليه الصلاة السلام : (وأن تشهد أنى رسول الله) فقال : أما هذه ففى القلب منها شىء . فلم يكمل حينئذ إسماع الله إياه ، ثم تم فى نفسه الخير ، فلم يلبث أن أسلم فأصبح من خيرة المسلمين .

(٢) الظهران : واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها (مر) فيقال: مر الظهران . كما فى معجم البلدان .

(٣) من مواقف عرفة من ناحية الشام ، على ما فى (معجم ما استعجم) ، وأراك : فرع من دون نافل ، قرب مكة ، على ما فى معجم البلدان .

قبل أو يدخلها عنوة(١) ، فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرا . قال يقول بديل : هذه والله نيران(٢) خزاعة [حمشتها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خزاعة(٣)] أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : فداك أبي وأمي من هذا(٤) ؟ قال قلت : هذا رسول الله ﷺ في الناس واصباح قريش والله ، قال(٥) : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قال قلت : والله لئن ظفر بك ليضرب عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك .

قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ، فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عم رسول الله ﷺ ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال : من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البغلة فسبقت فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر فقال : يارسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه ، قال قلت : يا رسول الله إني قد أجرته .

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت : والله لا يناجيه الليلة

(١) أي حرباً .
(٢) (نيران) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من المصادر المشهورة .
(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية فاستدركته من الأحمدية .
(٤) (من هذا) ساقط من الأحمدية فاستدركته من الظاهرية .
(٥) (قال) ساقطة من الظاهرية فاستدركتها من الأحمدية .

رجل دونى ، فلما أكثر عمر قلت : مهلا يا عمر ما تصنع هذا إلا لأنه من بنى عبد مناف ، ولو كان من بنى عدى ما فعلت هذا . فقال عمر : مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فقال رسول الله ﷺ : (اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتنى به) فذهبت به ، فلما أصبح غدوت به(١) إلى رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟) قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى(٢) شيئاً بعد ، قال : (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟) قال : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما والله هذه فإن فى النفس حتى الآن منها شيئاً(٣) فقال له العباس : ويحك أسلم واشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، قال فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله : ان أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : (نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن(٤) ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن) .

---

(١) (به) ساقطة من الظاهرية . فاستدركتها من الأحمدية و (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون لنور الدين الحلبى) .

(٢) (عنى) ساقطة من النسختين ، فاستدركتها من (تاريخ الطبرى ٥٣/٣) وغيره من المصادر .

(٣) فى الظاهرية (فان النفس حتى الآن فيها شىء) والصواب ما فى الأحمدية وهو مماثل لما ورد فى (عيون الأثر لابن سيد الناس ١٦٩/٢) .

(٤) وفى تاريخ الطبرى وغيره زيادة وهى : (ومن دخل دار حكيم فهو آمن) ودار أبى سفيان هى بأعلى مكة ، ودار حكيم بن حزام بأسفل مكة . أنظر (مجمع الزوائد ١٦٥/٦) وسنن أبى داود وصحيح مسلم .

ثم أمر العباس أن يجلس أبا سفيان بمضيق الوادى عند حطم الجبل(١) حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها، ففعل، فمرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة فيقول : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم القبيلة فيقول : يا عباس من هذه ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سأل عنها ، فإذا أخبرته بهم قال : مالى ولبنى فلان .

حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيما ، قال قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة ، قال : فنعم إذاً (٢) ، قال قلت النجاة إلى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت شاربه وقالت : اقتلوا الحميت(٣) الدسم الأحمس ، قبح من طليعة قوم ، قال : ويحكم لا تغرنكم هذه بقولها فى أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله وما تغنى عنا دارك ؟ ! قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

---

(١) حطم الجبل هو الموضع الذى حطم منه أى ثلم ، فبقى منقطعا . ويحتمل أن يريد عند مضيق الجبل حيث يزحم بعضهم بعضاً فيراها جميعها ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٢) ويجوز أن ترسم (إذن) .

(٣) هنا فى هامش الظاهرية والأحمدية : الحميت : الزق الممتلىء . والأحمس : الذى لا خير عنده .

قال ابن عباس : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، قد شد لهم إبليس أقدامها برصاص ، فجاء ومعه قضيب فجعل يومىء به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه(١) فيقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) حتى مر عليها كلها

وكانت راية رسول الله ﷺ مع سعد بن عبادة ، فلما مر بها على أبى سفيان — وكان قد أسلم أبو سفيان كما ذكرنا — فقال سعد إذ نظر إليه : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا ، فأقبل رسول الله ﷺ [فى كتيبة الأنصار(٢)] حتى إذا حاذى أبا سفيان نادى : يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟! فإن سعداً زعم(٣) ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا . أنشدك الله فى قومك ، وأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم .

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، والله ما نأمن سعداً أن تكون منه فى قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشاً) .

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يومئذ(٤) :

يا نبىَّ الهــدى إليك لجا حيـ ـى قريش ولات حين لَجَـاءِ

---

(١) إذا كان رسول الله ﷺ قد حطم الأصنام المادية ، فإنه من قبل ذلك ومن بعد ذلك قد حطم كل صنم يعبد من دون الله، وبين أن الرياء شرك ، والهوى شرك ، والخضوع للشهوات شرك، وكل عمل لا يقصد الإنسان به وجه الله فإنما هو من أعمال الشرك . من (كتاب القرآن والنبى ﷺ لمولانا الدكتور عبدالحليم محمود عليه رحمة الله ص ٢٤١ من الطبعة الأولى) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

(٣) فى الأحمدية (فإنه زعم سعد) .

(٤) يستعطف النبى ﷺ على قريش ، على ما فى (الروض الأنف) .

حين ضاقت عليهمُ سعة الأر ض وعاداهمُ إلـه السماء
والتقت حلقتا البطان(١) على القو م ونودى بالصيلم الصلماء(٢)
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ـر بأهل الحَجُـون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيـ ـظ رمانا بالنسر والعواء(٣)
وغر الصدر لا يهم بشىء غير سفك الدما وسبى النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوءة(٤) السوآء
إذ ينادى بذل حى قريش وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم(٥) اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من أسرة الخز رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش فِقعة القاع(٦) فى أكف الإماء
فانهيَنّه فإنه أسد الأسـ ـد لدى الغاب والغٌ فى الدماء
إنه مطرق يُدير لنا الأمـ ـر سكوتاً كالحية الصماء

(١) البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير ، يعنى اشتد الأمر .

(٢) هنا فى هامش الظاهرية والأحمدية : الصيلم الصلماء : الداهية .

(٣) العواء : خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب ، على ما فى كتاب (الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١/٣١٠) . وفى الظاهرية (باليسر والغواء) وكلاهما تصحيف والنسر : كوكب ، على التشبيه بالنسر الطائر .

(٤) (فى النسختين (بالسوأة) وهو خطأ لأن الهمزة المفتوحة هنا سبقها حرف علة ساكن ، فتكتب مفردة .

(٥) فى النسختين (أخم) وهو تصحيف ، صححته من (عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس رحمه الله ٢/١٧٢) .

(٦) (فقعة القاع) مثل يضرب فى الذل . والفقعة أردأ الكمأة .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده وجعله بيد قيس ابنه ، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه قيس .

وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فدخل من اللّيط أسفل مكة في بعض الناس ، فكان خالد على المجنبة(١) اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بين يدى رسول الله ﷺ وكان على الرجالة ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر(٢) حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا أناساً بالخندمة(٣) ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فمالى علّه هذا سلاح كامل وألّه(٤)
وذو غِرارَين(٥) سريع السله

(١) مجنبة الجيش : هى التى تكون فى الميمنة والميسرة ، وهما مجنبتان ، وقيل هى الكتيبة ، والأول أصح ، على ما فى (النهاية لابن الأثير رحمه الله) .
(٢) ثنية بين مكة والمدينة ، على ما فى (معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى رحمه الله) .
(٣) إسم جبل بمكة .
(٤) الألة : الحربة ، أداة الحرب .
(٥) أى ذو حدين .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد وناوشوهم شيئاً من قتال قتل من المسلمين اثنان ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ، وانهزموا ، وخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، وقال لامرأته : أغلق على بابى ، فقالت : وأين ما كنت تقول ؟ فقال :

(١)إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه(٢) لهم نهيت(٣) حولنا(٤) وهمهمه(٥)
لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا ثمانية رجال وأربع نسوة .

فأما الرجال(٦) فمنهم عكرمة بن أبى جهل ، وكان يشبه أباه فى أذى رسول الله ﷺ وعداوته ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة خافه على نفسه فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له وخرجت فى طلبه ومعها غلام لها رومى ، فراودها عن نفسها فأطمعته ،

---

(١) أورد ياقوت هذه المقطوعة بزيادة ونقص عما هنا .
(٢) الغمغمة : أصوات مختلطة .
(٣) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يوصف به الأسد . وفى النسختين (نهيم) عوض (نهيت) وهو من تصحيف السمع . وصححته من عيون الأثر وتاريخ الطبرى رحمهما الله .
(٤) فى معجم ما استعجم (خلفنا) عوض (حولنا) ومثله فى الروض الأنف .
(٥) صوت فى الصدر كذلك ، تردد الزئير فى الصدر .
(٦) سقط من الظاهرية (فأما الرجال) فاستدركتها من الأحمدية .

ولم تزل تمنيه حتى انتهت إلى حي من العرب فاستغاثتهم عليه، فأوثقوه، فأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت له: جئتك من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم وقد أمنك، فرجع، وأخبرته خبر الرومي فقتله قبل أن يسلم، فلما قدم على رسول الله ﷺ سُرّ به فأسلم(١) وسأل رسول الله ﷺ أن يستغفر له، فاستغفر له.

ومنهم صفوان بن أمية بن خلف، وكان أيضاً شديداً على رسول الله ﷺ فهرب خوفاً منه إلى جدة، فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إن صفوان سيد قومي وقد خرج هارباً منك فأمنه صلى الله عليك، فقال: (هو آمن) وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه وقال إنه أحلم الناس وأوصلهم وإنه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك، فقال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان، وقال لرسول الله ﷺ: إن هذا يزعم أنك آمنتني، قال: (صدق) قال اجعلني بالخيار شهرين، قال: (أنت فيه أربعة أشهر) فأقام معه كافراً وشهد حنيناً والطائف، ثم أسلم وحسن إسلامه.

ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فكان إذا أملى عليه (عزيز حكيم) يكتب «عليم حكيم»، وأشباه ذلك، ثم ارتد، وقال لقريش: إني كنت أصرف محمداً في قرآنه حيث شئت، ودينكم خير من دينه، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس، ثم أحضره عند رسول الله ﷺ وطلب له الأمان

---

(١) من حديث أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ: (رأيت لأبي جهل عذقاً في الجنة) فلما أسلم عكرمة قال: (يا أم سلمة هـذا هو). على ما في الإصابة والطبقات الكبرى لابن سعد.

فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم أمنـــه فأسلم وعاد، فلما انصرف قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (لقد صمت ليقتله أحدكم) فقال بعضهم: هلا أومأت إلينا؟ فقال: (ما كان لنبي أن يقتل بالإشارة، إن الأنبياء لا تكون لهم خائنة الأعين).

ومنهم عبد الله بن خطل وكان قد أسلم، فأرسله رسول الله ﷺ مصدقاً[1] ومعه رجل من الأنصار وغلام له رومى قد أسلم أيضاً، وكان الرومى يخدمه ويصنع له الطعام، فنسى يوماً أن يصنع له طعاماً فقتله، وارتد، وكانت له قيلتان تغنيان بهجاء[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتـــله سعيد ابن حريث المخزومى.

ومنهم الحويرث بن نقيذ[3] بن وهب بن عبد[4] بن قصى، وكان يؤذى رسول الله ﷺ بمكة وينشد الهجاء فيه، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه على بن أبى طالب فقتله.

ومنهم مقيس بن صبابة، وإنما أمر بقتله لأنه قتل الأنصارى الذى قتل أخاه هشاماً خطأ[5] وارتد، فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو

---

(١) أى جامعاً للصدقات، وهى الزكاة.

(٢) فى النسختين (هجاء) عوض (بهجاء) المثبتة فى (نهاية الأرب للنويرى ٣٠٩/١٧).

(٣) فى الظاهرية (نفيل) وفى الأحمدية (نقيد) والتصحيح من (الدرر لابن عبد البر رحمه الله) وغيره. وصحف فى (عيون الأثر ١٧٥/٢) فأرجو تصحيحه.

(٤) فى الظاهرية (عبد الله) والتصحيح من الأحمدية والمراجع المشهورة.

(٥) مع أن النبى ﷺ أعطاه دية أخيه.

وجماعة يشربون الخمر ، فعلم به نميلة بن عبد الله الكنانى[1] فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله .

ومنهم عبد الله بن الزِّبَعْرى السهمى ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبى وهب المخزومى زوج أم هانىء ابنة أبى طالب إلى نجران ، فأما هبيرة فأقام بها مشركاً وتوفى بهما ، وأما ابن الزبعرى فرجع إلى رسول الله ﷺ واعتذر فقبل عذره ، وقال حين أسلم :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا[2] بور
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغيـ ـى ، ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظـام بربى ثم نفسى[3] الشهيد أنت النذير

فى أشعار كثيرة يعتذر فيها .

ومنهم وحشى بن حرب قاتل حمزة رضى الله عنه ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب إلى الطائف ، ثم قدم فى وفد أهله على رسول الله ﷺ وهو يقول : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : (أوحشى ؟) قال : نعم ، قال : (أخبرنى كيف قتلت عمى) فأخبره فبكى وقال : (غيب وجهك عنى) .

---

(١) الكلبى الليثى .

(٢) فى النسختين (أيام) عوض (إذ أنا) والتصحيح من الروض الأنف وتاريخ ابن الأثير . قال السهيلى فى الروض الأنف : فتقت : يعنى فى الدين ، فكل إثم فتق ، وكل توبة رتق . وقوله (إذ أنا بور) أى هالك .

(٣) فى الروض الأنف (قلبى) عوض (نفسى) .

ومنهم من يجعل هبار بن الأسود منهم ، وهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ فى سفهاء قريش حين بعث بها زوجها أبو العاص إلى المدينة فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها فسقطت على صخرة فألقت ذا بطنها وأهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : (إن وجدتم هذا فأحرقوه بالنار[١]) ثم قال عليه السلام : (إن النار[٢] لا يعذب بها إلا رب النار) فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه ، وصحب النبى ﷺ ، ولما أسلم وقدم مهاجراً جعلوا يسبونه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : (سب من سبك) فانتهوا عنه .

وأما قينتا ابن خطل فَرْتَنى وقريبة فقتلت إحداهما ، واستؤمن رسول الله ﷺ للأخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة رسول الله ﷺ

وأما سارة فاستؤمن لها أيضاً فأمنها ، وعاشت إلى أن أوطأها رجل فرساً بالأبطح فماتت فى زمن عمر ، وهى التى حملت كتاب حاطب بن أبى بلتعة . وكانت قد قدمت مسلمة ، ثم عادت مرتدة .

ومنهن هند ابنة عتبة ، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ما فعلت ، وكانت تؤذى رسول الله ﷺ بمكة ، فجاءت مع النساء مختفية فأسلمت وكسرت كل صنم فى بيتها ، وقالت : لقد كنا منكم فى غرور ، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها ، فدعا لها بالبركة فى غنمها[٣] فكثرت ، فكانت تقول : هذا من بركة رسول الله ﷺ والحمد لله الذى هدانا للإسلام .

---

(١) فى الاحمدية (إن وجدتم هباراً فاقتلوه) .
(٢) (إن النار) غير موجود فى الاحمدية .
(٣) سقط من الاحمدية (فى غنمها) .

وهرب حويطب بن عبدالعزى فرآه أبو ذر فى حائط(١) فأخبر النبى ﷺ بمكانه فقال : (قد أمنا الناس إلا من أمرنا بقتله) فأخبره بذلك فجاء إلى النبى ﷺ ، قيل إنه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة ، فقال له مروان : تأخر إسلامك يا شيخ ، فقال : لقد هممت به غير مرة فكان يصدنى عنه أبوك .

قال الواقدى : ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء ، فوقف على باب الكعبة(٢) وقال : (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن كل دم ومأثرة أو مال مدعى فهو تحت قدمى هاتين ، إلا سدانه البيت وسقاية الحاج) ثم قال : (يا معشر

---

(١) الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط . على ما فى (النهاية لابن الاثير) .

(٢) للأستاذ على الطنطاوى كلمة فى مؤلفه (من نفحات الحرم) يقول فيها : ها هى ذى الكعبة ، وهذا الحطيم وزمزم والمقام ، وهؤلاء المسلمون صفوفاً حولها ، وراءها صفوف ، صفوف تمتد إلى خارج الحرم ، إلى ما وراء الحجاز إلى الدنيا كلها . (فهذه مركز الدائرة، وهذه سرة الارض) . وهنا يلتقى المكان كله ، فالمشرق هنا والمغرب ، والنائى من الارض والدنى ، وهنا الشام ومصر والعراق والمغرب وفارس والهند هنا وجاوة والأرض المسلمة كلها . . . ـلا يستطيع قلم ولا إنسان أن يصف هاتيك العواطف السماوية . . .

وللأستاذ الدكتور حسين كمال الدين مقال فى (جريدة الاهرام) قال فيه إن البحث أثبت له أن موقع مكة المكرمة هو فى وسط العالم وأن الارض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعاً منتظما . وأعد خريطة للعالم القديم ، قبل اكتشاف أمريكا واستراليا ، وكرر المحاولة ، فوجد أن مكة هى أيضاً مركز الارض اليابسة، حتى بالنسبة إلى للعالم القديم يوم بدأت الدعوة إلى الإسلام .

قريش ماترون أنى فاعل بكم) ؟ قالوا خيراً : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فأعتقهم رسول الله ﷺ ، وكان الله تعالى قد أمكنه منهم وكانوا له فيأ ، فبذلك سمى أهل مكة (الطلقاء) .

وطاف بالكعبة سبعاً ، ورأى ما فيها من صور الأنبياء فأمر بها فمحيت(١) ثم جلس رسول الله ﷺ على الصفا ، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

فكانت هذه بيعة الرجال .

وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء ، فأتاه نساء من قريش منهن : أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها فاختة وقيل هند ، وأم حبيبة بنت العاص بن أمية ، وكانت عند عمرو بن عبد ود العامرى ، وأروى بنت أبى العيص عمة عتاب(٢) بن أسيد ، وأختها عاتكة ، وآمنة بنت عفان أخت عثمان ، وهند بنت عتبة ، وبسرة بنت صفوان بن نوفل(٣) بن أسد بن

---

(١) فى صحيح الإمام البخارى أنه ﷺ أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت . فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما من الازلام ، فقال : (قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقاما بها قط) . وما جاء فى بعض الآثار من أنه ﷺ أمر بمحو جميع الصور إلا صورة فباطل قطعاً ، فإن بقاء الصورة فى المسجد منكر . والنبى ﷺ لا يقر منكراً ، كما فى مقالة (أديان العرب قبل الإسلام) للامام الاكبر السيد محمد الخضر حسين عليه رحمة الله فى (مجلة الهداية الإسلامية - شعبان ١٣٥٨) .

(٢) فى النسختين (عثمان) عوض (عتاب) والتصحيح من جمهرة أنساب العرب ١١٣ وغيرها .

(٣) سقط من الظاهرية (بن نوفل) والاستدراك من الأحدية والإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله .

عبد العزى ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة وريطة بنت منبه بن الحجاج ، وغيرهن .

فقال لهن : (أتبايعننى على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن) قالت هند : والله إن كنت لأصيب من مال أبى سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان وكان حاضرا : أما ما مضى فأنت منه فى حل ، قال : (ولا تزنين) قالت : وهل ترى الحرة الزنى(١) ، قال : (ولا تقتلن أولادكن) قالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كبارا ، فأنت وهم أعلم ، فضحك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن) قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل ، قال : (ولا تعصيننى فى معروف) قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك .

فقال لعمر : (بايعهن) واستغفر لهن رسول الله ﷺ .

وكان لا يمس النساء ولا يصافحهن، ولا تمسه إلا امرأة أحلها الله تعالى له أو ذات محرم .

وقام إليه على رضى الله عنه ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله ﷺ : (أين عثمان بن طلحة) ؟ فدعى له فقال : (هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء) قال عثمان بن طلحة : كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الإثنين والخميس ، فأقبل النبى ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه ، وحلم عنى ثم قال : (ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت) فقلت له : لقد هلكت قريش يومئذ(٢) وذلت ،

(١) فى المصادر الأخرى : (وهل تزنى الحرة) .

(٢) (يومئذ) ساقطة من الظاهرية .

فقال: (بل عمرت وعزت يومئذ)، ودخل الكعبة ووقعت كلمته منى موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما كان يوم الفتح قال لى: (ياعثمان ائتنى بالمفتاح)، فأتيته به، فأخذه منى ودفعه إلى وقال: (خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، ياعثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف) قال عثمان: فلما وليت نادانى فرجعت إليه فقال: (ألم يكن الذى قلت لك(١)) قال: فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة: (لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت) قلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه تطاولت يومئذ لأخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم، فدفعه رسول الله ﷺ إلى عثمان.

ودخل رسول الله ﷺ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان ابن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فلما أذن بلال قال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته. فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت لأخبرت هذه الحصباء.

فخرج عليهم النبى ﷺ فقال لهم: (قد علمت الذى قلتم) ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب(٢): نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

وأحدقت الأنصار برسول الله ﷺ فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فالتفت إليهم وقال: (ماذا قلتم؟)

---

(١) سقط من الظاهرية (لك).

(٢) استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتاباً على مكة حين خروجه الى حنين فأقام للناس الحج، وبقى عتاب أميراً على مكة، وأقره الصديق عليها الى أن مات.

قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي ﷺ : (معاذ الله ، المحيا محياكم والممات مماتكم) .

وذكر أن فضالة بن عمير بن الملوح أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : (أفضالة ؟) قال : نعم فضالة يا رسول الله ، قال : (ماذا كنت تحدث به نفسك ؟) قال : لا شيء ، كنت أذكر الله تعالى ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : (استغفر الله) ووضع يده على صدره فسكن قلبه ، قال فضالة : والله ما رفع(١) يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئاً أحب إلى منه ، فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم(٢) تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

ثم بعث رسول الله ﷺ تميم بن أسد الخزاعي لجدد أنصاب الحرم(٣) ، ووقف رسول الله ﷺ بالحزورة(٤) فقال : (إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) .

---

(١) هكذا في الأحمدية والروض الأنف ، وفي الظاهرية (وضع) عوض (رفع) .

(٢) في الظاهرية (بعد) عوض (يوم) الواردة في الأحمدية .

(٣) الأنصاب من الحرم : حدوده ، وهي أعلام تنصب هناك لمعرفتها ، على ما في (تاج العروس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي رحمه الله) والحديث خرجه الدار قطني .

(٤) موضع يلي البيت الحرام ، وفيه كانت سوق مكة ، وداخل في المسجد لما زيد فيه ، على ما في (معجم ما استعجم) و (الروض الأنف) .

وبث رسول الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسرها، منها العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين(١)، ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره

ومما قيل من الشعر يوم فتح مكة قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء(٢)
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء(٣)
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشا
لشعثاء التي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة(٤) من بيت رأس(٥) يكون مزاجها عسل وماء

---

(١) (العزى). كانت شجرة بنخلة، عندها وثن، تعبدها غطفان، فقطع خالد بن الوليد الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن.
و (مناة) كان بسيف البحر، تعبده الانصار وأزد شنوءة وأكثر الازد.
و (سواع) تعبده بنو كنانة وهذيل ومزينة وعمرو بن قيس عيلان.
و (ذو الكفين): كان لخزاعة ودوس، كسره عمرو بن حممة الدوسي. كما في (جمهرة الانساب لابن حزم) وللاطلاع على ما ورد في (بوانة) راجع سنن أبي داود ومسند أحمد ومعجم البلدان.

(٢) ذات الأصابع: موضع بالشام، والجواء كذلك، وعذراء: قرية عند دمشق.

(٣) يعني الرياح والمطر.

(٤) يعني الخمر. وفي معجم البلدان (سبيئة) عوض (خبيئة).

(٥) بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة، ينسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدس. وقيل بيت رأس: كورة بالأردن، والأخرى من نواحي حلب.

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إن ألمنا[١] إذا ما كان مغث[٢] أو لحاء
ونشربها فتجعلنا[٣] ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا[٤] اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء[٥]
ينازعن[٦] الأعنة مصغيات[٧] على أكتافها الأسل[٨] الظماء
تظل جيادنا متمطرات[٩] يلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء

(١) ألام الرجل إذا أتى ما يلام عليه .

(٢) المغث : القتال والشر ، اللحاء : الملاحاة باللسان والكلمة في الظاهرية محرفة إلى (مغثاف) عوض (مغث أو) .

(٣) في معجم البلدان وديوان حسان : (فتتركنا) عوض (فتجعلنا) وقيل إن بعض هذه القصيدة قالها في الجاهلية ، وسيدنا حسان لم يشرب الخمر منذ أسلم .

(٤) يعني : ما يكفنا .

(٥) النقع : الغبار . وكداء : موضع الثنية التي في أصلها مقبرة مكة .

(٦) في ديوان حسان (يبارين) ومباراتها إياها أن يضجع الرجل رمحه ، فكأن الفرس يركض ليسبق السهم .

(٧) في الظاهرية (مصعبات) وهو تصحيف . والمصغيات : الموائل المنحرفات للطعن .

(٨) الأسل : الرماح .

(٩) هكذا في ديوان حسان ، وفي النسختين (متمرطات) ومتمطرات : أي خارجات من جمهور الخيل من سرعتها ، يقال : تمطر الفرس أمام الخيل إذا سبقها خارجاً منها ، يقول : فاجأتهم الخيل فخرج النساء يلطمن خدود الخيل يرددنها لترجع .

وإلا فاصبروا لجلاد يوم يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن يقع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوا فقالوا لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت(١) جنداً هم الأنصار عرضتها اللقاء(٢)
لنا في(٣) كل يوم من معد شتات(٤) أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

وقال أنس بن زنيم يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما قاله فيهم عمرو بن سالم من أبيات :

---

(١) هكذا في النسختين وديوان حسان ، وفي الروض الأنف (سيرت) .
(٢) أي هم أقوياء على القتال .
(٣) في النسختين (ليالي) عوض (لنا في) المثبتة في ديوان حسان .
(٤) في ديوان حسان (سباب) وفي الظاهرية (شتان) وهو تصحيف .
واستعنت في التحقيق وبعض الشرح بديوان حسان تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين ، وبالروض الأنف للعلامة السهيلي .

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال(١) قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم بأن الركب ركب عويمر هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته فلا حملت سوطى إلىّ إذاً يدى

(ذكر غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة)

وفى هذه السنة بعد الفتح كانت (غزاة خالد بن الوليد بنى جذيمة) وكان رسول الله ﷺ قد بعث السرايا(٢) بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الله، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلا، فنزل على الغميصاء — ماء من مياه بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة — وكانت جذيمة قد أصابت فى الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد، كانا أقبلا من اليمن وأخذت ما معهما.

فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال خالد ضعوا السلاح

---

(١) الخال: من برود اليمن من رفيع الثياب، كما فى حاشية النسخة الظاهرية.

(٢) لولا هذه السرايا ما بالى اللصوص المجوم على الاسلام واستباحة حماه. وكانت هذه السرايا تحمل معها كلام الله لتقرأ منه ... وبعد أن كان أغلب المكتتبين فى السرايا السابقة من المهاجرين أخذت البعوث الخارجة تتألف من المهاجرين والأنصار. (أنظر فقه السنة للاستاذ الشيخ محمد الغزالى) وكان أعداء الاسلام المحيطون به متحزبين ضده متناصرين للقضاء عليه (أنظر كتاب النبى والسياسة الدولية للاستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى).

فإن الناس قد أسلموا ، فوضعوا السلاح، فأمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال : (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد(١)) ثم أرسل علياً رضي الله عنه ومعه مال ، وأمره

---

(١) يقول الأستاذ الجليل الشيخ صادق إبراهيم عرجون في مؤلفه (خالد ابن الوليد) :

تختلف الروايات في هذه الوقعة كعهدنا بها في كبريات الحوادث ، وهذا الاختلاف من أقوى الأسباب التي تحملنا على التوقف في التسليم بهذه الروايات المتضاربة وعلى أن نعمد إلى الموازنة بينها واستنباط ما نطمئن إليه . (وبعد أن أورد الرواية التي هنا قال) : يرى الذين يأخذون بهذه الرواية أن حمل السلاح في وجه المسلمين عذر قوي لخالد فيما صنع بالقوم . وحاشا أن تكون براءة النبي صلى الله عليه وسلم مما صنع خالد من أجل أن قوماً مؤمنين اعتدى عليهم قائده فقتل بعضهم مراغمة ثم لا يقتص منه ولا يعزله عن الإمارة .

وأما المال الذي دفع لهم على يد علي فليس فيه رائحة القصاص، وإنما هو من قبيل الترضية والاحتياط وتعويض من اتقى منهم مؤمنا . وخالد ظلت مكانته عند رسول الله هي مكانته التي أحلها الله من قلبه . ويستحيل على مقام النبوة أن يرفع مكانة رجل قد وقع منه بعض ما تزعم الروايات الزائفة . والرواية التي نعتمد عليها هي ما روى الإمام البخاري « بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا (أسلمنا) فجعلوا يقولون (صبأنا صبأنا) فجعل خالد يقتل ويأسر . . . » وهذا صريح في أن خالداً لم يبدأ القوم بقتال ولا أظهر لهم نية في القتال، بل دعاهم إلى الإسلام .وفهم خالد أن ذلك كان تقية منهم ، واستبعد أن لا يحسنوا التعبير عن إسلامهم بعنوانه وهي كلمة التوحيد .

قال الشيخ ابن تيمية : لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فقالوا صبأنا ، فلم يقبل منهم وقال : إن هذا ليس بإسلام ، فقتلهم ولم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره تخفى عليه حكم هذه القضية .

أن ينظر فى أمرهم ، فودى لهم الدماء والأموال ، حتى إنه ليدى ميلغة الكلب(١) وبقى معه من المال فضلة فقال لهم على : هل بقى لكم مال أو دم لم يود ؟ قالوا : لا ، قال فإنى أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ ، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : (أصبت وأحسنت) .

وقيل إن خالداً اعتذر وقال : إن عبد الله بن حذافة السهمى أمره بذلك عن رسول الله ﷺ ، وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام ، فقال خالد : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلت أنا قاتل أبى ، إنما ثأرت بعمك الفاكه ، حتى كان بينهما شىء(٢) فبلغ رسول الله ﷺ فقال : (مهلا يا خالد دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته) .

قال عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى : كنت يومئذ فى جند خالد ، فبعثنا فى أثر ظعن(٣) مصعدة يسوق بهن فتية ، فقال : أدركوا أولئك ، فخرجنا فى أثرهم ، حتى إذا أدركناهم مضوا ، ووقف لنا غلام شاب على الطريق ، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويقول :

إرفعن أطراف الذيول وارتعنْ مشى حَيِيَّات كأن لم يفزعن
إن تمنع اليوم نساء تُمنعن

---

(١) هى الإناء الذى يلغ فيه الكلب

(٢) فى بعض المصادر (شر) عوض (شىء) .

(٣) الظعينة : الهودج ، فيه امرأة أولا ، وقد يكنى عن المرأة بالظعينة وإن لم تكن فى الهودج ، على ما فى (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى رحمه الله) .

فقاتلنا طويلا فقتلناه، ومضينا حتى لحقنا الظُّعن ، فخرج إلينا غلام كأنه الأول ، فجعل يقاتلنا ويقول :

أقسم ما إن خادر ذو لِبْده يرزم بين أثلة(١) ووهده
يفرس شبان الرجال وحده بأصدق الغداة منى نجده(٢)

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظعن فأخذناهن ، فإذا فيهن غلام وضيء الوجه ، به صفرة كالمنهوك ، فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله(٣) فقال لنا : هل لكم فى خير ؟ قلنا : ما هو ؟ قال : تدركون بى الظعن فى أسفل الوادى ثم تقتلوننى ، قلنا : نفعل ، فعارضنا الظعن ، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته : إسلمى حبيش فقد نفد(٤) العيش ، فأقبلت عليه جارية بيضاء حسناء وقالت : وأنت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء ، قال : سلام عليك دهرا وإن بقيت(٥) عصرا ، قالت : وأنت سلام عليك عشرا وشفعاً ووترا وثلاثاً تترى ، فقال :

فإن يقتلونى يا حُبَيْش فلم يدع هواك لهم منى سوى غُلة الصدرِ
فأنتِ التى أخليت لحمى من دمى وعظمى وأسبلتِ الدموع على نحرى

فأجابته تقول :

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وواسيناك فى العسر واليسر

---

(١) فى نهاية الأرب ١٧ / ٣٢٠ (أيكة) عوض (أثلة) .
(٢) فى الظاهرية (نجدة) وهو تصحيف .
(٣) (لنقتله) ساقطة من الظاهرية ، فاستدركتها من الأحمدية وغيرها .
(٤) مصحف فى النسختين . فصححته من نهاية الأرب والروض الأنف .
(٥) فى النسختين (بقيتم) والمثبت هو من (نهاية الأرب للنويرى ١٧/٣٢٠) ومن (الكامل لابن الأثير المؤرخ) .

وأنت فلا تبعد فنعم فتى الهوى جميل العفاف والمودة فى ستر

وقال :

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم بحلية[١] أو ألفيتكم بالخوانق[٢]
ألم اك أهلا[٣] أن ينول عاشق تكلف إدلاج[٤] السرى فى الودائق[٥]
فلا ذنب لى قد قلت إذ نحن جيرة[٦] أثيبى بود قبل إحدى الصفائق[٧]
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى وينأى الأمير[٨] بالحبيب المفارق
فإنى لا سر لدىّ أذعته ولا منظر مذ غبت عنى برائق
على أن ما ناب العشيرة شاغل ولا ذكر إلا ذكر هيمان وامق

فقدموه فضربوا عنقه[٩] . فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو

---

(١) موضع .
(٢) موضع فى تهامة .
(٣) فى نهاية الأرب النويرى وتاريخ ابن الأثير (ألم يك حقا) .
(٤) فى الظاهرية (ادراج) والتصحيح من الأحمدية ونهاية الأرب والروض الأنف .
(٥) شدة الحر .
(٦) هذا ما فى النسختين ، ومثله فى نهاية الأرب للنويرى ، وفى الروض الأنف (إذ أهلنا معا) وكذلك فى عيون الأثر .
(٧) يعنى : الخطوب . وفى الأغانى (البوائق) .
(٨) هكذا فى النسختين ، ومثله فى عيون الأثر والروض الأنف . وفى نهاية الأرب للنويرى (وينأى الخليط) .
(٩) هؤلاء فتيان فى ظعن يسوقون بهن ، وهم يرون الموت يلاحظهم فلا يذكرون كلمة الإسلام لينجوا بها من القتل ، بل إن أحدهم ليرضى بالموت قرير العين بعد حديث فى الهوى والهيام ، كما فى كتاب (خالد بن الوليد للأستاذ الشيخ محمد صادق عرجون) .

شهقتين ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال رسول الله ﷺ : (أما كان فيكم رجل رحيم) .

وهذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكنانى .

وكان من حديثه مع حبيشة بنت حبيش الكنانية : أنه خرج مع أمه – وهو غلام نحو المحتلم – لتزور جارة لها ، وكانت لها ابنة اسمها حبيشة ، فلما رآها عبدالله هويها ووقعت فى نفسه ، وأقامت أمه عند جارتها ، وعاد عبد الله إلى أهله ، ثم عاد ليأخذ أمه فوجد حبيشة قد تزينت لأمركان فى الحى ، فازداد بها عجبا وانصرفت أمه فمشى معها وهو يقول :

وما أدرى بلى إنى لأدرى أصوب القطر أحسن أم حُبيش
حبيشة والذى خلق الهدايا وما إن عندها للصب عيش(١)

فسمعته أمه فتغافلت عنه ، ثم إنه رأى ظبياً على ربوة فقال :

يا أمتا خبرينى غير كاذبة وما يريد مسول الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبى برابية لا بل حبيشة فى عينى وفى أربى

فزجرته أمه وقالت : ما أنت وهذا ؟ وأنا مزوجتك ابنة عمك ، فهى أجمل من تلك وأنت امرأة عمه فأخبرتها الخبر وقالت : زينى ابنتك له ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فأطرق ، فقالت له أمه : أيهما أحسن فقال :

إذا غُيبت عنى حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير يحشه(٢) وقود الغضى والقلب مضطرم جمرا

(١) فى الأغانى (وما عن بعدها للصب عيش) .
(٢) مصحفة فى النسختين ، فصححتها من (نهاية الأرب للنويرى) يحشه : يوقده .

وجعل يراسل الجارية وتراسله ، فعلقته كما علقها وكثر قوله الشعر فيها ، فمن ذلك قوله :

حبيشة هل وَجدى ووَجدك(١) جامع ... بشملكمُ شملى وأهلكمُ أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة ... بصحراء بين الأثلتين(٢) إلى النخل

فلما علم أهلها خبرهما حجبوها عنه ، فازداد غرامه ، فقالوا لها : عديه السرحة ، فإذا أتاك فقولى له : نشدتك الله إن أحببتنى فوالله ما على الأرض أبغض إلى منك ، ونحن قريب نسمع ما تقولين ، فوعدته ، وجلسوا قريباً يسمعون ، فأقبل لموعدها ، فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت إلى حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع وبلغه الحال فقال :

فإن قلت ما قالوا لقد زدتنى جوى ... على أنه لم يبق ستر ولا صبرُ
ولم يك حبى عن نوال بذلته ... فيسلينى عنك التجنب والهجر
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ... ونظرتها حتى يغيبنى القبر

وبعث النبي ﷺ إثر ذلك خالد بن الوليد ، فكان منه ما تقدم ذكره . والله أعلم .

* * *

(وفيها) هدم خالد بن الوليد (العُزّى(٣)) ببطن نخلة وكان هذا

---

(١) فى الظاهرية (وجدى ووجدك)
(٢) فى (نهاية الأرب للنويرى ١٧ / ٣١٨) (الايكتين) عوض (الاثلتين) .
(٣) هى أحدث من اللات ومناة ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانت قريش تخصها بالإعظام ثم اللات ثم مناة ، على ما فى (الأصنام لابن الكلبى) .

البيت(١) تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم، فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها سيفه وقال:

أيا عز شُدى شدة لا شوَى لها(٢) على خالد ألقى القناع وشمرى(٣)

فلما انتهى خالد إليها جعل السادن يقول «أعزى بعض غضباتك» فخرجت امرأة سوداء حبشية ناشرة شعرها مولولة، فقتلها خالد وكسر الصنم، وهدم البيت، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال (تلك العزى لا تعبد أبداً(٤)).

---

(١) يعنى كعبتهم.

(٢) أى لا تشوى ولكن تقتل، على ما فى (لسان العرب لابن منظور رحمه الله).

(٣) فى (الأصنام لابن هشام الكلبى):

أعزاء شدى شدة لا تكذبى على خالد ألقى الخمار وشمرى
فإنك إلا تقتلى اليوم خالداً تبوئى بذل عاجلا وتنصرى

فقال خالد:

يا عز كفرانك لا سبحانك إنى رأيت الله قد أهانك

(٤) أتم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم نعمة الفتح وتطهير البيت من الأصنام، فليلاحقها انكسار الوثنية وتحطيمها أينما كانت:

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبطل الإسلام الأول على بن أبى طالب أن يحطم (هبل) ويرى قريشاً أنها كانت فى عبادته من الخاطئين. ثم وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً إلى (العزى) يحطمها ويمحو عار عبادتها عن قومه. فحطمها ورجع ببشرى الظفر باجتثاث جذر من جذور الوثنية المهينة.

وفيها هدم عمرو بن العاص « سُواع » وكان برهاطا(١) لهذيل، فلما كسر الصنم أسلم سادنه(٢) .

وفيها هدم سعد(٣) بن زيد « مَناة » بالمُشَلَّل(٤) .

(غزوة هوازن . وهى غزوة حُنين(٥))

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمع مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجُشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال .

وفى جشم دُرَيد بن الصِّمة ، وهو شيخ كبير قد أتى عليه سبعون ومائة سنة ، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعاً مجربا(٦) وأتى مع بنى مالك فارسهم سبيع بن الحارث بن مالك الملقب بذى الخمار وأخوه أحمر بن الحارث .

---

(١) فى الظاهرية (مرهاطا) والتصحيح من الأحمدية ولسان العرب لابن منظور . وفى (الأصنام لابن الكلبى) كان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة .

(٢) وكانت سدنته بنى لحيان (وهم من هذيل) . كما فى (الأصنام لابن الكلبى) .

(٣) فى النسختين (سعيد) والصواب (سعد بن زيد الأشهلى) على ما فى الطبقات الكبرى لابن سعد وغيرها من المصادر .

(٤) كان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة كما فى كتاب (الأصنام) .

(٥) واد أجوف من أودية تهامة . كما فى (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمى ٤١٧) .

(٦) فى عيون الأثر : (محربا) بكسر الميم ، أى كثير الحروب .

وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم .

فلما نزلوا بأوطاس(١) اجتمع إليه الناس ، فيهم دريد بن الصمة فقال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل لا حَزْن ضرس ولا سهل دَهْس(٢) مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار(٣) الشاة ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك، فدعى له مالك فقال : يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار(٤) الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فنفض دريد يده وقال : راعى ضأن والله(٥) ، وهل يرد المنهزم شىء ، إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك .

ثم قال : ارفع أهلك ومالك إلا علياء بلادهم، فقال مالك : والله لا أفعل إنك قد كبرت وخرفت، ثم قال : يامعشر هوازن، والله لتطيعننى أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

---

(١) واد فى ديار هوازن ، كما هو بين من السباق والسياق .

(٢) الحزن : خشونة فى الأرض . والدهس : ما لان من الأرض ، على ما فى (بصائر ذوى التمييز للفيروزابادى) و (النهاية لابن الأثير) .

(٣) فى الظاهرية (ثغال) وفى الأحدية (ثغار) وكلاهما خطأ .

(٤) فى النسختين (ثغار) وهو تصحيف .

(٥) يجهله بذلك ، على ما فى (عيون الأثر ٢ / ١٩٩) .

يا ليتني فيها جذع أخُبُّ فيها وأضع(١)
أقود وطفاء(٢) الزمع كأنها شاة صدع

ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن أجمع المسير إليهم ، وبلغه أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ وهو يومئذ مشرك :(أعرني سلاحك نلق فيه عدونا) فقال له صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : (بل عارية مضمونة نؤديها إليك) قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح .

ثم سار النبي ﷺ ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفا ، فلما رأى رسول الله ﷺ كثرة من معه قال : (لن نغلب من قلة) وذلك قوله تعالى :﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً(٣) ﴾ وقيل إنما قالها رجل من بكر .

واستعمل رسول الله ﷺ على من بمكة عتاب بن أسيد .

قال جابر : فلما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ أجوف حطوط ، ننحدر

---

(١) الخبب والوضع : ضربان من السير، يتمنى لو كان شاباً له حركة الشباب واندفاعهم ليظهر بلاءه في تلك الحرب ، كما في حاشية في (الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر رحمه الله) .

(٢) في الظاهرية (ونهاء) عوض (وطفاء) والتصحيح من (عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس اليعمري المصري ٢ / ١٨٩) . والوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة . والمراد بالشاة الوعل . وصدع : أي وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقير ، كما في (شرح السيرة لأبي ذر الخشني) .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

فيه انحداراً فى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادى . فكمنوا لنا فى شعابه ومضايقه ، قد تهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد ، وانهزم الناس أجمعون لا يلوى أحد على أحد ، فانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : (أيها الناس هلم إلى أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله[1]) قال فلا شيء ، إحتملت الإبل بعضها بعضا ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، منهم : أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد .

وكان رجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء أمام الناس ، فإذا أدرك رجلا طعنه ، ثم رفع رايته لمن وراءه[2] فاتبعوه . فحمل عليه على رضى الله عنه فقتله .

ولما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما فى أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى[3] هزيمتهم دون البحر وإن الأزلام لمعه فى كنانته[4] ، وصرخ جبلة بن حنبل : ألا بطل السحر اليوم ، فقال له صفوان أخوه لأمه وكان بعد مشركا : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن

---

(١) فى تاريخ الكامل لابن الأثير : (قالها ثلاثا) .

(٢) سقط من الظاهرية (لمن وراءه) والاستدراك من الأحمدية ومن الاكتفاء للكلاعى . وهكذا النص فى النسختين . والذى فى (تاريخ الإسلام للذهبى — الجزء الأول) : بيده راية سوداء أمام هوازن ، إذا أدرك الناس طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فيتبعوه . . .

(٣) فى النسختين (لا نشتهى) وهو تصحيف صححته من (الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعى رحمه الله) .

(٤) فى الأحمدية (كتايبه) وهو تصحيف صححته من الظاهرية والمصدر المذكور آنفا .

يَرُبّنى(١) رجل من قريش أحب إلى من أن يَرُبنى رجل من هوازن .

قال الواقدى : ثنا خالد بن الياس عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي عن أبيه عن أمه قالوا : كان شيبة بن عثمان رجلا صالحاً له فضل، وكان يحدث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ويقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلال ، ثم يقول : لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمداً ما تبعته أبداً ، وكنت مرصداً لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسى إلا قوة .

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ وأصلت السيف [فدنوت أروم ما كنت أريد منه ورفعت السيف(٢)] فرفع لى شهاب من نار كالبرق كاد يمحشنى(٣) ، فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه ، والتفت إلى رسول الله ﷺ فنادانى (يا شيبة ادن) فدنوت فمسح صدرى ثم قال (اللهم أعذه من الشيطان) فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلىّ من نفسى وسمعى وبصرى ، فأذهب الله ما كان فى، ثم قال (ادن فقاتل(٤)) فتقدمت أمامه أضرب بسيفى

(١) فى النسختين (لا يربنى) والتصحيح من (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ الهيثمى ٤١٧) ويربنى : أى يكون على أميراً وسيداً مقدما ، يقال : ربه يربه أى كان له رباً، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث) وفى حاشية عيون الأثر (يسوسنى) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية، فاستدركته من الأحمدية ومن (عيون الأثر ٢ / ١٩١) .

(٣) أى يحرقنى .

(٤) فى الظاهرية (قال) عوض (فقاتل) وهو وهم . وهنا فى (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى — الجزء الأول) : غريب جدا .

الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شىء(١) ، ولو لقيت تلك الساعة أبى لو كان حياً لأوقعت به السيف .

وجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون، فكروا كرة رجل واحد حتى تفرقوا فى كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه ، فدخلت عليه ، مادخل عليه غيرى حباً لرؤية وجهه وسروراً به ، فقال : (ياشيبة ، الذى أراد الله بك خير مما أردت بنفسك) ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى مما كنت لم(٢) أذكره لأحد قط ، قال فقلت : فإنى أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله ثم قلت : استغفر لى ، فقال : (غفر الله لك) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن كثير بن العباس عن أبيه العباس ابن عبد المطلب قال إنى لمع رسول الله ﷺ آخذاً بلجام بغلته البيضاء ، قد شجرتها به(٣) وكنت أمرأ جسيماً شديد الصوت ، قال ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس : (إلى أين أيها الناس ؟) قال فلم أر الناس يلوون على شىء، فقال لى : (يا عباس اصرخ(٤) : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة) فأجابوا : لبيك لبيك ، قال فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ .

---

(١) فى الظاهرية (وبكل شىء) . والمثبت هو من الأحمدية ، وهو موافق لما فى (عيون الأثر ٢ / ١٩١) .

(٢) فى النسختين (مما لم كنت) وهو سهو .

(٣) أى ضربتها بلجامها ، أكفها حتى فتحت فاها ، والشجر : مفتح الفم ، وقيل هو الذقن ، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين بن الأثير رحمه الله) .

(٤) كان جهير الصوت جداً .

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوة أول ما كانت : (يا للأنصار) ثم خلصت أخيراً : (يا للخزرج) وكانوا صبراً عند الحرب ، ثم أشرف رسول الله ﷺ فى ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال : (الآن حمى الوطيس(١)) وقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم أخذ حصاة فرمى بها وجه القوم ثم قال : (انهزموا ورب محمد) قال فما هو إلا أن رماهم ، فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً .

وكانت الهزيمة ، فما رجع الناس إلا والأسرى فى الحبال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل من بنى مالك وثقيف سبعون رجلا ، وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف .

واتبعت خيل رسول الله ﷺ المشركين تقتلهم وتأسرهم فأدرك ربيع ابن ربيعة بن يربوع(٢) السلمى دُرَيْدَ بن الصمة وكان فى شجار(٣) لكبره، فأناخ بعيره ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً ، فقال له دريد : بئسما سلحتك أمك ، خذ سيفى فاضرب ثم ارفع عن [العظام واخفض عن(٤)] الدماغ فإنى كذلك

---

(١) الوطيس : شبه التنور ، وقيل هو الضراب فى الحرب ، عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٢) هكذا فى النسختين ، وفى جوامع السيرة لابن حزم : (وأدرك ربيعة ابن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع ..) ومثله فى تاريخ الطبرى ، ومثله مختصراً فى الدرر لابن عبد البر .

(٣) أى هودج .

(٤) ما بين المعقفين زدته من (تاريخ الطبرى ٣ / ٧٩) ليستقيم النص .

كنت أقتل الرجال ، وإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصِّمة فرب يوم منعت فيه نساءك ، فقتله ، ولما بلغ أمه قالت : والله لقد أعتق أمهات لك .

وأمر رسول الله ﷺ بجمع السبي والغنائم ، فجمع ذلك كله ، وحدروه إلى الجِعِرّانة(١)، ووقف بها إلى أن انصرف رسول الله ﷺ من الطائف .

وكان السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألفا ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، فاستأنى(٢) رسول الله ﷺ بالسبي ، وبدأ بالأموال فقسمها .

وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل ، قال : ابني [يزيد ، قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : ابني(٣)] معاوية ، قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل .

وأعطى العلاء(٤) بن جارية الثقفي خمسين بعيرا ، وأعطى مَخرمَة بن نوفل خمسين بعيرا ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد

---

(١) بتسكين العين وتخفيف الراء ، هكذا يقوله الحجازيون ، والعراقيون يقولونها بكسر الجيم والعين وتشديد الراء . وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أدنى ، على ما في (معجم ما استعجم للبكري رحمه الله) .

(٢) أي انتظر .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية .

(٤) في النسختين (أسيد) عوض (العلاء) وهو سهو صححته من (تاريخ الطبري ٣ / ٩٠) .

ابن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى العباس بن مرداس أباعر ، فلم يرض ، وقال :

أتجعل نهبي ونهب العبيد[1] بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تدرإ[2] فلم أعط شيئاً ولم أمنع[3]
إلا أفائل[4] أعطيتها عديد قوائمها الأربع[5]
فما كان حصن ولا حابس[6] يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

من أبيات ، فأعطاه مائة من الإبل ، وإعطاء ذلك كله كان من الخمس ، وهو أثبت الأقاويل .

ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاة ، وإن كان فارساً أخذ اثنتي عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاة .

وحينئذ تكلمت الأنصار فقالوا : أما عند القتال فنحن ، وحينئذ قام

(١) العبيد : اسم فرسه ، كما في حاشيتي النسختين والمراجع المشهورة .

(٢) أي شجاعة ، وفي الظاهرية (إدرة) والتصحيح من (الدرر في المغازي والسير ٢٤٧) .

(٣) سقط هذا البيت من الأحمدية .

(٤) جمع أفيل وهو البعير الصغير ، وفي النسختين (أفائد) والتصحيح من (الدرر لابن عبد البر) .

(٥) هذا البيت ساقط من الأحمدية .

(٦) في الأحمدية (ثابت) عوض (حابس) وهو سهو .

ذو الخويصرة فقال : اعدل فإنك لم تعدل(١) ، فقال النبي ﷺ : (ومن يعدل إذا لم أعدل) .

عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو يقسم الغنائم والتبر وهو فى حجر بلال ، فقام رجل فقال : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، فقال عمر : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : (إن هذا فى أصحاب له يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وهذا الرجل يعرف بذى الخويصرة التميمى (٢) .

وأتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصيب قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاماً فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار منها شىء ، قال : (فأين أنت من ذلك يا سعد) فقال سعد : يا رسول الله ما أنا إلا من قومى ، قال : (فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة(٣)) فلما اجتمعوا أتى سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .

فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : (يا معشر الأنصار بلغنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم) قالوا

---

(١) كان صلى الله عليه وسلم مفطورا على العدل منذ طفولته ، فقد كان يأخذ ثدياً واحداً وهو يرضع ، كان لا يقبل من حليمة إلا أحد ثدييها ، فإذا عرضت عليه الثدى الآخر يأباه ، كأنه ألهم أن معه شريكاً فى لبنها ، على ما فى (قصة المولد للشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى) .

(٢) هو حرقوص بن زهير السعدى التميمى رئيس الخوارج .

(٣) فى النسختين (الحضيرة) والتصحيح من (الدرر فى المغازى والسير) .

بلى ، الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثم قال : (ألا تجيبونني يا معشر الأنصار) ؟ قالوا : يا رسول الله بماذا نجيبك ، لله ولرسوله المن والفضل ، قال : (بلى والله لو شئتم لقلتم — فلصَدَقتم وصُدِّقتم — أتيتنا مكذّباً فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريداً فآويناك وعائلا فواسيناك ، أوجدتم يا معشر الأنصار فى لُعاعَة(١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار(٢) وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار) قال فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا : رضينا يا رسول الله بك(٣) قسماً وحظا . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا(٤) .

وقدمت (الشيماء بنت الحارث) بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة فقالت يا رسول الله : إنى أختك ، قال : (وما علامة ذلك) ؟

---

(١) فى النسختين (لغاغة) وهو تصحيف . واللعاعة — بالضم — نبت ناعم فى أول ما ينبت ، يعنى أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء ، على ما فى (النهاية للمحدث ابن الأثير) .

(٢) الأنصار مثل فريدة للرجال الذين تقوم بهم الرسالات العظمى ... ولا ريب أن أولئك المتجردين لله سوف يلقون جزاءهم الأوفى ، وإن شأن الدنيا أنزل قدراً من أن يأسى عليه رجل العقيدة . على ما فى (فقه السيرة للأستاذ محمد الغزالى) .

(٣) سقط من النسختين (بك) فاستدركناها من (الطبقات الكبرى لابن سعد).

(٤) روى الإمام البخارى هذا الحديث بروايات شتى فى (باب غزوة الطائف) . ورواه الإمام أحمد فى المسند ورواه غيره .

قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك ، قال فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها وقال :

[إن أحببت فعندى محببة مكرمة وإن[1]] أحببت أمتعك وترجعى إلى قومك فعلت . قالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، ففعل فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول وجارية ، فزوجت إحداهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهم بقية ، ثم أعطاها نعماً وشاء .

قال : وقدم (وفد هوازن[2]) على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلا ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبى ، فقال : (أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم) ؟ قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً .

فقال : (أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وسأسأل لكم الناس) فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : (إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد كنت استأنيت سبيهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه بأن يرده فسبيل ذلك ، ومن أبى فليرد عليهم ، وليكن ذلك قرضاً علينا نعطيه من أول ما يفيء الله علينا) قالوا : رضينا وسلمنا ، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ولم يتخلف منهم أحد ، وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبى قبطية قبطية[3] .

---

(١) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية ومن المصادر المشهورة .

(٢) أخرجه الإمام البخارى فى الصحيح .

(٣) القبطية : الثوب من ثياب مصر ، رقيقة بيضاء ، وكأنه منسوب إلى القبط . وضم القاف من تغيير النسب ، وهذا فى الثياب ، فأما فى الناس فقبطى بالكسر . على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(ذكر غزوة الطائف)

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصنوا، وجمعوا ما يحتاجون إليه، فسار إليهم رسول الله ﷺ وحصرهم نيفاً وعشرين يوماً، ونصب عليهم منجنيقاً(١) أشار به سلمان الفارسي، وقاتلهم قتالا شديدا. ودخل نفر من المسلمين تحت دبابة(٢) عملوها وزحفوا بها إلى جدار الطائف، فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجالا، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فقطعت.

ونزل إلى رسول الله ﷺ نفر من رقيق الطائف فأعتقهم، منهم: أبو بكرة نفيع بن الحارث مولى الحارث بن كلدة، وإنما قيل له (أبو بكرة) ببكرة نزل فيها، وغيره.

فلما أسلم أهل الطائف تكلم سادات أولئك العبيد في أن يردهم رسول الله ﷺ إلى رقهم، فقال: (لا أفعل، أولئك عتقاء الله تعالى) واستشار رسول الله

---

(١) المجانيق أنواع لرمي السهام التي توضع في المنجنيق، وترمى عنها بالأقواس إلى مسافات بعيدة وقوة خارقة، وثانية لرمي الحجارة حتى تهدم الحصون، وثالثة لرمي قدور النفط والكرات المشتعلة، كما في (كتاب عقبة بن نافع الفهري للواء الركن محمود شيت خطاب).

(٢) من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار ليثقبوها وهي شبه برج متحرك، له أحياناً أربع طبقات: الأولى من الخشب، والثانية من الرصاص، والثالثة من الحديد، والرابعة من النحاس الأصفر ويصعد إلى طبقات الدبابة الجنود لنقب الحصون وتسلق الأسوار، وكانت الدبابات تسبق المشاة حتى تقترب إلى مسافات قصيرة من مواقع العدو أو حصونه. وهناك تعمل عملها في قذف الحجارة أو كرات النار المشتعلة أو النبال، على ما في المصدر المذكور آنفا.

صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في المقام على الطائف ، فقال : يا رسول الله : الطائف ثعلب في جحر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك ، فأذن بالرحيل ، فلما رحل الناس قال رجل : يا رسول الله أدع على ثقيف ، فقال : (اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم) .

وسأل عن مالك بن عوف النصري ، فقيل إنه بالطائف ، فقال : (أخبروه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير) فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سراً ولحق برسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه ، فاستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف ، وأعطاه أهله وماله ومائة بعير .

وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة[1] .

وفيها ولدت مارية القبطية (إبراهيم ابن رسول الله ﷺ) في ذي الحجة فدفعه إلى أم بردة[2] بنت المنذر الأنصارية وزوجها البراء بن أوس الأنصاري وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فأرسلت أبا رافع إلى رسول الله ﷺ يبشره بإبراهيم ، فوهب له مملوكاً ، وغار نساء النبي ﷺ وعظم عليهن حين رزقت مارية منه الولد .

(وفيها) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير إلى ذات

---

(١) ولم يطل بقاء ثقيف على شركها ، فما هي إلا أشهر قلائل حتى أرسلوا وفدهم إلى المدينة يخبر النبي صلى الله عليه وسلم برغبتهم في الإسلام وانفساخ قلوبهم له . كما في (فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي) .

(٢) في النسختين (أم برد) وهو وهم صححته من الطبقـــات الكبرى لابن سعد .

أطلاح(١) من الشام ، فأصيب هو وأصحابه .

(وفيها) بعث أيضاً عيينة بن حصن الفزارى إلى بنى العنبر من تميم ، فأغار عليهم وسبى منهم نساءً .

(وفيها) بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو الدوسى إلى (ذى الكفين(٢)) صنم عمرو بن حممة الدوسى ، فخرج فهدم ذا الكفين ، وأسلم معه من قومه أربعمائة ، فوافى بهم رسول الله ﷺ .

(وفيها) قدم عروة بن مسعود الثقفى على رسول الله ﷺ بعد انصرافه عن الطائف فأسلم ، ثم استأذن رسول الله ﷺ فى الخروج إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فقال : (إنهم إذن قاتلوك) قال : لأنا أحب إليهم من أبكار أولادهم ، ثم استأذنه الثانية ثم الثالثة فقال : (إن شئت فاخرج) فخرج فسار إلى الطائف فقدم عشاءً فدخل منزله ، فجاءه قومه فحيوه بتحية الشرك ، فقال : عليكم بتحية أهل الجنة (السلام) ودعاهم إلى الإسلام ، فخرجوا من عنده يأتمرون به .

فلما طلع الفجر أوفى على غرفة له فأذن بالصلاة ، فخرجت ثقيف من كل ناحية ، فرماه رجل من بنى مالك يقال له أوس بن عوف فأصاب أكحله(٣)

---

(١) فى الظاهرية (الحلال) وفى الأحدية (الحلاح) عوض (أطلاح) وهو سهو . (ذات أطلاح) موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة ، كما فى معجم البلدان .

(٢) كان هذا الصنم لدوس ثم لبنى منهب بن دوس ، كما فى (كتاب الأصنام لابن الكلبى) وفى جمهرة الأنساب ٤٩٤ (كان لخزاعة ودوس) .

(٣) الأكحل : عرق فى اليد.

فلم يرقأ(١) دمه ، وقام غيلان بن سلمة وكنانة بن عبد ياليل والحكم بن عمرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح ، فلما رأى ذلك عروة قال : قد تصدقت بدمى على صاحبه لأصلح بذلك بينكم ، وهى كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها إلى، ادفنونى مع الشهداء الذى قتلوا مع رسول الله ﷺ ، ومات فدفنوه معهم ، وبلغ رسول الله ﷺ خبره فقال : (قتله كقتل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه) .

(ومن الحوادث فى هذه السنة) أن رسول الله ﷺ أراد طلاق سودة بنت زمعة(٢) فقالت : دعنى أحشر فى نسائك ، واجعل يومى لعائشة .

(وفيها) غلا السعر ، فقال الناس يا رسول الله : لو سعرت لنا ، فقال : (إن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر ، وإنى لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولا مال) .

(ذكر من توفى فى هذه السنة)
من الأعيان

فيها توفى (جعفر بن أبى طالب) بن عبد المطلب ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ومعه زوجته أسماء بنت عميس ، فولدت له هناك عبد الله ومحمداً وعونا ، ولم يزل بالحبشة حتى قدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر ، فالتزمه رسول الله ﷺ وقبل ما بين عينيه وقال : (ما أدرى بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر) وقال له :

(١) فى النسختين (يرق) وهو سهو .

(٢) فى (السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين لمحب الدين الطبرى) : عقد النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة قبل سودة ، ودخل على سودة قبل عائشة رضى الله عنهما .

(أشبهت خلقي وخلقي) . قتل جعفر بمؤتة كما ذكرنا ، وأمهل رسول الله ﷺ أهله ثلاثا وقال : (لا تبكوا على أخي بعد اليوم) وقال : إن له جناحين يطير بهما حيث شاء من الجنة) .

وفيها توفي (زيد بن حارثة) بن شراحيل بن كعب بن[1] عبد العزى ابن امرىء القيس ، ويقال له (زيد الحب) وأمه سعدى بنت ثعلبة ابن عبد عامر ، زارت قومها وزيد معها ، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن ، فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة[2] ، فوافوا به سوق عكاظ[3] فعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له . وكان أبوه حارثة حين فقده قال :

بكيتُ على زيد ولم أدر ما فعلْ ... أحيٌّ يرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فياليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل(٤)
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل(٥)
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فياطول ما حزني عليه ويا وجل

(١) (كعب بن) استدراك من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

(٢) إذا كان الغلام يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ، على ما في (فقه اللغة للثعالبي) . وفي الظاهرية (نفقه) وهو تصحيف .

(٣) في الاستيعاب (سوق حباشة) عوض (سوق عكاظ) وهي سوق العرب معروفة بناحية مكة ، وهي أكبر أسواق تهامة ، على ما في معجم ما استعجم للبكري . ثم أورد ابن عبد البر في سياق ترجمته لسيدنا زيد ما في نصنا .

(٤) بجل بمعنى حسب ، على ما في (لسان العرب لابن منظور) .

(٥) أي مساء عند غروب الشمس ، كما في (لسان العرب) .

ساعمل نص اليعيس (١) فى الأرض جاهدا ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتى أو تأتى على منيتى فكل امرىء فان وإن غره الأمل
وأوصى به قيساً وعمراً كلاهما وأوصى يزيداً ثم من بعده جبل

يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه.

فحج ناس من كعب فرأوا زيداً فعرفوه وعرفهم، فقال: أبلغوا أهلى هذه الأبيات فإنى أعلم (٢) أنهم قد جزعوا علىّ:

أحن (٣) إلى قومى وإن كنت نائيا فإنى قطين البيت عند المشاعر
وكفوا عن الوجد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الأرض نص الأباعر
فإنى بحمد الله فى خير أسرة كرام معد كابراً بعد كابر

فانطلقوا فأعلموا أباه، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبى ﷺ فقيل: هو فى المسجد، فدخلا عليه فقالا: يابن هاشم يابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى وتطلقون الأسير جئناك فى ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا فى فدائه، فإنا سندفع لك الفداء، قال (ما هو)؟ قالوا زيد.

قال رسول الله ﷺ: (فهلا غير ذلك) قالوا: ما هو؟ قال: (ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار

---

(١) أى الإبل البيض، يخالط بياضها شقرة، على ما فى (القاموس المحيط).

(٢) سقط من الظاهرية (فإنى أعلم) فاستدركتها من الأحمدية والاستيعاب.

(٣) فى النسختين (ألكنى) عوض (أحن) والتصحيح من الاستيعاب والإصابة للحافظ ابن حجر.

على من اختارنى أحدا) قالوا : قد أحسنت ، فدعاه فقال : (هل تعرف هؤلاء ؟) قال : نعم هذا أبى وهذا عمى ، قال : (وأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك ، فاخترنى أو اخترهما) فقال زيد : ما أنا بالذى أختار عليك أحدا ، أنت منى بمكان الأب والعم .

قالا : ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ ! قال : نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبدا ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال : (يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه) فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا ، فدعى (زيد بن محمد) حتى جاء الله تعالى بالإسلام وزوجه النبى ﷺ زينب بنت جحش ، فلما طلقها تزوجها النبى ﷺ ، فتكلم الناس فى ذلك وقالوا : تزوج امرأة ابنه ، فنزل قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم[١]) الآية فقال (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله[٢]) الآية فدعى يومئذ (زيد بن حارثة) .

وكان زيد رجلا قصيراً آدم شديد الأدمة ، فى أنفه فطس .

قال الزهرى : أول من أسلم زيد ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وخرج أميراً فى سبع سرايا .

ولم يسم أحد من أصحاب النبى ﷺ فى القرآن باسمه غيره . وكان له من الولد : زيد — هلك صغيرا — ورقيـــة ، أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وأسامة أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥ .

وقال زيد وهو ابن خمس وخمسين سنة رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وفيها توفيت (زينب بنت رسول الله ﷺ) كانت أكبر بناته وأول من تزوج منهن ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع قبل النبوة، فولدت له علياً وأمامة ، وأسلمت زينب وهاجرت ، ثم أسلم أبو العاص ، فردها إليه رسول الله ﷺ بنكاح جديد ، وفى رواية بالنكاح الأول . توفيت زينب فى هذه السنة ، وغسلتها أم أيمن وسودة وأم سلمة رضى الله عنهن .

وفيها توفى (عبد الله بن رواحة) بن ثعلبة ، شهد العقبة مع السبعين، وهو أحد النقباء الإثنى عشر ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء ، قال عروة بن الزبير : ما رأيت ولا سمعت أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة(١) ، كان رسول الله ﷺ يقول له : (قل شعراً يقتضيه كذا وكذا) فيبعث من ساعته ، أنشده يوما من أبيات :

إنى تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خاننى البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

فقال رسول الله ﷺ : (وأنت فثبتك الله يابن رواحة) . قال عروة(٢) : فثبته الله تعالى أحسن الثبات ، فقتل شهيداً وفتحت له الجنة ودخلها رضى الله عنه(٣) .

---

(١) وفيه وفى صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزلت (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) .
(٢) فى الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر : (قال هشام بن عروة) .
(٣) هنا فى حاشية الأحمدية (بلغ قراءة) .

﴿ السنة التاسعة من الهجرة ﴾

(ذكر إسلام كعب بن زهير)

خرج كعب بن زهير بن أبي سلمى — واسم أبي سلمى ربيعة المزني — ومعه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف(١) فقال له أخوه بجير : أثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل ، يعني رسول الله ﷺ فأسمع منه ، فأقام كعب وسار بجير إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، فلما بلغ كعباً إسلامه قال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا إن كنت لست بفاعل(٢) ... على أي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أماً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت لعاً لكا(٣)
سقاك بها المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

فلما بلغ رسول الله ﷺ قوله قال (صدق وإنه لكذوب أنا المأمون) وأهدر دمه ، فكتب بجير إليه :

---

(١) في النسختين (إبراق العراق) والتصحيح من (تاريخ الإسلام — الجزء الاول) ومن الكامل لابن الأثير .

(٢) هذه الشطرة ساقطة من النسخ فاستدركتها من (طبقات الشافعية الكبرى) .

(٣) كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها : الارتفاع والانتعاش ، وهي بمعنى (اسلم) ، على ما في لسان العرب والمواهب الفتحية للشيخ حمزة فتح الله ، وفي الظاهرية (لعلكا) وهو وهم .

فمن مبلغ كعباً فهل لك فى التى تلوم عليها باطلا وهى أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه ودين أبى سلمى علىّ محرم

وكتب إليه : النجاء النجاء ، وما أراك تفلت ، ثم كتب إليه : إذا أتاك كتابى هذا فأسلم ، وأقبل إليه فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما سلف ، فأسلم كعب ، وجاء حتى أناخ راحلته بباب المسجد ، ورسول الله ﷺ مع أصحابه قال كعب : فعرفته بالصفة ، فتخطيت الناس إليه فأسلمت ، وقلت : الأمان يا رسول الله ، هذا مقام العائذ بك ، قال : (من أنت ؟) قلت : كعب ابن زهير ، قال : (الذى يقول) ثم التفت إلى أبى بكر فقال : كيف ؟ قال فأنشده أبو بكر الأبيات التى أولها :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة

فقال كعب : ما هكذا قلت يا رسول الله ، إنما قلت :

سقاك أبو بكر بكأس روية وأنهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله ﷺ : (مأمون والله) فتجهمت له(١) الأنصار وأغلظت له ، ولانت له قريش وأحبت إسلامه ، فأنشد قصيدته التى أولها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبولُ متيم إثرها(٢) لم يفد مكبول(٣)

(١) فى الأحمدية (فتجهمته) وكلاهما صحيح .
(٢) فى الأحمدية (عندها) عوض (إثرها) .
(٣) فى الأحمدية (مخبول) .

فلما انتهى فيها إلى قوله :

وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك(١) إنى عنك مشغول
نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
فى فتية(٢) من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُفٌ عند اللقاء ولا ميل معازيل
لا يقع(٣) الطعن إلا فى نحورهمُ وما لهم عن حياض الموت تهليل
يمشون مثل(٤) الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه ، فأنكرت قريش عليه وقالوا : لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك منه ، وعظم على الأنصار هجوه وشكوه ، فقال يمدحهم :

من سره كرم الحياة فلم يزل فى مقنب من صالحى الأنصار
الباذلين نفوسهم ودماءهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من قتلوا من الكفار

فى أبيات ، فكساه النبي ﷺ بردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله ﷺ ، فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده

---

(١) فى الأحمدية (ألفينك) .
(٢) فى طبقات الشافعية الكبرى (فى عصبة) .
(٣) فى الطبقات (لا يقطع) .
(٤) كذا فى النسختين ، والرواية المشهورة (يمشون مشى) .

بعشرة آلاف درهم ، وهى البردة التى عند الخلفاء يتوارثونها(١) .

وقيل : إنما أمر رسول الله ﷺ بقتله وقطع لسانه لأنه كان يشبب بأم هانىء بنت أبى طالب .

وقوله « سقاك بها المأمور(٢) » بالراء ، لأن العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشىء من تلقاء نفسه « مأمور » يريدون أن الذى يقوله يأمره به الجن ، وإن كان رسول الله ﷺ مأموراً من الله ولكنه كره لعادتهم ، فلما قال : (المأمون) بالنون رضى به لأنه مأمون على الوحى ﷺ .

(ذكر غزوة تبوك(٣))

ولما عاد رسول الله ﷺ من الطائف أقام بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم ، وأعلم للناس بقصدهم لبعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو ، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى بغيرها .

وكان سببها أن النبى ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده ، فتجهز هو والمسلمون وساروا إلى الروم ، وكان

(١) يعنى العباسيين ، ومنهم انتقلت إلى مصر ، وحين فتح السلطان سليم مصر نقلهـا إلى قصر طوبقبو باصطنبول ، على ما فى (كشف الدعرات بوصف الشعرات للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله — ١١٢ من طبعة تونس) وانظر (كتاب الآثار النبوية للأستاذ أحمد باشا تيمور رحمه الله) .

(٢) فى الظاهرية (المأمون) وهو خطأ ظاهر .

(٣) بينها وبين المدينة ٧١٨ كيلو ، على ما قاله الأستاذ الشيخ على الطنطاوى فى كتابه (من نفحات الحرم ٢٠٣) .

وتعرف هذه الغزوة بغزوة العسرة وبالفاضحة ، كما فى ملخص (الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم للعلامة مغلطاى) .

الحر شديداً والبلاد مجدبة، والناس فى عسرة، وكانت الثمار قد طابت، وأحب الناس مقامهم فى ثمارهم، فتجهزوا على كره .

وكان ذلك الجيش يسمى (جيش العسرة(١)) .

وخلف على بن أبى طالب على أهله، وخلف على المدينة محمد بن مسلمة — وقيل سباع بن عرفطة — وأمر بالنفقة فى سبيل الله، فأنفق أهل الغنى : فأنفق أبو بكر رضى الله عنه جميع ما كان بقى عنده من ماله، وأنفق عثمان رضى الله عنه نفقة لم ينفق أحد أعظم منها، قيل : كانت ثلاثمائة بعير بأحمالها وألف دينار .

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا النبى ﷺ وهم (البكاؤون) وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة فاستحملوه، فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه) فولوا يبكون، فلقيهم يامين بن عمير بن كعب النضرى(٢) فسألهم عما يبكيهم، فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبدالله بن مغفل(٣) بعيراً، فكانا يعتقبانه مع رسول الله ﷺ، وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ، فلم يعذرهم الله تعالى، وكان عدة نفر من المسلمين تخلفوا : منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية

---

(١) لأن الجيش عانى مصاعب ثقيلة، وكانت الظروف التى اكتنفت إعداده شديدة . والآيات التى نزلت متعلقة بغزوة العسرة هى أطول ما نزل فى قتال بين المسلمين وخصومهم - على ما فى (فقه السيرة للأستاذ الشيخ محمد الغزالى) .

(٢) فى الظاهرية (النظرى) وفى الأحمدية (النظيرى) عوض (النضرى) .

(٣) فى النسختين (معقل) وهو تصحيف .

وأبو خيثمة(١) . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي ابن سلول(٢) المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق .

ثم إن أبا خيثمة أقام أياماً ، لجاء يوماً إلى أهله ، وكان له امرأتان قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له ماءً وصنعت له طعاما ، فلما رأى ذلك قال : يكون رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في الظلال والماء البارد مقيم ، ما هذا نصفة ، والله لا أدخل عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيأ زاده وخرج إلى ناضحه(٣) فركبه وطلب رسول الله ﷺ فأدركه بتبوك فقال الناس : يا رسول الله هذا راكب مقبل فقال رسول الله ﷺ : (كن أبا خيثمة) قالوا : هو والله أبو خيثمة ، وأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبره ، فدعا له .

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر وهو بطريقه — وهو منزل ثمود — قال لأصحابه : (لا تشربوا من هذا الماء شيئاً ولا تتوضئوا منه ، وما كان من عجين فألقوه أو اعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرج أحد الليلة إلا مع صاحب له) ففعل الناس ذلك ، ولم يخرج أحد غير رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي

---

(١) في الظاهرية هنـــا وفيما يستقبلنا (أبو حيثمة) وهو تصحيف . وأبو خيثمة هو مالك بن قيس السالمي ، على ما في (نهاية الأرب للنويري رحمه الله ١٧ / ٣٥٤) .

(٢) يجب أن تكون (ابن) هكذا بالألف ، لأنه اشتهر بالنسبة إلى أمه مع أبيه للتفرقة بينه وبين ابنه عبد الله بن عبد الله الذي كان من خيرة المسلمين وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الجمل الذي يستقي عليه .

خرج لحاجته فإنه أصابه جنون(١) ، وأما الذى طلب بعيره فاحتملته الريح إلى جبل طيىء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : (ألم أنهكم أن لا يخرج أحد إلا مع صاحب له) فأما الذى خنق فدعا له رسول الله ﷺ فشفى ، وأما الذى حملته الريح فأهدته طيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة(٢) .

وأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقال أبو بكر : يا رسول الله إن الله تعالى قد عودك فى الدعاء خيراً فادع الله لنا ، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى روى الناس وملئوا ما معهم ، وذهبوا ينظرون فلم يجدوها جاوزت العسكر .

وفى هذه السفرة اشتد بهم العطش ، ومعهم إداوة فيها ماء ، فصب رسول الله ﷺ منها فى إناء ، ففاضت حتى روى العسكر وهم ثلاثون ألفاً ، والإبل اثنا عشر ألفاً ، والخيل عشرة آلاف فرس .

ووقف بأبى ذر جمله فتخلف عليه ، فقيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر ، فقال : (دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم) وكان يقولها لكل من تخلف ، فوقف أبو ذر على جمله، فلما أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع رسول الله ﷺ ماشياً ، فنظر الناس فقالوا : يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : (كن أبا ذر) فلما تأمله

---

(١) كذا فى النسختين . والذى فى (نهاية الأرب ١٧ / ٣٥٨) : فإنه خنق على مذهبه . وفى هامش نهاية الأرب : خنق : صرع والمذهب هنا هو الموضع الذى يقضى فيه المرء حاجته .

(٢) أورد الحافظ الذهبى فى (الجزء الأول من تاريخ الإسلام) هذا الخبر مروياً عن ابن إسحاق ثم قال : هذا مرسل منكر .

الناس قالوا : هو أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : (يرحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وتشهده عصابة من المؤمنين) فلما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة [1] وأصابه فيها أجله ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه ،

(١) روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن وهب قال : « مررت بالربذة فإذا أنا بأبى ذر ، قلت : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ﴾ فقال معاوية : نزلت فى أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، وكان بينى وبينه فى ذلك ... فكتب إلى عثمان يشكونى ، فكتب إلى عثمان : أن اقدم المدينة ، فقدمتها ، فكثر على الناس حتى كأنهم لم يرونى قبل ذلك ، فذكرت ذلك لعثمان ، فقال : إن شئت تنحيت فكنت قريباً . فذاك الذى أنزلنى هذا المنزل ، ولو أمروا على حبشياً لسمعت وأطعت . والحديث يفيد أن عثمان رضى الله عنه كان أرعى لحرمة أبى ذر وأعرف لمكانه ، فهو لم يكتب إلى معاوية فى شأن أبى ذر يأمره فيه بأمره ، ولم يكتب إليه بإشخاص أبى ذر على مركب وعر وسائق عنيف - كما زعم المنحرفون - بل الحديث صريح فى أن عثمان بالغ الغاية فى توقير أبى ذر رضى الله عنه ، فهو قد كتب إلى أبى ذر مباشرة : أن اقدم إلى المدينة ، ويرشح هذا ما روى عن قتادة : ان عثمان كتب إلى أبى ذر بعد شكاية معاوية (أقبل إلينا فنحن أرعى لحقك ، وأحسن جواراً لك من معاوية) فقال أبو ذر : سمعاً وطاعة ، فقدم على عثمان .

والحديث يفيد كذلك أن عثمان لم يخرج أبا ذر إلى الربذة عقوبة ونفياً ، وإنما استأذن أبو ذر الإمام الأعظم إذ كثر عليه الناس يسألونه فى قدومه من الشام لخشى الفتنة ، فأذن له الإمام أن يكون قريباً ، فاختار هذا المكان بنفسه ، وقد قال له عثمان — كما رواه محمد بن سيرين — أقم عندى تغدو [1] عليك اللقاح وتروح فقال : لا حاجة لى فى الدنيا ، فأذن له فى الخروج .

(١) هكذا بالواو فهو مرفوع ، والجزم فى جواب الأمر ليس واجباً .

فأوصاهما أن يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه على الطريق فأول ركب يمر بهما يستعينان به على دفنه ، ففعلا ذلك فاجتاز بهم عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق ، فأعلمته امرأة أبى ذر بموته ، فبكى ابن مسعود وقال : صدق رسول الله ﷺ ، ثم واروه(١).

= والمتأمل فى الحديث يشعر بالإخلاص الصادق يملأ نفس أبى ذر ، إذ يرى الناس يتكاثرون عليه، يسألونه عن سبب قدومه من الشام ، وهو يعلم استعداد الغوغاء وسرعة انقيادهم لشيطان الفتنة ، فأبى أن يقيم بينهم .

وروى أن أبا ذر لما دخل على عثمان قال له : ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك ؟ فقال : إنه لاينبغى أن يقال : مال الله ، ولا ينبغى للأغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما علىّ وآخذ ما على الرعية . ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد ، فقال أبوذر : لاترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا إلى الجيران والإخوان ويصلوا القرابات، ثم طلب من عثمان أن يأذن له فى الخروج من المدينة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك إذا بلغ البناء سلعا ، فسيره إلى الربذة ، فبنى بها مسجداً . وأقطعه عثمان قطعة من الإبل ، وأجرى عليه العطاء . فأقام أبوذر منفرداً حتى قضى .

وكان أبو ذر يختلف من الربذة إلى المدينة أخذاً بوصية عثمان أن يتعاهد المدينة حتى لا يرتد أعرابيا . ولو أنصف التاريخ لكان هذا من مفاخر الخلافة العثمانية وآية على السياسة الحازمة الحكيمة فى هذه الخلافة الراشدة .

من كتاب الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان
بقلم الأستاذ : محمد الصادق عرجون
(عميد كلية أصول الدين)

(١) قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية ٥ / ٩) : إسناده حسن ولم يخرجوه .

وانتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك فأتاه يحنة(١) بن رؤبة صاحب أيلة، فصالحه على الجزية وكتب له كتابا، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثم زاد فيها خلفاء بني أمية، فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة دينار.

وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل أذرح(٢) على مائة دينار فى كل رجب. وصالح أهل جرباء(٣) على الجزية. وصالح أهل تيماء(٤) على ربع ثمارهم.

وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل(٥) وكان نصرانياً من كندة، فقال رسول الله ﷺ: (إنك ستجده يصيد البقر) فخرج خالد بن الوليد، حتى إذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر على سطح داره فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال لا والله؟ ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، وخرج يطلب البقر، فتلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذوه وقتلوا أخاه حسان(٦) وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج(٧) مخوصاً بالذهب، فأرسله

---

(١) فى النسختين (يوحنا) والمثبت هو ما فى المصادر المشهورة.

(٢) فى الظاهرية (أذروح) وهو وهم. وأذرح: بلد من نواحى البلقاء.

(٣) موضع من أعمال عمان بالبلقاء (شرقى الأردن).

(٤) فى النسختين (مقنا) عوض (تيماء) والتصحيح من الدرر لابن عبد البر وتاريخ الإسلام ــ الجزء الأول.

(٥) اسمها الآن (الجوف).

(٦) كذا بمنع الصرف، على أنه من الحس، ويجوز الصرف بناءً على أنه من الحسن.

(٧) يعنى ثوباً من الحرير، فيه خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخل، على ما فى (إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون لنور الدين الحلبى).

إلى رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه . فقال رسول الله ﷺ : (أتعجبون من هذا ؟! لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا(١)) .

وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله .

وذكر ابن عائذ أن النبى ﷺ نزل تبوك فى زمان قل ماؤها فيه ، فاغترف غرفة بيده من ماء فمضمض به فاه ثم بصقه فيها ، ففارت عينها حتى امتلأت ، فهى كذلك حتى الساعة .

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ، ولم تقدم عليه الروم والعرب المتنصرة ، فعاد إلى المدينة .

وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل(٢) ، لا يروى إلا الراكب أو الراكبين ، بواد يقال له « وادى المشقق(٣) » فقال رسول الله ﷺ : (من سبقنا فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه) فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما جاء رسول الله ﷺ أعلم بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل رسول الله ﷺ فوضع يده تحته ، فانصب إليها يسير من الماء ، فدعا فيه ، ونضحه فى الوشل ، فانخرق بالماء جرياً شديداً ، فشرب الناس واستقوا .

---

(١) رواه البخارى فى باب قبول الهدية من المشركين . ومسلم فى فضائل الصحابة . والترمذى . والنسائى فى باب لبس الديباج المنسوج بالذهب .

(٢) الوشل : الماء القليل ، وقيل : الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء ، على ما فى هامش (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢ / ٢٢١) .

(٣) فى النسختين (المتفق) عوض (المشقق) والتصحيح من عيون الأثر وتاريخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير .

وسار رسول الله حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار، فأرسل إليه فهدمه، وأنزل الله تعالى﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين(١) ﴾ الآيات، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين، فأتوه يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه.

(قصة الثلاثة الذين خلفوا)

قال الإمام أحمد رضى الله عنه فى مسنده :

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال أنبأنا ابن أخي الزهرى محمد بن عبد الله عن عمه محمد بن مسلم الزهرى قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك عن أبيه — وكان قائد كعب من بنيه حين عمى — قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزاة تبوك، فقال كعب : لم أتخلف عن النبى ﷺ فى غزاة غيرها إلا غزاة بدر(٢) ولم يعاتب أحداً تخلف عنها.

إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة حيث(٣) توافقنا (٤) على الإسلام، وما أحب أن لى بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها وأشهر.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٧.

(٢) فى (المسند ٦ / ٣٨٧) : فى غزاة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدراً ولم يعاتب أحداً تخلف عن بدر.

(٣) فى النسخ (حين) والتصويب من (المسند).

(٤) كذا فى المسند والأصول، ووردت (تواثقنا) فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢/ ٢٢٣) وتفسير ابن كثير.

وكان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزاة .

وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفاوز(١) ، واستقبل عدواً كثيرا ، فجلى للمسلمين أمره ليتأهبوا أهبة عدوهم(٢) وأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ ، يريد الديوان .

قال كعب : فقل رجل يريد يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى عليه مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل .

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً . فأقول فى نفسى : أنا قادر عليه ، ولم يزل يتمادى بى ، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك ؛ فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم أحزننى

---

(١) فى النسختين (مفازا) عوض (مفاوز) المثبتة فى تفسير ابن كثير .

(٢) فى عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس (غزوهم) عوض (عدوهم) .

(٣) فى المسند : (لا أرى أحداً تخلف إلا رجلا مغموصاً) .

أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا(١) عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله تعالى من الضعفاء.

ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً فقال وهو جالس فى القوم بتبوك: (ما فعل كعب) ؟ فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه(٢) فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه: بئسما قلت، والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيرا. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب فلما بلغنى أنه توجه قافلاً حضرنى همى وطفقت أتذكر الكذب فأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قافلاً زاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه

وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى.

فجئته فلما رآنى تبسم تبسم المغضب وقال: (تعال) فجئت أمشى حتى جلست بين يديه، فقال: (ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟) فقلت: بلى إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم

---

(١) أى ظنيناً فى دينه، متهماً بالنفاق، على ما فى هامش (عيون الأثر فى فنون المغازى والسير ٢ / ٢٢٤).

(٢) يعني إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره.

حديث كذب ترضى به عني ليوشكن أن يسخطك الله علي ، ولئن حدثتك بحديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فقال رسول الله ﷺ : (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) فقمت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد ؟ قالوا : نعم رجلان قالوا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري(١) وهلال ابن أمية الواقفي(٢) ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً ، فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى النبي ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان

---

(١) نسبة إلى عمرو بن عوف بن مالك بن أوس ، بطن من الأنصار ، على ما في (اللباب في الأنساب لابن الأثير) و (عجالة المبتدى للحازمى) وفي المسند طبعة الميمنية ٦ /٣٨٨ (مرارة بن ربيعة) والمثبت من نسخ النص و (تاريخ الطبرى ٣ / ١٠٣) وملخص (الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم للعلامة مغلطاى) .

(٢) نسبة إلى بطن في الأوس من الأنصار يقال لهم بنو واقف ... على ما في (اللباب لابن الأثير المورخ) و (عجالة المبتدى للحازمى) و (طبقات الرواة لخليفة بن خياط) .

وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى: هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا، ثم أصلى قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى وإذا التفت نحوه أعرض عنى.

حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط(١) أبى قتادة — وهو ابن عمى وأحب الناس إلى — فسلمت عليه فوالله مارد على السلام، فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته(٢) فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، وتوليت حتى تسورت الجدار.

قال فبينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلنى على كعب بن مالك، وطفق الناس يشيرون له إلى، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتاباً من ملك غسان وإذا فيه: أما بعد فإنه بلغنى أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت(٣) بها التنور فسجرته(٤) بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول النبى ﷺ يأتينى

---

(١) الحائط هنا هو البستان.

(٢) هكذا فى النسختين، وفى صحيح مسلم والجزء الأول من تاريخ الإسلام (فناشدته) ومثله فى عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس.

(٣) أى قصدت.

(٤) سجر التنور: أحماه. على ما فى (القاموس المحيط) يعنى أوقد التنور بتلك الرسالة.

فقال إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : (لا ولكن لا يقربك) قالت إنه والله ما به حركة إلى شىء ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله ﷺ فى امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ ، وما يدرينى ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب .

فلبثت بعد ذلك عشر ليـــال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى النبى ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله تعالى قد ضاقت نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع(١) بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبى مبشرون ، وركض إلى رجل على فرس(٢) وسعى ساع من أسلم فأوفى على ذروة الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى

---

(١) جبل معروف بالمدينة ، كما فى (وفاء الوفا) .

(٢) فى النسخ (فرساً) عوض (على فرس) التى فى المسند ٦ / ٣٨٩ ونصنا مرورى بالمعنى ، ويختلف بعضه عما فى (المسند) .

رسول الله ﷺ ، فيتلقانى الناس فرجاً فرجاً يهنئونى بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) قال قلت : أمن عندك أم من عند الله يا رسول الله ؟ قال : (بل من عند الله) وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر ، ثم قلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجانى بالصدق ، وإن من توبتى ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلانى ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت[1] .

وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العُسرة من بعدما كاد يَزِيغ قلوب فريق منهم

(١) فى المسند (فيما بقى) .

ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين[١] ﴾ فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين[٢] ﴾ .

قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ وليس الذى ذكر الله تعالى مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[٣] .

(سرية قطبة بن عامر بن حديدة(٤))
إلى خثعم

قال ابن سعد : وفى هذه السنة — أعنى سنة تسع — بعث رسول الله ﷺ

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٩٥ .

(٣) هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته ، رواه صاحبا الصحيح : البخارى ومسلم من حديث الزهرى بنحوه ، كما فى (البداية والنهاية للحافظ ابن كثير) .

(٤) فى الظاهرية (حديجة) وهو وهم .

قطبة فى عشرين رجلا إلى حى من خثعم بناحية تبالة[١] ، فشنوا عليهم الغارة وكثر الجرحى فى الفريقين ، وساقوا النعم والشاء إلى المدينة .

ومن الحوادث فى هذه السنة :

(سرية الضحاك بن سفيان الكلابى) إلى بنى كلاب

وبعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء[٢] ، عليهم الضحاك بن سفيان الكلابى ومعه الأصيد[٣] بن سلمة فلقوهم بالزج[٤] زج لاوة[٥] فدعوهم إلى الإسلام ، فأبوا فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأصيد أباه سلمة ، وسلمة على فرس له فى غدير بالزج ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبه وسب دينه ، فضرب الأصيد عرقوبى فرس أبيه ، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه فى الماء ثم استمسك ، حتى جاءه أحدهم فقتله ، ولم يقتله ابنه .

(سرية علقمة بن مجزز[٦] المدلجى) إلى الحبشة

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن مجزز فى ثلاثمائة ، فانتهى إلى جزيرة فى البحر ، وخاض إليهم فهزموا

---

(١) من أعمال مكة ، على ما فى (معجم ما استعجم للبكرى) .

(٢) من هوازن ، على ما فى (تاريخ الطبرى ٣ / ١٥٥) .

(٣) فى الظاهرية (الاسيد) والتصحيح من معجم البلدان والطبقات الكبرى لابن سعد .

(٤) فى النسختين (بالزخ) وهو تصحيف ، والتصحيح من معجم البلدان لياقوت الحموى والطبقات الكبرى لابن سعد .

(٥) زج لاوة : موضع نجدى ، كما فى (معجم البلدان) وتاج العروس.

(٦) فى النسختين (محرز) وهو تصحيف .

منه وعادوا إلى المدينة ، فلما كان ببعض الطريق أوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون ، فقال عبد الله بن حذافة السهمي — وكان فيه دعابة — عزمت عليكم إلا تواثبتم فى هذه النار ، فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال : اجلسوا إنما كنت أضحك معكم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : (من أمركم بمعصية فلا تطيعوه) .

(سرية على بن أبى طالب إلى الفلس[1])

صنم طىء ، ليهدمه

وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلس ليهدمه ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وحرقوه ، وملئوا أيديهم من السبي والنعم والشاء ، وفى السبي أخت عدى ابن حاتم ، وهرب عدى إلى الشام .

ووجد فى خزانة الفلس ثلاثة أسياف : رسوب والمخذم وسيف يقال له اليمانى وثلاثة أدراع ، فعزل النبى ﷺ رسوب والمخذم ثم صار له بعد السيف الآخر ، وقدم المدينة فعزل النبى ﷺ آل حاتم فلم يقسمهم .

ثم كانت (سرية عكاشة بن محصن إلى بنى عذرة وبلى[2]) .

(ومن الحوادث فى هذه السنة) : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

---

(١) كان بنجد قريباً من فيد ، سدنته بنو بولان ، كما فى (جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٤٩٣) .

(٢) فى ربيع الآخر ، كما فى سيرة مغلطاى ، وهى ملخصة من مؤلفه (الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم) .

وقال : (ما أنا بداخل عليكن شهرا) وفى سبب ذلك قولان : أحدهما أنه حين حرم أم إبراهيم أخبر بذلك حفصة واستكتمها فأخبرت بذلك . والثانى أنه ذبح ذبحاً فقسمته عائشة بين أزواجه ، فأرسلت إلى زينب بنت جحش بنصيبها ، فردته ، فقال : (زيديها) فزادتها ثلاثا ، كل ذلك ترده ، فقال : (لا أدخل عليكن شهرا) فاعتزل فى مشربة له ، ثم نزل لتسع وعشرين فبدأ بعائشة فقالت يا رسول الله كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين أعدها عدا ، فقال : (الشهر تسع وعشرون) وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين .

(ومن الحوادث فى هذه السنة) امتداح العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله ﷺ بأبياته المشهورة . وذلك أن العباس أتى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فقال : يا رسول الله إنى أريد أمتدحك ، فقال رسول الله ﷺ : (قل لا يفضض الله فاك) فأنشأ العباس يقول :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورقُ
ثم هبطتَ البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى انتهى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق(١)

---

(١) الظلال : ظلال الجنة . والمستودع : هو الموضع الذى كان فيه آدم وحواء يخصفان عليهما من الورق . ثم هبطت إلى الدنيا فى صلب آدم ، وأنت لا بشر ولا مضغة ، تركب السفين : فى صلب نوح ، صالب : لغة فى صلب ، الطبق : القرن، النطق : جمع نطاق وهو ما يشد به الوسط . أى أنت أوسط

(ذكر قدوم وفد ثقيف)

وفى هذه السنة فى رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ، وسبب ذلك أنهم رأوا من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو وعثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة والحكم بن عمرو وشرحبيل بن غيلان ، فخرجوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم فى قبة فى المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد[1] فكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا .

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية — وهى اللات[2] — لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى عليهم ، وكان قصدهم بذلك أن يسلموا من سفهائهم ونسائهم ، فنزلوا إلى شهر[3] فلم يجبهم ، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال : (لا خير فى دين لا صلاة فيه) فأجابوا وأسلموا ، وأمر عليهم

= قومك نسباً ، وجعله فى علياء وجعلهم تحته نطاقاً ، على ما فى (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى رحمه الله ٢ / ١٨) .

(١) هو خالد بن سعيد بن العاص ، على ما فى (نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ٦٢) وغيره .

(٢) اللات : بيت بين ظهرى الطائف ، يستر ويهدى له الهدى كما يهدى للكعبة ، على ما فى (تاريخ الإسلام — الجزء الأول — المغازى) وفى (كتاب الأصنام لابن الكلبى) : كانت اللات صخرة مربعة ، وكان سدنتها من ثقيف قد بنوا عليها بناءً ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها ، وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم .

(٣) أى مدة شهر واحد .

رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص — وكان أصغرهم — لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه فى الدين .

ورجعوا إلى بلادهم ، وأرسل رسول الله ﷺ معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب ليهدما الطاغية ، فتقدم المغيرة بن شعبة فهدمها ، وقام قومه من بنى معتب دونه خوفاً أن يرمى بسهم ، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها . وأخذ حليها ومالها ، وكان رسول الله ﷺ قد أمرهما أن يقضيا منه دين عروة والأسود ابنى مسعود ، ففعلا ، وكان الأسود مات كافراً فسأل ابنه قارب بن الأسود رسول الله ﷺ أن يقضى دين أبيه فقال : (إنه كافر) فقال : يصل مسلم ذا قرابته . يعنى أنه أسلم فيصل أباه وإن كان مشركا .

(ذكر قدوم الوفود على رسول الله)
صلى الله عليه وسلم

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وأسلمت ثقيف وفرغت تبوك ضربت إليه الوفود[1] من كل وجه ، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا إمام الناس وأهل الحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لا تنكر العرب ذلك .

وكانت قريش هى التى انتصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما فتحت مكة وأسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى الدين أفواجاً كما قال الله تعالى ﴿ إذا جاء

(١) فى الظاهرية (اليهود) عوض (الوفود) وهو تحريف .

نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا(١) ﴾ .

وقدمت وفودهم : ففى هـــذه السنة قـدم (وفد بنى(٢) أسد) على رسول الله ﷺ وقالوا : أتيناك قبل أن ترسل إلينا ، فأنزل الله تعالى ﴿ يمنون عليك أن أسلموا(٣) ﴾ الآية .

وفيها قدم (وفد الداريين) وهم عشرة نفر .

وفيها قدم (وفد بنى(٢) تميم) مع عطارد بن(٤) حاجب بن زرارة بن عدس ، وفيها الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم ونعيم(٥) بن زيد ، فى وفد عظيم ، وقدم معهم عيينة بن حصن الفزارى وكان قد أسلم هو والأقرع قبل ذلك ، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ أن اخرج إلينا ، فآذى ذلك رسول الله ﷺ (٦) وخرج إليهم فقالوا : جئنا نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لهم ، فقام عطارد بن حاجب ابن زرارة فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل ، الذى جعلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا .

---

(١) سورة النصر .

(٢) سقط من النسختين (بنى)

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(٤) سقط (عطارد بن) من النسختين ، فاستدركته من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر والروض الأنف والسيرة الحلبية . ويؤيد ذلك ما يستقبلنا فى سياق النص .

(٥) فى النسختين (معتمر) عوض (نعيم) وهو تحريف ، على ما فى الإصابة والاستيعاب والروض الأنف للحافظ السهيلى .

(٦) يعنى من صياحهم .

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شمّاس : (أجب الرجل) فقام ثابت فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين .

ثم دعا الناس إلى الإيمان به[1] فآمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالا، ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيراً والسلام عليكم .

فقالوا ائذن لشاعرنا ، فأذن له ، فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيعُ
وكم قسرنا من الأحياء كلهمُ ... عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع[2]
ترى القبائل تأتينا سراتهمُ[3] ... من كل أرض هُوِياً ثم نصطنع

---

(١) (به) مستدركة من روض السهيلى .

(٢) القزع : السحاب ، يعنى إذا لم تمطرهم السماء فأجدبت أرضهم أطعم مطعمهم . وفى عيون الأثر (الفزع) بالفاء وهو تصحيف أرجو تصحيحه وتصحيح ما يتعلق به (٢ / ٢٠٤) .

(٢) سراة كل شىء : أعلاه فهم الذروة والسنام

فننحر الكوم عبطاً(١) فى أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
ولا ترانا إلى حى نفاخرهم ... إلا استقادوا وكانوا(٢) الرأس يقتطع
إنا أبينا ولم يأب لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يقادرنا(٣) فى ذاك يعرفنا ... فيرجع القوم(٤) والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه رسول الله ﷺ ليجيب شاعر تميم، قال حسان فلما سمعت قوله قلت على نحوه :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل البر يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهمُ ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم(٥) ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهمُ ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

---

(١) الكوم : جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام . وعبطا : تنحر لغير علة .

(٢) فى تاريخ الطبرى (وكادة) عوض (وكانوا) .

(٣) فى الروض الأنف (يفاخرنا) عوض (يقادرنا) المثبتة فى النسختين ، وما فى النص هنا يوافق ما فى تاريخ الطبرى .

(٤) هكذا فى النسختين وعيون الأثر . وفى تاريخ الطبرى (القول) عوض (القوم) .

(٥) فى ديوان حسان (قبلهم) عوض (بعدهم) .

أعفة ذكرت فى الوحى(١) عفتهم لا يطبعون(٢) ولا يزرى بهم(٣) طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم ولا يمسهم(٤) من مطمع طبع
إذا نصبنا لحى لم ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع(٥)
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع أسد بحلية(٦) فى أرساغها فدع(٧)
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم(٨) إذا تفرقت الأهواء والشيع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم إن جدبالناس جدالقول أو شمعوا(٩)

---

(١) فى النسختين (الحى) عوض (الوحى) ولعله من تصحيف السمع .

(٢) أى لا يدنسون . وفى النسختين (لا يطمعون) والتصحيح من تاريخ الطبرى وديوان حسان .

(٣) فى الروض وديوان حسان (لا يرديهم) عوض (لا يزرى بهم) .

(٤) فى الروض والديوان (لا يدنسهم) عوض (لا يمسهم) وما ورد فى النص يوافق ما أورده الطبرى .

(٥) ولد البقرة الوحشية .

(٦) فى النسختين (بحبلة) وفى الروض (بحلية) وهى مأسدة فى اليمن ، وفى ديوان حسان (ببيشة) وهو موضع تنسب إليه الأسود .

(٧) فى النسختين (قذع) والتصحيح من الروض والديوان ، وتاريخ الطبرى . والفدع : زوال الرسغ فى اليد إلى وحشيها ، كما فى حاشية ديوان حسان الذى حققه الدكتور سيد حنفى حسنين .

(٨) فى النسختين (شيعتهم) عوض (قائدهم) المثبتة فى ديوان حسان .

(٩) فى النسختين وفى ديوان حسان (سمعوا) وهو تصحيف ، وشمعوا أى ضحكوا ومزحوا ، على ما فى الروض الأنف .

خذ منهم ما أتوا عفواً إذا غضبوا[١] ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فإن فى حربهم فاترك عداوتهم شراً يخاض عليه السم والسلع[٢]
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا[٣]

فلما فرغ حسان قال قيس بن عاصم : والله خطيبه أفصح من خطيبنا ، وشاعره أفصح من شاعرنا ، ثم أسلموا وأجازهم رسول الله ﷺ .

وفيها قدم على رسول الله ﷺ (كتب ملوك حمير) مقرين بالإسلام ، مع رسولهم الحارث بن عبد كلال والنعمان ذى رعين ، وأرسل إليه زرعة ابن ذى يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، وكتب إليهم رسول الله ﷺ يأمرهم بما عليهم فى الإسلام وينهاهم عما[٤] حرم عليهم .

وفيها قدم (وفد بهراء) فنزلوا على المقداد بن عمرو .

وفيها قدم (وفد بنى البكاء) .

وفيها قدم (وفد بنى فزارة) وفيهم خارجة بن حصن بن حذيفة .

وفيها قدم (وفد ثعلبة بن منقذ) .

---

(١) فى الديوان (عطفوا) عوض (غضبوا) .

(٢) السلع : شجر مر ، وفى النسختين (التلع) عوض (السلع) المثبتة فى الروض .

(٣) متعوا : ارتفعوا . والأبيات الثلاثة الأخيرة ساقطة من الأحمدية ، فاستدركناها من الظاهرية ومن الروض للحافظ السهيلى .

(٤) فى النسختين (يأمرهم بما) عوض (ينهاهم عما) المثبتة فى المصادر المشهورة .

وفيها قدم (وفد سعد بن بكر[١]، وكان وافدهم (ضمام بن ثعلبة) فسأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام، وأسلم، فلما رجع إلى قومه قال رسول الله ﷺ: (لئن صدق ليدخلن الجنة) فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، فقالوا: اتق البرص والجذام والجنون، فقال: ويحكم إنهما لا ينفعان ولا يضران وإن الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً وقد استنقذكم به مما كنتم فيه.

وأظهر إسلامه، فما أمسى ذلك اليوم فى حاضره رجل مشرك ولا امرأة مشركة، فما سمع بوافد قوم[٢] كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

(ذكر حج أبى بكر رضى الله عنه)

وفيها حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس، ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ، ولنفسه خمس بدنات، وكان فى ثلاثمائة رجل، فلما نزل بذى الحليفة أرسل رسول الله ﷺ فى أثره علياً رضى الله عنه(٣) وأمره بقراءة سورة (براءة) على المشركين، فمضى أبو بكر فحج بالناس، وقرأ على بن أبى طالب (براءة) يوم النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذى(٤) عهد عهده، وقال: لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم رجعا قافلين إلى المدينة.

---

(١) فى النسختين (تيم) عوض (بكر) والتصحيح من الإصابة وتاريخ الكامل لابن الأثير.

(٢) (قوم) مستدركة من الأحمدية وتاريخ ابن الأثير.

(٣) قائلا: (لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى) وهو حديث حسن رواه ابن هشام، وله شواهد يقوى بها. ذكرها ابن كثير فى (البداية والنهاية ٥ / ٣٥).

(٤) (ذى) مستدركة من الأحمدية.

وكان المشركون يحجون مع المسلمين ، ويعارضهم المشركون بأعلى أصواتهم ليغلطوهم بذلك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. ويطوف رجال منهم عراة — ليس على رجل منهم ثوب — بالليل ، يعظمون بذلك الحرمة ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شىء من الدنيا خالطه الظلم .

فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام ، وأمر الله تعالى ببراءة . فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر أذن ببراءة(١) من عهد كل مشرك لم يسلم أن لا يدخل المسجد الحرام بعد ذلك العام ، وبين لهم مدة الله تعالى التى ضربت على لسان نبيه أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاءوا ، فحج الناس عامهم ذلك فلما رجعوا أرغب الله تعالى المشركين فدخلوا فى الإسلام طوعاً وكرها .

وفى هذه السنة (فرضت الصدقات) وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عماله .

* * *

(١) إنما ألحق النبى ﷺ على بن أبى طالب بأبى بكر لأنه قيل للنبى : إن العرب لا يرون أن ينقض أحد عهده مع من عاهده إلا بنفسه أو برسول من ذى قرابة نسبه . فأراد النبى أن لا يترك للمشركين عذراً فى علمهم بنبذ العهد . فأذن بها على يوم النحر بمنى ، من أولها إلى ثلاثين أو أربعين آية منها . لأن (سورة براءة) لم يتم نزولها يومئذ : فقد ثبت أن آخر آية نزلت على النبى ﷺ هى آخر آية من سورة براءة . كما فى (تفسير التحرير والتنوير للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور ١٠ / ١١٠) رحمه الله .

(ذكر من توفى فى هذه السنة)
من الأعيان

فيها توفى (ذو البجادين[١]) عبد الله المزنى ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : كنت مع رسول الله ﷺ فى غزاة تبوك، فقمت فى جوف الليل فرأيت شعلة من النار فى ناحية ، فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول : (أدنيا إلىّ أخاكما) فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : (اللهم إنى قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه) قال يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة ، رحمه الله تعالى .

وفيها توفى (سهيل بن بيضاء) القرشى الفهرى أبو أمية ، خرج مهاجراً إلى الحبشة حتى فشا الإسلام وظهر ، ثم قدم على رسول الله ﷺ مكة فأقام معه حتى هاجر ، وهاجر معه فجمع الهجرتين جميعاً ، ثم شهد بدراً ، ومات بالمدينة فى هذه السنة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ فى المسجد ، وكان أسن الصحابة رضى الله عنه .

وفيها توفيت (أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ) وهى زوج عثمان

---

(١) البجاد : كساء مرصع مخطط. وفى النسختين (النجادين) وهو تصحيف صححته من (جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين للمحبى ١٥٦) وفى روض السهيلى : سمى ذو البجادين لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه ويضيقون عليه حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ـ والبجاد : الكساء الغليظ الجافى ـ فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنين فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له (ذو البجادين) .

ابن عفان رضى الله عنه ، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

وفيها نعى رسول الله ﷺ (النجاشى[١]) للمسلمين ، وكان موته فى رجب من هذه السنة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون .

وفيها هلك رأس المنافقين (عبد الله بن أبى ابن سلول) ولما هلك جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفنه فيه ، وجاء رسول الله ﷺ ليصلى عليه فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى صدره وقال : يا رسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا وكذا — يعدد أيامه — ورسول الله ﷺ يتبسم ، ثم قال : (أخر عنى يا عمر قد خيرت فاخترت) قد قيل لى ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم[٢] ﴾ ولو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت . ثم صلى عليه وقام على قبره حتى فرغ منه ، فأنزل الله تعالى ﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره[٣] ﴾ الآية . وكان ابنه عبد الله من خيار الصحابة رضى الله عنه .

* * *

(١) هو السيد أصحمة ، صلوا عليه فى مصلى العيد الواقع فيما بين سورى المدينة المنورة ، المعروف الآن بالمناخة ، على ما فى (الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان للشيخ أحمد الحفنى القنائى رحمه الله) .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٨٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٨٤ .

(السنة العاشرة من الهجرة)

وهى سنة الوفود(١)

(ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد)

وفيها أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا، فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام ، وإن لم يفعلوا قاتلهم ، فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا ، فأقام فيهم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه بإسلامهم ، وعاد خالد ومعه وفد منهم ، فيهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن عبد المدان وغيرهما ، فقدموا على رسول الله ﷺ ثم عادوا عنه ، وأرسل معهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم ، وكتب معه كتابا ، وتوفى رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران .

وأما (نصارى نجران) فإنهم أرسلوا العاقب والسيد فى نفر منهم إلى رسول الله ﷺ ، وأرادوا مباهلته ، فخرج رسول الله ﷺ ومعه على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يباهلوه(٢) وصالحوه على ألفى

---

(١) وفدت الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع من أسلم من قبائل العرب وأحيائها ، تتلق ما هو للقلوب إكسير إحيائها ، وتبلغ إسلام من وراءها وتقفل إليهم بألطاف الشريعة السمحة ورونق روائها ، فكان رسول الله يرشدهم ويضيفهم وينزلهم بديار أصحابه ويجيزهم عند رجوعهم وجعل الموكل بافتقادهم بلال بن رباح رضى الله عنه . كما فى (قصة المولد للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٣٤) .

(٢) المباهلة : الملاعنة ، وهى أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

حلة(١) ، ثمن كل حلة أربعون درهما وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم ذمة الله وعهده ، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به .

فلما استخلف أبو بكر رضى الله عنه عاملهم بذلك ، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران ، فخرج بعضهم [إلى الشام وبعضهم(٢)] إلى النجرانية بالكوفة ، واشترى منهم عقارهم وأموالهم ، وقيل إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفا ، فتحاسدوا بينهم ، فأتوا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقالوا : أجلنا ، وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم ، فقدموا بعد ذلك واستقالوه ، فأبى .

وفيها قدم (وفد بنى عامر) وفيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار ابن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم ، فقال : والله لقد كنت آليت أن تتبع العرب عقبى(٣) ، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش !

ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإنى شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى(٤) ، قال : (لا والله حتى تؤمن بالله وحده) قال : يا محمد خالنى ، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير

---

(١) واحدة الحلل ، وهى برود اليمن . ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية والكامل لابن الأثير .

(٣) فى (عيون الأثر للحافظ ابن سيد الناس) : آليت لا أنتهى حتى يتبع العرب عقبى .

(٤) أى اجعل لى منك خلوة ، كما فى (السيرة الحلبية) .

شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالنى ، قال : (لا والله حتى تؤمن بالله ورسوله) فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال عامر أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا .

فلما ولى قال رسول الله ﷺ : (اللهم اكفنى عامر بن الطفيل) فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ وايم الله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك والله لا أخافك بعد اليوم أبدا ، قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك(١) بالسيف ! وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون(٢) فى عنقه فقتله الله تعالى فى بيت امرأة سلولية ، فجعل يقول : يا بنى عامر أغدة كغدة البعير فى بيت امرأة من بنى سلول .

ثم خرج أصحابه حين واروه بالتراب حتى قدموا أرض بنى عامر ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أبا أربد ؟ قال : لا شىء ، والله لقد دعانى لشىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما .

---

(١) محرفة فى النسختين ، فصححتها من (تاريخ الكامل لابن الأثير) .

(٢) الطاعون يتسبب عن بكتريا قصيرة بيضوية ، تنتقل إلى الانسان والقوارض بواسطة البرغوث ، حيث يمتص من دم فأر مصاب فتتكاثر البكتريا فى معدة البرغوث ، فيلدغ الانسان فتنتشر البكتريا فى دمه . والطاعون أنواع ، وأعراضه مختلفة، فبعضه تتضخم منه العقد الليمفية ، خاصة فى الارب وتحت الإبط ، ويتضخم الطحال ، وبعضه يحدث طفحاً وتوتراً فى الأعصاب ، واعياء فى جميع الجسم ... كما فى هوامش (الطب النبوى لابن القيم — تحقيق الدكتور قلعجى).

(قدوم الجارود بن بشر بن المعلى)
فى وفد عبد القيس، وكان نصرانيا

قال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه وعرض عليه الإسلام ودعاه إليه(١) ورغبه فيه، فقال: يا محمد إنى كنت على دين وإنى تارك دينى لدينك، أفتضمن لى دينى؟ قال فقال رسول الله ﷺ (نعم أنا ضامن أن قد هداك الله تعالى إلى ما هو خير منه) قال فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان، فقال: (والله ما عندى ما أحملكم عليه) فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوال(٢) من ضوال الناس أفنتبلغ(٣) عليها إلى بلادنا؟ قال: (لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار) وروى أنه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشده:

يا نبى الهدى أتتك رجال قطعت فدفداً وآلاً فآلا
وطوت نحوك الصحاصح طراً لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهناء يقصر الطرف عنها أرقلتها قلاصنا إرقالا
وطوتها الجياد تجمح فيها بكماة كأنجم تتلالا
تبتغى دفع بؤس يوم عبوس أوجل القلب ذكره ثم هالا

(١) سقط من الظاهرية (ودعاه إليه) والاستدراك من الأحمدية.
(٢) فى الظاهرية (صوال) وهو تصحيف، والمراد الضالة من الإبل مما يحمى نفسه ويقدر على الإبعاد فى طلب المرعى والماء. على ما فى (النهاية لابن الأثير).
(٣) فى الظاهرية (أفنتبلع) وهو تصحيف.

وقدم (وفد بنى حنيفة) ومعهم مسيلمة الكذاب .

قال ابن إسحاق : حدثنى شيخ من أهل اليمامة أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا : يارسول الله إنا خلفنا صاحبنا فى رحالنا وركابنا يحفظها لنا ، قال فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر للقوم فجاءوه بعطائه وانصرفوا ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب لهم ، وقال إنى قد أشركت فى الأمر معه . ثم جعل يسجع لهم ويقول فيما يقول لهم مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى . وأحل لهم الخمر والزنى ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان صاحب نيروجات[١] ويقال إنه أول من أدخل البيضة فى القارورة ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص .

(قدوم زيد الخيل بن مهلهل الطائى)
فى وفد طىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طىء ، فيهم زيد الخيل[٢] وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال ﷺ (ما ذكر لى رجل بفضل ثم جاءنى إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه) ثم سماه (زيد الخير) وقطع

---

(١) النيرج : أخذ كالسحر ، وليس به ، إنما هو تشبيه وتلبيس ، وهى النيرنجيات ، على ما فى (تاج العروس للزبيدى) .
(٢) قيل له (زيد الخيل) لخمس أفراس كانت له .

له فيد[١] وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : (إن ينج زيد من حُمى المدينة) فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى بها فمات ، فلما أحس بالموت قال :

أمرتحل قومى المشارق غدوة وأترك فى بيت بفـردة منجـد
ألا رُبَّ يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهـد[٢]

فلما مات عمدت امرأة إلى ما كان من كتبه التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار ، وقال أبو عمر بن عبد البر : بل مات فى آخر خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وكان له ابنان مكنف — وبه كان يكنى — وحريث ، أسلما وصحبا النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهدا قتال الردة مع خالد رضى الله عنه .

(قدوم عدى بن حاتم رضى الله عنه)

قال ابن إسحاق : كان عدى بن حاتم[٣] يقول فيما بلغنى : ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت ملكاً فى قومى لما كان يصنع بى ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى وكان راعياً لإبلى لا أبالك أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سماناً ،

(١) فيد : نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة .
(٢) فى عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس ٢/٣٧ (يزهد) عوض (يجهد) المثبتة فى النسختين والروض الأنف وتاريخ الطبرى . فلعل ما فى عيون الأثر من تصحيف السمع .
(٣) حديث إسلامه أخرجه الإمام الترمذى .

فاحبسها قريباً منى ، فإذا سمعت بجيش محمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل .

ثم إنه أتانى ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعاً إذا غشيك محمد فاصنعه الآن فإنى والله قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال فقلت(١) : فقرب لى أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام، وخلفت بنتاً لحاتم بالحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفنى(٢) خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأصابت ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طىء(٣)] .

وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام ، قال فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة(٤) فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علىّ منّ الله عليك ، قال : (من وافدك) قالت : عدى بن حاتم ، قال: (الفار من الله ورسوله) ثم مضى وتركها حتى كان من الغد مر بها [فقالت له مثل ذلك(٥)] وقال مثل ما قال لها بالأمس .

حتى إذا كان بعد الغد مر بها فأشار إليها رجل من خلفه أن قومى فكلميه

---

(١) أقحم فى النص هنا (قرب لى) وهى دخيلة ، على ما فى عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢ / ٢٣٨ .

(٢) أى جاءت من خلفى .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية وعيون الأثر .

(٤) أى عاقلة .

(٥) ما بين المعقفين مستدرك من (عيون الأثر ٢ / ٢٣٨) .

قالت فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد(١) فامنن على من الله عليك .

فقال رسول الله ﷺ : (قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون ثقة حتى يبلغك إلى بلادك) فسألت عن الرجل الذى أشار إليها أن كلميه فقيل هو على بن أبى طالب ، فأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة(٢) ، قالت : وإنما أريد أن أجىء(٣) أخى بالشام ، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكسانى رسول الله ﷺ وحملنى وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا ، قال فقلت : ابنة حاتم ، قال فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسجلت(٤) تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والديك عورتك! قلت أى أخية لاتقولى إلا خيراً ، فوالله ما لى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمة — ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت ، قال قلت والله إن هذا هو الرأى .

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه فقال :

(١) وفى رواية (الرافد) على ما فى عيون الأثر ٢ / ٢٣٩ .

(٢) فى (الإيناس بعلم الأنساب للوزير بن المغربى ٢٤) : فى قضاعة : بلى ابن عمرو بن الحارث بن قضاعة .

(٣) فى الأحمدية (آتى) عوض (أجىء) .

(٤) يعنى انطلقت .

(من الرجل ؟) قلت عدى بن حاتم ، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بى إلى بيته ، فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها قال قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ، قال ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إلى فقال (اجلس على هذه) قال قلت : بل أنت فاجلس عليها ، قال : (بل أنت) فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، قال قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك .

قال ثم قال : (إيه يا عدى بن حاتم لعلك إنما يمنعك من الدخول [فى هذا الدين(١)] ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية(٢) على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم) .

قال فأسلمت ، قال فكان عدى يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل(٣) قد فتحت عليهم وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج هذا البيت ، والله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

---

(١) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

(٢) بينهما وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، على ما فى (معجم البلدان لياقوت الحموى) .

(٣) بالعراق .

(قدوم فروة بن مسيك المرادى)

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ، ولما توجه إلى رسول الله ﷺ قال :

لما رأيت ملوكَ كِندةَ أعرضت كالرِّجل خان الرجل عرقُ نَسَائها
قربت راحلتى أروم(١) محمداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها

فأسلم هو وقومه ، فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومَذحِج(٢) كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

(قدوم عمرو بن معد يكرب)
فى أناس من زبيد

وقدم عمرو فأسلم ، وكان قد قال لقيس بن مكشوح(٣) المرادى وقيس ابن أخته : يا قيس إنك سيد قومك ، وقد ذكروا لنا أن رجلاً من قريش يقال له « محمد » قد خرج بالحجاز يقال إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه، فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وصدقه وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمرا ، فقال عمرو فى ذلك شعراً ، منه :

---

(١) هذا ما فى النسختين، وفى عيون الأثر للحافظ ابن سيدالناس: (أؤم)
(٢) فى النسختين (مدحج) وهو تصحيف .
(٣) فى النسختين (مكسوح) وهو تصحيف .

أعاذل عُدتى يزنى(١) وسيفى وكل مُقلّص(٢) سلس القيادِ
أعاذل إنما أفنى شبابى إجابتى الصريخ إلى المنادى(٣)
مع الأبطال حتى سُل جسمى وأقرح عاتقى حملُ النجادِ
ويبقى بعد حلم القوم حلمى ويفنى قبلَ زاد القوم زادى
تمنى أن يلاقينى قيسٌ وددت وأينما منى ودادى
فمن ذا عاذرى من ذى سفاه يرود بنفسه شر المراد
أريد حياته(٤) ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

فأجابه قيس يقول :

فلو لاقيتنى لاقيت قرناً وودعت الحبائب بالسلام
لعلك موعدى ببنى زبيد وما قامعت من تلك اللثام
ومثلك قد قرنت له يديه إلى اللحيين يمشى فى الحطام

وأسلم قيس بعد ذلك ، وله ذكر فى الصحابة ، وقيل كان إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان شجاعاً فارساً شاعراً .

(قدوم الأشعث بن قيس الكندى)

وقدم الأشعث بن قيس الكندى فى ثمانين راكباً من كندة ،

---

(١) اليزنى : الرمح المنسوب إلى ذى يزن . على ما فى (الإفصاح للأستاذين عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى) . وفى معجم الشعراء للمرزبانى (بدنى ورمحى) والبدن : الدرع .
(٢) يعنى الجواد .
(٣) فى معجم الشعراء (ركوبى فى الصريخ إلى المنادى) .
(٤) فى معجم الشعراء وغيره (حباءه) .

فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا ، عليهم جبب الحبرة قد كففوها(١) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : (ألم تسلموا ؟) قالوا بلى ، قال : (فما بال هذا الحرير فى أعناقكم) قال فشقوه منها ، فألقوه وقالوا : يارسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو(٢) أمنا ولا ننتفى من أبينا) .

آكل المرار : الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية(٣) بن كندة أكل هو وأصحابه فى غزاة غزاها شجراً يقال له المرار ، وللنبى ﷺ جدة من كندة مذكورة وهى أم كلاب بن مرة ، فذلك أراد الأشعث .

وكان الأشعث رئيساً مطاعاً فى الجاهلية وجيهاً فى قومه فى الإسلام .

وقدم (صرد بن عبد الله الأزدى) على رسول الله ﷺ فى وفد من الأزد ، فأمره على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، [فخرج حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن(٤)] ، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم قريباً من شهر وامتنعوا فيها ، فرجع عنهم صرد ، حتى إذا قفل ظن أهل جرش أنه(٥) إنما ولى عنهم

(١) المكفف بالحرير هو الذى عمل على ذيله وأكمامه وجيبه كفاف من حرير ، وفى النسختين (كفكفوها) .

(٢) أى لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات ، أو (لا نتهمها) .

(٣) فى النسختين (معاذ) عوض (معاوية) والتصحيح من جمهرة أنساب العرب للحافظ ابن حزم الظاهرى .

(٤) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية .

(٥) (أنه) مستدركة من (نهاية الأرب ١٨ / ٩٧) .

منهزما ، فخرجوا فى طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا ، وأسلم باقيهم .

وقدم على رسول الله ﷺ (كتاب ملوك حمير بإسلامهم) .

وقدم (وفد همدان) : منهم مالك بن نمط ، ومالك بن أيفع ، وضمام ابن مالك ، وعميرة بن مالك ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك ، وعليهم الحبرات اليمانية والعمائم العدنية على الرواحل المهرية(١) ، ومالك ابن نمط يرتجز ويقول :

إليك جاوزن سواد الريفِ   فى هبوات الصيف والخريفِ
مخطمات بحبال الليف

وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً ، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه ، وأمر عليهم مالك بن نمط ، وأمره بقتال من يليه من المشركين ، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، وكان مالك بن نمط شاعراً محسناً فقال :

ذكرتُ رسولَ الله فى فحمة الدجى   ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص قلائص تعتلى   بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة   تمر بنا مر الهجفّ الخفيدد(٢)

---

(١) منسوبة إلى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاعة .

(٢) هنا فى حاشية الظاهرية : الهجف : الظليم وهو ذكر النعام . والخفيدد : الطويل الساقين من الظلمان وفى حاشية الأحمدية موجز هذا الشرح ، وفى النسختين (الحفندد) وفى الشرح المثبت فى الحاشيتين (الحفندد) ومعناه لا يتسق مع النص ، فهو إذاً تصحيف .

حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد(١)
وأعطى إذا ما طالب الرفد(٢) جاءه ... وأمضى بحد المشرفى المهند

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد تجيب) وهم من السكون ، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم ، فسر رسول الله ﷺ بهم وأكرمهم ، فقالوا : يا رسول الله سقنا إليك حق الله تعالى فى أموالنا ، فقال لهم :(ردوها فاقسموها فى فقرائكم) قالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا ، فقال أبو بكر : يارسول الله ماوفد علينا من العرب مثلما وفد به هذا الحى من تجيب ، فقال رسول الله ﷺ : (إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان) .

وسألوا رسول الله ﷺ أشياء ، فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ، فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبة وأمر بلالا أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً ولم يطلبوا اللبث ، فقيل لهم : ما يعجلكم ؟ قالوا نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه(٣) وما رد علينا .

ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يودعونه ، فأرسل إليهم بلالا فأجازهم

(١) فى عيون الأثر (أشد على أعدائه من محمد) ومثله فى روض الحافظ السهيلى .

(٢) فى الروض الأنف وعيون الأثر (العرف) بدل (الرفد) .

(٣) فى النسختين (وكلامه إيانا) والتصحيح من عيون الأثر .

بأرفع ما كان يجيز به الوفود ، قال : (هل بقى منكم أحد ؟) قالوا : غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنا ، قال : (أرسلوه إلينا) .

فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام : انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه فإنا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه ، فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى ، قال : (وما حاجتك ؟) قال : إن حاجتى ليست كحوائج أصحابى وإنهم كانوا قدموا راغبين فى الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم ، وإنى والله ما أعملنى من بلادى إلا أن تسأل الله تعالى عز وجل أن يغفر لى وأن يرحمنى وأن يجعل غناى فى قلبى .

فقال رسول الله ﷺ وأقبل إلى الغلام : (اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه) ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم .

ثم وافوا رسول الله ﷺ فى الموسم بمنى ، فقال رسول الله ﷺ : (ما فعل الغلام الذى أتانى معكم) ؟ قالوا : يا رسول الله والله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله تعالى ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها ، فقال رسول الله ﷺ : (الحمد لله) وعاش الغلام على أفضل حال وأزهده فى الدنيا وأقنعه بما رزق .

فلما توفى رسول الله ﷺ ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام فى قومه فذكرهم الله تعالى والإسلام ، فلم يرجع منهم أحد ، وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيد(١) يوصيه به خيرا

(١) فى الظاهرية (بن أبيه) عوض (بن لبيد) والتصحيح من الاحمدية و (عيون الاثر ٢ / ٢٤٨) .

وقدم (وفد بنى ثعلبة) .

وقدم (وفد بنى سعد هذيم) من قضاعة وأسلموا جميعهم ، فأجازهم وأجزل لهم .

وقدم (وفد بنى فزارة) بضعة عشر رجلا، فيهم خارجة بن حصن والحر ابن قيس بن حصن مقرين بالإسلام وهم مسنتون[١] على ركاب عجاف[٢] ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا وغرث[٣] عيالنا فادع لنا ربك يغثنا واشفع لنا .

فقال رسول الله ﷺ : (سبحان الله) وصعد المنبر وتكلم بكلمات ، وكان لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء إلا رفع الاستسقاء[٤] ، فرفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ، وكان مما حفظ من دعائه : (اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مريعا مربعا[٥] طبقا[٦]

(١) أى مجدبين أصابتهم السنة ، وهى القحط .
(٢) أى مهزولة .
(٣) أى جاع . فى النسختين (عزت) وهو تصحيف .
(٤) نفى لرفع خاص ، وهو الرفع بظهر الكفين ، كما فى صحيح مسلم وسنن أبى داود ، وأما فى سائر الدعاء فقد كان يرفع بطونهما، على ما فى هامش (عيون الأثر فى المغازى والسير ٢ / ٢٤٩) .

(٥) أى عاماً يغنى عن الارتياد والنجعة ، فالناس يربعون حيث شاءوا أى يقيمون ولا يحتاجون إلى الانتقال فى طلب الكلأ . أو يكون من : أربع الغيث إذا أنبت الربيع ، على ما فى (النهاية لمجد الدين بن الأثير) .
(٦) أى مالئاً للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق أى عام واسع ، كما فى (النهاية) . وفى النسختين (مطبقا) وهو تحريف صححته من عيون الأثر وتاريخ الإسلام للذهبى .

واسعاً عجلا غير آجل نافعاً غير ضار ، اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذاباً ولا هدماً ولا غرقاً ولا محقا ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء) .

فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى [فقال : يا رسول الله التمر فى المرابد ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة(١)] عرياناً يسد ثعلب مربده(٢) بإزاره ، قالوا : لا والله ما فى السماء سحاب ولا قزعة غيم ، وما بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فوالله ما رأوا الشمس سبتا ، وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه ، قال فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر ودعا ورفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه وقال : (اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) قال : فانجابت السحاب عن المدينة انجياب الثوب .

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد بنى أسد) عشرة رهط ، فيهم وابصة(٣) ابن معبد وطليحة بن خويلد ، ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد مع أصحابه فسلما وتكلموا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا نشهد أن الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ، ونحن لمن وراءنا .

---

(١) ما بين المعقفين استدركته من (عيون الأثر ٢/٢٥٠) فلعله ساقط من النسختين أو هو سهو من المؤلف .

(٢) المربد : موضع يجفف فيه التمر . وثعلبه : ثقبه الذى يسيل منه ماء المطر على ما فى (النهاية) .

(٣) فى الظاهرية (وابضة) وهو تصحيف .

قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين[١] ﴾ وكان مما سألوا رسول الله ﷺ عنه يومئذ العيافة والزجر والكهانة وضرب الحصى[٢] ، فنهاهم عن ذلك كله ، فقالوا : يا رسول الله إن هذه أمور كنا نفعلها في الجاهلية أرأيت خصلة بقيت ؟ قال : (ما هي) قالوا : الخط ، قال : (علمه نبي من الأنبياء فمن صادف مثل علمه علم) .

وقدم على رسول الله ﷺ (وفد بني عذرة) فقال رسول الله ﷺ : (من القوم ؟) فقال متكلمهم : من لا تنكر ، نحن بنو عذرة ، قال رسول الله ﷺ : (مرحباً بكم ما أعرفني بكم) فأسلموا ، وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام ، ونهاهم عن سؤال الكاهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها ، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية ، وأقاموا أياماً ثم رحلوا ، وقد أجيزوا .

وفيها أرسل (فروة بن عمرو الجذامي) ثم النُّفاثي[٣] رسولاً إلى النبي ﷺ بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

(٢) العيافة : تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر لمعرفة الفار من الناس والضال من الحيوان . والزجر للطير وغيرها التيمن بسنوحها والتشاؤم ببروحها ، فما تيامن منها سموه سانحاً ، وما تياسر سموه بارحاً . والكهانة هي ادعاء علم الغيب . والكاهن يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى . والكهانة مختصة بالامور المستقبلة ، والعرافة بالامور الماضية ، على ما في (بلوغ الارب للآلوسي) وغيره

(٣) نسبة إلى بطن من كنانة ، وهم بنو نفاثة بن عدي بن الدئل ، كما في اللباب وتاج العروس والاشتقاق .

العرب، وكان منزله معان من أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه وحبسوه فقال فى محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهناً[١] فشجانى[٢] والروم بين الباب والقروان[٣]
صد الخيال وساءه ما قد رأى وهممت أن أغفى وقد أبكانى
لا تكحلين العين بعدى إثمداً سلمى ولا تدنن للإتيان

فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها[٤] على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل[٥]
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة[٦] أطرافها بالمناجل

فلما قدموه ليصلبوه قال :

بلغ سراة المسلمين بأننى سلم لربى أعظمى ومقامى

فضربوا عنقه وصلبوه.

وتتابعت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم، وفشا الإسلام فى القبائل .

---

(١) نحو نصف الليل .
(٢) فى المراجع المشهورة (أصحابى) عوض (فشجانى) .
(٣) فى النسختين (والقربان) والتصحيح من نهاية الارب والروض الانف وغيرهما، والقروان : حويض تسقى منه الدواب، على ما فى الروض الأنف .
(٤) فى الأحمدية (خليلها) وهو تصحيف .
(٥) يريد باحدى الرواحل الخشبة التى صلب عليها .
(٦) فى النسختين (مشدبة) وهو تصحيف .

(ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم)
أمراءه على الصدقات

فبعث المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى حَضْرَمَوْت، على صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم الطائي على صدقات طيء وأسد[١]، وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني[٢] حنظلة، وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بني[٢] سعد بن زيد مناة ابن تميم، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود.

* * *

(١) في (جوامع السيرة لابن حزم ٢٥) · ولى عدى بن حاتم على صدقات بني أسد.

(٢) سقط من النسخ (بني) في الموضعين، فاستدركتها من جوامع السيرة ٢٥.

(ذكر حجة الوداع)

وخرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس بقين من ذى القعدة لا يذكر الناس إلا الحج ، فلما كان بسرف[1] أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى ، وكان رسول الله ﷺ قد ساق الهدى وناس معه ، وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد لقيه محرماً فقال له رسول الله ﷺ : (حل كما حل أصحابك) فقال له : إنى قد أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ ، فبقى على إحرامه ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنه وعن على رضى الله عنه .

وحج رسول الله ﷺ بالناس وأراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم ، وحج معه من الصحابة مائة ألف أو يزيدون ، حتى حج من لم يره قبلها ولا بعدها ، ونالوا بذلك نصيباً من الصحبة .

وخطب خطبته التى بين للناس فيها ما بيّن ، وكان الذى يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس .

وقال بعد حمد الله : (أيها الناس اسمعوا قولى فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموسم[2] أبدا . أيها الناس إن دماكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا) . وهى خطبة طويلة .

وقال حين وقف بعرفة : (هذا الموقف - للجبل الذى هو عليه - وكل عرفة موقف[3]) وقال بالمزدلفة : (هذا الموقف وكل مزدلفة موقف[4]) ولما نحر بمنى قال : (هذا المنحر وكل منى منحر) .

(١) بفتح السين وكسرها الراء ، موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة وتسعة و . . .

(٢) هنا فى النسختين فوق (الموسم) (الموقف) .

(٣) إلا بطن عرنة . (٤) إلا بطن محسر .

وقضى رسول الله ﷺ الحج، وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ[١] وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها، وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم، ورجع إلى المدينة، فلما رآها كبر ثلاث مرات وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون. صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[٢]).

(ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه)

قال الواقدي: جميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة[٣] وقيل ست وعشرون وقيل سبع وعشرون.

فمن قال ستاً وعشرين جعل غزاة خيبر ووادي القرى واحدة، لأنه لم يرجع من خيبر إلى منزله.

ومن فرق بينهما وجعل غزواته سبعاً وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة.

وأول غزوة غزاها (ودان)، وهي الأبواء. ثم بواط بناحية رضوى[٤].

---

(١) (وحجة البلاغ) ساقطة من الظاهرية، فاستدركها من الأحمدية وتاريخ الطبري ٣ / ١٥٢

(٢) هنا في حاشية الأحمدية: (بلغ قراءة).

(٣) في (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) أنها تسع عشرة كما ورد في النص. وفي (جوامع السيرة لابن حزم ١٦): غزا صلوات الله وسلامه عليه خمساً وعشرين غزوة.

(٤) من جبال تهامة، وهو من ينبع على يوم، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة، على ما في (كتاب أسماء جبال تهامة لعرام بن الأصبغ السلمي).

ثم العشيرة . ثم بدر الأولى لطلب كرز بن جابر . ثم بدر الكبرى التى قتل فيها قريشا . ثم غزوة بنى سليم . ثم غزوة السويق . ثم غزوة غطفان(١) . ثم غزوة بُحران(٢) من الحجاز . ثم غزوة أحد . ثم غزوة حمراء الأسد . ثم غزوة بنى النضير . ثم غزوة ذات الرقاع . ثم غزوة بدر الآخرة . ثم غزوة دومة الجندل . ثم غزوة الخندق ، ثم غزة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان من هذيل . ثم غزوة ذى قرد . ثم غزوة بنى المصطلق . ثم عمرة الحديبية . ثم غزوة خيبر . ثم عمرة القضاء . ثم غزوة فتح مكة . ثم غزوة حنين . ثم غزوة الطائف . ثم غزوة تبوك .

قاتل منها فى تسع غزوات : بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف(٣) .

واختلف فى عدد سراياه ، فقيل : كانت خمساً وثلاثين ما بين سرية وبعث ، وقيل ثمانياً وأربعين .

---

(١) هى غزوة ذى أمر .

(٢) فى النسختين (بنجران) وهو وهم .

(٣) غزا رسول الله غزواته للذب عن حوزة المسلمين وخضداً لشوكة أذى المشركين . فقد كان دأبهم بعد الهجرة تأليب العرب وإغراءهم بمناوأة المسلمين وكانوا يجدون من خداع المنافقين وكيد اليهود ما وسع أطماع أعداء الدين بانحلال عراه وانفضاض من حوله قبل أن يبلغ منتهاه، فأطلع الله رسوله على ذلك ، وأمره بالانتصار للدين . وقد أظهر الله من نصر المسلمين مع قلتهم ما كان من معجزات هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم . فلما فتحت مكة تسارع العرب إلى الدخول فى دين الإسلام أفواجا، وبدل الله بالعذب ما كان من دينهم أجاجا . وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها ، وجعل بينهم أخوة ما كانوا من قبل يدرون لها كنها . على ما فى (قصة المولد للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٣) .

وفى هذه السنة (قدم جرير بن عبدالله البجلى) فى رمضان مسلما ، فبعثه رسول الله ﷺ إلى ذى الخَلَصَة(١) فهدمها ، وكانت من حجر أبيض بتبالة ، وهو صنم بجيلة وخثعم وأزد السراة(٢) .

وفيها أسلم ذاذان باليمن ، وبعث بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ذكر عدد حجج النبى صلى الله عليه وسلم)

قال جابر : حج النبى ﷺ حجتين : حجة قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر ، معها عمرة . وقال ابن عمر : اعتمر رسول الله ﷺ : ثلاث عمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها : أربع عمر (٣).

---

(١) محركة وبضمتين : صنم كان لبجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مر بن أد وبنى هلال بن عامر ، وكان بين مكة واليمن . قال ابن الكلبى فى (كتاب الأصنام ٣٤) كان ذو الخلصة مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكان سدنتها بنى أمامة من باهلة بن أعصر ...

(٢) فى النسختين (الشراة) وهو وهم صححته من تاج العروس للسيد الزبيدى . والسراة أعظم جبال العرب ، تمتد من اليمن حتى أطراف بوادى الشام . كما فى تاج العروس وكتاب أسماء جبال تهامة لعرام السلمى تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) فى (جوامع السيرة لابن حزم ١٥) : إعتمر بعد الهجرة عمرتين مفردتين ، قصد لهما وأتمهما : إحداهما عمرة القضية قصد لها من المدينة سنة سبع ، فأتمها فى ذى القعدة . والأخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان إثر وقعة حنين فى ذى القعدة أيضاً . واعتمر عمرة ثالثة قرنها مع حجته ، قصد لهما من المدينة ، أهل بهما فى ذى القعدة ، وأتمهما فى ذى الحجة .

(ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم[١]) وأسمائه وخاتم النبوة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضخم الرأس واللحية ، شثن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس ، مشرباً وجهه حمرة ، طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ تكفياً كأنما ينحط من صبب — وهو الحدور[٢] — لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ ، وكان أدعج العين ، سبط الشعر ، سهل الخدين ، ذا وفرة ، كأن عنقه إبريق فضة ، إذا التفت التفت جميعا .

وفي رواية أنه كان فخماً مفخما ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر ، أقصر من المشذب وأطول من المربوع ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، لا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، أزهر اللون[٣] ، واسع الجبين ، أزج الحاجبين ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، سهل الخدين ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً متماسكا ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط على الثديين والبطن

---

(١) قال سيدى جسوس في شرح الشمائل : معرفة صفاته ونعوته هي وسيلة إلى امتلاء القلب بتعظيمه ، وتعظيمه وسيلة إلى تعظيم الشريعة ، وتعظيم الشريعة وسيلة إلى العمل بها . ومعرفتها تتضمن معرفة حسنه وإحسانه ، وذلك وسيلة إلى محبته . ومحبته هي روح الإيمان الذي هو أصل كل سعادة وسيادة .

(٢) أو (الانحدار) كما في (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٢ / ٣٠٥) .

(٣) أي أبيض يعلوه إشراق . . . على ما قاله جسوس .

وما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمناكب وأعالى الصدر ، طويل الزندين ، سائر الأصابع ، شثن الكفين والقدمين ، سبط العظام ، خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ﷺ .

وقال الحسن بن على رضى الله عنهما فى صفته : حدثنا ابن خالى هند بن أبى هالة عن صفة النبى ﷺ ، وفيها : أزج الحاجبين سوابغ من غير قرن بينهما ، كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، إذا زال زال تقلعا ، ويخطو تكفؤاً ، ويمشى هوناً ، ذريع المشية(١) ، إذامشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لى منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم ، فصلا لا فضول(٢) فيه ولا تقصير ، دمثاً ليس بالجافى ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لايذم شيئاً ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشىء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

فسألته عن مجلسه وما كان يصنع فيه ، قال : كان رسول الله ﷺ

---

(١) أى واسع الخطوات . عن سيدنا أبى هريرة ، قال : ما رأيت أحداً أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث ، أى إن سرعته لم تكن بتكلف . على ما قاله سيدى جسوس وثبت اليوم أن النشاط فى السير يمنع تصلب الشرايين .

(٢) فى الظاهرية (فصول) وهو تصحيف .

لا يجلس ولايقوم إلا على ذكر ، ولا يوطن الأماكن ، وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لايحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، مَن جالسه أو قاومه لحاجة صابره [1] حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لاترفع فيه الأصوات ولا تُؤبَنُ فيه الحُرَم [2] ، يتعاطفون بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته ﷺ فى جلسائه ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب

---

(١) أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم كانت كلها تنبع من فطرته بنسب متفقة متساوية : فصبره مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه ، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته ، ورحمته مثل مروءته، وهكذا لا تجد له خلقاً فى موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على خلق آخر فى موضعه منها . ومن هنا كان جماع أمره عند قومه (الأمين) وهذا اسم يمثل التكافؤ الخلقى أصدق تمثيل . هذا التكافؤ الخلقى فى وجوده الواقعى فى شخصية محمد ﷺ يوشك أن يكون معجزة الحياة فى الإنسان ، لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية من كان هذا التكافؤ الخلقى خليقته العامة سوى محمد ﷺ وإذا ذكر التاريخ غيره من النماذج العليا ذكره عنواناً لتبريز جزئى فى بعض الأخلاق والفضائل : فهذا مثل مضروب فى الصبر ، وذلك فى الحلم ، وثالث فى الكرم، ورابع فى الشجاعة وهكذا تتفرق النهايات فى الأخلاق والفضائل فى نماذج متعـــددة ، ولكنها تجتمع متكافئة فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا سر الإعجاز الإنسانى فى حياته صلى الله عليه وسلم . من (كتاب محمد : من نبعته إلى بعثته للأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون) .

(٢) أى لا يذكرن بقبيح .

ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى ، قد ترك نفسه من ثلاث : الريا والإكثار ومالا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، ويضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون ، ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ، ويقول : (إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا تطلبوا الثناء إلا من مكافىء) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام .

فصل

(فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله)

شثن الكفين والقدمين : يعنى أنهما إلى الغلظ (١) ، وقوله ضخم الكراديس : يعنى ألواح الأكتاف ، والمسربة : الشعر ما بين اللبة والسرة . والصبب : الانحدار . والدعج فى العين ، السواد . والمشذب : أى البائن الطول فى نحافة . والحاجب الأزج : المقوس الطويل الوافر الشعر . والأقنى : السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم : الطويل قصبة الأنف . والشنب : رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها . والفلج : فرق ما بين الثنايا . ومتماسك :

(١) يعنى أنه ضخم الكفين والقدمين ، صلى الله عليه وسلم . وعبر عن ذلك الحافظ الأديب ابن سيد الناس فقال : (شثن الكفين والقدمين : لحيمهما) على ما فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والسير ٢ / ٣٢٧) وعبر عن ذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله : غير قصير اليدين ولا الأصابع، على ما فى (قصة المولد ٣٩ من طبعة تونس) .

يعنى معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا . وسواء البطن والصدر : يعنى مستويهما . ومسيح القدمين : أى أملسهما . والتقلع : رفع الرجل بقوة . والتكفؤ : الميل إلى سنن المشى وقصده . والهون : الرفق والوقار . وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه : أى لسعة فه ، والعرب تمتدح بهذا وتذم صغر الفم . وأشاح : مال وانقبض . وحب الغمام : البرد . وقوله لا يوطن المواطن : أى لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوما ، وقد ورد نهيه عن هذا .

(ذكر نبذة من معجزاته[1])
صلى الله عليه وسلم

وإن كان أكثر ما نورده ها هنا قد سبق إيراده لكن مفرقا ، والغرض الآن ذكره مجموعا :

فمن ذلك القرآن وهو أعظمها[2] .

---

(١) قال الإمام الماوردى : المعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه فى ادعاء نبوته .

(٢) كان العربى يسمع الآيات من القرآن فتملك قلبه وتمسك لبه حتى تقوده إلى الإسلام كما فعلت بسيدنا عمر ، أو تحمله على الإقرار بعظمته وغريب تأثيره ولو بقى على كفره كما صنع الوليد .

القرآن أحاط بالمثل العليا ، فكان كتاب علم ... وهو كتاب عقائد ... وهو كتاب تشريع ... وهو كتاب تاريخ ... القرآن هو الذى يحوى الدستور الكامل للحياة الفردية والجماعية ، الجسدية والروحية ، ولحياة المجتمع المالية والاجتماعية والأخلاقية والحكومية ... القرآن يدور على وصل الإنسان الفانى بالله الباقى بتوحيده وتذكره ، وتجنب إشراك غيره فى الألوهية أو توجيه العبادة

وشق الصدر[١] ، وإخباره عن بيت المقدس . وانشقاق القمر ، وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله ، فخرج عليهم ، فخفضوا أبصارهم ، فأقبل حتى قام

=إلى سواه ، وعلى وصل هذه الحياة الفانية بالحياة الآخرة الباقية ، بالإيمان بها والاستعداد لها ، والعمل على ما ينفع فيها .

القرآن يلم بكل ما يحتاج إليه الإنسان من أدوات توصله إلى الكمال الممكن فى الفكر والجسد والعاطفة والخلق الكريم ، يوجها بأسلوب هو الغاية فى التأثير فتصل به إلى منطقة اللاشعور — أى العقل الباطن — حتى إذا استقرت فيها ظهر أثرها فى فكر الإنسان وعاطفته وسلوكه ومجموع أعماله لذلك بدل الإسلام العرب ، حتى ولدوا به فى التاريخ ولادة أخرى وخذوا مثالا على ذلك سيدنا عمر وتصوروا ماذا بلغ لما أسلم ، وماذا كان لو لم يسلم .

ما فرط القرآن فى شىء ، ولكن ليس معنى هذا أن فيه حل تمرينات الحساب فى دفتر التلميذ وإعراب أبيات الاختبار فى كتاب القواعد وبيان عدد جبال البرازيل وطول أنهار فرنسا ، القرآن لا يقدم إليك صندوق التفاح بل يعطيك الأرض والخبرة التى تملك بها شجرة التفاح ، ولا يذكر لك قوانين الفيزياء بل يمنحك العقل ويرشدك إلى استعماله فى معرفة قوانين الفيزياء . القرآن يدعو للتدبر والتفكر وإعمال العقل فى فهم آيات القرآن وفى معرفة أسرار الأكوان ... (من مقال ممتع للأستاذ على الطنطاوى فى مجلة الوعى الإسلامى - العدد ١١٢) .

(١) قال الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون فى مؤلفه (محمد من نبعته إلى بعثته صلى الله عليه وسلم) : شق الصدر حادث كونى ومعجزة عجيبة وقعت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاءتنا بها الروايات الصحيحة الثابتة ، ولم يتخذ منها النبى صلى الله عليه وسلم آية التحدى والبرهنة على صدق رسالته كغيرها من المعجزات الكونية والخوارق العجيبة قبل البعثة أو بعدها ... وعلى الذين يؤرخون لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكتبون فى سيرته أن يجعلوا نصب أعينهم أنه نبى من أنبياء الله ورسول من رسل الله ، وأن عظمته فى نبوته ورسالته لا فى عبقريته وبطولته ، فهو بالنبوة والرسالة قد سما على العبقرية والبطولة .

على رءوسهم فقبض قبضة من تراب وقال: (شاهت الوجوه) وحصبهم فما أصاب رجلا منهم شيء من ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر.

ورمى يوم حنين بقبضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعالى. ونسج العنكبوت عليه فى الغار. وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ تبعه فساخت قوائم فرسه فى الأرض الجلدة(١).

ومسح على ظهر عناق(٢) ولم ينز عليها الفحل فدرت. وقصة شاة أم معبد، ودعوته لعمر أن يعز الله به الإسلام. ودعوته لعلى أن يذهب الله عنه الحر والبرد، وتفل فى عينيه وهو أرمد فعوفى من ساعته ولم يرمد بعد ذلك. ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده، فكانت أحسن عينيه.

ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه فى الدين، ودعا لجمل جابر بن عبد الله، فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقا. ودعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد، ودعا فى تمر جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقا(٣).

واستسقى عليه الصلاة والسلام فمطروا أسبوعا، ثم استصحى لهم فانجابت السحاب.

ودعا على عتبة بن أبى لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام. وشهدت

(١) أى الصلبة.

(٢) هى الأنثى من أولاد المعز ما لم تتم سنة، كما فى (النهاية لابن الأثير الجزرى).

(٣) الوسق ستون صاعا. والصاع: أربعة أمداد. والمد: مختلف فيه.

الشجرة له بالرسالة فى خبر الأعرابى الذى دعاه إلى الإسلام ، فقال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : (نعم هذه الشجرة) ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها ، فشهدت أنه كما قال ، ثلاثا ، ثم رجعت إلى منبتها .

وأمر شجرتين فاجتمعتا ثم افترقتا . وأمر أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقول لهن : أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن ، فاجتمعن ، فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعدن . ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه ، فلما استيقظ ذكرت له فقال : (هى شجرة استأذنت ربها فى أن تسلم علىّ فأذن لها) .

وسلم عليه الحجر والشجر ليالى بعث : السلام عليك يارسول الله . وقال : (إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن أبعث(١)) .

وحن إليه الجذع(٢) . وسبح الحصى فى كفه . وسبح الطعام بين

(١) قال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله : مجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من الخوارق شىء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة على . وإن كانت أفراد ذلك ظنية ووردت مورد الآحاد ، مع أن كثيراً منها قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الغفير ، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك (فتح البارى ٦ / ٥٨٢ طبع المطبعة السلفية) .

(٢) روى البيهقى بسنده إلى عمرو بن سواد السرحى قال : سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول : ما أعطى الله تعالى نبياً قط شيئاً إلا وقد أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم أكثر . قال عمرو : فقلت له : قد أعطى الله عيسى عليه السلام أكثر منه : أن يحيي الموتى . قال الشافعى : فالجذع الذى كان يخطب إلى جنبه قبل أن يجعل له المنبر حين حن إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يعنى فهو أكثر من ذلك على ما فى (مناقب الشافعى ١ / ٤٢٦) .

قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) : ورد حديث حنين الجذع عن =

أصابعه . وأعلمته الشاة بسمها . وشكا إليه البعير قلة العلف وكثرة العمل . وسألته الظبية أن يخلصها من الحبل ، لترضع ولديها ، نخلصها ، وعادت ونطقت بالشهادتين .

وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر ، فلم يعد أحد منهم مصرعه(١) . وأخبر أن طائفة من أمته يغزون فى البحر وأن أم حرام بنت ملحان منهم ، فكان كذلك .

وقال لعثمان بن عفان (تصيبه بلوى شديدة) فأصابته وقتل . وقال للأنصار : (إنكم ستلقون أثرة) فكان زمن معاوية . وقال فى الحسن : (إن ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فصالح معاوية وحقن دماء الفئتين من المسلمين . وأخبر بقتل الأسود العنسى الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وبمن قتله . وقال لثابت بن قيس : (تعيش حميداً وتقتل شهيداً) فقتل يوم اليمامة .

وارتد رجل ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات فقال : (إن الأرض لاتقبله) فكان كذلك . وقال لرجل يأكل بشماله : (كل بيمينك) فقال : لا أستطيع فقال : (لا استطعت) فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد . ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة ، وبيده قضيب ، فجعل يشير إليها ويقول :

= جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان .

وقال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) أيضاً : قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، وعنهم أعداد من التابعين ، ثم من بعدهم آخرون عنهم لا يمكن تواطؤهم على الكذب فهو مقطوع به فى الجملة .

(١) وفى غزوة مؤتة رفع الله له الأرض فرأى معتركهم وما وقع لسيدنا زيد ابن حارثة وسيدنا جعفر بن أبى طالب وسيدنا عبد الله بن رواحة .

(جاء الحق وزهق الباطل) وهي تتساقط(١) . وخبر سواد بن قارب ومازن ابن الغضوبة ، وأمثالها كثير . وشهد الضب بنبوته . وأطعم ألفاً من صاع شعير بالخندق فشبعوا ، والطعام أكثر مما كان، وأطعمهم من تمر يسير لم يملأ كفيه . وجمع فضل الأزواد على النطع(٢) فدعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر ، فقامت بهم .

---

(١) غضبت قريش أن جفا أصنامها ووفى بعهد إلهه وذمامه

صدق الأستاذ أحمد محرم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان على الفطرة ، يكره الأصنام منذ طفولته ، وينهى غيره عن مسها ، ففي (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٢ / ٤٢) : بالسند إلى أسامة بن زيد عن أبيه قال : كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة ، يتمسح المشركون به إذا طافوا . فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تمسه) قال زيد : فطفنا فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم تنه) . قال الحافظ الناقد الذهبي : هذا حديث حسن ، وقد زاد فيه بعضهم عن محمد بن عمرو بإسناده : قال زيد : فو الله ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أنزل عليه .

فما ورد في أخبار مكة للأزرقي من أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بمحو جميع الصور التي كانت في الكعبة إلا صورة عيسى وأمه هو باطل قطعاً لأن بقاء الصورة في المسجد منكر ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقر منكراً . وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، وأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام فقال : (قاتلهم الله لقد علموا ما استقاما بها قط) . أنظر مقال الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين رضي الله عنه في مجلة الهداية الإسلامية (الجزء الثاني من المجلد الثاني عشر) .

(٢) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم ، كما في (القاموس المحيط للفيروزابادي رحمه الله) .

وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفهن فى يده وقال : ادع لى فيهن بالبركة ، ففعل ، قال أبو هريرة : فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً فى سبيل الله ، وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع فى زمن عثمان . ودعا أهل الصفة لقصعة ثريد ، قال أبو هريرة : فجعلت أتطاول ليدعونى ، حتى قام القوم وليس فى القصعة إلا اليسير فى نواحيها فجمعه رسول الله ﷺ فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال : (كل بسم الله) فوالذى نفسى بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت .

ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضئوا(١) ، وهم ألف وأربعمائة . وأتى بقدح فيه ماء فوضع أصابعه فى القدح فلم يسع ، فوضع أربعة منها وقال : (هلموا) فتوضئوا أجمعين ، وهم من السبعين إلى الثمانين .

وورد فى غزوة تبوك على ماء لايروى واحداً والقوم عطاش فشكوا إليه ، فأخذ سهماً من كنانته وأمر بغرسه فيه ، ففار الماء وارتوى القوم ، وكانوا ثلاثين ألفا . وشكا إليه قوم ملوحة مائهم ، فجاء فى نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفل فيها(٢) ، فتفجر بالماء العذب المعين(٣) وأتته امرأة بصبى لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه .

وانكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر ، فأعطاه جذلا من حطب فصار فى يده سيفاً ، ولم يزل بعد ذلك عنده . وكذلك وقع لعبد الله بن جحش

---

(١) قال القرطبى : قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى .

(٢) فى النسخ (فيه) وهو وهم ، لأنها مؤنثة .

(٣) هو من قولهم : معن الماء : جرى فهو معين . وقيل الماء العذب الغزير . كما فى (مفردات القرآن للراغب الأصفهانى) و (لسان العرب لابن منظور) .

يوم أحد . وعزت كدية(١) بالخندق عن أن يأخذها المعول ، فضربها فصارت كثيباً أهيل .

ومسح على رجل أبي رافع — وقد انكسرت — فكأنه لم يشكها قط .

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يجمعها كتاب أو يحصرها ديوان(٢) .

---

(١) فى النسختين (كدنة) وهو تصحيف صححته من (لسان العرب) .

(٢) قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله فى كتابه (نظرة عابرة - ٤٨) يا نفاة المعجزات الحسية لا تضنوا على فخر الرسل — صلوات الله وسلامه عليه وعليهم — بمعجزات أثبتها القرآن لسائر الأنبياء ، وقد أجاد ابن كثير فى تاريخه سرد المعجزات الثابتة لفخر المرسلين مما ثبت مثله للأنبياء قبله ، وتبيين أنه ما أوتى نبى قبله معجزة إلا وأعطى مثلها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وقد نص أهل العلم على ما تواتر منها مباشرة وما تواتر القدر المشترك فيه فقط .

وقال الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون فى مؤلفه (محمد من نبعته إلى بعثته صلى الله عليه وسلم) :

وليس بلازم أن تكون المعجزات مقرونة بالتحدى ، بل من المعجزات ما يجب أن يكون مقروناً ، وذلك ما جعله الله برهاناً على صدق مدعى الرسالة كالقرآن الكريم بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعصا بالنسبة لموسى ، وإحياء الموتى بالنسبة لعيسى عليهما السلام ، ومنها ما يكون لمحض التكريم والتشريف سابقاً للنبوة فى زمانها ، والعمدة فيه اتفاقه مع القسم الأول فى خرق العادة ومخالفة مجرى سنن الحياة المتكررة المعهودة كتظليل الغمامة وشق الصدر وتسبيح الحصى وتكثير القليل مما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته أو بعدها . ولم يتحد به ولم يتخذه برهاناً على صدقه . وإنما جعله الله له تكريماً لمقامه وتشريفاً لقدره .

(ذكر أولاده)
صلى الله عليه وسلم

قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من ولد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة : القاسم ، وبه كان يكنى ، ثم ولدت زينب ثم رقية ثم فاطمة(١) ثم أم كلثوم ، ثم ولد له فى الإسلام عبد الله فسمى الطيب الطاهر . وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد ، فكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم مات عبد الله بمكة، وقيل الطيب والطاهر ابنان سواه(٢) ، وقيل كان له الطاهر والمطهر ، ولدا فى بطن ، وقيل كان له الطيب والمطيب ولدا أيضاً فى بطن ، وقيل إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه .

ثم ولدت له ﷺ مارية بنت شمعون القبطية إبراهيم .

(ذكر أعمامه وعماته)
صلى الله عليه وسلم

أبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وأم حكيم ، وعاتكة ، وبرة ، وأروى ، وأميمة ، وأمهم فاطمة(٣) بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم . وحمزة، والمقوم، وحجل - واسمه المغيرة — وصفية، والعوام — وأمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ — والعباس ، وضرار — وأمهما نتيلة بنت جناب ابن كلب من النمر بن قاسط —والحارث — وهو أكبر ولد عبدالمطلب — وشقيقه قثم — وأمهما صفية بنت جندب — وأبو لهب عبد العزى — وأمه

---

(١) كانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه ، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها غيرها ، على ما فى (البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٥ / ٣٠٧) .

(٢) يقال : إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله . على ما فى (البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٥ / ٣٠٨) .

(٣) هنا فى الظاهرية زيادة (بنت فاطمة) وهى مقحمة دخيلة .

لبنى بنت هاجر(١) من خزاعة – والغيداق(٢) – واسمه مصعب وقيل نوفل – ولقب الغيداق(٢) لجوده – وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك من خزاعة .

فأعمامه اثنا عشر ، وعماته ست .

ولم يسلم من أعمامه إلا حمزة والعباس .

وأما العمات فإسلام صفية معروف ، وفى أروى خلاف ، وكذلك اختلاف فى إسلام عاتكة(٣) .

(ذكر أزواجه وسراريّه)
صلى الله عليه وسلم

روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما تزوجت شيئاً من نسائى ولا زوجت شيئاً من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى تعالى) .

فأول من تزوج ﷺ خديجة – وقد تقدم ذكرها – ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ، وأصدقها أربعمائة درهم – وأمها الشموس

(١) بكسر الجيم ، وفى النسختين (مهاجر) والمثبت من (ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى لمحب الدين الطبرى ١٧٢) و (الروض الأنف للسهيلى) .

(٢) فى الظاهرية (الغيداف) وفى الأحمدية (الغيذاق) وكلاهما تصحيف والتصحيح من (صفة الصفوة للحافظ ابن الجوزى رحمه الله) .

(٣) والمشهور عندهم أن عاتكة لم تسلم ، وهى صاحبة الرؤيا يوم بدر ، على ما فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير للحافظ ابن سيد الناس ٢ / ٢٩٢) . وفى (الطبقات الكبرى لابن سعد) : أسلمت عاتكة بمكة وهاجرت إلى المدينة .

بنت قيس – وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود(١) أخي سهل وسهيل وحاطب ، ولكلهم صحبة ، وهاجر بها السكران إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم رجع بها إلى مكة فمات عنها . فلما حلت تزوجها ﷺ .

ثم (عائشة(٢) بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما) وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، تزوج بها وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع وقبض عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وفضائلها جمة ومناقبها كثيرة . قال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً . وقال هشام بن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة وفيها يقول حسان بن ثابت يمتدحها ويعتذر إليها :

حصان رَزان ما تُزَنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل(٣)
عقيلة أصل(٤) من لؤى بن غالب كرام(٥) المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خِيمها(٦) وطهرها من كل بغى وباطل
فان كان ما قد قيل عنى قلته فلا رَفَعَتْ سوطى إلىّ أناملى

(١) هو ابن عمها ، على ما فى (جوامع السيرة لابن حزم ٢٢) .
(٢) فى تاريخ الطبرى ٣ / ١٦١) : قال أبو جعفر : لا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم بنى بسودة قبل عائشة .
(٣) يعنى أنها لا ترتع فى أعراض الناس .
(٤) أى كريمة أصل .
(٥) فى النسختين (كريم) والمثبت هو من المصادر الكثيرة المشهورة كعيون الأثر وغيرها وديوان سيدنا حسان .
(٦) بكسر الخاء : أى طبيعتها وسجيتها .

وكيف وودى ما حييت ونصرتى   لآل رسول الله زين المحافل

ثم (حفصة بنت عمر بن الخطاب) وأمها قدامة(١) بنت مظعون ، وهى شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه ، وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمى ، توفى عنها من جراحة أصابته ببدر ، فتزوجها رسول الله ﷺ فى شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وكان عمر قد عرضها على أبى بكر قبل أن يتزوجها النبى ﷺ ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك ، ثم عرضها على عثمان بن عفان حين ماتت رقية فقال : ما أريد أن أتزوج اليوم .

فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال رسول الله ﷺ : (يتزوج حفصة خير من عثمان ويتزوج عثمان خيراً من حفصة) ثم تزوج عليه السلام حفصة وزوج ابنته أم كلثوم عثمان وطلق عليه السلام حفصة تطليقة ثم راجعها ، وذلك أن جبريل عليه السلام نزل عليه وقال له : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة(٢) .

ثم (زينب بنت خزيمة) بن الحارث بن عبد الله ، كانت تدعى أم المساكين لرأفتها بهم ، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ،

---

(١) هكذا فى النسختين وعيون الأثر ، وورد (زينب) عوض (قدامة) فى بعض المراجع كنهاية الأرب للنويرى والطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) وكانت حفصة إلى جانب تدينها الوحيدة بين نساء النبى التى تعرف القراءة والكتابة ، واختيرت حفصة لتحفظ المصحف الشريف بعد نسخه بعد وفاة والدها سيدنا عمر ، وبقى عندها إلى أن أخذه سيدنا عثمان لما أمر بكتابة نسخ المصاحف ، ثم رده إليها فظل عندها حتى ماتت (أنظر مجموعة أمهات المؤمنين بإشراف الأستاذ محمد رانق) .

فطلقهافتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر شهيداً كما ذكرنا، فتزوجها رسول الله ﷺ على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة، ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة ، ودفنت بالبقيع .

ولم يمت من أزواجه فى حياته إلا هى وخديجة رضى الله عنهما ، وفى ريحانة خلاف ، وقيل إن زينب كانت(١) قبل النبى ﷺ عند عبد الله ابن جحش .

ثم (أم سلمة) واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وهما أول من هاجر إلى الحبشة ، شهد أبو سلمة بدراً وأحدا ، ورمى بها بسهم فى عضده فمكث شهراً يداويه ، ثم برأ الجرح فبعثه رسول الله ﷺ وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار إلى قطن وهو جبل بناحية فيد ، فغاب تسعاً وعشرين ليلة ، ثم رجع إلى المدينة فانتقض جرحه فمات منه ، وذلك سنة أربع، فاعتدت أم سلمة وتزوجها رسول الله ﷺ(٢) . وأمها عاتكة ابنة عامر بن ربيعة بن مالك .

[(٣) ثم زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر(٤) بن صبرة بن مرة

---

(١) فى الظاهرية (توفيت) عوض (كانت) وهو وهم .

(٢) تزوج صلى الله عليه وسلم أرملة قائده الذى استشهد فى سبيل الله ، وعانت معه ما عانت فى الهجرة إلى الحبشة وفى الهجرة إلى المدينة .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحمدية ، وهو موافق لما فى المصادر المشهورة .

(٤) سقط (بن يعمر) فاستدركتها من الطبقات الكبرى لابن سعد وتاريخ الطبرى . وفى النسخ والمراجع (رياب) والتصويب من تاج العروس .

ابن كبير(١) بن غنم بن دودان(٢) بن أسد بن خزيمة ، وكان اسمها برة فسماها زينب . وأمها أميمة ابنة عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، كانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه ، وطلقها ، فلما حلت زوجها الله تعالى إياه من السماء ، وأولم عليها وأطعم المساكين خبزاً ولحما . وفيها نزلت آية الحجاب ، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار ، وهى أول نسائه لحوقاً به رضى الله عنها .

ثم (جويرية بنت الحارث) بن أبى ضرار بن حبيب(٣) بن عائذ(٤)

---

(١) فى نسخة (كثير) وهو تصحيف ، صححته من جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، ونهاية الأرب للنويرى حيث قال : (كبير بالباء الموحدة) .

(٢) فى الأحمدية (ذودان) وهو تصحيف ، صححته من جمهرة الأنساب .

والغريب فى زواج النبى بزينب بنت جحش ما أدخله المغفلون من دسائس الشهوة والحب الرخيص ، فتزوجها بعد ما طلقت ، وهذا خبط هائل ! فمن كان يمنع النبى من الزواج بها وهى من قريباته ، وهو الذى ساقها إلى رجل وطيب خاطرها لترضى به ، أفبعد أن زوجها لغـــيره يطمع فيها ! وكان زواجه بها امتحاناً قاسياً ، أمره الله به لإبطال تقليد شائع عند العرب . كذا فى (فقه السيرة للأستاذ الغزالى) .

وقال الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه (إلى الشباب — فى الدين والحياء) المرأة فى نظر الإسلام لها مجالها الذى تعمل فيه وتحسن العمل : فعملها فى بيتها لتربية أولادها ، وتهيئة البيت للإقامة وإعداد الطعام مثل عمل الرجل فى ميدانه خارج البيت ، كل له ميدان عمل .. بل إن الإسلام يحب المرأة التى تعمل كل ما تستطيع لمعاونة زوجها فى تأمين المعيشة لهم ولأولادهم بصنعة تتقنها وبيع ما تصنعــه . فأم المؤمنين زينب بنت جحش كانت تعمــل فى دبغ الجلود وتنفق ما تأخذه فى سبيل الله .

(٣) هـكذا فى النسختين ، ومثله فى عيون الأثر وغيرها . ولـكن فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم (بن أبى ضرار — واسمه حبيب —) .

(٤) فى الأحمدية (عائذ) .

ابن مالك بن جذيمة(١) وهو المصطلق ، سباها يوم المريسيع فى غزوة بنى المصطلق . وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس ، كاتبها على تسع أواقى فأدى عليه السلام عنها كتابتها وتزوجها ، وقيل منّ عليها وتزوجها . وكان اسمها برة فسماها جويرية(٢) . وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلقى ، وكانت جميلة ، قالت عائشة : كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يراها أحد إلا وقعت بنفسه ، وعندما تزوجها عليه السلام قال الناس : صهر رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما فى أيديهم من سبايا بنى المصطلق ، قالت عائشة : فلا نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها منها .

ولأبيها الحارث بن أبى(٣) ضرار صحبة ، وكان قد قدم فى فداء ابلته جويرية بأباعر ، فاستحسن منها بعيرين فخبيهما بالعقيق فى شعب ، ولم يعترف بهما لرسول الله ﷺ ، فأخبره النبى ﷺ عنهما فقال : والله لم يطلع على ذلك أحد ، أشهد أنك رسول الله ، وأسلم .

ثم (ريحانة بنت زيد) بن عمرو بن خنافة بن شمعون من

---

(١) فى الظاهريه (خزيمة) وهو تصحيف ، صححته من (جمهرة أنساب العرب لابن حزم) .

(٢) كره أن يقال : خرج من عند برة ، على ما فى (الطبقات الكبرى لابن سعد) .

وكانت جويرية هذه بنت زعيم بنى المصطلق ، وقد انتهت حربه مع المسلمين بالهزيمة ، وكادت قبيلته تذل عقب ذلك ، فواسى النبى صلى الله عليه وسلم القائد المهزوم وأصهر إليه ليشعر المسلمين بما ينبغى لأتباعه من كرامة ومعونة ، وقد عادت الحرية إلى القبيلة إذ تحرج المسلمون أن يسيئوا إلى قوم تزوج النبى ابنتهم . كما فى (فقه السيرة للأستاذ الغزالى) .

(٣) سقط من الظاهرية (أبى) والتصحيح من الأحمدية والمصادر المشهورة .

بنى النضير(١) وبعضهم يقول : من بنى قريظة(٢) وكانت متزوجة رجلا فيهم يقال له الحكم ، وكانت جميلة وسيمة ، وقعت فى سبى بنى قريظة ، فخيرها رسول الله ﷺ بين الإسلام(٣)[ودينها ، فاختارت الإسلام] فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ، وأعرس بها فى المحرم سنة ست ، وضرب عليها الحجاب ، فغارت غيرة شديدة فطلقها تطليقة ، فأكثرت البكاء ، فدخل عليها وهى على تلك الحالة فراجعها ، فلم تزل عنده حتى توفيت مرجعه من حجة الوداع .

ثم (أم حبيبة) رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، أمها صفية بنت أبى العاص بن أمية ، كانت عمة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية ، فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى ، وتنصر عبيد الله هناك ، وبقيت هى على الإسلام وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فزوجه إياها ، والذى عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار ، وجهزها من عنده ، كل ذلك(٤) فى سنة سبع ، وقد قيل فى اسمها هند .

ثم (صفية بنت حيى) بن أخطب بن سَحْنية(٥) بن ثعلبة بن عبيد بن كعب

---

(١) فى الأحدية (النظير) وهو تحريف .
(٢) فى الأحدية (قريضة) وهو تحريف .
(٣) ما بين المعقفين سقط من الظاهرية ، فاستدركته من الأحدية .
(٤) فى الظاهرية (كذلك) عوض (كل ذلك) التى فى الأحدية ، وهى الموافقة لما فى المراجع المشهورة .
(٥) فى الظاهرية (شعبة) وفى الأحدية (شعيـــة) وكلاهما تصحيف ، صححته من نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ١٨٦ .

ابن الخزرج بن أبي حبيب بن نحوم[١] ، من سبط هارون بن عمران ، كان أبوها سيد بنى النضير فقتل مع بنى قريظة . وأمها برة بنت سموءل أخت رفاعة ابن سموءل القرظى ، وكانت عند سلام بن مِشْكَم ، ثم خلف عليها كنانة ابن الربيع، فقتل عنها يوم خيبر، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة . وأولم عليها بتمر وسويق .

ويروى أن رسول الله ﷺ دخل على صفية وهى تبكى فقال لها : (ما يبكيك) ؟ قالت : بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان : نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه ، قال : (ألا قلت لهن كيف تكن خيراً منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد ﷺ) ؟ وكانت صفية حليمة عاقلة فاضلة رضى الله عنها .

ثم (ميمونة بنت الحارث) بن حَزْن بن بُجَير بن الهُزَم بن عامر بن صعصعة ، وكان اسمها برة فسماها ميمونة . زوجه إياها العباس عمه ، وهى أخت لبابة زوجة العباس . وأمها هند بنت عوف بن زهير الحميرية . وكانت ميمونة فى الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفى ، ففارقها وخلف عليها أبو رُهْم[٢] بن عبد العزى بن أبى قيس ، فتوفى عنها فتزوجها رسول الله ﷺ فى شوال سنة سبع ، وقال ابن شهاب : هى التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال السهيلى : لما جاءها الخاطب وكانت على بعير رمت نفسها من على البعير وقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هكذا فى (نهاية الأرب للنويرى) والذى فى النسختين (النحام) .
(٢) فى الأحدية (زهم) وهو تصحيف ، على ما فى نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ١٩٠ .

فهؤلاء نساؤه المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة ومات عليه السلام عن تسع منهن(١) .

قال الحافظ الدمياطى : وأما من لم يدخل بها ومن وهبت نفسها له ومن خطبها ولم يتفق تزويجها فثلاثون امرأة على اختلاف فى بعضهن ، والله أعلم .

قال أبو عمر رضى الله عنه : ولنذكر من تيسر منهن على سبيل الاختصار :

فمنهن : أسماء بنت الصلت السلمية .

وأسماء بنت النعمان بن الجون ، من كندة .

وأسماء بنت كعب الجونية ، وقيل إنها والتى قبلها واحدة .

وجمرة(٢) بنت الحارث الغطفانى ، خطبها عليه السلام لأبيها ، فقال إن بها سوءاً ، ولم يكن ، فرجع فرآها قد برصت .

أميمة(٣) بنت شراحيل . لما ذكر فى صحيح البخارى .

وحبيبة بنت سهل الأنصارية .

وخولة بنت الهذيل بن هبيرة التغلبية .

---

(١) قد يقول بعضهم : كيف وقع هذا ؟ أليس هو فتحاً لدواعى الملذة ! قال الشيخ محمد الغزالى فى (فقه السيرة) : أين مكان المتعة فى حياة رجل لم يسترح يوماً من عناء الكفاح الموصول والجهاد المضنى . وأين مكان المتعة فى حياة رجل عزف عنها وهو شاب فكيف يغرق فيها وهو شيخ . لقد بنى ببعضهن لسياسة الأفراد والجماعات ولما كلف بتحقيقه من إقامة الخير ومحو الضر .

(٢) فى الأحمدية (حمزة) وفى الظاهرية (محـــرزة) والتصحيح من نهاية الأرب للنويرى .

(٣) فى الظاهرية (أمية) والتصحيح من الأحمدية ونهاية الأرب للنويرى .

وخولة بنت حكيم السلمية كانت امرأة صالحة ، يقال هى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ .

وأسماء(١) بنت الصلت تزوجها ثم طلقها، وقيل ماتت قبل أن تدخل عليه وقيل إنها لما علمت أنه تزوجها ماتت من الفرح .

وسودة القرشية ، كانت مُصْبِية(٢) ، خطبها عليه السلام فاعتذرت ببنيها — وكانوا ستة ، فقال لها خيراً .

وشراف بنت خليفة أخت دحية الكلبى ، تزوجها فماتت قبل دخوله بها .

وصفية بنت بشامة بن نضلة أخت الأعور بن بشامة، أصابها سباء فخيرها رسول الله ﷺ فقال : (إن شئت أنا وإن شئت زوجك) فأرسلها ، فلعنتها بنو تميم .

والعالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، تزوجها عليه السلام ، وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها . قاله أبو عمر ، وقال : قلَّ من ذكرها .

وعمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية ، تزوجها فبلغه أن بها برصاً فطلقها ولم يدخل بها ، وقيل هى التى تعوذت منه فقال لها : (لقد عذت بمعاذ) فطلقها وأمر أسامة فمتعها بثلاثة أثواب .

وعمرة بنت معاوية الكندية . ذكرها ابن الأثير .

---

(١) هكذا فى الظاهرية (أسماء) وهو موافق لما فى نهاية الأرب للنويرى ، وفى الأحدية (سناء) وهو موافق لما فى (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى ٢ / ٤١٦) . وقال النويرى فى موضع آخر : قيل (سناء بنت الصلت) قال أبو عمر : وهو الصواب .

(٢) أى ذات صبيان ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

وأم شريك العامرية ، يقال إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد قيل ذلك في جماعة سواها .

وأم شريك بنت جابر الغفارية ، ذكرها أحمد بن صالح في أزواج النبي ﷺ .

وفاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، وهي أم هانىء، خطبها عليه السلام من عمه أبي طالب ، وخطبها هبيرة بن أبي وهب فزوجها هبيرة(١) .

وفاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية ، تزوجها وخيرها حين نزلت آية التخيير، فاختارت الدنيا، ففارقها، فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول : أنا الشقية اخترت الدنيا ، وقيل هي المستعيذة منه .

وفاطمة بنت شريح . ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ .

وقتيلة(٢) بنت قيس بن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس ، تزوجها قبل موته بيسير، ولم تكن قدمت عليه ولا رآها، وأوصى أن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وحرمت على المؤمنين ، وإن شاءت طلقت ونكحت من شاءت ، فاختارت النكاح ، فتزوجها بعد عكرمة بن أبي جهل .

وليلى بنت الخطيم أخت قيس الأنصارية ، عرضت نفسها على النبي ﷺ فتزوجها ، ثم رجعت فقالت أقلني ، فقال : (قد فعلت) .

ومليكة بنت داود . ذكرها ابن حبيب .

---

(١) وقال أبو طالب (يابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم ، والكريم يكافىء الكريم) على ما في نهاية الأرب للنويري ١٨ / ٢٠٤ .

(٢) في الظاهرية (قبيلة) وهو تصحيف ، على ما في (تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي ٢ / ٤١٥) .

ومليكة بنت كعب الليثى تزوجها ، وقيل دخل بها ، وقيل لم يدخل .

وهند بنت يزيد بن البرصاء . ذكرها أبو عبيدة(١) فى أزواج النبى ﷺ وقال أحمد بن صالح : هى عمرة بنت يزيد .

(وأما سراريه)

فكن أربعاً : مارية بنت شمعون القبطية أم ولده إبراهيم . وريحانة بنت يزيد النضيرية(٢) وقد سبق ذكرها . وقال أبو عبيدة كان له أربع : مارية وريحانة وأخرى جميلة أصابها فى السبى ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش .

(ذكر خدم رسول الله ﷺ)

أنس بن مالك الأنصارى ، وهند وأسماء ابنا الحارثة الأسلميان ، وربيعة ابن كعب الأسلمى .

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه صاحب نعليه ، وكان إذا قام ألبسه إياهما ، وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم .

وكان عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته ، يقود به فى الأسفار .

وأسلع بن شريك صاحب راحلته . وبلال بن رباح المؤذن وسعد مولى أبى بكر الصديق . وأبو الحمراء ، قيل اسمه هلال بن الحارث ، وقيل

---

(١) نقل المؤلف آنفا عن أبى عبيدة ، فحرف فى النسختين إلى (أبى عبيد) والتصحيح من (الإصابة للحافظ ابن حجر) .

(٢) فى الظاهرية (النظرية) وفى الأحمدية (النظيرية) وكلاهما تحريف .

ابن ظفر . وذو مخمر(١) ابن أخي النجاشي ويقال ابن أخته ، ويقال ذو مخبر . وبكير بن شداخ الليثي . وأبو ذر الغفاري . وأربد بن حمير . والأسود ابن مالك الأسدي اليماني . وأخوه الحِدْرِجان(٢) بن مالك وجزء ابن الحِدْرِجان . ذكرهم ابن منده . وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري . وسالم مولاه . وسابق . ذكره أبو عمر . ومهاجر مولى أم سلمة . ونعيم بن ربيعة بن كعب .

(ذكر موالي رسول الله ﷺ)

زيد بن حارثة ، وابنه أسامة ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسلم بن عبيد ، وأبو رافع واسمه أسلم ، وأبو رافع أيضاً والد البهي بن أبي رافع ، وأبو أثيلة واسمه راشد ، حجازي ، وأبو كبشة واسمه سليم شهد بدرا ، وأنسة ويكنى أبا مُسَرّح(٣) ، وثوبان ويكنى أبا عبد الله ، وشُقران واسمه صالح ، ورباح أسود كان يأذن على النبي ﷺ ويسار نوبي ، وفضالة وأبو السمح(٤) ، وأبو مويهبة ورافع ، وأفلح ، ومابور ، ومدعم أسود ، وكركرة ، كان على ثقل(٥) النبي ﷺ ، وزيد جد بلال بن يسار بن زيد ، وعبيد ، وطهمان ، وكيسان وذكوان ، ومروان ، وواقد ، وأبو واقد ، وسندر ، وهشام(٦) ، وحنين ،

---

(١) في النسختين (ذو مخمر) والتصحيح من نهاية الأرب للنويري وعيون الأثر والبداية والنهاية لابن كثير .

(٢) في النسختين (الخدرحان) وهو تصحيف صححته من عيون الأثر وتاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي رحمه الله .

(٣) في الظاهرية (أبا سرح) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ الطبري ٣ / ١٧١ .

(٤) اسمه إياد ، وهو مشهور بكنيته ، كما في (الوافي بالوفيات ٩/٤٥٧) .

(٥) الثقل محركة : متاع المسافر وحشمه .

(٦) سيذكر هشام مرة أخرى .

وسعيد ، وأبو عسيب ، واسمه أحمر ، وأبو لبابة ، وأبو لقيط ، وسفينة واسمه مهران ، وأبوعبيد واسمه سعد ، وضميرة بن أبى ضميرة جد الحسين بن عبد الله ابن ضميرة[1] ، وأبو هند ، وأبو بكرة نفيع ، وأخوه نافع ، وأبو كندير سعيد وسلمان الفارسى ، وسالم ، وسابق ، وعبيد الله بن أسلم ، ونبيه ، وهشام ، وودان ، وأنجشة ، وكان حادياً وهو الذى قال له : (رفقاً بالقوارير) وباذام . ذكره النواوى .

وحاتم ذكره ابن الأثير ، وزيد بن بولا ، ودوس ، ورويفع ، وأبو ريحانة شمعون ، وعبيد بن عبد الغفار ، وغيلان ، وقفيز[2] غلام رسول الله ﷺ . ذكره عبد الغنى بن سعيد والدار قطنى فى المؤتلف والمختلف. وكريب ، ومحمد بن عبد الرحمن ، ومكحول ، ونبيل ، وهرمز ، وأبو بشير ، وأبو صفية .

ومن النساء : أم أيمن الحبشية واسمها بركة ، وسلمى أم رافع ، ومارية وريحانة ، وقد تقدم ذكرهن ، وخضرة[3] ، ورضوى ، وميمونة بنت سعد وميمونة بنت أبى عسيب[4] ، وأم ضميرة ، وأم عباس ، وأميمة مولاة النبى ﷺ ، وقيسر القبطية أهداها له المقوقس مع مارية وسيرين ، قيل

---

(١) فى الظاهرية (ضمرة) والتصحيح من الأحمدية والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير رحمه الله .

(٢) فى الظاهرية (قفير) وهو تصحيف ، صححته من الأحمدية ومن تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه للحافظ ابن حجر والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير .

(٣) فى النسختين (حضرة) وهو تصحيف صححته من نهاية الارب للنويرى والوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم للحافظ ابن الجوزى .

(٤) فى النسختين (عصيب) والتصحيح من نهاية الأرب ، والوفا للحافظ ابن الجوزى .

إنه وهبها لأبى جهم بن حذيفة، وأما سيرين فوهبها لحسان بن ثابت .

(ذكر أسمائه ﷺ)

قال ﷺ فى رواية الترمذى : (إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر [١]، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى(٢)، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى) .

وقد ذكر فى أسمائه : الرسول ، المرسل ، النبى ، الأمى، الشهيد، المصدق . النور ، المسلم ، البشير ، المبشر ، النذير ، المنـذر ، المبين ، الأمين ، العبـد ، الداعى ، السراج المنير ، الإمام ، الذكر ، المذكر ، الهادى ، المهاجر ، العامل ، المبارك ، الرحمة ، الآمر ، الناهى ، الطيب ، الكريم ، المحلل ، المحرم . الواضع ، الرافع ، المجـير [٣] ، خاتم النبيين ، ثانى اثنين ، منصور ، خـير ، مصطفى ، مأمون ، قاسم ، نقيب ، المزمل ، المدثر ، العلى ، الحكيم ، المؤمن ، الرءوف ، الرحيم ، الصاحب ، الشفيع ، المشفع ، المتوكل ، نبى التوبة ، نبى الرحمة ، نبى الملحمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم .

---

(١) المراد الكفر الذى فى بلاد العرب وفيما زوى للنبى من الأرض و، عد بأن ملك الله يبلغه ، أو أن يبقى على عمومه ويكون بمعنى الظهور والغلبة .

(٢) أى على أثرى ، وقيـل يتبعونى ، على ما فى (حاشيـة البيجورى على الشمائل المحمدية للترمذى) وشرح صحيح مسلم للنووى . وقال الأستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور : المراد به حشر الناس للحساب ، على ما فى مقال نشر فى مجلة الهداية الإسلامية ١١ / ٦ بعنوان (أسماء النبى صلى الله عليه وسلم) .

(٣) فى الظاهرية (المجـير) والصواب ما أثبتناه اعتماداً على ما فى (سـيرة مغلطاى رحمه الله) وسبل الهـــدى والرشاد فى سيرة خير العباد للمحدث محمد ابن يوسف الصالحى الشامى . وفى الأحمدية تصحفت إلى ما يشبه (المخبر) الوارد فى المصدر المذكور هنا . والمخبر : هو المبلغ عن الله .

(ذكر كتابه ﷺ)

أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعامر بن فهيرة ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وعبد الله بن الأرقم الزهرى ، وحنظلة(١) بن الربيع الأسيدى ، وأبى بن كعب — وهو أول من كتب له من الأنصار — ، وثابت بن قيس بن شماس ، وزيد بن ثابت ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعاوية ابن أبى سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن زيد ، وجهيم(٢) بن الصلت والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمى، وعمرو بن العاص وعبدالله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبى ، ومعيقيب بن أبى فاطمة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، وهو أول من كتب له من قريش ثم ارتد فنزلت فيه ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا(٣) ﴾ .

وذكر فى كتابه أيضاً : طلحة ، ويزيد بن أبى سفيان ، والأرقم بن أبى الأرقم الزهرى ، والعلاء بن عتبة ، وأبو أيوب الأنصارى ، وبريدة ابن الحصيب ، والحصين بن نمير ، وأبو مسلمة المخزومى ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، وحاطب بن عمرو .

وذكر ابن دحية فيهم رجلاً من الأنصار غير مسمى ، قال : كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ ثم تنصر ، فلما مات لم تقبله الأرض(٤) .

---

(١) لهذا سمى (حنظلة الكاتب) ، على ما فى فتوح البلدان للبلاذرى وغيره .

(٢) فى الظاهرية (جهم) والتصحيح من الأحمدية والاستيعاب للحافظ ابن عبد البر وفتوح البلدان للبلاذرى .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٢١ .

(٤) كان للنبى صلوات الله وسلامه عليه من الكتاب ما يزيد عددهم على أربعين كاتباً ، يبادر كتاب الوحى منهم إلى كتابة كل ما ينزل من الذكر الحكيم إثر نزوله بمحضر الصحابة . على ما فى كتاب (مقالات الكوثرى رحمه الله) .

(ذكر حراسه ، ومن كان يضرب الأعناق بين يديه)

حرسه يوم بدر حين نام فى العريش : سعد بن معاذ . ويوم أحد : محمد ابن مسلمة . ويوم الخندق : الزبير بن العوام ، وحرسه ليـــلة بنى بصفية : أبو أيوب الأنصارى، وبوادى القرى : بلال وسعد بن أبى وقاص وذكوان ابن عبد قيس ، وكان على حرسه عباد بن بشر .

فلما نزلت (والله يَعْصِمك من الناس(١)) ترك الحرس .

والذين كانوا يضربون بين يديه الأعنـاق : على ، والزبير ، والمقداد ، ومحمد بن مسلمة ، وعاصم بن ثابت .

و (مؤذنوه) :

بلال ، وابن أم مكتوم ، وسعد القَرَظ(٢) بن عائذ مولى عمار(٣) بن ياسر ، وأبو محذورة .

(ذكر العشرة من أصحابه ، والحواريين)
وأهل الصفة

وليس من العشرة والحواريين إلا من تقدم نسبه ، فلينظر فى موضعه .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

(٢) القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط، تجر فيه فريح فلزمه ، فأضيف إليه ، على ما فى (القاموس المحيط للفيروزابادى) . وفى تذكرة داود الأنطاكى : القرظ : حمل الشوكة المصرية المعروفة بأم غيلان والسنط ، تدبغ به الجلود .

(٣) فى الظاهرية (عباد) عوض (عمار) وهو تحريف صححته من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة(١)، والزبير(٢)، وسعد(٣)، وسعيد(٤)، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم.

وأما (الحواريون) — والحوارى الخليل وقيل الناصر وقيل الصاحب المستخلص — فكلهم من قريش، وهم: الخلفاء الأربعة، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة، والزبير رضى الله عنهم.

وأما (أصحاب الصفة) فقوم: فقراء لا منزل لهم غير المسجد، قال جا : رأيت ثلاثين رجلا من أهل الصفة يصلون خلف النبي ﷺ ليس عليهم أردية، عد منهم أبا هريرة، وأبا ذر، وواثلة بن الأسقع، وقيس

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى، يلقب بطلحة الخير، وطلحة الجود، وطلحة الفياض، وذلك لسعة عطائه وكرمه، على ما فى (الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى)

(٢) هو الزبير بن العوام القرشى الأسدى.

(٣) هو سعد بن أبى وقاص القرشى الزهرى. وكان مشتهراً بإجابة الدعوة، تخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابتها عندهم، كان جيد الرمى، كان يقول: جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم أحد. أخرجه الإمام البخارى. وقد ساقه الحافظ ابن عساكر من بضعة عشر وجها، وساق حديث ابن أبى خالد عن قيس من سبعة عشر طريقاً بألفاظها. وبمثل هذا كبر تاريخه. على ما فى (سير النبلاء للذهبى ١ / ٦٧).

(٤) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى العدوى. والعشرة هم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة وسادة هذه الأمة فى الدنيا والآخرة، (سير النبلاء ١ / ٩٥).

ابن طلحة الغفاري(١) .

(ذكر سلاحه ﷺ)

كان له سيف يقال له مأثور ورثه من أبيه . والعضب أرسله إليه سعد ابن عبادة عند خروجه إلى بدر . وذو الفقار(٢) كان في وسطه مثل فقرات الظهر ، غنمه يوم بدر . والصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وكان مشهوراً .

وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : وهم : القَلعي(٣) والبتار ، والحتف . وكان له أيضاً الرَّسوب(٤) والمخذم(٥) أصابهما مما كان على الفلس صنم طيء — والفلس بضم الفاء وسكون اللام — ، والقضيب(٦) فتلك تسعة(٧) .

---

(١) أهل الصفة كانوا تحت رعايته صلى الله عليه وسلم ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يحضهم على حفظه ومدارسته ، حتى كان لهم دوي بالقرآن في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾. وكانت الصفة مدرسة لتحفيظ القرآن وتدريس أحكامه ، لا ملجأ للعجزة فقط ، وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل منهم إلى القبائل لتعليمهم القرآن وتفقيههم في الدين ، على ما في كتاب (مقالات الكوثري عليه رحمة الله) .

(٢) بكسر الفاء : جمع فقرة . وبالفتح : جمع فقارة .

(٣) نسبة إلى برج القلعة : موضع بالبادية ، على ما في (السيرة الحلبية) .

(٤) أي يمضي في الضربة ويغيب ويستقر ويرسب فيها ، على ما في (النهاية) والسيرة الحلبية .

(٥) في الظاهرية (المحدم) وهو تصحيف . والمخذم : القاطع .

(٦) من القضب : القطع . (٧) المذكور هنا عشرة .

وكان له (درع) يقال لها ذات الفضول لطولها، أرسل إليه بها سعد ابن عبادة حين سار إلى بدر، وذات الوشاح، وذات الحواشي. ودرعان أصابهما من بني قينقاع السُّغْدية(١)، وفضة، ويقال إن السُّغدية(١) كانت درع داود عليه السلام التي لبسها لقتال جالوت. والبتراء(٢) والخِرنق. فتلك سبع.

وكان له من (القسي): الروحاء. والصفراء من نبع(٣). والبيضاء من شوحط(٤). أصابها من بني قينقاع. والزوراء، والكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها.

وكان له (جعبة) — وهي الكنانة — يجمع فيها نبله، ومِنْطَقة من أديم مبشور(٥) ثلاث حلقها وإبزيمها وطرفها فضة.

وثلاثة (أتراس): الزلوق(٦) وفتق، وأهدى له ترس عليه صورة عقاب فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال.

وكان له خمسة (أرماح): ثلاثة من بني قينقاع والمثوى والمثنى(٧).

---

(١) في الظاهرية (السعدية) ولها وجه، على ما في حاشية البيجوري على الشمائل المحمدية للإمام الترمذي.

(٢) سميت بذلك لقصرها.

(٣) شجر تتخذ منه القسي.

(٤) في النسختين (سوحط) وهو تصحيف. والشوحط: من شجر الجبال تتخذ منه القسي، على ما في القاموس المحيط والسيرة الحلبية.

(٥) أي مقشور.

(٦) يزلق عنه السلاح.

(٧) في الأحدية (المتثنى). وما في الظاهرية موافق لما في السيرة الحلبية وهو المثبت في النص.

وكان له (حربة) تسمى النبعة ذكرها السهيلي وحربة كبيرة اسمها البيضاء ، وحربة صغيرة دون الرمح شبه العكاز ، يقال لها العنزة .

وكان له (مِغْفَرَان)(١) : الموشح والسبوغ أو ذو السبوغ(٢) .

و(راية) سوداء مربعة يقال لها العقاب ، وراية بيضاء يقال لها الزينة .

وروى أبو داود فى سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم قال : رأيت راية رسول الله ﷺ صفراء . وكان مكتوباً على راياته (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وكان (فسطاطه) يسمى الكِنّ ، وكان له مِحْجَن قدر ذراع أو أكبر ، يمشى به ويركب ، ويعلقه بين يديه على بعيره(٣) .

وكان له (مِخْصرة)(٤) تسمى العرجون . وقضيب يسمى الممشوق ، من شوحط .

(وقدح) يسمى الريان ، وآخر مضبب(٥) يقدر(٦) أكثر من نصف المد، فيه

(١) المغفر ، من الغفر ، وهو الستر ، وهو زرد من حديد ينسج بقدر الرأس ، يلبس تحت القلنسوة .

(٢) وذلك لطوله .

(٣) وكان يتناول به الشيء ، وهو الذى استلم به الركن فى حجة الوداع ، على ما فى (نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ٢٩٨) .

(٤) المخصرة : ما يختصره الإنسان بيده ، فيمسكه من عصا وغيرها ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٥) أى مشعب . والإناء يصان إذا جعل له شعب من فضة أو حديد أو نحاس .

(٦) فى الظاهرية (يقل) هو تحريف ، صححته من الأحمدية وتاريخ الإسلام للذهبي .

ثلاث ضباب من فضة وحلقة ، كأنه للسفر ، وثالث من زجاج .

وكان له (تور) من حجارة يقال له المخضب ، يتوضأ فيه ، وكان له مخضب[١] من شبه[٢] تكون فيه الحناء ، وركوة تسمى الصادرة ، ومغسل من صُفر[٣] ، وربعة اسكندرانية من هدية المقوقس ، يجعل فيها مشطاً من عاج ومكحلة ومقراضاً وسواكا ومرآة .

وكانت له أربعة أزواج خفاف ، أصابها من خيبر ، ونعلان سبتيان ، وخف ساذج أسود من هدية النجاشي ، وقصعة ، وسرير ، وقطيفة .

وقد اختلفت الرواة فى صفة الخاتم فيحتمل أن تكون خواتم متعددة ، وقد كان له خاتم من فضة ، وخاتم من ذهب لبسه ثم طرحه ، وخاتم من حديد ملوى بفضة ، نقشه (محمد رسول الله) .

وكان يتبخر بالعود ويطرح معه الكافور .

وقال ابن فارس : ترك رسول الله ﷺ يوم مات ثوبى حبرة ، وإزاراً عمانياً ، وثوبين صُحاريين[٤] ، وقميصاً صحارياً وآخر سَحولياً ، وجبة يمنية ، وكساءً أبيض ، وقلانس صغاراً لاطئة ثلاثاً أو أربعاً ، وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وخميصة ، وملحفة مورسة[٥] .

وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ، وكان له ﷺ عمامة يعتم بها

---

(١) المخضب : إناء يوضع فيه الخضاب .
(٢) أى من نحاس يشبه الذهب .
(٣) الصفر : النحاس .
(٤) نسبة إلى صحار قرية باليمن ، وقيل غير ذلك .
(٥) أى مصبوغة بالورس على ما فى (حاشية الشمائل للبيجورى) .

يقال لها السحاب ، وهبها لعلى ، وعمامة سوداء . ويلبس يوم الجمعة ثوباً غير ثيابه المعتادة كل يوم . ولا يخرج يوم الجمعة إلا بعمامة يرسلها بين كتفيه ويديرها ويغرزها .

وكان له رداء مربع ، وفراش من أدم حشوه ليف ، وكساء أحمر ، وكساء من شعر ، وكساء أسود ، ومنديل يمسح به وجهه .

وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مِسْح[1] نثنيه ثنيتين ، فلما كان ذات ليلة ثنيته أربع ثنيات ليكون أوطأ ، فلما أصبح قال : (ما فرشتم لى ؟) قلنا : هو فراشك ثنيناه أربعاً ، قال : (ردوه لحالة الأولى فإنه منعتنى وطاءته صلاة الليل[2]) ذكره الترمذى فى الشمائل .

---

(١) بكسر الميم وسكون السين : كساء غليظ من شعر .

(٢) لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلق بلذائذ الدنيا . ولذلك قال : (حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ولذة النساء ولذة الطيب لذتان تفضيان إلى كمالات روحانية ، فقرب النساء فيه تكميل الملكية بتهذيب القوة الحيوانية ليصفو ما فى النفس من الكدر ، فتتغلب القوة الملكية ، لأن بين إمداد قوى الجسد وقابلية القوة الروحانية ملابسة وثيقة ، فلقاء نسائه ترويح للقوة الملكية وتهذيب للقوة البشرية . وأما الطيب فلأنه ينعش الروح ويفيض المشاعر العقلية ، فهو ملائم للملكية، لذلك كان يمتنع عن تناول البصل لأنه يناجى الملائكة .

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم قوتان : ملكية وهى الغالبة عليه، وهى قوة الروح المشبعة بالنبوة المزال منها حظوظ الشيطان ، وقوة بشرية ، وهى أضعف قوتيه . وإن شئت فقل : إن القوة الأولى هى القوة المجددة عليه بالنبوة والمتزايدة فى مراقى الرفعة . والقوة الثانية هى البقية الباقية من الفطرة التى أذابتها أشعة النبوة، فلم تبق منها إلا ما تتوقف سلامة الهيكل الإنسانى عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل رجحان قوته الملكية على قوته البشرية يمد الله تلك

وكان له قدح من عَيدان(١) يوضع تحت سريره، يبول فيه من الليل. رواه أبو داود والنسائي. وكان له سرير ينام عليه، قوائمه من ساج(٢)، بعث به إليه أسعد بن زرارة. فكان الناس بعده يحملون عليه موتاهم تبركاً به.

(ذكر خيله وبغاله وحميره وإبله)
صلى الله عليه وسلم

قيل أول فرس ملكه رسول الله ﷺ فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشرة أواق وسماه السَّكْب(٣) وأول غزاة غزا عليه غزاة أحد، وفرس لأبي بردة بن نيار اسمه ملاوح، وكان له فرس يدعى المُرْتَجِز، وهو

ــ القوة بما يكسبها تزكية وإشعاعا. وذلك بإفاضة الأنوار القدسية كل آن على الروح المحمدية، وكان مأموراً بأن يتطلب إمداداً من قبل ربه ويجاهد في تحصيله بقيام الليل وبمجاهدة النفس. وكان لأجل بشريته يتناول من شئون الحياة ما هو سبب لاستبقاء الهيكل من لازم الطعام والشراب والنوم، وهو في تناوله ذلك لا يجانب مشايعة التكميل الروحاني، فالطعام يتناول منه قليلا، فلذلك يكثر الصوم. وللذات الشريفة صلى الله عليه وسلم إمداد إلهي في حفظ مواهبها لأن المقدار الذي يستمده لها غير كاف وحده لاستبقائها، وإن الله فطر ذاته على أنها تتغذى غذاءً غير متعارف (إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) وكذلك حال نومه كان كما قال في الحديث الصحيح: (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) فالزهد في الحظوظ الدنيوية المحضة هو مقام الرسول صلى الله عليه وسلم. (من مقال في مجلة هدى الإسلام للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ عنوانه: المدد الروحاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم).

(١) بفتح العين. والعيدانة: النخلة السحوق، على ما في (حاشية الشمائل).

(٢) خشب.

(٣) في الظاهرية (السكسب) وهو سهو.

الفرس الذى شهد له به خزيمة بن ثابت ، وكان صاحبه من بنى مرة . وكان له ثلاثة أفراس: لزاز، والظَّرب ، واللُّحَيْف. فأما الزاز فأهداه له المقوقس . وأما الظرب(١) فأهداه له ابن أبى البراء . وأما اللحيف فأهداه له فروة بن عمرو(٢) الجذامى .

وكان له فرس يقال له الورد ، أهداه له تميم الدارى ، فوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحمل عليه فى سبيل الله ، ثم وجده يباع برخص فقال له : (لا تشتره) والورد : بين الكميت(٣) والأشقر . وكان له فرس يدعى سبحة، من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين فى الجرى .

وقيل كانت له أفراس غيرها : وهى الأبلق ، وذو العقال ، وذو اللمة ، والمرتجل ، والسرحان ، واليعسوب ، واليعبوب ، والبحر ، والأدهم ، والشحاء(٤) والسجل (٥) والمرواح(٦) والطرف ، والنجيب .

---

(١) هو من أشهر خيله صلى الله عليه وسلم وأعرفها ، على ما فى (تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدى) .

(٢) فى النسختين (عامر) عوض (عمرو) والتصحيح من السياق ومن تاريخ الكامل لابن الأثير .

(٣) فى الظاهرية (الكثيب) وهو تحريف ، شبه بالورد لأن لونه بين الكميت والأشقر .

(٤) فى الظاهرية (السحاء) وهو تصحيف صححته من السياق ونهاية الأرب للنويرى .

(٥) فى النسختين (السحل) وهو تصحيف ، صححته من (نهاية الأرب للنويرى ١٨ / ٢٩٩) .

(٦) فى الظاهرية (المراوج) هنا وفيما يستقبلنا ، والتصحيح من الأحمدية ونهاية الأرب للنويرى .

ذو العقال : بضم العين ، واللمة : بين الوفرة والجمة ، فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة ، فإذا زادت حتى ألمت بالمنكبين فهي لمة ، فإذا زادت فهي جمة ، والارتجال : خلط الفرس العنق بالهملجة وهما ضربان من السير . والمرواح : من الريح لسرعته . والسرحان : الذئب . واليعسوب : طائر وهو أيضاً أمير النحل ، واليعسوب : سيد قومه ، واليعسوب غرة تستطيل في وجه الفرس . واليعبوب : الفرس الجواد ، وجدول يعبوب شديد الجرى . والشحاء : من قولهم فرس بعيد الشحوة أى بعيد الخطوة .

وأما (البغال والحُمُر) : فكانت له بغلة شهباء ، يقال لها دُلْدُل ، أهداها له المُقَوْقِس ، مع حمار يقال له يعفور ، وبغلة يقال لها فضة ، أهداها له فروة بن عمرو الجذامى ، مع حمار اسمه عفير – فوهب البغلة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه – وبغلة أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة[1] وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس . وقيل : أهدى له كسرى بغلة ، ولا يثبت . وعن ابن عباس قال : أهدى النجاشى إلى رسول الله ﷺ بغلة . فهؤلاء ست[2] .

وأما (النعم) : فكانت له ناقته التى هاجر عليها ، تسمى القصواء والجدعاء والعضباء .

وأما (لقاحه[3]) فكانت له عشرون لقحة بالغابة ، وهى التى أغار عليها القوم ، يأتى لبنها أهله كل ليلة ، وكان له لقاح غزر[4] منهن الحناء[5]

---

(١) هى العقبة . (٢) المذكورة هنا سبع .

(٣) اللقحة : هى الناقة القريبة العهد بالنتاج .

(٤) فى النسختين (غرر) وهو تصحيف . والتصحيح من تاريخ الطبرى .

(٥) فى النسختين (الحسناء) والتصحيح من تاريخ الطبرى والطبقات الكبرى لابن سعد .

والسمراء والعريش(١) والسعدية والبغوم واليسيرة(٢) والريا ومهرة والشقراء.

وأما (منائحه) فكان له سبع من الغنم: عجوة، وزمزم، وسقيا، وبركة وورسة، وأطلال(٣) وأطراف.

وسبعة (أعنز) يرعاهن ابن أم أيمن.

وقيل: كان له مائة من الشاء لا يريد أن تزيد، كلما ولد الراعي بهمة ذبح مكانها شاة.

(ذكر جمل من أخلاقه)
صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم(٤)) وقالت عائشة رضي الله عنها

---

(١) في الظاهرية (القرنس) والتصحيح من الأحمدية وتاريخ الطبري والطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) في النسختين (البشيرية) وفي تاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الأثير وطبقات ابن سعد (اليسيرة).

(٣) هذه الكلمة محرفة في النسختين، والتصحيح من (نهاية الأرب للنويري) وتاريخ الطبري.

(٤) سورة القلم، الآية ٤.

قال الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الطير، في مؤلفه (هادي الأرواح) ٤٩:
كانت أخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم ذاتية ومنحة إلهية، فلم تحدث له بممارسة رياضة أو بالاقتداء بغيره، وقد استمرت الأخلاق الربانية ترد على قلبه حتى وصل منها إلى أسمى غاية. وبهذه الأخلاق الفاضلة ساس العرب، واحتمل

كان خلقه القرآن : تعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لأوامره وزواجره ، وقد قال ﷺ : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان عليه السلام أرجح الناس حلما ، وروى أنه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : (إنى لم أبعث لعاناً ولكنى بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) .

وكان ﷺ أعظم الناس عفوا ، كان لا ينتقم لنفسه . ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف بيده، فقال له عليه السلام وقد أخذالسيف من يده : (من يمنعك منى ؟) فقال : كن خير آخذ ، فتركه وعفا عنه . فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس .

وعفا عليه السلام عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها ، على الصحيح . ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ولا عبد الله بن أبى وأشباهه من المنافقين بعظم ما نقل عنهم قولا وفعلا .

وكان أسخى الناس كفا ، ما سئل شيئاً فقال : لا ، وأعطى صفوان بن أمية غنماً ملأت وادياً بين جبلين، فقال : أرى محمداً يعطى عطاءمن لا يخشى الفقر . ورد على هوازن سباياهم ، وكانت ستة آلاف .

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله . وحملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فما رد سائلاً حتى فرغ منها وذكر عن معوذ بن عفراء قال : أتيت النبى ﷺ بقناع من رطب

= جفاء طباعهم، وصبرعلى أذاهم حتى انقادوا له واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم ، وهجروا فى سبيله أوطانهم وبذلوا مهجهم وأرواحهم . وأخلاقه الشريفة يحتاج استيعابها إلى سجل كبير .

— يعنى طبقا — وقثاه فأعطانى ملء كفه حلياً وذهبا . وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ: (إذا طبخت فأكثر المرق وأطعم جيرانك) رواه مسلم .

وكان ﷺ أشجع الناس : سئل البراء أفررتم يوم حنين ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر . وفيه : فما رؤى يوم كان أشد منه . وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد(١) ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ

(١) قال مولانا الدكتور عبد الحليم محمود رضى الله عنه فى مؤلفه (القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم) :

الرسول العابد لم يتراجع فى غزوة قط، وكان الأبطال يتراجعون ، والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحيانا ، ولكنه صلوات الله عليه يثبت ثبات الجبال الراسيات ، لا يتزحزح عن موقفه ولا يزول عن مكانه . وقد ثبت فى مكانه فى غزوة أحد التى غلب فيها المسلمون ، وكان المشركون فيها يودون بكل ما استطاعوا أن يقضوا عليه ، صلوات الله عليه .

ووقف ثابتاً فى غزوة حنين ، وقد فر المسلمون على كثرتهم إذ ذاك . وكيف يمكن لأكرم رجل فى الوجود أن يفر وأن يتراجع وهو أوثق الناس بالله وبرسالته .

ولقد كان واضحاً فيه صلوات الله عليه ما يقوله سيدنا على — وهو من هو بطولة وفروسية : (كنا إذا حمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون أقربنا إلى العدو) .

وكان صلى الله عليه وسلم مع التجائه إلى الله تعالى يدعوه ويستغيث به ويستنجزه وعده بالنصر ، يحكم الأمر إحكاما ، بحيث لا يدع فيه ثغرة . هكذا كان شأنه فى كل أموره . لقد نظم الجيش فى غزوة بدر تنظيماً محكما ثم اتجه إلى الله يدعوه . وكان دائماً متفائلا ، حتى ولو كان العدو عشرة أمثال المسلمين . لقد كان المشركون فى غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين فهزمهم المسلمون بإذن الله .

=

وعن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عرى ، والسيف في عنقه وهو يقول : (لن تراعوا) وقال عمران بن حصين : ما لقى النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

وكان ﷺ أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاءً ، قال الله تعالى : ﴿ إن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم[1] ﴾ وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه — الحديث . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول (ما بال أقوام يصنعون — أو يقولون كذا) ينهى عنه ولا يسمى فاعله . وعن أنس في حديث أنه كان عليه السلام لا يواجه أحداً بما يكره .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح . وعنها أيضاً : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط . وروى عنه

= وكان انهزام المسلمين في (غزوة أحد) شذوذاً في القاعدة ، وما كان ذلك إلا لأنهم خالفوا — متأولين — أوامر الرسول ﷺ ، غير أن تفاؤله لم يفارقه لحظة ، فبعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد أمرهم مباشرة بلم شعثهم وتضميد جراحهم والاستعداد فوراً لخوض المعركة من جديد ...

هذا التفاؤل وهذه الثقة في الله لم تفارق الرسول قط في كفاحه الطويل الدائب الذى استمر إلى نهاية حياته الشريفة ...

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

أنه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد ، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره .

وكان ﷺ أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة . هذا من كلام على فى صفته عليه السلام .

وعن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فلما أراد الإنصراف قرب له سعد حماراً وطأ عليه بقطيفة ، فركب رسول الله ﷺ ثم قال سعد : يا قيس اصحب رسول الله ﷺ ، قال قيس فقال لى رسول الله ﷺ : (إما أن تركب وإما أن تنصرف) فانصرفت . وفى رواية (اركب أمامى فصاحب الدابة أولى بمقدمها) .

وعن عائشة فى حديث عنه ﷺ أنه ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : (لبيك) وقال جرير(١) : ماحجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآنى إلا تبسم .

وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ، ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر ، قال أنس رضى الله عنه : ما التقم أحد أذن النبى(٢) ﷺ فينحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه . وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ . ولم ير مقدماً ركبتيه(٣) بين يدى(٤) جليس له . وكان يبدأ من لقيه بالسلام . ويبدأ أصحابه

---

(١) هو سيدنا جرير بن عبد الله بن جابر البجلى ، على ما فى (الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر رحمه الله) .

(٢) أى جعل فمه يحاذى أذنه الشريفة للإفضاء بالسر .

(٣) فى الظاهرية (ركبته) .

(٤) سقط من الظاهرية (يدى) .

بالمصافحة، لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه. يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى.

ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم. ولا يقطع على أحد حديثه. وروى أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته.

وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب. قال عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

وأما شفقته على خلق الله تعالى ورأفته بهم ورحمته لهم فقد قال الله تعالى فيه: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم[1]﴾ وقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين[2]﴾ قال بعضهم: من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾.

ومن ذلك تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهيته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء) وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن الوصال[3] وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته. وأنه كان يسمع بكاء الصغير فيتجوز في صلاته.

ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله قد سمع قول

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨. (٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٣) في الصوم. وكان ﷺ يواصل في صومه ويبقى أياماً بدون طعام ويقول: (إني لست مثلكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني).

قومك لك وما ردوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا) وقالت عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وقال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة(١) مخافة السآمة علينا . وروى أنه عليه السلام قال : (لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

وكان ﷺ أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد : روى عن عبد الله بن أبى الحمساء قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتية بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو فى مكانه فقال : (يا فتى لقد شققت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك) رواه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال : (اذهبوا بها إلى بيت فلانة إنها كانت صديقة لخديجة ، [إنها كانت تحب خديجة](٢). ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : (إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) .

ووفد وفد النجاشى فقام النبي ﷺ فقال أصحابه : نكفيك، قال : (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن أكافئهم) .

ولما جىء بأخته من الرضاعة الشيماء من سبى هوازن بسط لها رداءه وخيرها بين المقام عنده أو التوجه إلى أهلها ، فاختارت قومها فمتعها .

---

(١) فى (النهاية) : أى يتعهدنا . وقال أبوعمرو : الصواب يتحولنا ـ بالحاء أى يطلب الحال التى ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا. وفى (القاموس) تحوله بالموعظة : توخى الحال التى ينشط فيها لقبولها ورد هذا فى (القاموس) فى (حول) لا فى (خال) . ومثله فى (لسان العرب) .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من الظاهرية .

وكان ﷺ أشد الناس تواضعاً على علو منصبه ، فمن ذلك أن الله تعالى خيره بين أن يكون نبياً ملكا أو نبياً عبدا ، فاختار أن يكون نبياً عبداً . فقال له إسرافيل عند ذلك : فإن الله تعالى قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع .

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له فقال : (لا تقوموا لى كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا) وقال : (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) .

وكان يركب الحمار ، ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه حيث انتهى به المجلس ، وقال لامرأة أتته فى حاجة : (اجلسى يا أم فلان فى أى طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضى حاجتك) فجلست وجلس .

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة(١) فيجيب ، وحج على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم ، وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة .

وكان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم . وكان فى بيته فى مهنة أهله يفلى ثوبه . ويحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، ويقم البيت ، ويعقل البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

وعن أنس : إن كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها .

وكان ﷺ يسمى (الأمين) قبل النبوة لما عرفوا من أمانته وعدله .

(١) الاهالة : كل ما يؤتدم به ، وقيل ما أذيب من الألية والشحم ، وقيل : الدسم الجامد . والسنخة : المتغيرة .

وعن الربيع بن خثيم(١) قال كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام . وقال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر .

وفي الحديث : ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها .
وقال : (ويحك فمن يعدل إن لم أعدل) .

وكان ﷺ أوقر الناس في مجلسه ، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه . وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحض عليها . ومن مروءته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشراب ، والأكل مما يلي ، والأمر بالسواك ، وإنقاء البراجم والرواجب(٢) واستعمال خصال الفطرة .

وأما زهده في هذه الدنيا وعبادته وخوفه ربه عز وجل فقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله . وكان يدعو : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُر حتى مضى لسبيله . وفي رواية : من خبز شعير يومين متواليين .

وفي رواية عائشة : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، قالت : ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير

---

(١) في الظاهرية (خيثم) أنظر خلاصة الخزرجي وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر .

(٢) البراجم : هي العقد التي في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخ، الواحدة برجمة بالضم . والرواجب : هي ما بين عقد الأصابع من داخل، واحدها راجبة على ما في (النهاية لابن الأثير رحمه الله) .

فى رق لى ، وقال لى : (إنه عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يارب(١) بل أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك) . وقال ابن عباس كان النبى ﷺ يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء ، وكان يقول : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) .

وفى حديث المغيرة بن شعبة : صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه . وقالت عائشة : كان عمل رسول الله ﷺ ديمة ، وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت : كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم :

وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلى ، فقمت معه فبدأ فاستفتح (البقرة) فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا بآية عذاب إلا وقف وتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول (سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة) ثم سجد وقال مثل ذلك . ثم قرأ (آل عمران) ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة . وقال صلى الله عليه وسلم : (إنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة) .

---

(١) هذا العزوف عن الدنيا لايعنى إلاعدم تعلق القلب بها ، ولكن السيطرة عليها وامتلاكها وتسخيرها فى سبيل مرضاة الله هو من واجبات كل مسلم . والمسلم مكافح دائماً فى سبيل الله ومن أجل مرضاته . وقد امتلك المسلمون الأول الدنيا ، ودانت لهم المعمورة وخضعت لهم المادة ، فاستخدموا كل ذلك فى الخير وإسعاد الإنسانية . (من كتاب القرآن والنبى ١٩٨ لمولانا الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود رضى الله عنه) .

(ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان)
وهى السنة العاشرة

فيها توفيت (زينب بنت خزيمة) بن الحارث زوج رسول الله ﷺ ، كانت تدعى أم المساكين فى الجاهلية والإسلام لرأفتها بهم ، كانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب(١) ، فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة ، فقتل يوم بدر شهيداً ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، فمكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت وصلى عليها رسول الله ﷺ ، ودفنها بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها وكانت وفاتها فى ربيع الآخر من هذه السنة . رحمها الله تعالى .

وفيها توفى (إبراهيم ابن رسول الله ﷺ) ولدته مارية القبطية كما ذكرنا فى سنة ثمان ، ولما ولد دفعه رسول الله ﷺ إلى أم سيف امرأة قين(٢) بالمدينه ترضعه ، وتنافست الأنصار فيمن يرضعه ، فأحبوا أن يفرغوا مارية لما يعلمون من هواه لها ، وجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصارى زوجة البراء بن أوس ، فكلمت رسول الله ﷺ فى أن ترضعه بلبن ابنها وترجع به إلى أمه ، فأعطى رسول الله ﷺ قطعة من نخل فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمعة .

وتوفى إبراهيم عند أم بردة وهو ابن ثمانية عشر شهرا ، وغسلته أم بردة وحمل من بيتها على سرير صغير ، وصلى عليه رسول الله ﷺ بالبقيع ، وقال : (ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون) . وعن عطاء بن جابر قال : أخذ النبى ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى به النخل ، فإذا ابنه إبراهيم على سريره فقال :

---

(١) فى النسختين (عبد المطلب) والتصحيح من نهاية الأرب للنويرى والطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) أى حداد .

(يا إبراهيم إنا لا نغنى عنك من الله شيئاً) ثم ذرفت عيناه ، ثم قال : (يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين[١] ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب) وقال غيره : وافق موته كسوف الشمس ، فقال قوم : انكسفت الشمس لموته ، فخطبهم رسول الله ﷺ فقال : (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان ولا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة) وقال رسول الله ﷺ : (إن له مرضعاً فى الجنة تتم رضاعه) وروى عن النبى ﷺ أنه قال : (لو عاش إبراهيم لعتقت أخواله ، ولوضعت الجزية عن كل قبطى) وقال عليه السلام : (إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحما)[٢] .

---

(١) هذا الحديث متفق عليه . وهذه الدموع الزكية العلية التى سالت من عينى النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موطن تمثل أطهر ما فى النفس البشرية من عواطف ومشاعر ، فهى تمثل ذاك الإحساس النبيل بالرحمة والرقة . وقد بكى الرسول عند قبر أمه وأبكى من حوله . وبكى عند وفاة جده عبد المطلب . وبكى لما سعى المشركون إلى عمه يطلبون منه منعه من دعوته . وبكى على عمه حمزة . وبكى لما استشهد قواد غزوة مؤتة الثلاثة . وبكى لما رأى سعد بن عبادة مريضاً مغشياً عليه وبكى معه القوم . وبكى لما قبل عثمان ابن مظعون وهو ميت . وبكى لسماع القرآن . وبكى ليلة غزوة بدر وهو قائم يصلى ويبكى حتى أصبح . ويروى أنه سأل ربه فى أمته فبكى فأوحى الله إليه : (سارضيك فى أمتك) وعن مطرف عن أبيه قال : (أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) أى له صوت كصوت القدر عند الغليان (من مقال للاستاذ الدكتور أحمد الشرباصى فى مجلة لواء الإسلام ، رحم الله مؤسسها الأستاذ أحمد حمزة) .

(٢) بمعنى هذا الحديث وردت أحاديث ، أنظر صحيح الإمام مسلم ، كتاب فضائل الصحابة (باب وصية النبى صلى الله عليه وسلم باهل مصر) .

(السنة الحادية عشرة من الهجرة)

فى المحرم من هذه السنة ضرب رسول الله ﷺ بعثاً إلى الشام ، أميرهم أسامة بن زيد مولاه ، وأمره أن يوطيه الخيل تخوم البلقاء والداروم(١) من أرض فلسطين ، فتكلم قوم من المنافقين فى إمارته ، وقالوا : أمر غلاماً على جلة المهاجرين والأنصار ! فقال رسول الله ﷺ : (إن تطعنوا فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبل ، وإنه لخليق للإمارة وكان أبوه خليقاً لها) وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون(٢) : منهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهم ، فبينا الناس على ذلك ابتدىء برسول الله ﷺ مرضه .

ومن الحوادث فى هذه السنة أنه قدم على رسول الله ﷺ (وفد النخع) من اليمن للنصف من المحرم ، وهم مائتا رجل مقرين بالإسلام ، وكانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن ، قال الواقدى : وهم آخر من قدم على رسول الله ﷺ من الوفود .

ومن الحوادث استغفار رسول الله ﷺ لأهل بقيع الغرقد ، قال أبو موبهة مولى رسول الله ﷺ أهبنى(٣) رسول الله ﷺ فى المحرم مرجعه من حجته ، وما أدرى ما مضى من الليل ، فقال لى : (انطلق فإنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع) فخرجت معه فاستغفر لهم طويلا ثم قال : (ليهنكم ما أصبحتم فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخيرة شر من الأولى ، يا أبا موبهة إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ،

(١) قلعة بعد غزة القاصد إلى مصر ، على ما فى (معجم البلدان لياقوت الحموى رحمه الله) .
(٢) أى خرجوا بأجمعهم للغزو ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .
(٣) أيقظنى .

فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة) فقلت : بأبى أنت وأمى خذ خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : (لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة) فرجع واشتكى بعد ذلك بأيام .

ومن الحوادث مجىء الخبر بظهور مسيلمة والأسود العنسى(١) : قد ذكرنا أن مسيلمة قدم على رسول الله ﷺ فيمن أسلم ، ثم ارتد لما رجع إلى بلده ، وكتب إلى رسول الله ﷺ : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله » وكان يستغوى أهل بلده ، وكذلك العنسى ، إلا أنه لم يظهر أمرهما إلا فى حالة مرض رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ قد لحقه مرض بعد عوده من الحج ، ثم عوفى ثم عاد فمرض مرض الموت ، قال أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع طارت الأخبار بأنه قد اشتكى ، فوثب الأسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة ، فجاء الخبر عنهما إلى رسول الله ﷺ ، ثم وثب طليحة بن خويلد فى ديار بنى أسد بعد ما أفاق رسول الله ﷺ .

قال سيف بن عمر بإسناده عن على وابن عباس رضى الله عنهما : أول ردة كانت فى عهد رسول الله ﷺ ، وأول من ارتد الأسود فى مَذْحِج ، ومسيلمة فى بنى حنيفة، وطليحة فى بنى أسد. وقال الشعبى : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مسيلمة والعنسى الكذابين بعد ما ضرب على الناس بعث(٢) أسامة بن زيد .

ومن الحوادث فى مرضه أنه رأى فى منامه سوارين من ذهب فى يديه ، فخرج لحدث ، فروى عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه من الصداع ، فقال : (إنى رأيت البارحه فيما يرى النائم أن فى

(١) بسكون النون ، وضبطت بالفتح فى (الايناس للوزير ابن المغربى) وهو خطأ .

(٢) (بعث) ساقطة من الظاهرية .

يدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكاذبين : صاحب اليمامة وصاحب اليمن) .

(ذكر أخبار الأسود العنسى)
ومسيلمة وسجاح(١) وطليحة

أما الأسود فاسمه عبهلة بن كعب ، يقال له (ذو الخمار) لقب به لأنه كان يقول : يأتينى ذو خمار . وكان الأسود يشعبذ ويريهم الأعاجيب ، ويسبى بمنطقه قلب من يسمعه ، فكان أول خروجه بعد حجة رسول الله ﷺ ، فكاتبته مذحج وواعدوه نجران ، وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد ابن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله .

وسار الأسود إلى صنعاء فأخذها ، وكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ بخبره ، ولحق بفروة من بقى على إسلامه من مذحج ، ولم يكاتب الأسود رسول الله ﷺ ولم يرسل إليه .

وصفا له ملك اليمن ، وقوى أمره ، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مر بأبى موسى وهو هارب ، فاقتحما حضرموت ، فنزل معاذ السكون ونزل أبو موسى السكاسك ، ورجع عمرو بن حزم وخالد إلى المدينة ، وغلب الأسود وطابقت عليه اليمن ، وجعل أمره يستطير استطارة الحريق ، ودانت له سواحل اليمن ، وعاملة المسلمون بالتقية .

وكان خليفته فى مذحج عمرو بن معد يكرب ، وأسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث ، وكان قد كابره عامر بن شهر الهمدانى فى ناحيته ،

(١) مصحفة فى النسختين ، والتصحيح من السياق ومن المراجع المشهورة .

وفيروز وداذويه(١) فى ناحيتهما ، وتزوج الأسود امرأة شهر ، وهى ابنة عم فيروز .

وأرسل رسول الله ﷺ إلى نفر من أهل اليمن أن يحاولوا الأسود إما غلبة أو مصادمة ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالا سماهم لهم ممن حولهم من حمير وهمدان ، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم ، فدعوا قيس بن عبد يغوث حين رأوا الأسود قد تغير عليه ، فحدثوه الحديث وأبلغوه عن رسول الله ﷺ ، فأجاب ، ودخلوا على زوجته وقالوا : هذا قتل أباك فماذا ترين ؟ فقالت : هو أبغض خلق الله تعالى إلىّ ، وهو متحرز والحرس محيطون بقصره إلا هذا البيت ، فانقبوا عليه .

فنقبوا ودخل فيروز وخالطه وأخذ برأسه فقتله ، فخار كأشد خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا : ما هذا ؟ قالوا : النبي يوحى إليه فإليكم ، ثم خمد ، وقد كان يجيء إليه شيطان فيوسوس له فيغط ويعمل بما قال ، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذى بينهم ثم بالأذان ، وقالوا : نشهد أن محمداً رسول الله ونشهد أن عبهلة كذاب ، وشنوها غارة ، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم ، وكتبوا إليه بالخبر ، فسبق خبر السماء إليه ، فخرج قبل موته بأيام فأخبر الناس بذلك ، ووصل الكتاب ورسول الله ﷺ قد مات .

قال ابن عمر : أتى النبي ﷺ الخبر من السماء فى الليلة التى قتل فيها الأسود فخرج ليبشرنا فقال : (قتل الأسود العنسى البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مبارك) قيل : ومن ؟ قال (فيروز فاز فيروز) .

---

(١) فى النسختين (داوديه) وهو تحريف .

(ذكر أخبار مسيلمة)

قد ذكرنا أنه قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني حنيفة، فلما عاد الوفد ارتد ، وكان فيه دهاء(١) فكذب لهم وادعى النبوة وتسمى (رحمن اليمامة) لأنه كان يقول : الذي يأتيني اسمه رحمن ، وخاف أن لا يتم له مراده فقال : إن محمداً قد أشركني معه ، وجعل يسجع لقومه ويضاهي القرآن . فمن قوله : سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى من بين أضلاع وحشى ، ياضفدعة بنت الضفدعين نقي لجاد ما تنقين ، ومحى لحسن ما تسحين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين ، والليل الأسحم والدب الأدلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم . وكان يقصد بذلك نصرة أسيد على خصوم لهم . وقال : والليل الدامس ، والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس . وقال : والشاء وألوانها ، وأعجبها السوداء وألبانها ، والشاة السوداء ، واللبن الأبيض إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق فمالكم لا تمجعون(٢) . وكان يقول : والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما لحماً وسمنا . لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر .

وأتته امرأة فقالت : ادع الله لنخلنا ولمائنا ، فإن محمداً دعا لقوم لجاشت(٣) آبارهم ، قال وكيف صنع ؟ قالت : دعا بإناء فيه ماء فمضمض ومجه

---

(١) (دهاء) ساقطة من الظاهرية .

(٢) المذق : مزج اللبن بالماء . والمجع : اللبن يشرب على التمر ، أو تمر يعجن باللبن . قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله : أكان هذا القرآن يتزل على قلب مسيلمة أم على معدته .

(٣) ارتفعت وتدفقت .

فيه ، فأفرغوه فى تلك الآبار فأفعمت(١) بالماء ، ففعل هو كذلك ، فغارت تلك المياه . وقال له رجل : برك على ولدى فإن محمداً يبرك على أولاد أصحابه . فلم يؤت بصبي مسح على رأسه وحنكه إلا لثغ(٢) وقرع ، وتوضأ فى حائط(٣) فصب وضوءه فيه فلم ينبت . وكانوا إذا سمعوا سجعه قالوا : نشهد أنك نبي .

ثم وضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنى ونحو ذلك، فتبعته بنو حنيفة إلا القليل، وغلب على حجر اليمامة وأخرج ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ فكتب ثمامة إلى رسول الله ﷺ بخبره ، وانحاز بمن معه من المسلمين .

وكتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ :من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون . وبعث الكتاب مع رجلين عبد الله بن النواحة وحجر بن عمير ، فقال لهما رسول الله ﷺ : (أتشهدان أنى رسول الله) ؟ قالا : نعم . قال (أتشهدان أن مسيلمة رسول الله ؟) قالا : نعم إنه قد أشرك معك ، قال : (لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما) ثم كتب إليه رسول الله ﷺ (من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وقد أهلكت أهل اليمامة أبادك الله ومن ضرب معك) .

* * *

(١) فى الظاهرية (فأفعمت) وكلاهما صحيح ، على ما فى النهاية لابن الأثير حيث قال : يقال : فعمت الإناء وأفعمته إذا بالغت فى ملئه ، ويقال : فعمت وأفعمت : أى ملأت .

(٢) اللثغة : أن تعدل الحرف إلى حرف غيره ، على ما فى (لسان العرب) .

(٣) أى بستان .

(ذكر أخبار سجاح(١) بنت الحارث) ابن سويد التميمية(٢)

كانت قد تنبأت فى الردة - بعد موت رسول الله ﷺ - بالجزيرة فى بنى تغلب ، فاستجاب لها هذيل وجماعة ، فقصدت قتال أبى بكر رضى الله عنه ، فراسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة ، فأجابها ومنعها من قصد أبى بكر وحملها على أحياء من بنى تميم ، فأجابت وقالت : أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم أغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب ، فذهبوا فكانت بينهم مقتلة .

ثم ذهبت إلى اليمامة فهابها مسيلمة ، وخاف أن يتشاغل بحربها فيغلبه ثمامة بن أثال عامل رسول الله ﷺ ، فأهدى لها واستأمنها وجاء إليها ، وفى رواية أخرى أنه قال لأصحابه : اضربوا لها قبة وخمروها بالطيب لعلها تذكر الباه . ففعلوا ، فلما أتته قالت له : اعرض على ما عندك ، فقال : إنى أريد أن أخلو معك حتى نتدارس ، فلما خلت معه قالت له : اقرأ على ما يأتيك به جبريل ، فقال إنكن معشر النساء خلقتن أفواجا وجعلتن لنا أزواجا نولجه فيكن إيلاجا ثم نخرجه منكن إخراجا فتلدن لنا أولاداً أنجاجا . فقالت : صدقت ، أشهد أنك نبى ، فقال لها : هل لك أن أتزوجك فيقال : نبى تزوج نبية ؟ فقالت : نعم ، فقال :

ألا قومى إلى المخدع فقد هيىء لك المضجع
فإن شئت فلقاة وإن شئت على أربع

---

(١) فى الظاهرية (شجاع) وهو تحريف صححته من الأحمدية والمصادر المشهورة .

(٢) محرفة فى النسختين .

وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

فقالت: به أجمع فهو أجمع للشمل، فأقامت معه ثلاثاً ثم خرجت إلى قومها فقالت: إنى قد سألته فوجدت نبوته حقا وإنى قد تزوجته. فقالوا: مثلك لا يتزوج بغير مهر، فقال مسيلمة: مهرها أنى قد رفعت عنكم صلاة الفجر والعتمة. ثم صالحته على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة.

وسنذكر بقية حديثهم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

(ذكر أخبار طليحة بن خويلد الأسدى)

خرج طليحة بعد الأسود، وادعى النبوة، فتبعه جماعة وقوى أمره، فكتب بخبره إلى النبي ﷺ سنان بن أبى سنان، وبعث طليحة ابن أخيه إلى رسول الله ﷺ يسأله الموادعة، وتسمى بذى النون، وزعم أن الذى يأتيه اسمه ذو النون، فقال رسول الله ﷺ لرسوله: (قتلك الله) ورده كما جاء فقتل فى الردة، وأرسل رسول الله ﷺ إلى عوف أحد بنى نوفل بن ورقاء وإلى سنان بن أبى سنان أن يحاولوا طليحة، وأمرهم أن يستنجدوا عليه رجالا قد سماهم من تميم وقيس، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، ففعلوا. ولم يشغل رسول الله ﷺ مرضه عن مسيلمة وطليحة. وإن جماعة من المسلمين حاربوا طليحة، وضربه قحيف بن السليك بسيف فلم يهلك ولكن غشى عليه فقال قوم: إن السلاح لا يعمل فى طليحة، فصار ذلك فتنة.

فلما توفى رسول الله ﷺ تناقض أمر المسلمين، وانفض جماعة إلى طليحة: فنهم عيينة بن حصن الفزارى، وتراجع بقية المسلمين إلى أبى بكر، فأخبروه بالخبر.

ومن كلام طليحة: والحمام واليمام والصرد الصوام(١) قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام.

---

(١) فى الظاهرية (العوام) والتصحيح من الأحدية والقاموس المحيط.

وقاتله خالد بن الوليد رضى الله عنه . وسنذكر ذلك فى قتال أهل الردة .

وكان عيينة بن حصن لما جاء خالد بن الوليد بالعساكر قد قال لطليحة : جاءك الملك ؟ قال : لا ، فرجع عيينة فقاتل ، ثم رجع فقال : جاءك الملك ؟ قال : نعم ، قال : ما قال ؟ قال قال لى : إن لك حديثاً لا تنساه ، فصاح عيينة « الرجل والله كذاب » فانصرف الناس منهزمين .

وهرب طليحة إلى الشام فنزل على بنى كلب ، فبلغه أن بنى أسد وغطفان وعامر قد أسلموا فأسلم وخرج نحو مكة معتمراً فى إمارة أبى بكر فمر بجنبات المدينة ، فقيل لأبى بكر : هذا طليحة ، قال : ما أصنع به ؟ خلوا عنه فقد أسلم ، ثم صح إسلامه وقاتل فى الفتوحات فقتل يوم نهاوند(١) .

(ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين)
بوفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ولما قفل رسول الله ﷺ من حجة الوداع أقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً أميره أسامة بن زيد ، وقد تقدم ذكره ، فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه التى قبضه الله تعالى فيها إلى ما أراد الله من كرامته فى ليال بقين من صفر أو فى شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به ﷺ أنه خرج إلى بقيع الغرقد(٢) فى جوف الليل فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك .

قالت عائشة رضى الله عنها : رجع رسول الله ﷺ فوجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأنا أقول : وارأساه ، فقال : (بل أنا والله يا عائشة

(١) هنا فى حاشية الأحمدية (بلغ قراءة) .

(٢) مقبرة المدينة المشرفة ، سمى به لأنه كان منبت الغرقد وهو نوع من الشجر العظام .

وارأساه) قالت ثم قال : (وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك) قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك ، فتبسم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استقر به فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى(١) فأذن له فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين — أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر — عاصباً رأسه تخط قدماه الأرض حتى دخل بيتى ، قال ابن عباس : الرجل الآخر على بن أبى طالب .

ثم غمر(٢) رسول الله ﷺ واشتد به وجعه فقال : (هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم) فأقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول (حسبكم حسبكم) .

وعن الزهرى حدثنى أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فكان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال : (إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله) ففهمها أبو بكر رضى الله عنه وعرف أن نفسه يريد فقال : نفديك بأنفسنا وآبائنا ، فقال : (على رسلك يا أبا بكر) ثم قال : (انظروا هذه الأبواب النافذة إلى المسجد فسدوها

---

(١) (فى بيتى) وضعت فى غير مكانها فى الظاهرية .

(٢) أصابته غمرة المرض وأغمى عليه . والإغماء جائز على الأنبياء لأنه من المرض — وقيده الإمام الغزالى بغير الطويل وجزم به الحافظ البلقينى — بخلاف الجنون فليس جائزاً عليهم لأنه نقص . وليس إغماؤهم كإغماء غيرهم لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم ، لأنه إذا عصمت عن النوم فمن الإغماء أولى . كما فى بعض المراجع .

إلا باب أبى بكر فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه) وأراد عمر فتح كوة ينظر منها إلى النبى ﷺ ، فمنعه من ذلك ، وقال عليه السلام العباس : (ما فتحت عن أمرى ولا سددت عن أمرى) .

ثم أوصى بالأنصار وقال : (يا معشر المهاجرين : الأنصار عيبتى(١) التى أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم)

وقال ابن مسعود : نعى إلينا نبينا وحبيبنا ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة رضى الله عنها فنظر إلينا وشدد ودمعت عيناه وقال (مرحباً بكم حياكم الله ، رحمكم الله ، آواكم الله ، حفظكم الله ، رفعكم الله ، نفعكم الله ، وفقكم الله ، سلمكم الله ، قبلكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم وأستخلفه وأوديكم إليه ، إنى لكم منه بشير ونذير ، لا تعلوا على الله فى عباده وبلاده فإنه قال لى ولكم) : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين(٢)) ثم قال : (دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى وإلى سدرة المنتهى وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والعيش الأهنى) .

قلنا : يا رسول الله من يغسلك ؟ قال : (رجال أهلى الأدنى فالأدنى) قلنا : يارسول الله ففيم نكفنك ؟ قال :(فى ثيابى هذه إن شئتم أو ثياب مصر أو حلة يمانية) قلنا : يا رسول الله من يصلى عليك ؟ وبكينا وبكى ، فقال : (مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا ، إذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ، ثم اخرجوا عنى ساعة ليصلى على جبريل والملائكة ، ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً فصلوا على ولا تؤذونى

---

(١) أى خاصتى وموضع سرى ، على ما فى (النهاية لابن الأثير) .
(٢) سورة القصص ، الآية ٨٣ .

بتزكية ولا رنة ، أقرئوا أنفسكم منى السلام ؛ ومن غاب من أصحابى فأقرئوه السلام ومن تابعكم على دينى فأقرئوه السلام) .

وقالت عائشة : جعل رسول الله ﷺ يشتكى ويتقلب على فراشه ، فقلت له لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه ، فقال : (إن المؤمنين يشتد عليهم أنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جئنا رسول الله ﷺ فإذا عليه صالب من الحمى[1] ، ما تكاد تقر يد أحدنا عليه من شدة الحمى ، فجعلنا ننشج[2] فقال لنا : (ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء كما يشدد علينا البلاء كذلك يضاعف لنا الأجر) .

قالت عائشة رضى الله عنها : لما ثقل رسول الله ﷺ جاءه بلال ليؤذنه بالصلاة فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت قلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف[3] ، وإنه إن يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر . قال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت فقلت لحفصة : قولى له ، فقالت له حفصة : يارسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر . فقال : (إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت : فأمروا أبا بكر يصلى بالناس .

فلما دخل الناس فى الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يتهادى بين رجلين ، ورجلاه تخطان فى الأرض حتى دخل المسجد ،

---

(١) الصالب من الحمى الحارة خلاف النافض : الصالب : التى معها حر شديد ، وقيل هى التى فيها رعدة وقشعريرة ، كما فى (تاج العروس) .

(٢) محرفة فى النسختين ، فصححتها من (النهاية لابن الأثير) حيث قال : النشيج صوت معه توجع وبكاء .

(٣) أى سريع البكاء والحزن ، على ما فى (النهاية فى غريب الحديث والأثر) .

فلما سمع أبو بكر رضى الله عنه حسه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن قم كما أنت. وجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبى بكر، فكان رسول الله ﷺ يصلى بالناس قاعداً وأبو بكر قائماً ، يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناس يقتدون بصلاة أبى بكر. أخرجاه فى الصحيحين.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن ابن أبى بكر: (ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه) فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال :(أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر). أخرجاه فى الصحيحين (١)

---

(١) وفى صحيح البخارى : لما حضر رسول الله قال (ائتونى باللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) . قال الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: من شنشنة المرشدين التهمم بتخطيط نظام لأقوامهم فى الأحوال العسيرة والكوارث المبيدة فهم النبى صلى الله عليه وسلم بكتابة كتاب ليس لقصد التشريع لأن الشريعة قد كملت ولأنه لو كان لقصد التشريع لما عدل عنه. فلا جرم أن كان الكتاب يتضمن التحذير من شىء سيقع، مثل النص على أن أبا بكر هو الذى يلى أمر المسلمين أو النص على كيفية تعيين الخلفاء للأمة وقاعدة البيعة، فإن الخلاف فى ذلك جر فتناً . ومن المتعين أن يكون الكتاب مقصوداً لأمر غير متعلق بإفادة تكليف ولا بشرع أنف ، وإنما كان فى أمر يرجع إلى تنبيه الأمة إلى شىء من شؤون تدبير أمورهم العامة وتحريضهم أو تحذيرهم فى شىء مما سبقت الإشارة إليه فى القرآن والسنة .

وأيا ما كان الغرض الذى هم رسول الله بكتابته ، وأيا ما كان الباعث الذى دعاه إلى ذلك فقد عدل عنه وتركه وقال لهم حين أعادوا عليه : (ما أنا فيه خير مما تدعوننى إليه) .

فإن كان عزمه الأول ناشئاً عن وحى ، يكون قوله الثانى دالا على أن الله نقله من ذلك العزم إلى ما هو خير للأمة ، فيكون نسخاً للأذن بالكتابة. وإن=

قال سهل بن سعد : كان عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وضعها عند عائشة ، فلما كان فى مرضه قال : (يا عائشة ابعثى بالذهب إلى على) ثم أغمى عليه ، وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يغمى عليه ويشغل عائشة ما به ، فبعثت به إلى على فتصدق به .

ثم أمسى رسول الله ﷺ ليلة الاثنين فى حديد الموت فأرسلت عائشة إلى امرأة من الأنصار بمصباحها فقالت : انظرى لنا فى مصباحنا من عكتك السمن فان رسول الله ﷺ أمسى فى حديد الموت .

وقال ابن سعد يرفعه إلى المطلب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لعائشة وهى مسندته إلى صدرها : (يا عائشة ما فعلت تلك الذهبية ؟) قالت : هى عندى ، قال : (فأنفقيها) ثم غشى على رسول الله ﷺ وهو على صدرها فلما أفاق قال : (هل أنفقت تلك الذهبية يا عائشة ؟) قالت : لا . قال فدعا بها فوضعها فى كفه فعدها فإذا هى ستة فقال : (ماظن محمد بربه لو أنه لقى الله وهذه عنده) فأنفقها كلها ، ومات من ذلك اليوم .

وأقبلت فاطمة رضى الله عنها كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ

= كان ناشئاً عن اجتهاد مستند إلى ظواهر الأدلة والأحوال ، فالله صرفه عنه بوحيه إلية ماهو خير لأمته فى علم علام الغيوب . أو غير اجتهاده بإلاحة أدلة أخرى أظهرت لرأيه ماهو خير لأمته فى ترك ما عزم عليه .

وجعل الله اختلاف الحاضرين فى الأمر سكينة لنفس رسوله عليه الصلاة والسلام لئلا يبقى له شك فى نفع العدول عن ذلك الكتاب . وإن من أول منافعه إزالة الاختلاف بين الحاضرين فى شأنه . والوجه فى تفضيل العدول عن الكتاب أن الله أوحى فى تلك الفترة إلى رسوله بشارة بأن أمته لا تضل ، وأن ما يعرض لها من النوائب هو سنة الله فى الأمم ، وأن تلك العوارض لا تلبث أن تنقشع . وأن كتابه الذى عزم عليه تحف به مصالح وأن تركه يجلب مصالح أكثر من مصالح كتابته . . من مقال نشر بمجلة (الهداية الإسلامية ـ المجلد الثانى عشر ـ جمادى الأولى سنة ١٣٥٩) . وقد نقلت منه شيئاً يتمم ما هنا فى هامش (الجزء الثانى من تاريخ الإسلام للذهبى ص ٣٨٤) .

فقال : (مرحباً بابنتى) ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فبكت ، قالت عائشة : استخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت ، فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال لها ، قالت : ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ ، حتى إذا قبض سألتها ، قالت إنه أسر إلى فقال : (إن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل عام مرة وإنه عارضنى به الآن مرتين ، وما أراه إلا قد حضر أجلى ، وإنك أول أهلى لحوقاً بى ونعم السلف أنالك) فبكيت لذلك، ثم قال : (ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة) أو نساء المؤمنين ؟ قالت فضحكت لذلك .

وذكر ابن الجوزى فى « كتاب المنتظم » بإسناده يرفعه إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه فقال : إن الله يقرئك السلام ويقول لك : كيف تجدك : قال : (أجدنى وجعاً يا أمين الله) ثم جاءه من الغد فقال له مثل ذلك، ثم جاءه فى اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : كيف تجدك ؟ قال : (أجدنى والله يا أمين الله وجعا ، من هذا معك ؟) قال هذا ملك الموت ، وهذا آخر عهدى بالدنيا بعدك ، ولا آسى على هالك من ولد آدم بعدك ، ولن أهبط الأرض إلى أحد بعدك أبداً .

فوجد النبى ﷺ سكرة الموت ، وعنده قدح فيه ماء ، فجعل يأخذ من ذلك الماء بيده ويمسح وجهه ويقول : (اللهم أعنى على سكرة الموت [1]) .

وقال ابن سعد : أنبأنا أنس بن عياض الليثى قال حدثونا عن جعفر بن محمد الصادق قال : لما بقى من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل

---

(١) إن الشدة ليست أمارة على سوء ولا ضده ، والسهولة ليست أمارة خير ولا ضده ، على ما فى (حاشية البيجورى على الشمائل) .

فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلا لك وخاصة بك ، يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ قال : (أجدني ياجبريل مغموماً وأجدني ياجبريل مكروبا) فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلا لك وخاصة بك يسألك عما هو أعلم به منك . فقال : (أجدني يا جبريل مكروبا وأجدني ياجبريل مغموما) .

فلما كان في اليوم الثالث نزل إليه جبريل ونزل معه ملك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض ، ومعه سبعون ألف ملك ، فسبقهم جبريل فقال : يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلا لك وخاصة بك يسألك عما هو أعلم به منك . يقول لك : كيف تجدك ؟ قال :(أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا) .

ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك ، قال : (ائذن له) فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن الله أرسلني إليك وأمرني بطاعتك في كل ما تأمرني ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : (وتفعل يا ملك الموت ؟) قال : بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني به ، قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ الأرض ، إنما كنت حاجتي من الدنيا .

وتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية ، يسمعون الصوت ولا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عز وجل عزاءً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات ، فبالله فثقوا

وإياه فارجوا ، فانما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قالت عائشة رضى الله عنها : ومن نعم الله على أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى[1] وإن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ، وذلك أنه دخل علىَّ عبد الرحمن[2] ومعه سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إلى ، فعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن (نعم) فناولته إياه فاشتد عليه ، فقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته ، فأخذه ومره ، وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : (لا إلـٰه إلا الله) حتى قبض ، ومالت يده .

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : (الصلاة وما ملكت أيمانكم) حتى جعل يتغرغر بها فى صدره ولا يفيض بها لسانه . قال أنس : لما كان اليوم الذى توفى فيه رسول الله ﷺ والناس فى صلاة الفجر كشف النبى ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو نائم ، كأن وجهه ورقة مصحف[3] ثم تبسم فضحك ، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى ﷺ ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أن

(١) السحر : الرئة ، أى أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى سحرها منه ، والنحر : أعلى الصدر ، على ما فى النهاية لابن الأثير وحاشية البيجورى على الشمائل المحمدية للترمذى .

(٢) تعنى أخاها .

(٣) فى حسنه وصفاء بشرته وسطوع جماله الحسى والمعنوى ، لأن ورقة المصحف شأنها كذلك ، على ما فى (حاشية الشيخ البيجورى على الشمائل المحمدية للإمام الترمذى) .

النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن (أتموا صلاتكم) وأرخى الستر . وتوفى من يومه ﷺ .

وكانت وفاته يوم الإثنين نصف النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، شهيدا .

قال ابن عباس : ولد النبي ﷺ يوم الإثنين ، وقدم المدينة يوم الإثنين، وتوفى يوم الإثنين .

(صفة الثياب التى توفى فيها)

روى أحمد عن هلال بن أبي بردة قال : أخرجت إلينا عائشة كساءً ملبدا[1] وكساءً غليظا ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ فى هذين . أخرجاه فى الصحيحين .

قال ابن سعد : لما توفى رسول الله ﷺ بكى الناس، فقام عمر بن الخطاب فى المسجد خطيباً فقال : لا أسمعن أحداً يقول إن محمداً قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران، فلبث عن قومه أربعين ليلة ، والله إنى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات . وقال عكرمة : ما زال عمر يتكلم ويتوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه .

وأقبل أبو بكر على فرس له من مسكنه بالسُّنح[2] حتى نزل ، فدخل

---

(١) محرفة ومصحفة فى النسختين ، والتصحيح من (النهاية لابن الأثير) حيث قال : أى مرقعا ، وقيـــل الملبد : الذى ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبدة .

(٢) إحدى محال المدينة المنورة ، وهى فى طرف من أطراف المدينة . على ما فى (معجم البلدان لياقوت الحموى) .

المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة رضى الله عنها فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله[١] وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتا، والله لا يجمع الله عليك موتتين: أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها. وخرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس.

فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فانه من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت. قال الله عز وجل: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين[٢]) قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً إلا يتلوها، فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت[٣] حتى ماتقلنى رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها.

(ذكر سنه يوم مات صلى الله عليه وسلم)

قال الترمذى: توفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة. أخرجاه فى الصحيحين، وقد روى خمس وستون سنة، وقد روى ستون سنة[٤].

---

(١) فى جبهته تبركاً واقتداءً به ﷺ حيث قبل عثمان بن مظعون، فتقبيل الميت سنة، على ما فى (المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية للشيخ البيجورى رحمه الله).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٣) العقر بفتحتين: أن يفجأ الرجل الروع فيدهش فلا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر، وقيل: لا تحمله قوائمه من الخوف، على ما فى (ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى للمحب الطبرى ١٩٠).

(٤) أنظر هامش ص ٤٧٣.

وقال الطبرى : لما توفى رسول الله ﷺ دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فى ذلك ، فأما عمر فكان ممن خبل فجعل يقول : إنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم . وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم ، وأقعد على . وأضنى عبد الله بن أنيس ، من الضنى وهو المرض .

وبلغ أبا بكر الخبر — وكان بالسُّنح(١) — فجاء وعيناه تهملان ، فقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبكى وقال : بأبى أنت وأمى ، طبت حياً وميتا ، وتكلم كلاماً بليغاً سكن به نفوس الناس وثبت جأشهم ، وكان أثبت القوم رضى الله عنه .

وغسله عليه السلام علىّ والعباس وابناه الفضل وقثم ومولياه أسامة وشقران ، وحضرهم أوس بن خولى الأنصارى ، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية (٢) ليس فيها قميص ولا عمامة .

وصلى عليه المسلمون أفذاذا(٣) لم يؤمهم أحد ، وفرش تحته قطيفة حمراء كان يتغطى بها .

ودخل قبره العباس وعلىّ والفضل وقثم وشقران ، وأطبق عليه تسع لبنات . ودفن فى الموضع الذى توفاه الله تعالى فيه حول فراشه .

وكانوا قد اختلفوا فى غسله فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عز وجل

---

(١) السنح : منازل بنى الحارث بن الخزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين المسجد النبوى ميل واحد .

(٢) نسبة إلى السحول وهو القصار لأنه يسحلها أى يغسلها ، أو إلى سحول قرية باليمن .

(٣) فى الظاهرية (أفرادا) وأثبتنا نص الأحمدية وعيون الأثر (٢ / ٣٣٩) .

عليهم النوم ، وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه ، والقميص دون أيديهم ، فأسنده على إلى صدره ، والعباس والفضل وقثم يقلبونه معه ، وأسامة وشقران يصبون الماء ، وعلى يغسله بيده .

واختلفوا فى موضع دفنه هل يكون فى مسجده أو مع أصحابه ، فقال أبو بكر : ادفنوه فى الموضع الذى قبض فيه ، فان الله تعالى لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب . فعلموا أنه قد صدق .

وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح(١) كحفر أهل مكة . وأبو طلحة زيد ابن سهل يلحد(٢) كأهل المدينة ، فاختلفوا كيف يصنع بالنبى ﷺ ، فوجه العباس رجلين أحدهما لأبى طلحة والآخر لأبى عبيدة وقال : اللهم خر لنبيك فحضر أبو طلحة فلحد له(٣) .

وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء ، وكانت وفاته يوم الإثنين كما ذكرنا .

قال على : لقد سمعنا همهمة ولم نر شخصا ، سمعنا هاتفاً يقول : أدخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم .

ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء . وكانت مدة شكواه ثلاث عشرة ليلة .

(١) الضرح : الشق والحفر فى الأرض ، على ما فى النهاية وشرح القاموس للسيد الزبيدى .

(٢) اللحد : الشق الذى يعمل فى جانب القبر لموضع الميت ، على ما فى (النهاية) .

(٣) فى كتاب (من نفحات الحرم للأستاذ على الطنطاوى) : القبر الشريف لا يظهر . والقبر الظاهر فى الحجرة الخلفية ، والذى يعلق الناس صورته على أنه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو القبر الشريف .

ولما دفن عليه السلام قالت فاطمة ابنته رضي الله عنها :

إغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضر وكل يمانى
وليبكه الطود المعظم جوه والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه صلى عليك منزل الفرقان

ويروى أنها تمثلت بشعر فاطمة بنت الأحجم :

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله فتركتني أمشى بأجرد ضاحى
قد كنت ذات حمية ما عشت لى أمشى البراز وكنت أنت جناحى
فاليوم أخضع للذليل وأتقى منه وأدفع ظالمى بالرّاح
وإذا دعت قرية شجناً لها ليلا على فنن دعوت صباحى

ومما ينسب لعلى أو فاطمة رضي الله عنهما :

ماذا على من شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا(١)
صبت علىّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا الأيدى من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .

---

(١) الغالية : طيب ، على ما فى (القاموس المحيط) .

وقد روى عنه عليه السلام أنه قال : (لتعز المسلمين فى مصائبهم المصيبة بى) وفى حديث عنه : (أنا فرط لأمتى ان يصابوا بمثلى).

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثيه :

أرقتُ فبات ليلى لا يزول ... وليل أخى المصيبة فيه طولُ
وأسعدنى البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت(١) أرضنا مما عراها(٢) ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا(٣) ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعى ذاك(٤) السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ :

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدى أصبح ثاوياً ... يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

---

(١) فى المختصر (وكانت) عوض (وأضحت).
(٢) فى المختصر (أرها) عوض (عراها) وهو تحريف.
(٣) فى المختصر (طلالا) وهو تحريف.
(٤) فى المختصر (فهو) عوض (ذاك) وفوقها (ذاك).

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد
أأقيم بعدك في المدينة بينهم يا لهف نفسي ليتني لم أولد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي
فظللت بعد وفاته متلدداً يا ليتني أسقيت سم الأسود
يا بكر (آمنة) المبارك ذكره ولدتك محصنة(١) بسعد الأسعد
نور أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
والله أسمع ما حييت بهالك إلا بكيت على النبي محمد
صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على النبي محمد

ولو فتحنا باب الإكثار وسمحنا بإيراد ما يستحسن في هذا الباب من الأشعار لخرجنا عما جنحنا إليه من الإيجاز والاختصار، فالأشعار في هذا كثيرة ولأنواع الأسى والأسف مثيرة، فياله من خطب جل عن الخطوب ومصاب علم دمع العين كيف يصوب، ورزء غربت له النيرات ولا يحلل شروقها بعد الغروب، وحادث هجم هجوم الليل فلا نجاء منه لهارب ولا فرار منه لمطلوب ولا صباح له فيجلو غياهبه الملة ودياجيه المدلهمة، ولكل ليل إذا دجى صباح يؤوب:

ومن سر أهل الأرض ثم بكى أسى بكى بعيون سرها وقلوب

فإنا لله وإنا إليه راجعون من نار حنيت عليها الأضالع لا تخبو ولا تخمد ومصيبة تستك منها المسامع لا يبلى على مر الجديدين حزنها المجدد:

وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد
وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد

(١) في الظاهرية (غمصبة) وفي الأحدية (عصبة) والمثبت هو من ديوان حسان وسيرة ابن هشام ونهاية الأرب النويري.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الطاهرين وعشيرته وسلم كثيرا[1].

(١) هنا فى آخر النسخة الظاهرية البيبرسية العمومية :

(تم الجزء الأول من عيون التواريخ لابن شاكر)

يتلوه فى (الجزء الثانى) خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وكان الفراغ منه فى سلخ شوال المبارك الميمون من شهور سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ، بالجامع الكبير بقرية مردا ، على يد العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير حسن بن على بن عبيد بن أحمد المرداوى المقدسى الحنبلى نزيل صالحية دمشق المحروسة عفا الله عنه .

* * *

وفى اخر النسخة الأحمدية : (تم الجزء الأول من عيون التواريخ على يد جامعه محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين[1]) .

وهنا فراغ رأيت أن أملأه بما فى كتاب (الإشارة الى تلخيص سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا للعلامة مغلطاى) : من قال كانت سنه لما توفى ﷺ (خمساً وستين) حسب السنة التى ولد فيها والتى قبض فيها . ومن قال (ستين) أسقط الكسور .

وقال الشاعر المحمدى البوصيرى فى الهمزية :

لم تخف بعدك الضلال وفينا ... وارثو نور هديك العلماء
فسلام عليك تترى من الله[2] ... وتبقى به لك البأواء
وسلام على ضريحك تخضل ... به منه تربة وعساء

(١) فى الحاشية هنا : (بلغ قراءة) .

(٢) هذا البيت مدور ، وكذلك الذى يليه ، والمدور هو الذى يشترك شطراه بكلمة واحدة ، يكون بعضها فى الشطر الأول وبعضها فى الشطر الآخر .

(١)قال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن عمرو بن يحيى عن خليفة المازنى عن الضحاك بن خليفة قال :

لما توفى رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر الظهر(٢) بالناس بلغ المهاجرين أن الأنصار قد أقعدوا سعد بن عبادة رضى الله عنه وبايعوه بالخلافة، فدخل المهاجرين من ذلك وحشة ، وأطاف كل بنى أب برجل منهم ، وأبو بكر رضى الله عنه جالس لا يشعر(٣) .

حتى خرج العباس رضى الله عنه على الناس فقال : إنه بلغنى أن سعد ابن عبادة ثنيت له وسادة ودعا إلى نفسه ، وأجابه من أجابه نقضاً لعهد رسول الله ﷺ [إنهض يا أبا بكر إلى القوم ، وكان رسول الله ﷺ](٤) حين دعا القبائل ووعدهم الظهور ، قالوا : لمن الملك بعدك فإذا قال لقريش تركوه ، فكان أول من أجابه إلى ذلك الأنصار .

وسيأتى حديث السقيفة فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه إن شاء الله تعالى(٥) .

(١) هنا مبدأ (السفر الثانى) من نسخة أحمد الثالث ، وفيه البسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ والدعاء بالتيسير .

(٢) فى الأحمدية (العصر) وهو وَهم . (٣) فى المختصر (لا يستقر) .

(٤) ما بين المعقفين ساقط من الأحمدية فقط .

(٥) أورد الحافظ المنذرى فى كتابه (كفاية التعبد وتحفة التزهد) حديثاً متفقاً عليه : روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من أنفق زوجين فى سبيل الله تعالى نودى فى الجنة ياعبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان . قال(أبو بكر الصديق) : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها. قال رسول الله(نعم وأرجو أن تكون منهم) الذى فى البخارى (من أنفق زوجين من شىء من الأشياء) .

ورسالة المنذرى (كفاية التعبد) طبعت منذ ثلاث وخمسين سنة . وجهل هذا أحد المتنطعين فلم يشر إلى أنها مطبوعة فى (ترجمة المنذرى) وفاءً بتعهده بالاشارة إلى مؤلفات المنذرى المخطوطة والمطبوعة .

(باب فى ذكر خلافة أبى بكر الصديق)
وذكر اسمه ونسبه رضى الله عنه(١)

إسمه عبد الله بن أبى قحافة — واسمه عثمان — بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى(٢) . ويكنى أبا بكر . وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر . قال أبو الحسن بن البراء : ولد أبو بكر بمنى .

وفى تسميته بعتيق ثلاثة أقوال : أحدها أنه نظر إليه رسول الله ﷺ فقال : (هذا عتيق من النار) قال محمد بن سعد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : إنى لفى بيتى ورسول الله ﷺ فى الفناء وبينى وبينهم الستر ، إذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه فقال رسول الله ﷺ : (من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا) .

والثانى : أنه اسم سمته به أمه . قاله موسى بن طلحة .

والثالث : أنه سمى به لجمال وجهه .

وسماه النبى ﷺ صديقاً . وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يحلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء (الصديق) (٣) .

قال ابن سعد : أنبأنا يزيد بن هارون قال أنبأنا أبو معشر قال أنبأنا أبو وهب مولى أبى هريرة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) فى مجلة الأزهر مقالات جليلة عن سيدنا أبى بكر بقلم الأستاذ الغيور على الإسلام الشيخ محمد الصادق عرجون ، عنوانها (حياة رجالات الإسلام) .

(٢) يجتمع نسبه مع نسب رسول الله ﷺ عند مرة بن كعب ، على ما فى (نهاية الأرب للنويرى ١٩ / ٨) وغيره .

(٣) فى (مجمع الزوائد ٩/١ ٤) : رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات .

قال : (ليلة أسرى بى قلت لجبريل إن قومى لا يصدقوننى ، قال جبريل : يصدقك أبو بكر وهو الصديق) .

(ذكر صفته)

كان أبو بكر رضى الله عنه نحيفاً ، أبيض ، حسن القامة ، خفيف العارضين ، معروق الوجه[1] غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، أجنأ[2] لا يستمسك إزاره[3] يسترخى عن حقويه[4] عارى الأشاجع[5] يخضب بالحناء والكتم[6] .

وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله) .

(ذكر تقدم إسلامه رضى الله عنه)

قال الشعبي قال ابن عباس : أول من صلى أبو بكر ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكرتَ شجواً من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

---

(١) يعنى قليل لحم الوجه .

(٢) فى الأحمدية (أجنى الظهر) وفى نسخة المعهد (أجنا) وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى (أجنأ) . وهو الذى فى ظهره انحناء يسير . ومثله فى (نهاية الأرب للنويرى ١٩ / ٢٤) .

(٣) الازار : هو ما يستر أسفل البدن، على ما فى (تاج العروس للزبيدى) .

(٤) الحقو بالفتح ويكسر : الكشح ، الخصر .

(٥) هى أصول الأصابع ، على ما فى القاموس المحيط .

(٦) الكتم محركة : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ، كما فى القاموس .

خير البرية أنقاها وأعدلها بعد النبي[١] وأوفاها بما حملا
الثانى التالى[٢] المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

(ذكر أزواجه وأولاده)

تزوج فى الجاهلية امرأتين : إحداهما قتيلة بنت عبد العزى ، فولدت له عبد الله وأسماء ذات النطاقين . والثانية أم رومان بنت عامر ، ولدت له عبد الرحمن وعائشة .

وتزوج فى الإسلام امرأتين : إحداهما أسماء بنت عميس ، فولدت له محمداً . وكانت عند جعفر بن أبى طالب قبله ، وولدت له محمداً . وتزوجها بعد أبى بكر على بن أبى طالب فولدت له ولداً اسمه محمد . فكان يقال لها (أم المحمدين) والزوجة الثانية حبيبة بنت خارجة بن زيد ، فولدت له أم كلثوم بعد وفاته[٣] . وكان أبو بكر لما هاجر إلى المدينة نزل على أبيها خارجة فتزوجها .

---

(١) فى نسخة المعهد (إلا النبى) . ومثله فى (مجمع الزوائد ٩/٤٢) .

(٢) فى ديوان حسان « الثانى الصادق المحمود مشهده » وما فى النص يوافق ما عند الطبرى فى تاريخه وابن عبد البر فى الاستيعاب ، والسيوطى فى تاريخ الخلفاء ، والمحب الطبرى فى الرياض النضرة .

(٣) أخرج الإمام مالك عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال لها : كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً ، فلو كنت جددته واحترزته كان لك . وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هو أخواك وأختاك ، فاقسموه على كتاب الله . فقالت : يا أبت إنما هى أسماء ، فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة ، أراها جارية . وأخرجه ابن سعد قال : قد ألقى فى روعى أنها جارية فاستوصى بها خيراً ، فولدت (أم كلثوم) .

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : (صدقت يا حسان هو كما قلت) .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً[1] ، قال فجئت بنصف مالي . فقال لي رسول الله ﷺ (ما أبقيت لأهلك ؟) قلت له : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ (ما أبقيت لأهلك) ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت : لا أسبقه[2] إلى شيء أبداً .

وفي أفراد البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في أمر جرى بين أبي بكر وعمر : (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بماله ونفسه ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي) - مرتين .

ومن أعظم فضائل أبي بكر فتواه[3] في حضرة رسول الله ﷺ : عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين علا رجلاً من المسلمين، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه وضربته بالسيف على حبل عاتقه ، فأقبل إلى فضمني

---

(١) (إن) هنا نافية ، يعني ما سبقته .

(٢) في الأحمدية وغيرها (أسابقك) عوض (أسبقه) والتصحيح من (جامع الأصول ٨ / ٥٩١ من طبعة دمشق) . وعزا الحديث إلى الإمامين : أبي داود والترمذي . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) في النسخ المصورة تشبه أن تكون (مثوله) ولعل المؤلف يقصد (امتثاله) وقد تكون (فتواه) . ثم رأيت في صفة الصفوة (فتواه) كما وفقني الله لتحقيقه . وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في غزوة حنين .

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : (صدقت يا حسان هو كما قلت) .

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً[1] ، قال فجئت بنصف مالى . فقال لى رسول الله ﷺ (ما أبقيت لأهلك ؟) قلت له : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ (ما أبقيت لأهلك) ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت : لا أسبقه[2] إلى شيء أبداً .

وفى أفراد البخارى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى أمر جرى بين أبى بكر وعمر : (إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بماله ونفسه ، فهل أنتم تاركون لى صاحبى) - مرتين .

ومن أعظم فضائل أبى بكر فتواه[3] فى حضرة رسول الله ﷺ : عن أبى قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين علا رجلاً من المسلمين، فاستدرت له حتى أتيته من ورائه وضربته بالسيف على حبل عاتقه ، فأقبل إلى فضمنى

---

(١) (إن) هنا نافية ، يعنى ما سبقته .

(٢) فى الأحمدية وغيرها (أسابقك) عوض (أسبقه) والتصحيح من (جامع الأصول ٨ / ٥٩١ من طبعة دمشق) . وعزا الحديث إلى الإمامين : أبى داود والترمذى . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) فى النسخ المصورة تشبه أن تكون (مثوله) ولعل المؤلف يقصد (امتثاله) وقد تكون (فتواه) . ثم رأيت فى صفة الصفوة (فتواه) كما وفقنى الله لتحقيقه . وهذا الحديث أخرجه الإمام البخارى فى غزوة حنين .

ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله .

ثم إن الناس رجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال : (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه[1]) فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قمت الثانية فقال رجـــل من الأنصار : صدق يا رسول الله ، وسلبه عندى فأرضه عني .

فقال أبو بـكر الصديق : لا ها الله إذاً ، لا تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله يعطيك سلبه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صدق فأعطه) .

وعن سهل بن سعد قال : كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال : (يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بـكر فليصل بالناس) فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ، ثم أمر أبا بكر فتقدم بهم. وجاء رسول الله ﷺ وقد دخل أبو بـكر في الصلاة ، فلما رأوه صفحوا[2] فجاء فشق الناس حتى قام خلف أبي بكر ، وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت ، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ "[3] [خلفه فأومأ إليه رسول الله ﷺ أن أمضه ، فقام أبو بـكر كهيئته فحمد الله على ذلك ثم مشى القهقرى فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم] فصلى بالناس .

---

(١) السلب : هو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها . على ما في (النهاية لابن الأثير) .

(٢) أي صفقوا ، على ما في القاموس المحيط .

(٣) ما بين المعقفين ساقط من الأحمدية وغير موجود في المختصر .

فلما قضى الصــــلاة قال : (يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت) ؟ فقال أبو بكر : لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ .

وقال رسول الله ﷺ (إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال فإن التصفيح(١) للنساء) أخرجاه في الصحيحين .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال(٢) ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟ فقال : (يا جبريل أنفق علي ماله قبل الفتح) قال : فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك : قل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ، فقال رسول الله ﷺ (يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟) فقال أبو بكر رضي الله عنه أأسخط على ربي عز وجـــل ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض(٣) .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، فلقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أربعون ألف ألف درهم ، فكان يعتق

---

(١) التصفيح والتصفيق واحد ، كما في (النهاية .

(٢) أي جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد ، والكلمة في الأحدية مصحفة ، والتصحيح من (النهاية لابن الأثير) و (نهاية الأرب للنويري ١٩ / ١٦) .

(٣) عزاه الحافظ السيوطي إلى ابن شاهين في السنة والبغوي في تفسيره وابن عساكر وقال : غريب ، وسنده ضعيف جدا . على ما في (تاريخ الخلفاء للحافظ السيوطي) .

منها ويقوى المسلمين ، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة[١] .

قال علماء السير : لم يفته مشهد[٢] مع رسول الله ﷺ ، ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك ، واشترى بلالا وأعتقه .

وهو أول مع جمع القرآن[٣] وأسلم على يده من العشرة خمسة : عثمان

(١) قال الصوفى العارف بالله العلامة الشيخ محمد الحنفى : أبو بكر رضى الله عنه قد أجمع أهل السنة على أنه أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين . (الثمرة البهية فى الصحابة البدرية ص ١٦) .

(٢) روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر : (ما ترون فى هؤلاء الأسرى) — أسرى بدر — فقال أبو بكر : هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للاسلام ، وقال عمر : لا والله يارسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله ما قال أبو بكر . قال الاستاذ الشيخ صادق ابراهيم عرجون : كل من المذهبين ضرورة اجتماعية لا غنى للانسانية عنه فى أى عصر من عصورها ، فهى تتطلب الرحمة لتكون وسيلة لها إلى الخير ، وهى تتطلب القسوة لتكون وجهاً فى تأديبها .. وبعد فما أعظم بركة الصديق فى أسرى بدر ، فقد تكشف الغيب عن سر رأى الصديق ، وأسلم كثير من الاسرى بعد ذلك وكانت لهم قدم صدق فى نصرة الدعوة الإسلامية وأخرج الله من ظهورهم من كانوا أعلام الهداية فى الارض.

وقال الاستاذ الصادق عرجون أيضاً : أسلوب الآية الكريمة (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض) الذى يتذوقه ممن كانت له ملكة البلاغة لا يشعر بأنها جاءت عتابا على ما بدا من الرأى فى شأن الاسرى ، بل الذى تنادى به الآية أنها كانت عتابا على المسارعة إلى الغنائم وكسر المعركة قبل كسر قناة الشرك ، وهو المراد بالاثخان فى الآية ، فهذا عتاب لأصحاب النبى ﷺ .

(٣) كما ورد فى صحيح البخارى ، وملخصه : أن سيدنا أبا بكر دعا سيدنا زيد بن ثابت فقال له : إن عمر أتانى فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة =

ابن عفان وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف . وما شرب مسكراً لا فى جاهلية ولا فى إسلام .

(ذكر ورعه)

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : كان لأبى بكر رضى الله عنه مملوك يغل عليه ، فأتاه فى ليلة بطعام ، فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك

= بقراء القرآن ، وإنى أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه . . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . . فكانت الصحف عند أبى بكر ثم عند عمر ، ثم عند حفصة بنت عمر ، رضى الله عنهم .

وقال الاستاذ محمد زاهد الكوثرى : كان (جمع زيد بن ثابت) تحت إشراف جمهرة القراء من الصحابة ، وجروا على طريقة الكتابة من عين ما كتب بين يدى الرسول ﷺ ، بعد ثبوت ذلك بشهادة شاهدين عدلين بأن هذا هو المكتوب بعينه بحضرة النبى ﷺ ، مبالغة فى المحافظة على رسم القرآن المتبع عند كتابته أمام النبى ﷺ بحضرة الصحابة . ولم يكن المراد بالاشهاد الاشهاد على نفس النظم الكريم ألبتة ، فإن الصحابة الذين كانوا يحفظونه كانوا فى غاية من الكثرة ، وحديث خزيمة ينادى بأن الاشهاد إنما كان على القطع المكتوبة .

وتردد الصديق رضى الله عنه بادىء بدء إنما كان بملاحظة أن ذلك ربما يكون سبباً للتواكل فى حفظه والتكاسل فى استظهاره ، لا باعتبار التحرج فى الكتابة . ووقع الاختيار على زيد بن ثابت لأنه كان أكثر كتاب الوحى ملازمة للنبى ﷺ ، على شبابه وقوته وجودة خطه . على ما فى كتاب (مقالات الكوثرى ٨ — ١٠ من طبعة القاهرة) .

كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟ قال حملنى على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟ قال : مررت بقوم من الجاهلية فرقيت لهم فوعدونى ، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى هذا الطعام .

فقال : أف لك كدت تهلكنى . فأدخل يده فى حلقه[1] فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج ، فقيل له : إن هذا لا يخرج إلا بالماء فدعا بعس[2] من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها ، سمعت رسول الله ﷺ يقول (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به) فخشيت أن ينبت شىء من جسدى من هذه اللقمة .

(ذكر خوفه وزهده)

قال إبراهيم النخعى : كان أبو بكر يسمى الأواه[3] لرأفته ورحمته . قال محمد بن سعد : حدثنا محمد الثقفى عن كثير عن أبى شريحة قال : سمعت عليا عليه السلام يقول على المنبر : ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب . وقال قيس بن سعد : رأيت أبا بكر آخذاً بطرف لسانه وهو يقول : هذا أوردنى الموارد . وقال الحسن قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا ليتنى كنت شجرة تعضد[4] ثم تؤكل

---

(١) فى المختصر (فى فيه) .

(٢) فى (فقه اللغة للثعالبى) : الغمر هو الذى لا يبلغ الرى ، ثم القعب : يروى الرجل الواحد ، ثم القدح : يروى الاثنين والثلاثة ، ثم العس : يعب فيه العدة .

(٣) الأواه : المتأوه المتضرع ، وقيل هو الكثير البكاء ، وقيل الكثير الدعاء ، على ما فى (النهاية لابن الاثير) .

(٤) أى تقطع ، على ما فى (النهاية) .

(ذكر فضله على جميع الصحابة)
رضى الله عنه

عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى[1] : أى الناس أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبو بكر . قلت ثم من ؟ قال عمر ، وخشيت أن أقول : ثم من ؟ فيقول : عثمان ، فقلت : ثم أنت ، فقال : ما أنا إلا رجل من المسلمين[2] .

وروى الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : وددت أنى فى الجنة حيث أرى أبا بكر .

(ذكر بيعة أبى بكر رضى الله عنه)

ذكر الواقدى عن أشياخه أن أبا بكر رضى الله عنه بويع يوم قبض رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان من خبرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وتخلف عنا الأنصار بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة[3] ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر رضى الله عنه فقلت له : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان ، فذكرا لنا الذى صنع القوم ، وقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء

---

(١) يعنى الإمام عليا كرم الله وجهه .

(٢) رواه الإمام البخارى فى (باب فضل أبى بكر ...) .

(٣) هى بالقرب من دار سعد بن عبادة زعيم الانصار . وهى ظلة كانوا يجلسون تحتها والسقيفة كل بناء سقف ، فيه صفة أو شبه صفة ، مما يكون بارزاً . أنظر (معجم البلدان لياقوت الحموى) .

من الأنصار ، فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم ، واقضوا أمركم . فقلنا : والله لنأتينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت من هذا ؟ قالوا سعد بن عبادة ، فقلت ماله ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت[1] إلينا دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر .

فلما سكت أردت أن أتكلم ، وكنت قد زورت[2] فى نفسى مقالة أعجبتنى ، أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر فقال أبوبكر : مهلا ، على رسلك : فكرهت أن أغضبه والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلاقالها فى بديهته وأفضل .

فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما يعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح ، فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلى أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك[3] وعذيقها

---

(١) من الدفيف ، يعنى الدبيب ، تقول : دفت علينا من بنى فلان دافة أى جماعة ، على ما فى (الرياض النضرة للمحب الطبرى) .

(٢) أى هيأت وأصلحت والتزوير : إصلاح الشىء ، وكل إصلاح من خير أو شر فهو تزوير .. والإنسان يزور كلاما وهو أن يقومه ويتقنه قبل أن يتكلم به ، على ما فى (تاج العروس الزبيدى رحمه الله) .

(٣) أى أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بالجذل . والجذل : هو العود الذى ينصب للابل الجربى لتحتك به ، على ما فى (النهاية لابن الاثير) .

المرجب(١) منا أمير ومنكم أمير ، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايع الأنصار .

وقال إبراهيم التيمى : لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر إلى أبى عبيدة ابن الجراح فقال : ابسط يدك أبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان محمد ﷺ فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فهة(٢) منذ أسلمت : أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين .

قال على رضى الله عنه : لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا فى أمرنا فوجدنا النبى ﷺ قد قدم أبا بكر فى الصلاة ، فرضينا لدنيانا ما رضى رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر(٣) .

وقيل إن أبا عبيدة بن الجراح أتى إلى الأنصار فقال : يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير .

فقام بشير بن سعد — أبو النعمان بن بشير — فقال : يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به الدنيا ، ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به ، وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم .

---

(١) أى إن لى عشيرة تعضدنى وتمنعنى وترفدنى . والعذيق تصغير عذق — بالفتح — وهى النخلة . والترجيب هنا : إرفاد النخلة من جانب ببناء من حجارة أو خشب ليمنعها من السقوط لطولها وكثرة حملها ، على ما فى تاج العروس والنهاية . (٢) أراد السقطة والجهلة ، من العى . على ما فى (النهاية) .

(٣) فى (نهاية الارب ٧ / ٢١٠) : الصحيح أن عليا رضى الله عنه بايع بيعة رضا ، باطنه فيها كظاهره . والدليل على ذلك أنه وطىء من السبى الذى سبى فى خلافة أبى بكر ، واستولد منه محمد بن الحنفية .

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة فأيهم شئتم فبايعوا ، فقالا : والله ما نتولى هذا الأمر عليك ، وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة ، وهي أفضل دين المسلمين ، أبسط يدك نبايعك ، فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر يا بشير عقتك عقاق ، أنفست(١) على ابن عمك سعد بن عبادة . قال لا والله ولكني كرهت أن أنازع القوم حقهم .

وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ، وتحول سعد بن عبادة إلى داره ، فأرسل إليه ليبايع فقال : لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأضرب بسيفي وأخضب بسنان(٢) رمحي . فقال عمر لا ندعه حتى يبايع ، فقال بشير : إنه قد لج وليس بمبايعكم أو يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فإن تركتموه فليس تركه بضاركم إنما هو واحد(٣) ،

(١) في الأحمدية (عتقتك عقاق أنفسك) وفي غيرها (عتقك عقاق أنفست) والتصحيح من (تاريخ الطبري ٣ / ٢٢١) بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم

(٢) في الأحمدية (بستار) وهو تحريف .

(٣) أورد هذه القصة الحافظ الذهبي في (سير النبلاء ١ / ٢٠٠) وقال إسنادها كما ترى

وسعد هو الصحابي الذي لم يبايع لأبي بكر رضي الله عنهما ، فلا بد من تأول فعله بما يليق بصحابي جليل : ولعله لما رأى الأنصار قد أعدته للخلافة يوم السقيفة ، ثم رأى إجماع الصحابة على أبي بكر وانصرافهم عن بيعته استوحش نفسه بين الناس وكان سعد رجلا عزيز النفس ، فخرج من المدينة ولم يرجع إليها حتى مات . ولم ينقل عنه طعن في بيعة الصديق ولا نواء بخروج ، فتخلفه عن البيعة لا يقتضي رفضه لها ولا مخالفته فيها . على ما في (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عليه رحمة الله) .

فقبل أبو بكر وصية بشير وكف عن سعد ، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم فلم يزل كذلك حتى توفى أبو بكر وولى عمر ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج مجاهداً إلى الشام ، فمات بحوران فى أول خلافة عمر ، ولم يبايع أحدا وقيل إنه بايع(١) .

وقال عطاء بن السائب : لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر فيها، فلقيه عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما فقالا : أين تريد يا (خليفة رسول الله ؟) قال : السوق ، قالا تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالا : انطلق حتى نفرض لك شيئاً ، فانطلق معهما إلى المسجد والصحابة رضى الله عنهم قد اجتمعوا فقالا : افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه ، قالوا نعم : داه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره(٢) إذا سافر ، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف .

فقال أبو بكر رضيت ، وقيل إنهم فرضوا له فى السنة ألفى درهم ، فقال زيدونى فإن لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة . فزادوه خمسمائة .

قال وكان يحلب للحى أغنامهم ، فلما بويع قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها فقال : بلى لأحلبنها لكم ، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه ، فكان يحلب لهم رضى الله عنه(٣) .

---

(١) فى (نهاية الأرب للنويرى ١٩ / ٣٨) : عن الضحاك بن خليفة أن سعد ابن عبادة بايع .

(٢) الظهر : الإبل التى يحمل عليها .

(٣) لم أجد مكانا لكلمة يجب تدوينها ، فوضعتها هنا : يدعى بعضهم أن سيدنا الصديق لم يعرف بكثرة الرواية عن النبى ﷺ . والحقيقة هى ما ورد فى (تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبى ٢ / ٩٥٦) وهذا نصه : =

. . . .

=(الحافظ البارع الحسين بن محمد بن أحمد الماسرجسي النيسابوري ، كان « مسند أبي بكر » بخطه في بضعة عشر جزءاً بعلله وشواهده ، فكتبه النساخ في نيف وستين جزءا) .

والحافظ الماسرجسي هذا هو صاحب (المسند الأكبر) وهو الذي جمع حديث الزهري جمعاً لم يسبقه إليه أحد . قال الحاكم : هو سفينة عصره في كثرة الكتابة، ارتحل إلى العراق في سنة إحدى وعشرين لسماع الحديث، وأكثر المقام بمصر لسماع الحديث ، وسمع الحديث بخراسان والشام . وتوفي في سنة خمس وستين وثلاثمائة . اه .

وكان سيدنا الصديق رجلا نسابة ، من أعلم الناس بأنساب العرب، فلا غرو أن يكون من حفاظ الحديث النبوي وطبع بدمشق (مسند أبي بكر الصديق للحافظ القاضي أبي بكر الأموي المروزي) وفي دار الكتب الظاهرية الجزء الثاني من (مسند أبي بكر الصديق للحافظ يحي بن صاعد) .

قال مصطفى صادق الرافعي في كتاب (إعجاز القرآن) : إن أبا بكر (رضي الله عنه) قال للنبي صلى الله عليه وسلم مرة : لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك : فمن أدبك (أي علمك) ؟ قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي .

وهذا خبر متظاهر ، وهيهات أن يكون في العرب فصيح تعرفه فصاحته ولا يكون قد سمعه أبو بكر متكلما أو خطيباً أو منشداً في سوق أو موسم أو حفل ، فإنه في علم العرب وأنسابها وأخبارها ولغاتها وآثارها هو الغاية التي ينتهى إليها ويوقف عندها حتى لايعدل به عدل . وحسبك أن أنسب العرب في صدر الإسلام - وهو جبير بن مطعم - إنما عنه أخذ ومنه تعلم . وإذا قالوا في المبالغة : أنسب من أبي بكر ، فقد قالوا : أنسب الناس .

(ذكر الحوادث التي كانت في أيامه)

ولما اشتهرت وفاة رسول الله ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم .

وأشار عليه عمر أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لو منعوني عقالا(١) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها .

فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله) فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال وقد قال (إلا بحقها) قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

فخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نقعاء حذاء نجد ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر رضي الله عنه وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمر رجلا على الجيش .

ولم يزالوا به حتى رجع وأمر خالد بن الوليد المخزومي(٢) رضي الله عنه ،

(١) أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة . لأن على صاحبه التسليم . وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل أراد مايساوي عقالا من حقوق الصدقة . وقيل أراد بالعقال صدقة العام . وفي أكثر الروايات (لو منعوني عناقا — الأنثى من أولاد المعز — وفي أخرى جديا) ، على ما في النهاية لابن الأثير . وفي الضمير الذي في النص مايؤيد هذه الرواية .

(٢) (المخزومي) ساقطة من نسخة المعهد .

وقال : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة فمن شاء منكم فليرجع . ورجع أبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة .

قال الزهرى : فسار خالد فقاتل طليحة بن خويلد ، وكان قد ادعى النبوة وتابعه عيينة بن حصن(١) الفزارى وجماعة ، وكان طليحة شديد البأس فى القتال فقتل عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وانهزم أصحاب طليحة وهرب طليحة ، وأسر عيينة وقرة بن هبيرة القشيرى ، فبعث بهما خالد إلى أبى بكر رضى الله عنه .

وسار خالد إلى البطاح(٢) ، وعليها مالك بن نويرة ، فلم يجد هناك أحداً ، ووجد مالكا قد فرقهم فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع .

وكان فيما أوصاهم به أبو بكر رضى الله عنه : (إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا ، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الإغارة ، ثم اقتلوهم كل قتلة إلا حرقاً فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شىء إلا الإغارة) .

فجاءت الخيل إلى خالد بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع ، فاختلف أصحاب خالد فيهم : فشهد أبو قتادة الأنصارى عند خالد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، وقال بعض الناس : لم نسمع منهم أذانا ولا رأيناهم صلوا .

فراجع مالك خالداً فى كلام قال فيه مالك : قد قال صاحبكم — يعنى

---

(١) فى الأحمدية (حفص) وهو تحريف .

(٢) بالضم ، ويقال بكسر الباء أيضاً . وهى أرض فى بلاد بنى تميم على ما فى (معجم ما استعجم للبكرى) .

رسول الله ﷺ - فقال خالد : يا عدو الله وما تعده لك صاحبا ؟ ! فضرب عنقه وقتل أصحابه[1] .

(قصة أهل اليمامة)

ولما فرغ خالد من البطاح رجع إلى المدينة فأمره بالخروج إلى اليمامة[2] لقتال مسيلمة الكذاب، ووجه معه المهاجرين والأنصار . وكان ثمامة بن أثال قد كتب إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه يخبره أن أمر مسيلمة قد استعلى فبعث أبو بكر عكرمة بن أبي جهل وأتبعه شرحبيل بن حسنة وقال : الحق بعكرمة ، فاجتمعا على قتال مسيلمة ، فعاجلهم مسيلمة فاقتتلوا ، فأصيب جماعة من المسلمين .

فبعث أبو بكر إلى عكرمة بن أبي جهل فصرفه إلى وجه آخر .

ولما قدم خالد أمره أبو بكر بالمسير إلى مسيلمة، فمضى حتى نزل منزلا من اليمامة فعسكر به فخرج إليه مسيلمة ، وكان عدد بني حنيفة أربعين ألفا .

---

(١) تختلف الروايات فى مقتل مالك اختلافاً تتباعد أطرافه فلا تتقارب ، وأشد ما فى هذه الروايات المتضاربة إقحام أسماء جماعة من سادة الصحابة رضوان الله عليهم وحسب القارىء أن يسمع اسم الفاروق وأبى قتادة وعبد الله بن عمر حتى يندفع إلى الإيمان بما سمع ، فقد يكون إقحام هذه الأسماء إمعانا فى ستر الحقيقة . والرواية الأخيرة قد تكون قريبة القبول : لأن قول مالك « قد قال صاحبكم » لا تخرج من صدر سليم الإيمان ، ، بل هى فلتة من فلتات الكفر البواح . على ما فى (كتاب خالد بن الوليد للأستاذ الشيخ صادق عرجون) .

(٢) اليمامة : هى معدودة من نجد ، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام . وفى الهوامش المقبلة تفصيل عنها .

وقدم مسيلمة أمامه الرجال بن عنفوة[1] ، وكان الرجال قد قدم على رسول الله ﷺ وأسلم وقرأ سورة البقرة .

فلما رجع إلى مسيلمة شهد له فى جماعة من بنى حنيفة أنه سمع رسول الله ﷺ يشركه فى الأمر والنبوة .

وكان قوله أشد على أهل اليمامة من فتنة مسيلمة . قال أبو هريرة رضى الله عنه : جلست فى رهط عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (إن فيكم رجلا ضرسه فى النار مثل أحد) فهلك القوم وبقيت أنا والرجال ، فكنت متخوفاً لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة .

قال واقتتل الناس قتالا شديدا فقتل الرجال ، قتله زيد بن الخطاب وأصيب من المسلمين ألف وماتتا رجل ، منهم ثابت بن قيس بن شماس وزيد ابن الخطاب أخو عمر .

وقتل الله عز وجل مسيلمة ، اشترك فى قتله رجلان : رجل من الأنصار ووحشى مولى جبير بن مطعم ، وكان وحشى يقول : قتلت خير الناس وشر الناس . يعنى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ومسيلمة الكذاب .

قال علماء السير : قتل من المسلمين يوم اليمامة أكثر من ألف ، وقتل من المشركين نحو عشرين ألفاً .

وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وقيل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما .

* * *

(١) فى النسخ (الرحال بن عنفرة) وهو خطأ .

(ذكر من توفى فى هذه السنة)
من الأعيان

فيها توفى (ثابت بن أقرم) بن ثعلبة بن عدى، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وخرج مع خالد بن الوليد إلى أهل الردة فبعثه مع عكاشة بن محصن طليعة فقتلا رضى الله عنهما .

وفيها توفى (ثابت بن قيس) بن شماس بن مالك[1] ، شهد أحداً والخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ . وكان خطيباً جهير الصوت ، جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين فكفن فيهما وقد انهزم القوم فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، ثم قال بئسما عودتم أقرانكم ، ثم حمل وقاتل حتى قتل[2] .

(زيد بن الخطاب)

وفيها قتل (زيد بن الخطاب) أخو عمر ، كان أسن من عمر وأسلم قبل عمر . شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان حامل راية المسلمين يوم اليمامة ، فانكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة على الرجال ، فصاح زيد بأعلى صوته : اللهم إنى أعتذر إليك من فرار أصحابى وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ، وجعل يشد بالراية يتقدم بها فى نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، ووقعت الراية ، فأخذها سالم مولى أبى حذيفة.

---

(١) هذا ما فى الأحمدية ونسخة المعهد ، وهو موافق لما فى تهذيب التهذيب. وفى الإصابة والاستيعاب خلاف فيما بعد جده (شماس) .

(٢) وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فمر به رجل فأخذها ، ورآه بعض الصحابة فى النوم فأوصاه بأن تؤخذ درعه وأن يقول للخليفة : إن على من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق ، فأجاز الخليفة أبو بكر وصيته ، ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته سواه. على ما فى (الاستيعاب) .

قال محمد بن سعدعن نافع عن عبدالله بن عمر قال: قال عمر لأخيه زيد يوم أحد : أقسمت عليك إلا لبست درعى ، فلبسها ثم نزعها . فقال له عمر : مالك ؟ قال: أريد لنفسى ماتريدلنفسك، وكان عمر يقول : أسلم قبلى واستشهد قبلى . وكان يقول ماهبت الصبا(١) إلا وجدت فيها ريح زيد . رضى الله عنهما .

وفيها قتل (سالم مولى أبى حذيفة) قال ابن سعد : كان لثبيتة(٢) ابنة يعار الأنصارية ، وكانت تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقته فتولى أباحذيفة وتبناه أبو حذيفة . وقال فيه رسول الله ﷺ (إن سالما شديد الحب لله) وكان سالم يؤم بالمهاجرين من مكة حتى قدموا المدينة ، وفيهم أبو بكر وعمر، وكان أقرأهم .

وكان اللواء يوم اليمامة بيد زيد بن الخطاب ، فلما قتل أخذه سالم فقطعت يمينه ، فتناول اللواء بشماله فقطعت شماله ، فاعتنق اللواء ، وجعـــل يقرأ ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم(٣) ﴾ ووقف بالراية حتى قتل ، فعرض ميراثه على مولاته فأبت وقالت أنا سيبته(٤) لله تعالى ، فجعل ميراثه فى بيت المال .

وفيها قتل (أبو دجانة سماك بن خرشة(٥)) شهد بدراً وأحدا ، وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت . وقال رسول الله ﷺ : (من يأخذ

---

(١) فى الإفصاح فى فقه اللغة : الصبا : ريح تأتى من مطلع الشمس ، وتقابل باب الكعبة (لذلك تسمى القبول) . أنظر كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقى .

(٢) فى النسخ (لبثينة) . التصحيح من الاستيعاب والإصابة وطبقات ابن سعد .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤ .

(٤) فى الأحمدية (سيبته) وهو تصحيف .

(٥) فى الاحمدية (شماك بن خرشة) وكلاهما خطا .

هذا السيف بحقه) ؟ فقال : أنا ، فأخذه ففلق به هام المشركين ، شهد اليمامة وهو ممن شرك فى قتل مسيلمة وقتل شهيداً رضى الله عنه .

وفيها (توفى عبدالله بن أبى بكر الصديق) أسلم قديما ، ولم يسمع له بمشهد إلا يوم الطائف ، فإنه شهده مع رسول الله ﷺ ، فرماه أبو محجن بسهم فبقى منه جريحاً مدة ، ثم اندمل ، ثم انتقض به فى شوال سنة إحدى عشرة فى خلافة أبيه فمات . ونزل فى حفرته أخوه(١) عبد الرحمن بن أبى بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهم .

وفيها قتل (عبد الله بن سهيل) بن عمرو(٢) وقتل يوم اليمامة رضى الله عنه .

وفيها قتل (عباد بن بشر بن وقش) أسلم بالمدينة على يدى مصعب بن عمير ، وشهد بدرا . وكان ممن قتل كعب بن الأشرف ، وجعله رسول الله ﷺ على مقاسم حنين ، واستعمله على حرسه بتبوك مدة إقامته هناك . وشهد اليمامة فقتل شهيدا وهو ابن خمس وأربعين سنة رضى الله عنه .

وفيها قتل (عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة) أبو عقيل . شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل يوم اليمامة . قال ابن عمر(٣) وقفت عليه وهو صريع بآخر رمق ، قلت : أبا عقيل . قال : لبيك — بلسان

---

(١) (أخوه) ساقطة من الأحمدية .

(٢) كان عبد الله قد أسلم ، وكتم عن أبيه إسلامه ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً انحاز من المشركين وهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه بدراً والمشاهد كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، على ما فى (الاستيعاب) .

(٣) فى المختصر (أبو عمر) وهو تحريف .

ملثاث — لمن الدائرة ؟ قلت : أبشر فقد قتل الله مسيلمة عدو الله ، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله تعالى ومات رحمه الله تعالى ورضى عنه . قال ابن عمر : فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره فقال : رحمه الله ما زال يسأل الله تعالى الشهادة ويطلبها . وكان من خيار أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقدمائهم .

وفيها توفيت :

(فاطمة الزهراء)

ابنة رسول الله ﷺ . ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، ومرضت بعد رسول الله ﷺ مرضا شديدا ، وتوفيت بعده بستة أشهر ، وقيل بمائة يوم . وقيل أكثر وقيل أقل[1] ، وهى ابنة تسع وعشرين سنة ، وقال بعضهم خمس وثلاثين سنة .

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها كما كانت تصنع به ﷺ وكانت أول أهله[2] لحوقاً به ، وصلى عليها على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو الذى غسلها مع أسماء بنت عميس بوصية منها ، ولم يخلف رسول الله ﷺ من ولد غيرها ، ودفنت بالبقيع ليلا رحمها الله تعالى ورضى عنها . وقال على رضى الله عنه يرثيها :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذى دون الممات قليل
وإن افتقادى واحداً بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

---

(١) فى (ذخائر العقبى) : والأول أصح . قال الشيخ زاهد الكوثرى فى تأنيب الخطيب . ٢ (الاختلاف شديد فى مواليد ووفيات الصدر الأول لتقدم عصرهم على عهد تدوين الوفيات . ومصداق ذلك فى وفيات الصحابة فضلا عن مواليدهم . ويرجع أحدث التواريخ المروية فى المواليد وأقدمها فى الوفيات ، أخذاً بالأحوط فى الحكم بالاتصال أو بالانقطاع ، إذا لم يوجد ما يؤيد إحدى الروايات) .

(٢) (أهله) ساقطة من النسخ ، فاستدركتها من (الاستيعاب) .

وفيها توفيت (أم أيمن) حاضنة النبي ﷺ ومولاته رضي الله عنها .

وفيها قتل :

(مالك بن نويرة)

أبو المغوار اليربوعي أخو متمم . وقد ذكرنا ما جرى له مع خالد ابن الوليد رضي الله عنه وأن خالداً أمر ضرار بن الازور بضرب عنقه ، فلما قتل قال أبو قتادة : هذا عملك يا خالد ، فزبره خالد ، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، وكان خالد قد تزوج أم تميم بنت المنهال وهي امرأة مالك ، فقال عمر : إن في سيف خالد رهقا . ولما أقبل خالد إلى المدينة قال له عمر : ياعدو الله ، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ثم تزوجت امرأته ، لئن أمكنني الله منك لأرجمنك[1] . وخالد ساكت لا يرد عليه شيئا ، يظن أن ذلك عن رأى أبي بكر .

فلما دخل على أبي بكر أخبره الخبر واعتذر إليه ، فصدقه وقبل عذره .

---

(١) قال الأستاذ صادق إبراهيم عرجون في مؤلفه (خالد بن الوليد) : أمر هذه الروايات ظاهر أنه من تزيد القصاصين ، وإقحام اسم عمر بهذه الصورة التي تقصها الروايات ظاهر الانتحال . ولا نرى حرجا على خالد في تزوجه امرأة مالك لأنه قتل رجلا كافراً في اعتقاده منابذاً للاسلام محارباً للمسلمين معتديا عليهم . فإذا فرضنا إسلام زوجته وهي تحته فيكون خالد قد أحسن إليها وجبر خاطرها بتزوجها . وهذا ما نرجحه في شأنها لأن أكثر المؤرخين ذكروا أنها اعتدت بثلاث حيض . وإذا فرضناها غير مسلمة فحكمها حكم السبي ، ويكون خالد قد أحسن إليها أيضا ، لأنه كما تقول بعض الروايات اشتراها من الفيء وأعتقها وتزوج بها . انتهى ما نقلته من نقد الأستاذ صادق عرجون لهذه الروايات . وقد بلغ هذا النقد ثماني عشرة صفحة في مؤلفه النفيس المذكور .

وكان عمر يحرض أبا بكر على عزله وأن يقيد منه ، فقال أبو بكر : هيه يا عمر ما هو بأول من أخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، ثم ودى مالكا .

ومما يؤيد خالداً أن مالكا مات مرتدا أن متمما لما أنشد عمر مراثيه فى أخيه مالك قال عمر : وددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته[1] فقال عمر رضى الله عنه : ما عزانى أحد عن أخى ما عزانى به متمم .

وفى المثل (مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك) يعنون به مالكا هذا .

وقيل لمتمم صف لنا مالكا فقال : كان يركب الجمل الثفال[2] فى الليلة القرة ، يرتمى لأهله بين المزادتين النضوحتين عليه الشملة الفلوت[3] يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا .

ومن مراثيه فيه :

لقد لامنى عند القبور على البكى[4] رفيقى لتذراف الدموع السوافك[5]

---

(١) لأنه مات شهيداً .

(٢) وردت هذه اللفظة مصحفة فى بعض النسخ . والثفال : البطىء الثقيل .

(٣) هى لصغرها تفلت منه إذا اشتمل بها . وقيل هى التى لا تثبت على صاحبها لخشونتها أو لينها . على ما فى (النهاية لابن الأثير) .

(٤) (البكى) مقصوراً يرسم بالياء ، لأنه يائى . وفى النسخ (البكا) بالألف . وهذه الأبيات ساقطة من نسخة المعهد .

(٥) فى المختصر (السواكب) . قال أبو هلال العسكرى فى (ديوان المعانى ٢ / ١٧٤) هذا البيت غير مختار الرصف عندى ، وفى ألفاظه زيادة على معناه . وقد وردت هذه الأبيات فى نهاية الأرب وغيره مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

فقال أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى ... ذرونى فهذا كله قبر مالك

وقال أيضاً يرثيه من أبيات :

لقد غيب[١] المنهال[٢] تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا
لبيباً أعان اللب منه سماحة ... خصيباً إذا ما راكب الجدب أوضعا
تراه كنصل السيف تندى بنانه ... إذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا
أقول وقد جاد السنا فى ردائه ... بجون يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادى المدجنات فأمرعا
وعشنا بخير فى الحياة[٣] وقبلنا ... أباد المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال :

ألوم النائبات من الليالى ... وما تدرى الليالى من ألوم
وكان أخى زعيم بنى تميم ... وكل قبيلة فلهم زعيم
وكان إذا الشدائد أرهقتنى ... يقوم بها وأقعد لا أقوم[٤]

وقدم على أبى بكر رضى الله عنه فصلى خلفه صلاة الصبح ، فما فرغ أنشده

---

(١) فى الأغانى وشرح الحماسة للتبريزى (كفن) بدل (غيب) . وهذه المقطوعة لم ترد فى نسخة المعهد، وبعض ألفاظها فى الأحمدية مطموس ، فاستدركت ذلك من عدة مراجع .

(٢) أى الموت .

(٣) فى البداية والنهاية (ما حيينا) وما فى الأحمدية يوافق ما فى (فوات الوفيات) .

(٤) هذه الأبيات لم ترد فى نسخة المعهد .

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يابن الأزور
أدعوته بالله ثم غدرته بل لو دعاك بذمة لم يغدر
لا يلبس الفحشاء تحت ثيابه صعب مقادته عفيف المئزر
فلنعم حشو الدرع كنت وحاسرا ولنعم مأوى الطارق المتنور

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء وانحرط على سية(١) قوسه مغشياً عليه . فلما أفاق قال : والله لقد أصبت بعيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة ، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ . وأسلم متمم وحسن إسلامه .

(السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية المحمدية)

لما فرغ خالد رضى الله عنه من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو مقيم باليمامة : إنى قد وليتك حرب العراق .

قال الواقدى : من الناس من يقول : مضى خالد رضى الله عنه من اليمامة إلى العراق . ومنهم من يقول : رجع من اليمامة فقدم المدينة ثم سار إلى العراق .

وسار خالد رضى الله عنه بمن معه حتى نزل قصور الحيرة(٢) ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس الطائى . وكان قد أمره عليهم كسرى بعد النعمان ابن المنذر ، فقال له خالد رضى الله عنه ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فنجاهدكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

فقال له قبيصة بن إياس : مالنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا

(١) السية : ما عطف من طرف القوس .

(٢) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، وكانت سكن المناذرة فى الجاهلية .

ونعطيك الجزية ، فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق .

وقيل خرج إليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة[1] ، وكان قد عمر دهراً طويلا .

وقال خالد رضى الله عنه لعبد المسيح : من أين أثرك ؟ قال : من ظهر أبى قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمى قال : ويحك ، على أى شيء أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ويلك فى أى شيء أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ويحك تعقل ؟ قال : نعم وأقيد . قال : إنما أسألك . قال : وأنا أجيبك . قال : سلم أنت أم حرب ؟ قال : سلم قال : فما هذه الحصون التى أرى ؟ قال : بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه .

قال خالد رضى الله عنه : إنى أدعوكم إلى الإسلام فإن أبيتم فالجزية [2] قال : لا حاجة لنا فى حربك . فصالحهم كما ذكرناه .

وفى رواية أخرى أن عبد المسيح لما حضر إلى خالد وجد خالد

---

(١) بقيلة اسمه ثعلبة بن سنين، ويقال : الحارث . وسمى بقيلة لأنه خرج فى بردين أخضرين ، فقيل له : يا حارث ما أنت إلا بقيلة خضراء ، فغلبت عليه ، على ما فى حاشية (معجم الشعراء للمرزبانى) وغيره .

(٢) الجزية اسم المال يعطيه رجال قوم جزاء على الإبقاء بالحياة أو على الإقرار بالأرض . بنيت على وزن اسم الهيئة . ولا مناسبة لاعتبار الهيئة فلذلك كان الظاهر فى هذا الاسم أنه معرب عن كلمة (كزيت) بالفارسية بمعنى الخراج . نقله المفسرون عن الخوارزمى . ولم أقف على هذه الكلمة فى كلام العرب فى الجاهلية ولم يعرج عليها الراغب فى (مفردات القرآن) ولم يذكروها فى معرب القرآن لوقوع التردد فى ذلك لأنهم وجدوا مادة الاشتقاق العربى صالحة فيها .
(من تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ١٠/١٦٦) .

فى كفه شيئاً يقلبه . فقال خالد رضى الله عنه : ما هذا ؟ قال : سم ساعة ، قال : وما تصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يوافق قومى حمدت الله تعالى وقبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلا فأشربه وأستريح من الحياة .

قال خالد رضى الله عنه : هاته ، فأخذه منه وقال : (بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذى لا يضر مع اسمه شىء) ثم شربه فتجللته غشية وضرب بذقنه صدره طويلا ثم عرق . فلما أفاق كأنما نشط من عقال .

فرجع عبد المسيح إلى قومه وقال : جئتكم من عند رجل أكل سم ساعة فلم يضره ، صانعوا القوم وادرءوهم عنكم ، فصالحوهم .

وعبد المسيح هذا عاش ثلاثمائة وخمسين سنة ، وكان نصرانيا .

وقيل : إن بعض أهل الحيرة فى زمن هارون الرشيد حفر حفيرة ليختط له داراً فوجد كهيئة البيت ، فإذا رجل على سرير من زجاج ، وعند رأسه كتابة : أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة :

حلبت الدهر أشطره حياتى ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتنى ولم أحفل بمعضلة كؤود
وكدت أنال فى الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود

ثم إن خالداً رضى الله عنه قدم الأبلة(١) فلقى هرمز فى ثمانية عشر ألفا . وتنازل هرمز وخالد رضى الله عنه ، فانهزم أهـــل فارس وقتل منهم خلق كثير .

---

(١) فى النسخة المعهد (الايلة) وهو تصحيف . والأبلة : بلدة على شاطىء دجلة غربى البصرة العظمى .

وقسم خالد رضي الله عنه الأسلاب، وبعث بالخمس مع سعيد(١) بن النعمان

وأتى الخبر أردشير(٢) فبعث الأندر في خلق كثير، فلقوا خالداً رضي الله عنه فاقتتلوا قتالا شديدا.

وكان لخالد رضي الله عنه كمين تخرج على القوم من وجهين، فانهزمت صفوف الأعاجم وانهزم الأندر(٣) فمات عطشا. وبلغ القتلى سبعين ألفا.

ثم قصد خالد رضي الله عنه الأنبار (٤) ففتحها، واستخلف عليها الزبرقان ابن بدر، وقصد عين التمر(٥) فامتنعوا منه فحاصرهم حتى أنزلهم وضرب أعناقهم، وسبي منهم سبيا كثيرا، ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق فكسره عنهم وقسمهم في العسكر، منهم أبو زياد مولى ثقيف، ونصير أبو موسى بن نصير، وأبو عمرة جد عبدالله بن عبدالأعلى وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويسار مولى قيس بن مخرمة.

ولما فرغ خالد رضي الله عنه من عين التمر خلف فيها عويمر بن الكاهن الأسلمي وخرج، فلما بلغ دومة الجندل(٦) وكان عليها رئيسان: أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا يرى أحد وجهه إلا انهزم. فأبوا عليه وقاتلوه، فقتل أكيدر والجودي وتحصن أقوام بالحصن فلم يمنعهم، وقتل من تخلف، وقلع باب الحصن وسبى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة بالجمال.

---

(١) في المختصر (سعد) وهو تحريف.

(٢) في النسخ (أزدشير) وهو تصحيف.

(٣) في نسخة المعهد (الأنذر) وهو تصحيف.

(٤) غربي بغداد، على بعد ٦٥ ك م، كما في (معجم أماكن الفتوح) الملحق بفتوح البلدان للبلاذري صنع الدكتور صلاح الدين المنجد.

(٥) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.

(٦) إسمها اليوم (الجوف) وأول غزوات الشام: دومة الجندل.

قال : ولما بلغ الروم ما صنع خالد رضي الله عنه حميت واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من الفرس، واستمدوا تغلباً وإياداً وأنماراً(١) فأمدوهم ، ثم ناهزوا خالدا ، حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، قال خالد رضي الله عنه : بل اعبروا إلينا ، فقالت الروم وفارس بعضهم لبعض : احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل عن دين الله ، والله لينصرن ولتخذلن، فعبروا واقتتلوا قتالا طويلا فهزمهم الله تعالى . وقتل منهم فوق مائة ألف .

وأقام خالد رضي الله عنه هناك بعد الوقعة عشرا ، ثم أذن في القفول إلى الحيرة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم .

وخرج خالد رضي الله عنه حاجاً مكتتما يعتسف البلاد حتى أتى مكة المشرفة .

فلما علم أبو بكر رضي الله عنه بذلك عتب عليه ، وكانت عقوبته أن صرفه إلى الشام وكتب إليه : سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، وإياك أن تعود لما فعلت وأتمم يتم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر ، وإياك أن تدل بعملك فإن الله تعالى له المن وهو ولي الجزاء .

واعتمر أبو بكر رضي الله عنه في هذه السنة ودخل مكة ضحوة .

وأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره معه فتيان يحدثهن ، وقيل له : هذا ابنك ، فنهض قائما وعجل أبو بكر أن ينيخ(٢) راحلته فنزل عنها

(١) بالتنوين على أنها أسماء أقوام ، فإذا أريد القبائل منعت من الصرف للعلمية والتأنيث .

(٢) أي عجل من أن ينيخ لينزل عنها ، مخافة على أبيه من مشقة النهوض . يقول الأستاذ العقاد (في عبقرية الصديق) : كثير مما في أبي بكر هو من هذا الأب الصالح : طيبة في يقظة ، في استقامة. ويزيد عليه ابنه في كل وصف حميد .

وهى قائمة وجعل يقول يا أبه(١) لا تقم ، ثم التزمه وقبل بين عينيه ، وأبو قحافة يبكى فرحاً بقدومه .

وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام ، فسلموا عليه : « سلام عليك يا خليفة رسول الله » وصافحوه جميعا ، فجعل أبو بكر رضى الله عنه يبكى حين يذكرون رسول الله ﷺ .

ثم سلموا على أبى قحافة ، فقال أبو قحافة : يا عتيق هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه يا أبه لا حول ولا قوة إلا بالله ، طوقت عظيما من الأمر لا قوة لى به ولا يدان إلا بالله .

وفى هذه السنة تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نفيل ، وتزوج على رضى الله عنه أمامة بنت أبى العاص بن الربيع .

وحج أبو بكر رضى الله عنه بالناس ، واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

(ذكر من توفى فى هذه السنة)
من الأعيان

فيها توفى (أبو العاص بن الربيع) بن عبد العزى بن عبد شمس(٢) بن عبد مناف . أمه هالة بنت خويلد ، وخالته خديجة . زوجه رسول الله ﷺ ابنته زينب قبل الإسلام ، فولدت له عليا وأمامة ، فتوفى على صغيراً ، وبقيت أمامة فتزوجها على رضى الله عنه بعد موت فاطمة رضى الله عنها . وكانت زينب قد أسلمت وهاجرت . وأبى أبو العاص أن يسلم ، وشهد بدراً مع

(١) أصلها (يا أبت) بتاء مكسورة ، ووقف عليها بالهاء على لغة .
(٢) كان يقال له (الأمين) كما فى نسب قريش لمصعب الزبيرى .

المشركين ، فأسره عبدالله بن جبير بن النعمان ، كما تقدم في غزوة بدر الكبرى [(١) فقدم في فدائه أخوه عمرو بن الربيع ، وبعثت معه زينب وهي يومئذ بمكة بقلادة لها كانت لخديجة من جزع ظفار(٢) — وظفار جبل باليمن — وكانت خديجة أدخلتها على أبي العاص بتلك القلادة فلما بعثت بها في فداء زوجها عرفها رسول الله ﷺ ورق لها وذكر خديجة وترحم عليها وقال : (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها متاعها فعلتم) . فأطلقوه وردوا القلادة ، وأخذ على أبي العاص أن يخلي سبيلها ففعل . ثم إنه أسلم ورجع إلى رسول الله ﷺ مهاجراً ، فرد إليه زينب(٣)] وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة وأوصى إلى الزبير بن العوام رضي الله عنهما .

(١) ما بين المعقفين ساقط من نسخة المعهد ، فاستدركته من الأحمدية ومختصر كبردج .

(٢) الجزع بالفتح : الخرز اليماني . وظفار بفتح الظاء : اسم مدينة لحمير باليمن . وفي المثل : (من دخل ظفار حمر) . ويقول المؤلف إن ظفار : جبل باليمن .

(٣) في (سير النبلاء للذهبي ١٧٦/٢) : أسلمت زينب وهاجرت ثم أسلم أبو العاص زوجها ، وما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما . ثم أنزلت (براءة) بعد . فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فلا سبيل له عليها إلا بخطبة . اهـ .

ويؤخذ من ذلك أن من أسلمت وزوجها كافر كان لها حكم قبل نزول (براءة) ثم صار لها حكم آخر بعد نزولها : فقبل نزولها لم يكن ينفسخ نكاح من أسلمت وزوجها كافر ، لكن إذا هاجرت لم ترجع إليه . فإذا أسلم وهاجر ردت إليه بدون عقد جديد ولو طالت المدة .

وبعد نزولها تغير الحكم : فمن أسلمت وزوجها كافر ينفسخ نكاحها انفساخاً معلقاً ، فإذا أسلم زوجها في أثناء العدة زال الانفساخ وعاد النكاح كما كان بدون عقد جديد . وإن لم يسلم حتى انقضت العدة ثبت الانفساخ وجاز لها أن تتزوج من شاءت من المسلمين . فإذا أسلم هو بعد ذلك ووجدها خلية جاز لهما الزواج بعقد جديد . هذا كله فيمن أسلمت ولها زوج كافر . وأما من كانت مسلمة في الأصل أو أسلمت وليس لها زوج فلا يجوز لها أن تتزوج بغير المسلم .

(السنة الثالثة عشرة)

من الهجرة النبوية المحمدية

فمن الحوادث فيها : تجهيز أبي بكر رضى الله عنه الجيوش إلى الشام ، بعد منصرفه من حجه : فبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه قبل فلسطين، وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من عليا الشام .

وأول لواء عقد لواء خالد بن سعيد ثم عزله قبل أن يسير ، وولى يزيد ابن أبي سفيان ، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام .

وخرجوا فى سبعة آلاف فارس ، ومشى معهم نحو ميلين ، فقيل له : ياخليفة رسول الله لو انصرفت. قال : لا ، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله تعالى على النار(١)) .

ثم قام فى الجيش فقال : أوصيكم بتقوى الله ، لا تعصوا ولا تغلوا ولا تجبنوا ولا تهدموا بيعة(٢) ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تقتلوا شيخاً كبيرا ولا صبيا صغيرا ، وستجدون أقواما قد حبسوا أنفسهم فذروهم وما حبسوا أنفسهم له، وستردون بلداً يغدو عليكم ويروح فيه ألوان الطعام فلا يأتيكم لون إلا ذكرتم اسم الله تعالى عليه .

ولما بلغ الروم أحوال الأمراء المبعوثين كتبوا إلى هرقل، فقال لأصحابه : أرى من الرأى أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم . فلم يقبلوا منه، فخرج هرقل حتى نزل بحمص وبعث يطلب العساكر ، فجاءته من كل مكان .

---

(١) ورد هذا الحديث فى النسخ محرفا . وقد أخرجه البخارى والترمذى والنسائى .

(٢) بكسر الباء : متعبد النصارى ، على ما فى (القاموس المحيط) .

فكتب المسلمون إلى أبي بكر رضي الله عنه وإلى عمر رضي الله عنه يذكرون كثرة العساكر . فجاء كتاب أبي بكر : أن اجتمعوا باليرموك(١) فتكونوا عسكراً واحداً ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، والله ناصر من نصره ، وليصل كل أحد منكم بأصحابه .

ونزل الروم منزلا واسع المطرد ضيق المهرب على ضفة اليرموك ، وصار الوادي خندقاً لهم ، ونزل المسلمون بحذائهم على طريقهم ، وليس للروم طريق إلا عليهم .

وكتب أبو بكر إلى خالد أن يلحق بهم ، وأن يخلف على العراق المثنى(٢) فوافاهم ، وأمد هرقل الروم بباهان ، فوافى قدومه قدوم خالد ، فقاتل خالد باهان ، وقاتل الأمراء من يليهم .

وكان المشركون مائتي ألف وأربعين ألفا . وكان المسلمون بسبعة وعشرين ألفا . وقدم خالد في تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفا ، فهزم باهان وتتابعت الروم على الهزيمة(٣) .

---

(١) هو واد في ناحية الشام في طرف الغور ، يصب في نهر الأردن .

(٢) هو الأمير القائد المثنى بن حارثة الشيباني سليل الأبطال ، الذي دافع في حروب الردة عن الدين واشترك بجموعه في محاربة المرتدين ، وكتب له التاريخ في حروب العراق وغيرها صفحات خالدة ، وسجل له مواقف بطولية مشهورة ، وسر نجاحه هو في إيمانه العميق الذي يدفع إلى النصر بقوة الإرادة . وكان يعمل في صمت ناجح ونشاط مستمر . وكان في مواقف الشدة يتجه إلى الله تعالى ... أنظر كتاب (المثنى بن حارثة الشيباني للعقيد محمد فرج) .

(٣) لعل الصواب : (وتتابعت على الروم الهزيمة) .

(ذكر اليرموك)

ولما اجتمع القوم باليرموك أخذ الرهبان يحرضونهم وينعون إليهم النصرانية فخرجوا للقتال .

وكانت الوقعة فى جمادى الآخرة ، ونشب القوم والتحم القتال ، فبينما هم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة — وهو محمية بن زنيم — وأخبرهم بأمداد ، وإنما جاء بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة فكتم ذلك وقاتل الناس ، وكانت من أعظم الوقائع . وأصيبت يومئذ عين أبى سفيان ، وقاتل النساء ، وهزم الله تعالى الروم .

وكانت وقعة اليرموك(١) فى سنة ثلاث عشرة . والواقدى يزعم أنها فى سنة خمس عشرة .

واستشهد باليرموك عكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو(٢) والحارث ابن هشام وجماعة من بنى المغيرة .

فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه : أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال : ابدءوا بذا ، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال : ابدءوا بهذا ، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا رضى الله عنهم .

فمر بهم خالد رضى الله عنه فقال : بنفسى أنتم .

قال علماء السير : وأتى خالد دمشق فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة فظفر بالعدو ، وطلب العدو الصلح فصولحوا على كل رأس

---

(١) هكذا فى الأحدبة والمختصر ، وفى نسخة المعهد (الروم) بدل (اليرموك) .

(٢) فى النسخ (عمر) وهو تحريف .

دينار فى كل عام وجريب[١] حنطة

ثم رجع العدو على المسلمين فتوافوا بأجنادين(٢) فالتقوا، وظهر المسلمون على المشركين وقتل خليفة هرقل .

وأما المثنى الذى استخلفه خالد على العراق فإن كسرى شهربراز وجه إليه جنداً عظيماً، عليهم هرمز ومعه فيل. فالتقوا ببابل واقتتلوا قتالا شديداً .

ثم إن ناساً من المسلمين قصدوا الفيل فقتلوه . فانهزم أهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم .

ومات كسرى شهربراز فاجتمع أهل فارس على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر نخلعت وملك سابور بن شهربراز ، فبعثت إلى سياوخس[٣] وكان من فتاك الأعاجم .وشكت إليه فدخل على كسرى سابور فقتله وملكت أرزميدخت بنت كسرى .

وأبطأ خبر أبى بكر على المسلمين . لخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية. وخرج إلى أبى بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين فقدم المدينة وأبو بكر مريض فمات أبو بكر وجهز عمر الناس مع المثنى .

ومن الحوادث فى هذه السنة مرض أبى بكر الصديق وعقد الخلافة من بعده لسيدنا عمر[٤]

* * *

(تم السفر الأول من عيون التواريخ)

(ويتلوه السفر الثانى ، وأوله ذكر خلافة سيدنا عمر بن الخطاب)

---

(١) فى تاج العروس للزبيدى : قال بعضهم : إنه يختلف باختلاف البلدان كالرطل والمد والذراع ونحو ذلك .

(٢) بقرب الرملة بفلسطين .

(٣) فى النسخ (سياوخش) والتصحيح من تاريخ الطبرى .

(٤) يستقبلنا فى أوائل (السفر الثانى) خبر وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنه .

فهرس

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٧١ / ١٩٨٠
الترقيم الدولي - ٨٦ - ٧٠٠١ - ٩٧٧

دار الشباب للطباعة
١٥ شارع الدماسية بالقاهرة
ت: ٨٣٩٧٢٠